RIYAD, SAUDI ARABIA

No. .... : الرقم   Date .... :

مكتبة جامعة الرياض - قسم المخطوطات
الرقم ٤٢٤٣ ف ٨٩٤/١
العنوان شرح الأربعين حديثا النووية
المؤلف لمسعود بن
تاريخ النسخ القرن الثاني عشر الهجري تقديرا
اسم الناسخ
عدد الأوراق ١٨٤ ق
ملاحظات ٢١×١٥ سم
٤١٣/٦

أ ز ٢١٣
ش

(شرح الاربعين حديثا النوويه)، كتب فى القرن الثانى عشر الهجرى تقديرا .

١٨٤ ق ٢٥س ٥ر١٥x٢١سم

٤٢٤٣ نسخة حسنة ، خطها نسخ مشكول، ناقصه الأول والأخر و الاثناء، اوراقها منفرطة .

١ـ الاحاديث السنيه الأخرى أ ـ تاريخ النسخ ب ـ المبين المعين لفهم الاربعين جـ ـ شرح الاربعين النوويـــــة .

شربة عند السحر ولم يتناول فواكه دمشق لشبهته فيها ولم يتزوج
من زهده وحج مرتين وتولى دار الحديث الاشرفية سنة خمس
وستين ولم ياخذ من معلومها شيا يلبس ثوب قطن وعمامة سخابيه
وعليه سكينة ووقار في بحث العلوم الدينيه ولم يزل على ذلك الى ان سافر
الى القدس ثم عاد الى وطنه فمرض عند ابويه وتوفي بنوى ست و
سبعين وسبعمائة ودفن ببلده طيب الله مضجعه روي انه انشد
ابياتا عند الوفاة منها شعر يسائر قلبي في قدومي عليهم
وبالسير يسري يوم اسري اليهم وفي رحلتي يصفو مقامي وحبذا
مقام به حط الرحال لديهم وسميته بالمبين المعين لفهم الاربعين
وهذا اول الشروع في المقصود بعون الملك المعبود قال رحمه الله
بسم الله اى باسم المعبود بالحق الواجب الوجود المبدع للعالم
من اثر الكرم والجود والباء للاستعانة متعلق بفعل مؤخر مثل
ابتدئ او ابتدي لافادة الاختصاص وللاهتمام في مرتبة
الخاص ولان ما هو السابق في الوجود يستحق السبق في ظهور
الجود ولذا قال بعض المحققين من ارباب الشهود ما رايت شيا الا
ورايت الله قبله وزاد عليه من ترقى لديه بقوله سوى الله والله ما
في الوجود الرحمن العام الرحمة لجميع البريه بافاضة اصول
النعم وجلائلها الرحيم الخاص الرحمة للمؤمنين بالهداية وما
يتوقف عليه سعادتهم من دقائقها وحقائقها واصل الرحمة التعطف
القلب والرقه وهي في حقه سبحانه ارادة الخير لمن يستحقها او ترك
العقوبة لمن يستوجبها والحاصل ان الرحمن هو المفيض للوجود
والكمال على الكل بحسب ما يقتضي الحكمة على وجه البداية والرحيم
هو المفيض للكمال المعنوي المخصوص بالنوع الانساني بحسب
النهاية وفائدة لفظ الاسم ان يتيمن به الحق على قلوب
اهل معرفته من الخلق فلما قدم لفظ الله اضمحلت العقول

وبالسير يسري ... عليهم

في ابتداء عظمته وذابت الارواح في بحار الوهبيته فاتبعه بالرحمن الرحيم
ليتجلي قلوب الموحدين وليشفي صدور قوم مؤمنين كذا قاله بعض
المحققين وقيل الرحمن شراب شوق اهراقه لارباب ذوق
في قدح الرحيم ليتناول العباد في مقام المراد حتى اذا شربوا سكروا
واطربوا فطلبوا فساروا فطاروا فوصلوا فاتصلوا فذابوا واضمحلوا
في بيداء كشفه واستغرقوا في بحار لطفه هذا والله هو الاسم
الاعظم لكن بشروط من جملتها ان تقول الله وليس في قلبك سواه ونقل
الاستاذ ابو القسم القشيري ان جميع اسمائه تعالى للتخلق الا هذا الاسم
فانه للتعلق ثم اعلم ان المصنف افتتح كتابه بالتسمية والتحميد تاسيا
بالكتاب المجيد وعملا بالحديث الصحيح المفيد كل امر ذي بال اي
شان وحال لا يبدا فيه ببسم الله الرحمن الرحيم او بالحمد لله او بحمد الله
او بذكر الله فهو اجذم او اقطع او ابتر روايات متعددة وعبارات مختلفة
مؤداها ان متروك البسملة قليل البركة او مقطوع الزيادة ورواية
بذكر الله اعم وفي المعنى اتم لما يشير الى ان الابتداء العلي الشان يحصل
باي ذكر كان سواء يكون في ضمن البسملة او الحمدلة الا ان الجمع بينهما
افضل والاهتمام باقترانهما امثل والترتيب ماخوذ من الكتاب
الجليل مع ما فيه من الاشارة الى ان توفيق الاتيان بالبسملة انعام
فينبغي ان يترتب عليه شكر جزيل فقال الحمد لله وهو الوصف بالجميل
الاختياري على جهة التبجيل سواء تعلق بالفضايل الكسبية او
بالفواضل الوهبية دال للاستغراق خلافا للمعتزلة في هذه
المسالة وقيل للجنس فلامه للتخصيص فيئول امره الى الاول
فتامل هذا وفي كلام الصوفية ان الحمد كما يكون بالمقال يكون بالافعال
ولسان الحال وهو ظهور الكمالات وحصول الغايات من
الكائنات اذ هي اثنية فائحة ومدائح رائعة لمولاها بما يستحقه
فيما اولاها فالموجودات كلها مسبحة منزهة حامدة اظهارا لكمالاتها

واشعارا من بداياتها ونهاياتها في مظهريتها للصفات الجلالية
والنعوت الجمالية كما قال وان من شيء الا يسبح بحمده اي بلسانه فيسبح
ملكوتيه بسديد يسمعه من كان له قلب او القى السمع وهو شهيد
وبهذا اللسان نطق الحصى في يد المصطفى وبه تحدث الارض اخبارها
وتنطق الجوارح باوزارها وبه نطق السموات والارضين حيث
قالتا اتينا طائعين ثم اختيار اسم الذات المبني عن صفات الكمال
ووصفه بما يتفرع عليها من الافعال ايماء الى استحقاقه من جميع
الجهات وسائر الاحوال ولذا قال رب العلمين بالجر على
البدلية ويجوز رفعه ونصبه في العربية وبالثلاثة قرئ في الفتح
اي مبديهم ومربيهم قال الواسطي هو الخالق ابتداء والمربي غذاء
والغافر انتهاء والعالم كل ما يعلم به الصانع العالم وجمع
لتعدد انواعه اختلاف واصنافه نقد قال وهب هي ثمانية
عشر الف عالم وقيل اربعون الفا وقيل ثلثمائة وستون الفا
وقيل ثمانون الفا نصفه في البر ونصفه في البحر وقال كعب
الاحبار لا يحصي عدد العالمين غيره سبحانه قال تعالى وما يعلم
جنود ربك الا هو واختير هذا الجمع تغليبا لذوي العقول من
الملائكة والثقلين لشرفهم واستتباع غيرهم فهو عبارة عن المخلوقات
باسرها من جواهرها واعراضها لافتقارها الى موثر واجب
لذاته تدل على وجوده وثبوت صفاته قيوم السموات والارضين
بفتح الراء ويسكن وعلل بان قياسه ارضات كثمرات فلما عوض
منه الواو والنون الحق فتحة الراء ايماء الى اصل البناء والقيوم
فيعول مبالغة القائم والمراد به ههنا القائم بذاته المقوم
لمصنوعاته فهو خالقهما والدائم القيام بامرهما وجمع السماء
لاختلافها بالاثار والحركات عند الحس وتباينها في الجنس
كما ورد في كتاب المعراج للاستاد القشيري ان الاول موج مكفوف

والثانية من النحاس والثالثة من الفضة والرابعة من الذهب
والخامسة من الياقوت والسادسة من زمرد والسابعة من نور و
العرش من جوهرة خضراء اوباعتبار كبرها وسعة جرمها فسفى
الخبر ان الارضين السبع بجنب السماء الدنيا كحلقة في فلاة و
هكذا كل سماء بالاضافة الى ما فوقها وجميع الكائنات بالنسبة الى
العرش وقدمها لشرفها وعلو مكانها وافراد الارض في الكتاب
لاتحاد جنسها اولصغر جسمها اولثقل جمعها وانما جمعها المصنف
كما ورد في بعض الاحاديث واشعارا بانها مثلها في عددها قال
تعالى ومن الارض مثلهن وفي كل طبقة ما لا يعلمه الا الله الذي
خلقهن وايثارا لرعاية الفاصلة فيما قبلها وما بعدها هذا
وقال القشيري فمن عرف انه القيوم بالامور والاحوال
استراح عن كد التعبير وتعب الاشتغال وعاش براحة التفويض
تكريمه ولم يحصل في قلبه للدنيا كثير قيمة وقد قال الاكابر ان
جميع كرائم الدنيا والعقبى عند الله اقل من تبنة عند سلطان الدنيا
مدبر الخلائق اجمعين اى العالم بعواقب امورهم ومفيض
ما يتوقف عليه وجودهم وثبوت ظهورهم فان التدبير له من العالم
العلوي والسفلي فتدبيره لعالم الارواح كتدبيره لعالم الاشباح
وتدبيره للكبير كتدبيره للصغير لا يختلف بالنسبة الى قدرته
احوال شئ من صفته في الايجاد والاعدام والمنع والعطاء وامثال
ذلك المرام باعث الرسل اى مرسلهم ~~وتسليمه من اصناف~~
~~معاقبته المقرنة بمعاقبته~~ صلواته اى انواع رحمته المقرونة
بعظمته وسلامه وتسليمه من اصناف معاقبته المقرونة
بمعاقبته عليهم والجملة خبرية مبنى وانشائية معنى كالحمد لله
والصحيح ان الرسول انسان اوحي اليه وامر بتبليغه والنبي
من لم يؤمر او هو اعم منه وفي مسند احمد ان عدد الانبياء

مائة

مائة الف واربعة وعشرون الفا والرسل منهم ثلاثمائة وخمسة عشر
قيل مساق الكلام يقتضي ان يكون لهذه الاوصاف مدخل في اقتضاء
الحمد على المرام لان ترتيب الوصف على الحكم مشعر بالعلية كما تقرر
في الاصول الدينية واجيب بان الامر كذلك اما ربوبيته
للكل بالامداد الرزقية والحفظية فظاهر انها من المنح الجلية
واما قيامه بامر السماء والارض فلانه لولاه لاختل العوالم العلوية
والسفلية فلا يمكن لهم اكتساب المعارف الدينية واللطائف
اليقينية اذا صلاح المعاد بانتظام امر المعاش والزاد واما
تدبيره فهو افاضة وجودهم وصفاتهم وما يتوقف عليه ثبوت بقائهم
ولا يخفى انه ايضا من النعم العظيمة والمنن الوسيمة واما
بعثة الرسل فلان الخلق بسبب احتجابهم وبعدهم عن الحق
لا يمكنهم تلقي المعارف والعلوم من الحضرة الصمدية بل لابد
لهم في استفاضة المطالب واستفادة المآرب من واسطة يكون لها وجه
تناسب الحضرة الاحدية ومن وجه يلائم الرتبة البشرية فيستفيض
بسره المشاهد للحق ويفيض بظاهره المخالط للخلق وهم الرسل
الكرام فكان بعثهم من النعم الجسام الى المكلفين اى العقلاء
البالغين من الانس وكذا من الجن بالنسبة الى نبينا صلى الله عليه وسلم
بل وكذا من الملائكة وحتى من الحيوانات والجمادات كما يشير اليه خبر مسلم
وارسلت الى الخلق كافة واما ما قيل من ان التكليف الزام ما فيه
كلفة فهو غالب بالنسبة الى العامة والعقل الذي مناط التكليف
غريزة يلزمها العلم بالضروريات عند سلامة الآلات
وفي كلام بعض الصوفية انه جوهر فطري يتميز به الصلاح
من الفساد والخير من الشر فان تعلق بالخالق فهو
عقل المعاد والهداية وان تعلق بالخلق فهو عقل المعاش
والبداية لهدايتهم اى دلالتهم الى ذات الله وصفاته

قوله والجمادات بان ركب فيها عقل حتى امنت به كما ... جمادى ...

وافعاله فی مصنوعاته وهداية رسل الكرام بدلالة العوام الى
دار السلام وبارشاد الخواص طريق السير الى الله ثم في الله
ليمحو عنهم ظلمات احوالهم ويميط غواشي ابدانهم فيستضيئوا
بنور القدس ويروه في نوره في مجامع الانس ثم اعلم ان
الهداية على ضربين بمعنى الدلالة وتفريق الحق من الضلالة وهو
هداية ارباب الرسالة وبمعنى التوفيق والتاييد والتحقيق وهو
مخصوص به سبحانه بهذا المعنى تجمع بين قوله تعالى انك لا تهدى
من احببت ولكن الله يهدي من يشاء وبين قوله سبحانه
وانك لتهدي الى صراط مستقيم او تعالى اشار فيهما الى مقام
الجمع كما قرر في قوله تعالى وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى
وبيان شرائع الدين الشريعة لغة نهج الطريق الواضح الى الماء
واصطلاحا الطريق الالهية المثبتة للاحكام الدينية المتضمنة
لمصالح العباد وعمارة البلاد وتجارة المعاد والدين لغة الطاعة
والجزاء وشرعا وضع الهي سائق لذوى العقول باختيارهم
المحمود الى ما يصلح في معاشهم ومعادهم الدين والملة يتحدان
ذاتا ويختلفان اعتبارا فان الشريعة من حيث انها يطاع بها
يسمى دينا ومن حيث انها يجتمع عليها تسمى ملة وقوله
لهدايتهم اشارة الى البعثة وهي دعوة الخلق الى الحق وارشاد
العباد الى مصالح المعاش ومنافع المعاد واعلامهم بما يعجز
عقولهم عن معرفته من اصلهم كالحشر والنشر والجنة
والنار وتعيين وظائف الطاعات وتبيين اوقات العبادات
وبيان الحدود والاحكام فی المعاملات وذلك لان الانسان
لما لم يكن مستقل الشان بامر معاشه من غذائه ولباسه
ومسكنه بل لا يتم له الا بمشاركة من ابناء جنسه وكل يشتهي
ما ينتفر اليه فاحتيج الى عدل متفق عليه يحصر امر كلهم لديه

ولما

ولما كان من المتعذر حصر الامور الجزئية مست الحاجة الى ضبط قوانين
كلية وهی شرائع دينية ولابد لها من شارع ممتاز باستحقاق الطاعة
لينقاد له المكلفون في قبول الشريعة وذلك باختصاصه بايات
ظاهره ومعجزات باهرة دالة على انه من عند الحق الى الخلق كما اشار
اليه المص فقال بالدلائل اى حال كونهم متلبسين بالادلة
القطعية اى الموجبة للعلم لانها تقطع معارضة الخصم
وواضحات البراهين اى الحجج الواضحة في المرام ليمتازوا
باستحقاق الطاعة للانام ويقبل منهم الاحكام وتطاع
شريعتهم مدى الايام فمن اطاعهم بشروه بالجنة في دار القرار
ومن عصاهم انذروه بالعقوبة في دار البوار احمده عدل عن
الجملة الاسمية المفيدة للثبات والدوام لقدم الصفات واستمرارها
الى الجملة الفعلية المناسبة لتجدد الانعام وتعاقبها وتكرارها
وايضا عمم اولا ثم خصصه باسناده الى نفسه وقال احمده على جميع
نعمه اواراد به هنا معنى الشكر الذي هو من افراد الحمد بقرينة
ذكر نعمه ثم النعمة هی الحالة المستلذة او المنفعة الخالصة من
المضرة ولذا اختلف في ان الجاحد هل هو منعم عليه اولا ونعم الله
الله تعالى وان كانت لا تحصى ولا يمكن ان تستقصى لقوله تعالى
وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها اى لا تطيقوا عدها فضلا عن
اداء شكرها الا انها اما دنيوية او اخروية وظاهرية او باطنية
والدنيوى اما وهبي كخلق الاعضاء وقوى الاجزاء ونفخ الروح
للاحياء والابقاء واشراقه بالعقل وما يتبعه من الصفاء والضياء
واما كسبى كتخلية النفوس عن الرذائل وتحليتها بالفضائل و
تحليتها بتحسين الشمائل والاخروي هو ان يعفو الله عن عبده
ويرضى عنه في مقام وده ويبوئه في اعلى عليين مع النبيين
والصديقين والشهداء والصالحين واساله المزيد اى الزيادة

من فضله وكرمه اي من افضاله واحسانه في تجليات جماله وذلك كما
يؤيد ما ذكرنا من انه اراد بالحمد الشكر لقوله تعالى لئن شكرتم لازيدنكم
ولما ورد على ما رواه ابو داود عن ابي هريره مرفوعا كل خطبة ليس فيها
تشهد كاليد الجذماء قال المص **واشهد** اى اعلم واعلن **ان لا**
اله الا الله اى لا معبود بالحق فى الوجود ازلا وابدا الا الفرد الموجود
المتصف بالكرم والجود احدا صمدا الجامع لصفات الالوهية الحاوي
لنعوت الربوبيه وان هى المخففة من المثقله والجملة مفعول اشهد
الواحد اى المتعالى عن الانقسام والتجزى وقيل هو سبحانه من
حيث انه منزه عن التركيب واحد ومن حيث انه مقدس عن التشبيه
احد وفي جامع الاصول ان الاحد بنى لنفى ما يذكر معه من العدد
وان الواحد وضع لمفتتح العدد ولا يستعمل الا في الاثبات كقولك
رايت رجلا واحدا والاحد يستعمل في النفى كما رايت رجلا هذا هو الفرق
بينهما واما معنى فلان الاحد هو المنفرد باعتبار الصفات والواحد باعتبار
الذات ولذا قال بعض الصوفية الواحد المنزه عن الشريك
المماثل مع جواز اعتبار الكثرة الاعتبارية بحسب صفاته والاحد المنزه
عن اعتبار التعدد والتكثر فيه بحسب ذاته **القهار** اى الذي لا
موجود الا وهو مقهور تحت قدرته مسخر لقضائه وقدره وعاجز
في قبضته **الكريم** المقدس عن العيوب ازلا المنزه عن النقائص
ابدا **الغفار** الذي يستر ذنوب عباده وفق مراده باسبال الستر
فى الدنيا وعدم المواخذة في العقبى قال بعضهم ومن ايات
الرجاء قوله تعالى ومن يعمل سوءا او يظلم نفسه الايه كانه قال
من امضى عمره فى الزلات وافنى عمره فى المخالفات وابلى شبابه فى البطالات
ثم ندم قبل الوفاة وجد من الله العفو عن السيات فقوله تعالى ومن
يعمل سوءا اخبار عن الفعل وقوله ثم يستغفر الله
اخبار عن القول كانه قال الذين زكتهم قاله وتوبتهم حاله

بحمد الله

فهي صح

بقول صح

بحمد الله غفورا رحيما طلبوا المغفرة فوجدوا الله بوصف الغفران
والرحمة فليس العجب من السيارة حيث طلبوا الماء ليشربوا فوجدوا
يوسف عليه السلام انما العجب من عاص طلب المغفرة فوجد الملك العلام
واشهد ان محمدا اى من كثرت خصاله الحميده وهو اشهر اسمائه
العديده نقلت من الوصفية الى العلمية **عبده ورسوله** قدم
العبودية على الرسالة النبوية دفعا لتوهم الالوهية وتعريضا للجماعة
العيسوية وفي كلام الصوفية انه لا مقام اشرف من العبودية اذ
بها ينصرف من الخلق الى الحق وينعزل عن التصرفات وبالرسالة
من الحق الى الخلق ويقبل على التصرفات ولذا قال اسرى بعبده
ولم يقل برسوله وكان من قال الولاية افضل من النبوة اراد من هذه
الحيثية وان كانت الرسالة هى الحالة الجمعية وهذا توجيه
كلام ابن عبد السلام من تفضيل النبوة لتعلقها بالحق على الرسالة
لتعلقها بالخلق والتحقيق ان نبوته بمعنى ولايته وهى نسبة الاستفاضة
افضل من رسالته وهي نسبة الافاضة واما اذا لوحظ الرتبة
الجمعية فالرسالة لها كمال المزية فانها مقام التكميل الذي هو
نهاية مقامات الصوفية فالعبد الحقيقي لربه من يكون حرا عن
هوى قلبه ولذا قيل ؎ اتمنى على الزمان محالا ان ترى مقلتاي طلعة حر
هذا وقد جاء فى الحديث الصحيح ولكن قولوا عبد الله ورسوله وايماء
الى ان العبادة مما يورث السيادة واشارة الى هضم نفسه وفضل ربه
وحبيبه في مقام الخاص **وخليله** في مرتبة الاختصاص قيل
المحبة ايثار المحبوب على جميع المصحوب وقيل موافقة الحبيب فى
المشهد والمغيب وقيل محو المحب بصفاته واثبات المحبوب بذاته وقيل
مواطاة القلب لمرادات الرب وقيل خوف ترك الحرمة مع اقامة الخدمة
وقال ابو يزيد البسطامي المحبة استقلال الكثير من نفسك واستكثار
القليل من حبيبك وقال سهل المحبة مقارنة الطاعة ومباينة المخالفة

وايماء الى ان العبادة مما يورث السيادة واشارة الى هضم نفسه وفضل ربه صح

ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى الاية

ثم كونه حبيبا لقوله الا وانا حبيب الله ولا فخر وكونه خليلا لقوله لو كنت
متخذا خليلا غير ربي لاتخذت ابابكر خليلا فنفى ان يكون له خليل غير ربه
فثبت خلته له وعن الامام الصادق انه قال اظهر الله اسم
الخلة لابرهيم واخفى اسم المحبة لمحمد لتمام حاله اذ لا يحب الحبيب اظهار
حال حبيبه لئلا يطلع عليه غيره وقال لنبيه فاتبعوني يحببكم
الله اشعارا بانه لا طريق الى محبته الا باتباع حبيبه في شريعته
ومن هنا قيل الحبيب من غلب عليه المحبوبية والخليل من غلب عليه
المحبية والحاصل ان تسمية ابرهيم ومحمد عليهما السلام بخليل الله
اما بانقطاعهما اليه ووقف حوائجهما عليه والاضراب عن الوسائط
لديه وقدم حبيبه لاختصاصه به واخر خليله لاشتراك غيره معه وللايماء
الى انه مقام اقدم وحال افخم لخبر البيهقي انه تعالى قال ليلة الاسراء
سل تعطه فقال يارب انك اتخذت ابرهيم خليلا وكلمت موسى تكليما
فقال الم اعطك خيرا من هذا الى ان قال واتخذتك حبيبا ثم الخليل
هو تخلل القلب محبة الرب كما قيل قد تخللت مسلك الروح مني
وبذا سمي الخليل خليلا وسياتي الكلام على تحقيق محبة الله للعبد و
محبة العبد لله في حديث ازهد في الدنيا يحبك الله افضل المخلوقين
بدليل قوله عليه السلام انا سيد الناس يوم القيامة رواه البخاري
وفي رواية الترمذي انا سيد ولد ادم ولا فخر وبيدي لواء الحمد
ولا فخر وما من بني ادم فمن سواه الا تحت لوائي يوم القيمة ومن
المقرر ان الانبياء افضل الخلق وهو افضلهم فهو اكملهم ولقوله
تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين وفي رواية البيهقي انا سيد
العالمين وفي رواية للترمذي انا اول من تنشق الارض عنه فاكسى
حلة من حلل الجنة ثم اقوم عن يمين العرش ليس احد من الخلائق
يقوم ذلك المقام غيري ونقل الفاكهاني ان الصحيح الذي عليه الجمهور هذا
هو ان الانبياء افضل من الملائكة واما كون نبينا عليه السلام افضل

الانبياء

الانبياء والمرسلين جملة وتفصيلا فلا خلاف فيه انتهى واما قوله صلى الله
عليه وسلم في الاحاديث الصحيحة لا تفضلوني وفي رواية لا تخيروني
على الانبياء فمحمول على النهي عن تفضيل في ذات النبوة او الرسالة او عما
يؤدي الى المنقصة او محمول على التواضع او على انه قبل العلم بالقضية
لان التفضيل الاجمالي مقطوع به لقوله تعالى تلك الرسل فضلنا
بعضهم على بعض المكرم على سائر رسل بني آدم بالقرآن
اى الفرقان المعظم العزيز البديع المنيع المفخم لرصانة مبانيه
وفصاحتها وصحة معانيه وبلاغتها واشتمالها على علم الاولين والآخرين
مما يحتاج اليه في امور الدنيا والدين وقد تكفل الله بحفظه عن كيد الجاحدين
وزيغ المعاندين فهو كريم على الرحمن وحزبه منيع من الشيطان وجنده بدله وحزبه
بل قال بعض ارباب الكمال ان الله تجلى لعباده في كلامه ولكن لا يبصرون
لعدم تحقق مرامه قال الامام الصادق فيكون عزيز الوجود عزيز
المكارم والجود فقد قال تعالى وانه لكتاب عزيز لانه نزل من رب
عزيز بواسطة ملك عزيز على رسول عزيز الى جمع عزيز قال
عثمان بن عفان لو طهرت قلوبنا ما شبعنا من كلام ربنا المعجزة
صفة اخرى للقرآن وهي الامر الخارق للعادة والتاء للمبالغة كما في
العلامة المستمرة اى الباقية الدائمة الحاكمة على تعاقب
السنين الى يوم القيمة بخلاف معجزات سائر الانبياء فانها
انقضت بانقضائهم ومن ثم قال صلى الله عليه وسلم
ما من نبي من الانبياء الا وقد اوتي ما مثله آمن عليه البشر وانما كان
الذي اوتيت وحيا يوحى فارجو ان اكون اكثرهم تابعا يوم القيمة و
ان اردت معرفة المعجزة المتعلقة بالقرآن مبنى ومعنى على جهة
الاستيفاء فعليك بشرحنا لكتاب الشفاء وبالسنن اي
والمكرم بالاحاديث المستنيرة اي ذات الانوار الكثيرة بما
اشتملت عليه من هداية الضالين وايقاظ الغافلين للمسترشدين

من طلاب الرشد في الدين وخص بهم لكونهم المنتفعين اذ لا محيص
من ظلمات الردى الا بالاستضاءة من انوار السنة والهدى وكان الاظهر
ان يقول المنيرة بدل المستنيرة او يجمع بينهما بان يقول المستنيرة المنيرة
فان سنته عليه السلام كما انها مستفيضة من الملك العلام اما بالوحي
او الالهام مفيضة للعلماء الكرام برفع ما اشكل عليهم كما يشير اليه
قوله تعالى لتبين للناس ما نزل اليهم ولا يبعد ان يقال التقدير لانارة
المسترشدين **المخصوص** بالرفع عطف على المكرم اى المختص
من بين ساير الانبياء **بجوامع الكلم** وبدائع الحكم في مقام
الانباء وفيه تلميح الى قوله عليه السلام اوتيت جوامع الكلم واختصر لى
الكلام اختصارا اى اوتيت الكلمات الجامعة بين قلة مبانيها وكثرة
معانيها ولا يختص بالقران وان كان موصوفا بايجاز المباني واشباع
المعاني فان في احاديثه ايضا وجد معاني كثيرة في مباني يسيرة
فقد تصدى لجمع بعضها الائمة كابن السني والغفاري
وابن الصلاح واخرين من اهل التبجيل وفي الشفاء منه ما
يشفي العليل وقد جمعت بحمد الله اربعين حديثا كل حديث
على كلمتين مشتملتين لنسبة المرام وهو اقصى ما يتصور
منه الكلام التام هذا وبلسان العارفين معناه بعثت
بالسنة الصفات وكلمات المقامات من كل الحقائق في
الذات تظهر الحق بلساني وبياني ببيان الحق الذي كلم به
للخلق وهو اشارة الى عين الجمع **وسماحة الدين**
اى سهولته ويسره كما قال تعالى ليس عليكم في الدين
من حرج وقال يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر
وقال يريد الله ان يخفف عنكم وقال ويضع عنهم اصرهم
والاغلال التي كانت عليهم من تعيين قرض الجلد والثوب
اذا اصابه النجاسة وقتل النفس في التوبة والقود في القتل

حتما

الاية وما جعل عليكم في الدين من حرج

لعله سماحة

حتما دون الدية وقطع الاعضاء الخاطئة وكان من اذنب منهم
اصبح ذنبه مكتوبا على بابه فيقام عليه حده وخرق كتابه ولما
قرا الصحابة ربنا ولا تحمل علينا اصرا الى اخر السورة اجاب
الله تعالى دعاءهم بقوله قد فعلت رواه مسلم وكما
رواه الطبراني في الكبير بعثت بالحنيفية السمحاء وزاد احمد
في مسنده ولم ابعث بالرهبانية والبدعة وروينا ايضا
انه قيل يا رسول الله اي الاديان احب الى الله قال
الحنيفية السمحاء وروى احمد مرفوعا يا ايها الناس
ان دين الله يسر قالها ثلاثا وفي رواية قال خير دينكم
ايسره قاله ثلاثا وانه قال لما نظرت عائشة لعب الحبشة
ليعلم اليهود ان في ديننا فسحة اني ارسلت بحنيفية سمحة و
روى عبد الرزاق احب الاديان الى الله الحنيفية السمحة
قيل وما الحنيفية السمحة قال الاسلام الواسع و
صح عن ابي رضي الله عنه اقراني النبي صلى الله عليه وسلم
ان الدين عند الله الحنيفية السمحة لا اليهودية ولا النصرانية
وهذا مما نسخ مبناه وبقي معناه لحديث البخاري الدين يسر
قال الكافيجي فان قلت فهل الفائدة من ذكر صفاته
هي المدح والثناء بما يليق بذاته والاستلذاذ بذكره والابتهاج
بامره كما قيل شعر اعد ذكر نعمان لنا ان ذكره هو المسك ما
كررته يتضوع لا التعريف والتشهير بهذه الاخلاق فانه
مستغن عنها على الاطلاق قلت نعم وما احسن قول
من قال من ارباب الحال انسا بينا لم نزده معرفة وانما لذة
ذكرناها وقد قال الاعشى شعر ما ان مدحت محمدا بمقالتي
لكن مدحت مقالتي بمحمد **صلوات الله وسلامه عليه**
اى انواع رحمته واصناف سلامته نازلة اليه وواصلة لديه

خاصة وعلى سائر النبيين اى جميعهم عامة فيحصل له
دعوة ثانية تامة وهو بالياء والهمز كما قرى بهما فى القرآن فقيل
النبئ بالهمز فعيل بمعنى الفاعل من النبإ وبالياء فعيل بمعنى المفعول
من النبوة بمعنى الرفعة وزاد ابن حجر فى اصل شرحه والمرسلين
مع حدهما وما بينهما من العموم والخصوص وفيه انه مخالف للاصول (وقال)
المعتمدة والنسخ المعتبرة مع انه مستغنى عنه لدخول الخاص تحت
مدلول العام وآل كل اى اقارب كلهم من جهة النسب والحسب او من
اختص بهم من حيث العلم والادب ويلائم الاول قوله وسائر
الصالحين اى وباقى المومنين من الصحابة والتابعين واتباعهم
الى يوم الدين كافة والصالح الكامل هو العالم العامل القائم بحقوق
الله وحقوق خلقه وما احسن من قال من ارباب الحال شعر
أُحِبُّ الصالحين ولستُ منهم ۞ لعلي ان أنال بهم شفاعة
وأكره من بضاعته المعاصي ۞ وان كنا سواء فى البضاعة
قال الكافيجى كان الاولى ان يقال وعلى آل كل باعادة كلمة على
لكمال العناية بتعلق الدعاء لهم كما فى ختم الله على قلوبهم وعلى
سمعهم انتهى ولا يخفى ما فيه من الفرق ههنا فان الصلوة على
الانبياء اصالة وعلى الهم تبعية فلا ينبغى التسوية فى القضية
مع ما فيه من الايماء الى التفنن فى وجوه العربية واما ما
ذكره الشيعة من حديث من فصل بينى وبين آلى بعلى فعليه كذا
وكذا فموضوع باتفاق حفاظ السنة هذا ولعل المصنف استعمل
السائر فى مقاميه باعتبار اختلاف مراميه كما اشرنا اليه فلا
اعتراض عليه فى تكرار لفظه اما بعد كلمة يوتى بها فى
اول الكتاب ويسمى فصل الخطاب لانه يحصل به بين ما سبق
من ذكره بحمد وبين ما اراد من الغرض المسوق اليه فى الكتاب
وقد اتى به صلى الله عليه وسلم فى خطبه كما صح عنه بل ثبت

بثوتا

9

ثبوتا قطعيا اذ رواه اثنان وثلاثون صحابيا والمبتدى بها داود (والمشهور رحمه)
عليه السلام وقيل غيره من الكرام ضم دال مبنيا واجاز الفراء نصبه
منونا واجاز ابن هشام فتحه وانكره غيره ولكون اما نائبة عن اسم
شرط هو مهما اجيبت بالفاء فالتقدير مهما يكن من شئ من الكلام
بعد ما تقدم فى هذا المقام من البسملة ومن الحمدلة والصلوة والسلام
فقد روينا بفتح اوليه مع تخفيف الواو عند الاكثرين من روى
اذا نقل عن غيره وقال جمع الاجود ضم الراء وكسر الواو مشددة
اى روانا مشايخنا اى نقلوا لنا فسمعنا عن فلان كذا قال بعض
المحققين وهو بعيد رواية واختار اراد بصيغة المجهول مخففا على (ودرايته)
طريق الحذف والايصال اى روى الينا ونقل لدينا سماعا او قراءة
او اجازة خاصة او عامة او مناولة او مكاتبة او اعلاما او وجادة
او بصيغة المعروف لتكون قوله انّ مع صلتها مفعولا له هذا وانما
ذكره المص بصيغة الجمع لمشاركة غيره معه كما فرقوا بين حدثني
وحدثنا فلا وجه لجعل ابن حجر النون للعظمة ليحتاج الى تكلف وتعسف
فى خروج عن طريق الملامة عن على بن ابى طالب هو اول
من اسلم وله سبع سنين او ثمان شهد المشاهد كلها سوى تبوك
حيث قال له اما ترضى ان تكون منى بمنزلة هارون من موسى الا
انه لا نبي بعدي احد العلماء الربانيين بل اوحدهم والشجعان
المشهورين بل اشجعهم استشهد غداة الجمعة سنة اربعين
من ضربة عبد الرحمن بن ملجم لسبع بقين من رمضان ومات بعد
ثلاث وكان له ثلاث وستون سنة ودفن عند مسجد الجامع فى
الرحبة مما يلى ابواب كندة على ما قاله الصغانى او فى قصر الامارة
عند المسجد الجامع وصلى عليه ابنه الحسن وغيب قبره كما فى
تاريخ اليافعي ومدة خلافته خمس سنين الا ثلاثة اشهر ونقش
خاتمه الله الملك وكنيته ابو الحسن وابو تراب كناه النبي

يتصل ما ... بين (vertical margin note)

صلى الله عليه وسلم لما وجده نائما في المسجد وقد علق التراب بجبهته
فايقظه وقال قم يا ابا تراب فكان احب الالقاب اليه لوروده على
لسانه صلى الله عليه وسلم ولقب ايضا بحيدر وهو الاسد رغما لاهل
الحسد ومروياته خمسمائة وستة وثمانون حديثا وعبد الله
والمراد به عند الاطلاق كما اصطلح عليه المحدثون ابن مسعود
الهذلي صاحب سواك رسول الله صلى الله عليه وسلم وطهوره ونعليه
قيل وسجادته ومخدته وهو افقه الصحابة بعد الخلفاء ومن اكابر القراء
توفي بالمدينة سنة اثنتين وثلاثين ودفن بالبقيع وهو ابن بضع
وستين او ثمانين ومروياته ثمانمائة وثمانية واربعون ومعاذ
بن جبل بضم الميم انصاري شهد بدرا وما بعدها وبعث
الى اليمن قاضيا ومعلما مات في طاعون عمواس بالاردن سنة
ثماني عشرة وهو ابن ثلاث وثلاثين ومروياته مائة وخمسون
وابي الدرداء عويمر بن عامر الانصاري كان فقيها عالما
عابدا زاهدا شهد المشاهد العظام وسكن الشام ثم عاد الى
المدينة ومات بالربذة سنة اثنتين وثلاثين مروياته مائة و
وتسعة وسبعون وابن عمر اى عبد الله وهو المراد به عند
الاطلاق اسلم مع ابيه وهو صغير كان شديد المتابعة للسنة
توفي بمكة سنة ثلاث وسبعين ولم يعرف موضع قبره وقد ولد قبل
الوحي بسنة مروياته الفان وستمائة وثلاثون وابن عباس
اى عبد الله كما يراد به حال الاطلاق ايضا حبر الامة وعالمها
راى جبرئيل مرتين مات بالطائف سنة ثمان وستين وهو ابن
سبعين وقبره يزار هناك ويتبرك به واما ما على السنة العامة
من انه صلى الله عليه وسلم قال من لم يقدر على زيارة قبري
فعليه بزيارة ابن عمي فباطل لا اصل له وهو احد العبادلة
الاربعة وهم عبد الله بن عمر وعبد الله بن عباس وعبد الله ابن عمرو بن العاص

وعبدالله

وعبد الله بن الزبير على ما قال الامام احمد بن حنبل وسائر المحدثين
واما قول الجوهري ان عبد الله بن مسعود احد العبادلة فادخله
فيهم واخرج ابن عمر منهم فغلط نعم اذا اطلق عبد الله فالمراد به
ابن مسعود في اصطلاح المحدثين فانه اجلهم وافضلهم وانس
بن مالك انصاري خدم رسول الله صلى الله عليه وسلم من عشر سنين
ودعا له بكثرة المال والولد وطول العمر والبركة فاثمرت ارضه
كل سنة مرتين ودفن من صلبه سوى اسقاط مائة وخمس وعشرون
ومات بالبصرة بعد ان عمر اكثر من مائة سنة وهو اخر من مات من
الصحابة فيها ولد قبل الهجرة بعشر سنين ومات سنة احدى او اثنتين او
ثلاث وتسعين ومروياته مائتا حديث وستة وثمانون وابي هريرة
دوسي واسم عبد الرحمن بن صخر على الاصح من ثلاثة وثلاثين قولا كان
في صغره يلعب بهرة وفي كبره يحسن اليها فكنى بها فمنع صرفها لكونها
علما لها حال كبرها ولو صغره وقت صغرها ولانها كانت صغيرة بالنسبة الى غيرها اسلم سنة ست وكان عريف اهل الصفة ومات
سنة تسع اوسبع وخمسين بالمدينة وله ثمان وسبعون سنة
واحاديثه المرفوعة خمسة الاف وثلاثمائة واربعة وستون
وابي سعيد الخدري بضم الخاء المعجمة وسكون الدال المهملة
نسبة الى خدرة قبيلة من الانصار كان من الحفاظ المكثرين والعلماء
المعتبرين مات سنة اربع وسبعين وله اربع وتسعون سنة ودفن
بالبقيع ومروياته الف ومائة وسبعون رضي الله عنهم
وقد نقل عن عبد الله ابن عمرو وابن العاص ايضا كما قاله المنذري
وغيره وعن جابر بن سمرة وسلمان كما اخرجه ابن ماجه
من طرق كثيرات اى اسانيد كثيرة وطرق جمع طريق
وهو جمع الكثرة فتاكيده بالكثيرات مبالغة للكثرة وبروايات
متنوعات مختلفة المباني متفقة المعاني كما سياتي

بيانها وتفاوت شانها **ان رسول الله صلى الله عليه وسلم**
هو ابو القاسم محمد بن عبد الله سيد المرسلين وخاتم النبيين حملت به امه
في ايام التشريق في شعب ابي طالب عند الجمرة الوسطى وولد بمكة عام
الفيل او قبله بثلاثين او اربعين يوما ومات ابوه لما اتى عليه شهران
او سبعة اشهر ولما بلغ ستا او اربعا ماتت امه وكان في حجر عبد المطلب
ثمان سنين وشهرين وعشرة ايام فتوفي ووليه ابو طالب وذهب به
الى الشام بعدما تم له اثنتا عشرة سنة وشهران وعشرة ايام و
رجع من بصرى وخرج اليها مرة اخرى مع ميسرة غلام خديجة لتجارة
لها وتزوجها بعدما بلغ خمسا وعشرين سنة وبقيت عنده ثماني
عشرة سنة ولما بلغ خمسا وثلثين شهد بنيان الكعبة ولما تم له اربعين
بعثه الله رحمة للعالمين بشيرا للمؤمنين ونذيرا للكافرين ونزل عليه القرآن
وفرض عليه التبليغ والبيان ولما اتت عليه احدى وخمسون وتسعة اشهر
اسرى به ليلة الاثنين وخص بالروية بالعين وفرض عليه خمس صلوات
ولما بلغ ثلاثا وخمسين هاجر الى المدينة يوم الاثنين لثمان خلون من ربيع
الاول ودخلها يوم الاثنين واذن له في السنة الثانية في الجهاد لمن
ابتدا به في غير الاشهر الحرم والحرم ثم ابيح ابتدا ثم فيها ايضا وفرض
فيها صوم رمضان واما الزكوة فقيل فرضت قبله وقيل بعده وفرض
الحج في السنة السادسة او الخامسة وفيها بيعة الرضوان وفي الثامنة
فتح مكة وفي العاشرة حجة الوداع وكانت وقفة عرفة فيها يوم الجمعة بالاجماع
ولم يحج بعد الهجرة الا اياها ولم يضبط ما حج قبلها واعتمر اربعا وكانت
غزواته سبعا وعشرين وسراياه ستا وخمسين وتزوج احدى وعشرين
امراة طلق ستا ومات عنده خمس وتوفي عن عشرة لم يدخل بواحدة
منها واولاده ثمانية ولما بلغ ثلاثا وستين اختار الرفيق الاعلى يوم
الاثنين وسط النهار لثنتي عشرة خلت من اول ربيع سنة احدى
عشرة ودفن الثلاثا او الاربعاء عليه افضل التحية واكمل الثناء

قال من

قال من حفظ على امتي لاجل تعليم امتي فعلى للتعليل كقوله تعالى
ولتكبروا الله على ما هداكم وقيل التقدير شفقة على امتي اصل الحفظ
ضبط الشئ ومنعه عن ضياعه وهو هنا قد يكون بحفظه مبنى او معنى
او جمعا بينهما وقد يكون بضبطه في الكتاب وقد يكون بسبب نقله الى اول
الباب قال المولف معنى الحفظ ان ينقل الاحاديث الى المسلمين
وان لم يحفظ مبناها ولم يعرف معناها وهذا حقيقة موداة اذ به
يحصل انتفاع المسلمين لا بحفظه ما لم ينقله اليهم انتهى والامة
جمع لهم جامع من دين او زمان او مكان يطلق تارة على كل من بعث
اليهم ويسمون امة الدعوة واخرى على المومنين منهم وهم امة
الاجابة والمراد هنا الاخيرون المنتفعون باحاديث النبوة **اربعين
حديثا** المراد به هنا قول الرسول صلى الله عليه وسلم وفعله وتقريره
ومعرفة شمائله **من امر دينها** اي من جملة امور يتعلق
بها ما هم مامورون بتدينها سواء تكون من الاصول او الفروع
المترتبة وكانه احترز عن الامور العادية الدنيوية التي من لوازم
البشرية مما ليس بها ضرورة في الاحوال الدينية والاخروية **بعثه
الله تعالى يوم القيمة في زمرة الفقهاء** بالفروع
الشرعية **والعلماء** بالاصول الدينية وتاخير العلماء للترقي
في الاداء والتعبير بالبعث في زمرتهم للايماء الى انه لم يكن في مرتبتهم
فلا يشترط فقه المبنى ولا علم المعنى كما اشار اليه المص خلافا لمن نازع
في هذه الدعوى. وفي صنيع المص هذا اشعار بان كل من نقل حديثا من
كتاب سواء بعينه او بتصرف فيه كحذف اسناده او اختلاف ترتيبه
في ابوابه يكون داخلا في حفظ الاحاديث والافي الحقيقة لم ينقل هذه
الاربعين الا من سياتي ذكرهم من المخرجين المتقدمين في التدوين
وفضل الله واسع شامل لحفاظ علوم الدين وان كان يختلف ويتفاوت
مراتب المجتهدين كما يدل عليه خبر ثوابك على قدر تعبك ثم لا فرق بين حفظ

و

Margin notes: علمهم; وكذا الابن; هم; عليها; بدل خفي

اربعين حديثاً صحيحة او حسنة وكذا ضعيفة في فضائل الاعمال
لا في بيان الحرام والحلال لامتناع العمل بها فيهما في جميع الاحوال
هذا وقد اشرنا في صدر هذا الكتاب الى وجه ايثار هذا العدد في الباب
وقد روي من اخلص لله اربعين صباحاً ظهرت ينابيع الحكمة
من قلبه على لسانه واذا مات المومن بكى عليه مصلاه اربعين يوما
ويبقى بركة دعاء الوالدين للولد البار اربعين سنة ولما كمل بايمان عمر
عدد الاربعين من المومنين نزل قوله تعالى يا ايها النبي حسبك الله ومن
اتبعك من المومنين وقد افاد بشر الحافي رضي الله عنه بقوله يا
اهل الحديث اعملوا من كل اربعين حديثا بحديث كما قال
صلى الله عليه وسلم ادوا عشر اموالكم من كل اربعين درهما يعني بشرط
بلوغ دراهمه مائتي درهم فعدد الاربعين اقل ماله عشر صحيح
فكما دل حديث الزكوة على تطهير ربع العشر للباقي كذلك العمل
بربع عشر الاربعين يخرج باقيها عن ان يكون غير معمول بها وفي
الحديث الحسن انكم في زمان من ترك منكم عشر ما امر به
هلك ثم ياتي زمان من عمل منهم بعشر ما امر به نجا ثم الظاهر
ان هذا العدد ادنى الكمال في الاحوال والا فمن خرج من بيته في تحصيل
حديث بصدق نيته او تعلم حديثا واحدا واراد تكميل غيره في طويته
فيبعث مع العلماء والفقهاء وفي رواية بعثه الله فقيها
عالما اي ولو لم يكن في الدنيا فقيها عالما بل يكون ناقلا مجردا وفي
الاحياء من حمل من امتي اربعين حديثا لقي الله يوم القيمة
فقيها عالما قال العراقي رواه ابن عبد البر من حديث انس
وضعفه وفي الجامع الصغير لشيخ مشايخنا السيوطي من حمل
من امتي اربعين حديثا بعثه الله يوم القيمة فقيها عالما رواه
ابن عدي عن انس بسند ضعيف وفيها بين الروايتين
دلالة على اعتبار مجرد الحمل من غير احتياج الى النقل وبه يندفع

قول المص لا يحفظه ما لم ينقله الى غيرهم اعتمادا على ظاهر ما اختاره من
الفاظ الروايات وهو قوله على امتي ولكن يمكن ان يكون على بمعنى من كقوله
تعالى الذين اذا اكتالوا على الناس اي منهم على ما صرحوا به وحينئذ
يجتمع مودى الفاظ النبوة وكون الحديث شاملا لمن حمل سواء حفظ او
علم او عمل او نقل اولا وهذا التعميم في باب الترغيب اولى كما لا يخفى
ثم ما نقاه المص ماخوذ من مفهوم حديثه فلا يعارض منطوق حديث
غيره مع ان اعتبار المفهوم مختلف بين اهل العلوم وفي رواية ابي
الدرداء وكنت وفي نسخة كنت له يوم القيمة شافعا
وشهيدا اي شاهدا على كمال ايمانه وجمال احسانه وفي رواية
بعثه الله فقيها وكنت له يوم القيمة شافعا وشهيدا كذا
ذكره بعض الشراح من المحققين وهذا يؤيد ثبوت واو العاطفة
وفي الاحياء من حفظ على امتي اربعين حديثا من السنة حتى
يوديها كنت له شفيعا وشهيدا يوم القيمة قال العراقي
رواه ابن عبد البر من حديث ابن عمر وضعفه وهذا يؤيد نسخة
كنت بلا عاطف وذكره السيوطي في جامعه الصغير بهذا اللفظ
وقال رواه ابن عدي عن ابن عباس ثم قال وروى ابن النجار
عن ابي سعيد بلفظ من حفظ على امتي اربعين حديثا من سنتي ادخلته
يوم القيمة في شفاعتي وفي رواية ابن مسعود قيل له ادخل من
اي ابواب الجنة شئت اي تعظيما لمقامه وتكريما لمرامه وفي
رواية ابن عمر كتب في زمرة العلماء وحشر في زمرة الشهداء
واختلاف الروايات وان كان مؤداها واحدا الا ان فيها اشارة الى
اختلاف مراتب الحفاظ باعتبار الاقتصار على حفظ مبانيها او
بانضمام فهم معانيها والعمل بما فيها وتصحيح النية في روايتها
ودرايتها وكتابتها واتفق الحفاظ اي حفاظ الحديث على انه
اي الحديث المذكور حديث ضعيف وان كثرت طرقه اي اسانيده

عند مخرجيه عن الصحابة مرفوعا وموقوفا اذ ليس في جميع طرقه
ما يقوي ويقوم به الحجة اذ لا يخلو طريق منها ان يكون فيها مجهول
او معروف او مشهور بالضعف قال ابن السبكي ليس يروي
من وجه يثبت وقال الدارقطني في علله كل طرقه ضعاف والبيهقي
اسانيده كلها ضعيفة والكلام يحتاج الى تقدير ليتم المرام بان
يقال هو عطف على مقدر اى ان لم تكثر وان كثرت كذا حرره الكازروني
وفيه وقد قال خنزوان (?) مثل هذا التركيب واقع في عبارات
المصنفين وظاهره غير مستقيم وغاية ما يمكن ان يقال فيه اي
مربعة او زائدة انتهى وتعقل لا يخفى والاظهر ان يقال وان
كثرت طرقه فهو ضعيف فكيف اذا لم يكثر طرقه فهو بالاولى
ضعفه هذا وقد اغرب الكازروني حيث فسر الطرق
بطرق السبعة في تحمل الحديث من السماع والقراءة الاجازة
والمناولة والمكاتبة والاعلام والوجادة والصواب ما قدمناه
بان المراد بالطرق الاسناد ثم اعلم ان لاهل الحديث مراتب اولهم
الطالب وهو المبتدي الراغب ثم المحدث وهو الاستاد الكامل الفاضل
ثم الحافظ وهو الذي احاط علمه بمائة الف حديث ثم الحجة وهو
الذي احاط علمه بالجميع متنا واسنادا وجرحا وتعديلا وتاريخا
كذا في شرح الفوائد النفيسة ثم الضعيف في اصطلاح
المحدثين هو الحديث الذى لم يجتمع فيه شروط الصحيح ولا شروط
الحسن فمعرفته موقوفة على معرفتهما فالصحيح هو ما اتصل
سنده بنقل العدل الضابط وسلم عن شذوذ وعلة و
الحسن ما قصر ضبط راويه عن راوي الصحيح مع بقاء
سائر الشروط المتقدمة في حد الصحيح كذا افاده السيد جمال الدين
وتحقيقه في شرح النخبة على ما اوضحته هو الشرح بالشرح
وقال بعضهم في تعريف الضعيف ما يكون بعض رواته مردودا

بواسطة

بواسطة عدم العدالة او الرواية عمن لم يره او سوء الحفظ او تهمة
في العقيدة او عدم المعرفة بما يحدث عنه او الاسناد الى من لا يعرف
او بعلل اخر هذا وقد قال الحافظ ابو طاهر السلفي في
اربعينه روى من طرق وثقوا بها وركنوا اليها وعرفوا صحتها
فعولوا عليها انتهى وكانه اراد بصحتها ثبوتها وهو ان
يكون حسنا لغيره قال المنذري يمكن انه سلك في
ذلك سلوك من راى ان الاحاديث الضعيفة اذا انضم بعضها
الى بعض احدث قوة انتهى وكان هذه المسالة مختلف فيها
ولعل المص اختار خلاف ما اختاره السلفي والظاهر ان
اختيار السلفي اولى لان ما اختاره المص انما يكون فيما اذا لم
يخلو طريق من طرقه عن كذاب او وضاع هنالك وهذا ليس كذلك
كما دل عليه كلام الائمة واما ذكر ابن الجوزي له في الموضوعات
فتساهل منه او محمول على سند خاص عنده واما خبر
من حفظ على امتي حديثا واحدا كان له اجر احد وسبعين نبيا
صديقا فهو موضوع واثار الكذب لائحة عليه وواضحة لديه
وقد صنف العلماء رضي الله عنهم في هذا الباب
اى باب الاربعينات او في جمع الاربعين حديثا ما لا يحصى
من المصنفات بيان لما وهذه العبارة مبالغة في الكثرة
لا انها محمولة على الحقيقة والمقصود به ان له بهم في ذلك
الاسوة الحسنة فانهم قدوة الائمة فاول من علمته
صنف فيه اى في هذا الباب او في جمع الاربعين وهو مفعول
الفعل الاول وفاعل الثاني ضمير راجع الى من والخبر المبتدا
وهو اول قوله عبد الله بن المبارك اى المروزي وهو
الامام المجمع على جلالته وامانته وفقاهته فانه من اصحاب
ابي حنيفة وارباب الوجوه في مذهبه وترجى المغفرة بحبه وتستنزل

الرحمة بذكره وهو من اتباع التابعين زبدة العباد وقدوة الزهاد توفى
منصرفا من الجهاد سنة احدى وثمانين ومائة وله ثلاث وستون
كان ابوه مملوكا لرجل من همدان عليه الرحمة والرضوان قيل له كيف
لا تستوحش في مقامك فقال كيف يستوحش من يجالس النبي صلى الله
عليه وسلم والصحابة والتابعين رضي الله عنهم اجمعين يعني الكتب
لان فيها الاخبار والسير والاثار رواه الحاكم في تاريخه عن نعيم
بن حماد ثم وفي نسخة ومحمد بن اسلم بالواو الطوسي بضم الطاء
نسبة الى بلد من خراسان العالم الرباني بزيادة الالف والنون
للمبالغة في تحقق نسبه والدلالة على كمال الصفة كما يقال
الشعراني واللحياني اى الراسخ في علم الدين الثابت في مقام
اليقين وقيل هو الذي يربي الناس بصغار العلم قبل كباره وقيل
هو العامل بعلمه المعلم لغيره وقيل هو الطالب بعلمه مرضاة ربه
وقالت الصوفية ان الرباني هو الكامل من كل الوجوه في جميع
المعاني توفي سنة اثنتين واربعين ومائتين ثم الحسن بن
سفيان النسوي بالواو في اصلنا المعتمد عليه وهو بفتح
النون والسين منسوب الى نسا بلد بخراسان وفي نسخة النسائي
بالهمز بدل الواو وهو مقصور وقد يمد والهمز في استعمال المحدثين
اكثر واشهر فتدبر وهو محدث خراسان وقد رحل البلدان وسمع
من محدثي الزمان فيما وصل اليه من المكان وكان له كرامات توفي
سنة ثلاث وثلثمائة وابو بكر بالواو العاطفة الى اخر الاسماء
الاتية وكانه اورد بلفظ ثم في الاولين لعلمه بالتاخر الزماني فيما
بخلاف من بعدهما الآجري بهمزة ممدودة وضم جيم وتشديد راء
فياء نسبة وهو محمد بن الحسين البغدادي كان دينا ثقة وله
تصانيف كثيرة منها كتاب الشريعة حدث ببغداد ثم انتقل الى مكة
خير البلاد واستطابها في المراد فقال اللهم احيني في هذه البلدة

ولو

ولو سنة فسمع هاتفا يقول بل ثلاثين فلما كملت قيل له قد وفينا بالعهد بمكة سنة ستين وثلاثمائة وابو بكر محمد بن ابرهيم اى العطار — فات ح
مستملي ابن نعيم كان ثقة يملي من حفظه توفي باصفهان سنة
ست وستين واربعمائة وقوله الاصفهاني بالباء والفاء
مع كسر الهمزة وفتحها والفتح افصح كذا قاله الامام في كتاب
الاسماء والالقاب وفي نسخة بالباء العجمي واما قول ابن حجر بالفاء
لا الباء فمحمول على ما عنده من الابناء ففي القاموس اصل اصبهان
اصبهان اى سمنت المليحة سميت لحسن هوائها وعذوبة
مائها وكثرة فواكهها فخففت والصواب انها اعجمية وقد يكسر
همزها وقد تبدل باؤها فاء واصلها اسباهان انتهى وذكر في المغني
فرق بين الفاء والباء فقال الاصفهاني بكسر همزة وفتحها وبفاء
مفتوحة في اهل الشرق وبباء موحدة في الغرب انتهى والاطلاق يؤيد
المشهور بالاتفاق والدارقطني بفتح الراء ويسكن نسبة الى دار
قطن محلة كبيرة ببغداد وهو الحافظ ابو الحسن علي بن عمر مات سنة خمس و
ثمانين واربعماية والحاكم اى محمد بن عبد الله النيسابوري صاحب المستدرك
مات سنة خمس واربعماية وابو نعيم اى الاصفهاني كما في نسخة وهو احمد بن
عبد الله مصنف حلية الاولياء مات سنة ثلاثين واربعمائة وهذان الاسماء
ساقطان من شرح ابن حجر موجودان في الاصول المصححة والمتون المشروحة
وابو عبد الرحمن اى محمد بن حسين السلمي بضم سين وفتح لام مخفف
منسوب الى سليم قبيلة مشهورة من قبائل العرب وهو صاحب الحقائق
وطبقات الاولياء كان عدلا ثقة استاذ ابي القاسم القشيري وشيخ
ابي سعيد بن ابي الخير واثنى عليه الشيخ عبد الله الانصاري صاحب
المنازل كثيرا وقد طعن فيه ابن الجوزي كما دابه في شان الائمة
توفي سنة اثنتي عشرة واربعمائة وابو سعيد بالياء وفي نسخة
ابو سعد وهو الموافق لما قاله السمعاني وهو المشهور على السنة اهل

خراسان وهو احمد بن محمد **الماليني** بكسر اللام فتحتية محل معروف
من اعمال هراة وقبره هناك يزار ويتبرك به ويقال له المالاني وهو من
رواة ابن عدي الحافظ كان ثقة متقنا وقال شارح رحل الى مصر
فمات بها سنة اثنتي عشرة واربعمائة **وابو عثمان الصابوني**
نسبة الى عمله **وعبد الله بن محمد الانصاري** وفي نسخة زيادة
الهروي وهو صاحب منازل السائرين ومن المشايخ المعتبرين
من اجلاء الحنابلة كان جامعا بين العلم والعمل والمعرفة حاويا
للسنة منسوب الى انصار النبي صلى الله عليه وسلم وهم الاوس والخزرج
ولد سنة خمس وتسعين وثلاثمائة كان كثير السهر وقد حدث وصنف
وكان قويا في نصرة الدين توفي بهراة يوم الجمعة وقت الغروب سنة
احدى وثمانين واربعمائة وفي نسخة بدله محمد بن عبد الله الانصاري
والظاهر انه انقلاب من بعض الكتاب وقد صرح الكازروني بان
النسخة الاولى هي الصواب **وابو بكر البيهقي** مؤلف شعب الايمان
ومات سنة ثمان وخمسين واربعمائة ولما خصص المشاهير بالذكر
عمم الباقين فقال **وخلائق لا يحصون** بصيغة المجهول
اى لا يعدون لكثرتهم **من المتقدمين والمتاخرين** اى بعد
الصحابة والتابعين والاسمان المتقدمان ايضا الى هنا ساقط من
شرح ابن حجر فتدبر **وقد استخرت الله** اى طلبت الخيرة منه
كما دل عليه قائد العقل وناقد النقل فقد ورد ما خاب من استخار
ولا ندم من استشار رواه الطبراني في الاوسط عن انس وروى من
سعادة ابن ادم استخارته الله ومن شقاوته تركه استخارته **في جمع
اربعين حديثا** اى من كلام سيد الانام **اقتداء بهؤلاء الائمة
الاعلام** اى المشهورين فيما بين الانام **وحفاظ الاسلام** فان مثلهم
لا يفعلون الا ما ثبت من المرام **وقد اتفق العلماء على جواز
العمل بالحديث الضعيف في فضائل الاعمال** اى لا

الفرض

في الفرض الوجوب والحرمة والحلال لانه ان كان صحيحا في نفس الامر فقد اعطي
حقه من العمل به والا لم يترتب على العمل به مفسدة في دينه قال شارح
يعني اذا ثبت مندوب بحديث صحيح او حسن يجوز لنا رواية حديث ضعيف
في فضيلته والترغيب فيه لكونه كالتابع له لا انه يحتج به في اثبات
امر مندوب اذ تقرر في الاصول انه لا يستدل في اثبات الاحكام الخمسة
الا بالصحيح او الحسن انتهى والاظهر ان المراد بالاعمال انما هي الافعال
المباحة وانه اذا ورد حديث ضعيف في شانه يترقى الى مقام استحسانه
ففي حديث ضعيف من بلغه عني ثواب عمل فعمله حصل له اجره وان لم
اكن قلته **ومع هذا** الجواز المذكور **فليس اعتمادي** من جمع الاربعين
على هذا الحديث اى المشهور فقط **بل على قوله
صلى الله عليه وسلم في الاحاديث الصحيحة**
اى في قوله الداخل فيها **ليبلغ الشاهد منكم الغائب**
بكسر اللام الاولى للامر وتشديد الثانية ويجوز تخفيفها وبهما قرئ
قوله تعالى ابلغكم رسالات ربي اى ليوصل كلامي الغائب من الحي الى عن
عالم الوجود والخطاب للصحابة ثم لمن بعدهم وهلم جرا فانه من فروض
الكفاية وهذا تحريض على التعلم والتعليم فانه لولاه لانقطع العلم وانقطع
العمل بكثرة الجهل والحديث اخرجه الشيخان في صحيحيهما في خطبة حجة
الوداع واخرجه ابن منده في مستخرجه عن ثمانية عشر صحابيا **وقوله**
اى وعلى قوله **صلى الله عليه وسلم نضر الله امرءا** روي
بالتشديد والتخفيف والاول هو الاكثر اى حسنه وجمله قاله المظ
وروي عن سفيان بن عيينة انه قال ما من احد يطلب الحديث الا وفي
وجهه نضرة فكانه اراد انها دعوة اجيبت او اخبار فصدقت
ولا يبعد ان يراد بالنضارة يوم القيمة قال تعالى تعرف في وجوههم
نضرة النعيم وقال ولقاهم نضرة وسرورا فاهل الحديث يكون
لهم زيادة نضرة ولغيرهم مزيد حسرة وحكى ابن العربي عن ابن

بشكوال انه بالضاد المهملة وهو شاذ بل تصحيف لمبناه وتحريف لمعناه
سمع مقالتي اى مني او من اصحابي واتباعي فوعاها اى حفظها
بقلبه وداوم على تفقده فاداها اى بلغها كما سمعها من غير
تغيير مبناها او معناها رواه الترمذي عن ابن مسعود وقال
حسن صحيح وابن حبان في صحيحه والحاكم في مستدركه عن
جبير بن مطعم وقال صحيح على شرط الشيخين وابو داود وابن
ماجه والترمذي عن زيد بن ثابت وقال حسن صحيح وفي حديث
صحيح نضر الله امرءا سمع مني حديثا فاداه عنا فربما مبلغ اوعى
من سامع رواه احمد والترمذي وابن حبان عن ابن مسعود والمبلغ
بفتح اللام وفي رواية نضر الله امرءا سمع منا حديثا فحفظه
حتى يبلغه غيره فرب حامل فقه غير فقيه ورب حامل
فقه الى من هو افقه منه ثم من العلماء وفي نسخة ثم ان وفي اخرى
ثم اعلم ان من العلماء من جمع الاربعين في اصول الدين
اى الالهيات والنبويات والحشر والنشر وبعضهم في الفروع
اى الاحكام الفرعية المتعلقة بالافعال العملية وبعضهم في
الجهاد اى في فضائل القتال مع الكفار وبعضهم في الزهد
اي قلة الرغبة في دار الاكدار يقال زهد فيه رغب عنه وزهد عنه
رغبة فيه والمراد ترك فضول الدنيا والاعراض عما يشغله عن الاخرى
وبعضهم في الاداب وفي نسخة في الادب وهو حسن الاخلاق والا
حوال واحتمال الحميدة من الخصال وبعضهم في الخطب جمع
خطبة وهي الموعظة وهو كلام يلين القلوب القاسية ويرغب
الطبائع النائية ماخوذ من الخطب لانهم اذا الم بهم خطب
وشان خطبوا له ليجتمعوا في امره او يحتالوا في دفعه وكلها
مقاصد صالحة اى اغراض حسنة رضي الله عن
قاصديها بالنيات المستحسنة وقد جمعت بحمد الله وحسن توفيقه

اربعين

اى قلة الرغبة

اربعين في الاحاديث القدسية واربعين في فضل الصلوات النبوية وارجوا
من الله ان يكون لي سعيا حتى اكمل اربعين اربعينا وقد رايت من الراى اى
حصل لي راى صحيح للنصح في الهدى والاعانة على البر والتقوى جمع
اربعين اي حديثا كما في نسخة اهم من هذا كله اى مما ذكر فرادى
جميع وهي اربعون حديثا مشتملة اى من نعتها انها
محتوية على جميع ذلك اى في الجملة وفي نسخة زيادة كله للتاكيد
وفي نسخة بنصب مشتملة على الحالية ولا يرد عليه زيادته حديثين لان
العدد لا مفهوم له وقد قيل ومن زاد زاد الله في حسناته او لانه كان المص
عزمه هنا الاقتصار على الاربعين فعند فراغها عن له زيادة الحديثين
لحكمة لعلها هي ان احدهما من باب الوعظ بمخالفة الهوى وموافقة الهدى
ففيه حث على العمل بجميع الاحاديث السالفة وثانيهما من باب الرجاء
والدعاء ففيه تانيس النفس من التشديدات الواقعة في خلال الاحاديث
السابقة ففي التعقيب بهما تمام المناسبة وكل حديث منها اي
من هذه الاربعين قاعدة عظيمة من قواعد الدين يبنى
عليها كثير من مسائل المجتهدين ويرجع اليها في تحقيق مقام اليقين
قد وصفه العلماء بان مدار الاسلام اى غالب احكامه
عليه لاستنباطها منه ابتداء او بواسطة مقدمات منضمة اليه
كحديث ان الحلال بين والدين النصيحة ونحوهما او هو نصف الا
سلام عطف على محل الجملة التي بعد ان وفيه ان هذا جائز في ان المكسورة
لفظا او حكما كما اذا وقعت بعد العلم وتكلف بعضهم وجوز ان يكون الجملة
خبر لان المقدر مع الاسم اى بانه هو نصف الاسلام او ثلثه بضم
اللام وسكن كحديث انما الاعمال بالنيات وازهد في الدنيا وامثالها
ومن نظم الشافعي رحمه الله عمدة القول عندنا كلمات ٥ اربع قالهن
خير البرية اتق الشبهات وازهد ودع ما ليس يعنيك واعملن
بنية ونحو ذلك بالرفع واو للتنويع فيه وفيما بعده قبله

لعلهما

ونحو ذلك صح

وفي نسخة ذلك وهو بالرفع ايضا للعطف على نصف الاسلام وذكر
الشارح الكازروني انه بالجر عطفا على ان ولا يخفى بعده مبنى ومعنى
والمعنى نحو ما ذكر وهو ربع الاسلام وخمسه كسائر الاحاديث المعتبرة
فكل واحد من هذه الاربعين وصف باحد هذه الاوصاف الاربعة كما ذكره
ابن الصلاح في اكثرها فانه ذكر اقوال الائمة في تعيينها واختلافهم
في اعيانها فبلغ ما قيل فيه ذلك سبعة وعشرين كلها مندرجة في
هذه الاربعين منها عشرون صحيحة وسبعة حسنة وبلغها المص
في اذكاره الى ثلاثين وزاد عليها هنا اثني عشر وذكر في السابع
والعشرين حديثين لاجتماعهما على معنى واحد وقال الفاكهاني
صح عن جماعة من العلماء ان مدار الاسلام على اربعة احاديث
حديث انما الاعمال بالنيات وحديث الحلال بين والحرام بين وحديث
ازهد في الدنيا يحبك الله وحديث من حسن اسلام المرء تركه ما لا
يعنيه وقد نظمها الشيخ ابو طاهر ابن المفوز وذكر ما نسب الى
الشافعي فيما سبق وقال الامام احمد بن حنبل الاسلام او قال
اصول الاسلام يدور على ثلاثة احاديث الاعمال بالنية والحلال بين
والحرام بين ومن احدث في امرنا هذا ما ليس منه فهو رد وقال ابو داود
الفقه يدور على خمسة احاديث الاعمال بالنيات والحلال بين والحرام
بين وما نهيتكم عنه فانتهوا وما امرتكم به فاتوا منه ما استطعتم
ولا ضرر ولا ضرار وروي عن ابي داود السجستاني قال
كتبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسمائة الف حديث انتخبت
منها اربعة الاف حديث وهو يرجع الى اربعة احاديث انما الاعمال
بالنيات ومن حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه ولا يكون المؤمن مؤمنا
حتى يرضى لاخيه ما يرضى لنفسه والحلال بين والحرام بين
ثم لو اتوفى شرح هذه الاحاديث لاستدعى الى استنباطات لا تسع
الا في مجلدات اذ من جملتها حديث جبرئيل فانه يحتاج الى الحكم الايمان

وهو

وهو علم الاصول والى حكم الاسلام وهو علم الفروع والى حكم الاحسان
وهو علم التصوف **بشهد** قال ابن حجر ثم بعد هذه الاربعين ولا وجه له
عند ارباب اليقين فالصواب ان يقال اي بعد التراخي ما تقدم من
كلامي **في هذه الاربعين** اي في تاليفها وتصنيفها **ان تكون** اي
اسانيد احاديثها باسرها **صحيحة** اي ثابتة غير ضعيفة
فيتناول الحسن بعبارة لطيفة او اراد ان ما ذكره من الحسن في هذا
الكتاب يكون صحيحا لغيره في هذا الباب قيل خاصية هذه الاربعين
كونها مشتملة على قواعد الدين اما الصحة فقد شاركها فيها غيره من
المصنفين قلت وليس فيه محذور اذ صنيعه نور على نور **ومعظمها**
اي اكثرها حاصل **في صحيحي البخاري ومسلم** اي جمعا او فردا
لان المتفق عليه فيها اثنا عشر وفرد البخاري اربعة عشر وفرد
مسلم ثلاثة عشر والباقي لغيرهما ثم الجملة حال من اسم يكون الراجع
الى الاربعين **واذكرها** بالرفع عطفا على التزم وبالنصب على تكون
محذوفة الاسانيد اذ لا فائدة في ذكرها بالنسبة الى عامة
مطالعها لا سيما اذا علمت ثبوتها باسنادها الى مخرجيها والاسناد
هو رفع الحديث الى قائله من النبي وغيره بذكر رواته فيما قاله
وناقله **ليسهل حفظها** بسبب قلة لفظها **ويعم الانتفاع
بها** اذ الاكثرون عاجزون عن حفظها باسانيدها **ان شاء
الله تعالى** ذكره امتثالا لامره سبحانه ولان الانتفاع بها مما
يخفى على المص شانه فلا وجه لقول ابن حجر اتى للتبرك بها **ثم
اتبعها** بالرفع وهو من الاتباع وفي نسخة بفتح الهمزة والباء
والمعنى اعقب هذه الاربعين **بباب في ضبط خفي الفاظها**
اي الفاظها الخفية باعتبار غرابة مبانيها او معانيها وقد التزمت
ان اذكرها في محالها كما نص عليها **وينبغي** اي تعين **لكل
راغب في الاخرة** اي ثوابها ومما يقال رغب فيه اي مال اليه

جمع صح

التزم صح

وفي نسخة مع العواد ومعظمها

بين

ورغب عنه اى اعرض ان يعرف هذه الاحاديث اى يعلم
مبناها ويبحث عن معناها مما دلت عليه واشارت اليه وينقلها
ويعمل بما فيها وفي نسخة ان يعرف مقدار هذه الاحاديث
اى مراتبها بالنسبة الى غيرها لما اشتملت عليه من
المهمات وهى بيان العقايد الدينية التي هى القواعد
الملية واصول الشرايع الالهية واحتوت اى ولما انطوت
عليه من التنبيه على جميع الطاعات اى القلبية و
القالبية مما يصلح امر معاش العباد وزاد حال المعاد
وذلك اى ما ذكر من الاشتمال والاحتواء ظاهر لمن
تدبره اى تفكره وتذكره واصل التدبر النظر في دبر الامر
وعلى الله اى لا على ما سواه اعتمادي اى توكلي في جميع اموري
واليه لا الى غيره تفويضي اى انقيادي واستسلامي و
استنادي اى التجائي واعتصامي وله الحمد اى خاصة او
خالصة والنعمة بالكسر العطية فلا نعمة من غيره الا صورة
قال تعالى وما بكم من نعمة فمن الله وبه اى بسبب عونه
التوفيق وهو لغة جعل الشئ موافقا للاخر واصطلاحا
خلق القدرة على الطاعة والعصمة اى المحافظة عن
الوقوع فى المخالفة قال الراغب هى فيض الهى يتقوى به العبد
على تحري الخير وتجنب الشر الحديث الاول
ابتدا به اقتداء بالسلف الكرام وتنبيها على مزيد الاهتمام بتحسين
النية وتزيين الطوية في مقام المرام قال ابن مهدي وينبغي
لمن صنف كتابا ان يبتدا فيه بهذا الحديث تنبيها للطالب على
تصحيح النية قلت ذكر الا وكذا المطلوب على تصفية الطوية
تصفية الطوية وقال الخطابي كان المتقدمون من شيوخنا
يستحبون تقديم حديث الاعمال بالنيات امام كل شئ ينشؤ

يبدؤن
ويهتدون من امر الدين وقد روى هذا الحديث من الائمة فوق
ثلاثمائة وقيل سبعمائة عن سعد بن يحيى بن سعيد الانصاري
وهو تابعي صغير سمع انس وغيره عن محمد بن ابرهم التيمي ولم يروه
غير الانصاري عن علقمه ولم يروه عن الانصاري غير التيمي
فهو بهذا المعنى غريب في الابتداء ومشهور في الانتهاء وليس متواترا
كما توهمه بعض الفضلا اللهم الا ان يقال بالتواتر المعنوى
وقد روى عن عمر جماعة من الصحابة كعثمان وعلى وطلحة وسعد
وابن عوف وابن مسعود وابن عمر وابن عباس وابن الزبير وانس بن
مالك وابو هريرة وخلق سواهم وابنته حفصة زوج النبي صلى الله
عليه وسلم وطائفة من التابعين وقد روى الحديث من طريق
ابي سعيد الخدري وابي هريرة وابن عباس وابن عمر ومعاوية
قالوا ولا يصح مسندا الا من حديث عمر رضي الله عنه فلو كان اسنادهم
صحيحا لكاد ان يكون الحديث متواترا قال الشافعي يدخل
هذا الحديث في سبعين بابا من الفقه يعني سبعين قاعدة كلية
من الضوابط والفقهية والا فيزيد عليها المسايل الجزئية
فاندفع به قول من قال ويراد به المبالغة وقال ايضا يدخل
في هذا الحديث ثلث العلم قال البيهقي لان كسب العبد بقلبه
ولسانه وجوارحه فالنية احد الاقسام الثلاثة وهى ارجحها لانها
يكون عبادة بانفرادها بخلاف غيرها ولذا كان نية المومن خير
من عمله ولان القول والعمل يدخل فيهما الفساد لسعة بخلاف
النية وقال ابو داود هذا الحديث نصف العلم نحو ما ذكره
عن امير المؤمنين قال المص هو اول من سمي بذلك اعنى
من الخلفاء اذ ورد في منتظم ابن الجوزي ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم بعث جيشا في السنة الثانية من الهجرة وامر عليهم
عبد الله بن جحش وسماه امير المؤمنين كذا ذكره شارح وقال

آخرا قال لهم اصحابه ما ندعوك فقال انتم المؤمنون وانا اميركم قالوا
اذن انت امير المومنين ابي حفص عمر بن الخطاب كناه عليه
عليه السلام به وهو لغة الاسد ولقبه بالفاروق لفرقانه بين
الخطا والصواب كان شديدا في امر الله ودينه مجتهدا محتسبا
في مقام يقينه جعل الحق على لسانه واعز الدين في زمانه واستبشر
اهل السماء بايمانه كان وفاته بعدما عاش ثلاثا وستين هلال
محرم سنة اربع وعشرين وخلافته عشر سنين وستة اشهر واربع
ليال ونقش خاتمه كفى بالموت واعظا يا عمر احاديثه المروية
خمسمائة وسبعة وثلاثون رضي الله عنه وهو قرشي عدوي
يجتمع مع النبي عليه السلام في لوي بن كعب اوصى له ابو بكر رضي
الله عنه بالخلافة فتولاها يوم مات الصديق وهو يوم الثلاثا
لثلاث بقين من جمادى الاخرة سنة ثلاثة عشرة اسلم سنة ست
من البعثة وهاجر الى المدينة قبل قدومه صلى الله عليه وسلم
بها وشهد المشاهد كلها وفتح البلاد من العراق والسواد
والجبال واذربيجان والجزيرة والموصل والشام ومصر والا
سكندرية فبلغ في خلافته خراج السودان والجبال والعراق
في العام الاول مائة الف الف وعشرين الف الف ومصر الكوفة
والبصرة واستقضى القضاة في الامصار ودون الدواوين و
فرض العطيات وهو اول من حمل الطعام من مصر الى الحجاز
مناقبه اشهر من ان تذكر وماثره اكثر من ان تحصر مات شهيدا قتل
ابو لولوة النصراني غلام المغيرة بن شعبة طعنه وهو يصلي بالناس
صلوة الصبح فعاش ثلاثة ايام او سبعة ايام ثم توفي وصلى
عليه صهيب بن سنان الرومي قال سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول انما الاعمال بالنيات قال المص معناه
لا يحسب الاعمال الشرعية الا بالنية قيل هذا على مذهب الشافعية

واما

واما على مذهب الحنفية فمعناه لا يثاب الاعمال الا بالنية لاختلافهم
في ان النية هل هي معتبرة في صحة الاعمال ام لا وهذا الخلاف انما
هو في اعمال الوسيلة دون الاعمال المقصودة فان النية معتبرة فيها
بلا خلاف بين الفريقين اقول وبالله التوفيق ان هذا الكلام
لم يصدر عن طريق التحقيق فان الشافعية وكذا المالكية والحنبلية
لم يعتبروا صحة شئ من اعمال الوسيلة بالنية الا الطهارة والمسالة
هذه حجة عليهم في القضية اذ لا ريبة ولا شبهة ان الطهارة من جملة
شرايط الصلوة وكذا البقية كستر العورة واستقبال القبلة والوقت
والنية فلا فرق بين الطهارة من الحدث والطهارة من الخبث
وستر العورة اذ الكل من اعمال الوسيلة فيحتاج الى فرق صحيح وبيان
صريح في تخصيص هذا الشرط بالنية من بين ساير الشروط الشرعية
ثم قوله لا يثاب الاعمال ليس في محله لان الاعمال المستقلة
في العبادة عند الحنفية لا تصح ايضا الا بالنية واما الثواب
فهو مترتب بعد صحتها على القبول المتوقف على الاخلاص وتحسين
الطوية بان لا يكون مقرونة بنحو الريا والسمعة فالاحسن ما
قرره المص لقوله لا تحسب ليشمل الصحة والمثوبة الا ان قوله
الاعمال الشرعية يخرج ساير الاعمال مع انها يثاب عليها ايضا
بالنية فالاولى ان يقال لا يعتبر مطلق الاعمال الا بالنية
ففي الاعمال الشرعية اعتبارها بالصحة وفي غيرها بمجرد
المثوبة وهذا امر متفق عليه فينبغي حمل الحديث عليه
اما توقف صحة الاعمال الشرعية على النية فاجمعوا عليه كما
هو مبين في الكتب الفقهية واما توقف ثبوت المثوبة
على غيرها من الاعمال كالوضوء والغسل وستر العورة و
طهارة الثوب ونحوها وكذا البيع والشرا والنكاح والطلاق
وامثالها فاتفقوا عليه كما هو مقرر في كتب الصوفية وبهذا التحقيق

هو

اندفع ما حرره بعض الشراح من ارباب التدقيق ان المراد نفي الاحكام المتعلقة بوجودها كالصحة والكمال اى لا صحة او لا كمال الا بها فالشافعية يحملونها على الاول والحنفية يحملونها على الثاني والاول اولى لانه لما امتنع الحمل على الحقيقة فالحمل على مجاز اقرب اليها وهو الصحة اولى كما تقرر في الاصول انتهى وقد عرفت ان الحنفية يقولون بالصحة في الاعمال المستقلة وبالكمال في غيرها وفيما يكون كالوسيلة فيعطون كل ذي حق حقه هذا مجمل الكلام واما تفصيل المرام فيتوقف على تحقيقات شريفة وتدقيقات لطيفة منها ان قوله انما انما هي لتقوية الحكم الذي هو في حيزها اتفاقا ولافادة الحصر وضعا عند اكثر الاصوليين خلافا لجمهور النحويين فانها عرفها بقيد التاكيد الاثبات لا غير عندهم ثم الحصر اثبات الحكم لما بعدها ونفيه عما عداه وهو مبني على ان انما غير بسيطة بل مركبة من ان الاثباتية وما النافية فاما ان تنفي الحكم عما بعدها وتثبته لغيره وهو باطل اجماعا واما عكسه فهو المطلوب اتفاقا واما اذا قلنا ببساطتها تعين الاول فتامل ونوزع بانها ولو كانت مركبة قد تنقل ما فيها كافة ثم الحصر اما حقيقي واما اضافي وقد اجتمعا في قوله تعالى قل انما انا بشر مثلكم يوحى الي انما الهكم اله واحد ومن الاضافي حديث اسامة انما الربوا في النسيئة خلافا لابن عباس حيث ذهب الى انه من الحقيقي ولم ينازع في فهمه الحصر بل عورض بانه اضافي او رفع بدليل اخر ففي ذلك اتفاق على انها للحصر قال ابن حجر فان قلت حذف انما في رواية صحيحة يدل على عدم اعتبار الحصر قلت ممنوع لان رواية ذكرها فيها زيادة وزيادة الثقة مقبولة انتهى وهو وهم منه لان انما هنا للحصر الاضافي دون الحقيقي لان الاعمال لا تتم ولا يصح بمجرد النية بل لا بد لها من مزاولتها ومعالجتها باتيان باقي شروطها واركانها واذا كان الحصر اضافيا فلا ينافي بين وجودها

وبين

وبين عدمها وبهذا يندفع كلام الفاكهاني فحيث دل السياق على الحصر الاضافي فعل به والا فالاصل الاطلاق ومنه هذا الحديث ثم اعلم ان هذا الحديث ذكره البخاري في سبعة مواضع من صحيحه كما صرح به في محله وروى في الصحيح بالفاظ اربعة وهي انما الاعمال بالنيات انما الاعمال بالنية الاعمال بالنيات العمل بالنية كذا قال بعض الشراح وقال النووي لفظ الاعمال بالنيات لا يصح ورده بعضهم بانه رواه كذلك ابن حبان والحاكم وابو حنيفة في مسنده ومنها ان الاعمال ثلاثة بدنية وقلبية ومركب منهما فالاول كرد المغصوبات والعواري والودائع والنفقات وازالة النجاسات فلا يشترط فيه النية لصحتها بل لاثابتها والثاني كالاعتقادات والتوبة والحب والبغض في الله وامثال ذلك فلا يشترط فيه النية وقد اغرب بعض العلماء حيث اوقع الطلاق بمجرد النية واعتقادا دالا على هذا الحديث ثم الثواب والعقاب يترتب على عزم الطاعة والمعصية وان لم يعمل بما نواه على ما ذهب اليه المحققون من اصحابنا وصرح به النووي والقرطبي ايضا ويؤيده ما روى ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لاصحابه في منصرفه من غزوة تبوك ان بالمدينة قوما ما صعدتم جبلا ولا هبطتم واديا الا وهم معكم فيه قالوا كيف وهم بالمدينة قال وهم بالمدينة حبسهم العذر وقال الضرر ومن شرف النية اعتبارها في الاخرة بناء على تحقق خلود الطائفتين في المنزلتين لما في نية كل منهما الاستمرار على ما تدين بهما وفي خبر ابن ماجة انما يبعث الناس على نياتهم ورواه مسلم بمعناه والثالث كالصلاة والصوم والزكاة والحج فيشترط حصول النية في صحتها بقي الكلام في الاقوال فلا يشترط النية لصحتها بل لترتب المثوبة عليها واغرب الفاكهاني في قوله وبعض خصص العمل بما لا يكون قولا واستبعد لانه لا فرق في ذلك بين عمل بجارحة وبين عمل باخرى انتهى وقد عرفت

وقف

الفرق بينهما انتهى من العجيب قوله اما الاعمال فقد استعملت مقابلة الاقوال ولا اشكال ان الحديث يتناول الاقوال والله اعلم بالاحوال انتهى اعلم اذا الاعمال عادية وعبادية والنية شرعت لتميز الثاني عن الاول ليترتب عليه الصحة او المثوبة واما قول شارح من الشافعية وهي واما ما تعبدنا الله بتركه كالقتل والسرقة فلا تشترط فيه النية اتفاقا ففيه انه لا يشترط للصحة واما لثبوت المثوبة فلابد من النية اتفاقا واما قوله واما تعبدنا بفعله كالوضوء والصلوة وجب فيه النية ركنا او شرطا كما تقدم انه ينتقض بستر العورة مع انه شرط اتفاقا انتهى العمل اخص من الفعل وهو كل ما صدر من الحيوان بقصده قلبيا او قالبيا ذكره الراغب ومنها ان قوله بالنيات متعلق بمحذوف هو الخبر فقيل تقديره انما الاعمال معتبرة بالنيات او انما اعتبار الاعمال بالنيات على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه وقال شارح الباء للاستعانة او المصاحبة ليعلم منه وجوب المقارنة او المقاربة لكنها تشعر وجوب تصحيحها بها الى آخر العمل لانه الظاهر من المعية فالاولى اولى انتهى ولا يخفى انه حينئذ لا يستفاد المقارنة او المقاربة فالحمل عليه اعلى غايته ان معية النية في الاعمال الشرعية مختلفة الكيفية بناء على التوسعة العرفية الشاملة للحالة القبلية والبعدية ومنها ان رواية الاعمال بالنيات لمقابلة الجمع بالجمع واما وجه افراد النية مع جمع الاعمال على رواية كونها مصدرا وانما جمعت في رواية لاختلاف انواعها والاولى حمل النية على ارادة الجنسية ومنها ان المراد بالنية قصد المكلف للشيء المامور به ومحلها القلب اجماعا وانما استحب بعض العلماء انضمام اللسان بالجنان للتقوية والا فاجمع المحدثون على عدم ثبوت النية باللسان عن النبي صلى الله عليه وسلم ولا عن الصحابة والتابعين ثم قيل ان جميع النيات المعتبرة

وقف

لو نوى صلاتي فرض الظهر والعصر لم يصحا اتفاقا ولو نوى مكتوبتين فهي التي دخل وقتها ولو نوى فائتتين فهي للاولى منهما ولو نوى فائتة ووقتية ولو نوى فائتة الا ان تكون في آخر الوقت ولو نوى الظهر والجمعة وعليه الظهر من يومه فان [illegible] فهي عن الظهر وان كان في [illegible] فهي عن الظهر [illegible] ولو نوى الزكاة وكفارة اليمين فهي عن الزكاة ولو نوى مكتوبة وصلاة الجنازة فهي عن المكتوبة وان نوى فرضا ونفلا فان نوى الظهر والتطوع قال ابو يوسف تجزيه عن المكتوبة ويبطل التطوع وقال محمد لا تجزيه عن المكتوبة ولا عن التطوع وان نوى الزكاة والتطوع تكون عن الزكاة وعند محمد عن التطوع ولو نوى نافلة وجنازة فهي نافلة واما اذا نوى نافلتين كما اذا نوى بركعتي الفجر التحية والسنة اجزأت عنهما ولو احرم [illegible] نذرا او نفلا كان نفلا او فرضا وتطوعا كان تطوعا عندهما هل تصح نية عبادة وهو في عبادة اخرى قال في القنية نوى في الصلوة مكتوبة او نافلة الصوم تصح نيته ولا تفسد صلاته [illegible] افتتح المكتوبة ثم ظن انها تطوع فاتمها على نية التطوع اجزأته عن المكتوبة

[illegible]

في العبادات لابد لها من المقارنة للفعل الا الصوم والكفارات فانه يجوز تقديمها على الفعل والشروع انتهى وتفصيل محل النية في العبادات الشرعية محلها الكتب الفقهية واما اعتبار الشافعي رحمه الله تصور اركان الصلوة حال النية مقرونة بالتحريمة بوصف المعية فلا يظهر وجه تخصيصه بالصلوة دون سائر العبادات مع انه حرج ظاهر بالنسبة الى الخواص فضلا عن العوام والله اعلم بما يستدل به في هذا المقام وقال البيضاوي النية لغة القصد وشرعا توجه القلب نحو الفعل ابتغاء لوجه الله وامتثالا لامره وهي في الحديث محمولة على المعنى اللغوي ليحسن تطبيقه على ما بعده وتقسيمه لقوله فمن كانت الى آخره انتهى ونازع فيه شارح بما لا طائل تحته وتوضيحه ان مجرد قصد القلب في تصحيح العمل كاف واما معنى الشرعي فيحتاج اليه من زيادة قصد الامتثال وتحصيل الاخلاص لاجل ثواب العمل وقبوله وهذا معنى قوله تعالى وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين وفي كلاجة الاسلام ان النية هي الارادة الباعثة للقدرة المنبعثة عن معرفة كمال الشيء لان الافعال الاختيارية لا تصح ولا يعمل ما لم يسبق الارادة باعثة للقدرة خادمة لها بتحريك العمل وهي يعني النية روح العمل تؤثر بنفسه بخلاف العمل فان المقصود منه تاثيره في القلب ليميل الى الخير وينفر عن الشر الموصلين الى الانس والمعرفة اللذين هما سبب سعادته في الدارين والنية عبارة عن نفس الميل فعلم سر قوله عليه السلام نية المؤمن خير من عمله انتهى وقد جعلت رسالة في حل هذا المبنى وتحقيق ما فيه من المعنى **وانما لكل امرئ ما نوى** والمعنى لكل شخص من الرجل او المرأة جزاء ما نوى ما في عمله من خير او شر فهو من باب حذف المضاف او تقديره لكل احد جزاء نيته والاول اولى لرواية انه ليس للمرء من عمله الا ما نواه وفي نسخة صحيحة وانما الامرئ

قال رجل امسك المصحف بنيته ولا اتقرا قالوا ان نوى به الخير والبركة لا ياثم ويرجى له الثواب ثم قال رجل ذكر الله في مجلس الفسق قالوا ان نوى ان الفسقة يشتغلون بالفسق وانا اشتغل بالتسبيح فهو افضل وان سبح في السوق ناويا ان الناس يشتغلون بامور الدنيا وانا اسبح الله تعالى في هذا الموضع فهو افضل ثم قال ان سجد للسلطان فان قصده التعظيم والتحية دون الصلاة لا يكفر وقالوا الاكل فوق الشبع حرام بقصد الشهوة وان قصد التقوى على الصوم او لاكل الضيف فمستحب وقالوا ان اخذ اللقطة بنية ردها على صاحبها حل رفعها وان اخذ بنية نفسه كان غاصبا اثما وكتابة اسم الله على الدراهم ان كان بقصد العلامة لا يكره وللتهاون يكره والجلوس على جوانب خمسة مصحف ان قصد الحفظ لا يكره والا يكره اه [illegible]

[illegible]

ما نوى فالمراد بالمرء جنسه وقد يكون النكرة فيها معنى العموم كقوله تعالى
علمت نفس ما احضرت ولو لم يكن في سياق النفي فني هذا المقام بحسب
فانه في الجملة وقع في سياقه لان انما بمعنى ما والا والحصر هنا حقيقي
مع زيادة الكل المفيد للاحاطة وافادة الاختصاص من اللام فتبين
بهذا التقرير وزيادة افادة هذه الجملة من جهة العموم الشامل
للاعمال الشرعية وغيرها على الجملة الاولى المختصة بالعبادات
المستقلة فيه توضيحه ان مفاد الاولى ان صلاح العمل بحسب النية
الموجودة له ومفاد الثانية ان جزاء العمل العامل بحسب نيته من خير
اوشر وهاتان كلمتان جامعتان وقاعدتان كليتان ثم قيل تفيد
هذه الجملة ما لا تفيده الاولى وهي اشتراط تعيين المنوي كمن عليه
صلوة وقتية او فائتة حيث لا يكفيه ان ينوي الصلوة فقط حتى
بعينها ظهرًا او عصرًا مثلًا وايضًا اذا عمل عملًا ذا وجهين من وجوه
الثواب كالتصدق على الاقارب الفقراء ولم ينو الا وجهًا واحدًا
فليس له الا ذلك وبهذا يندفع ما قيل من ان الجملة الثانية تاكيد للجملة
الاولى اذ من المعلوم ان الافادة خير من الاعادة وقد قال بعض
المحققين ان هذه الجملة من جوامع الكلم الصادرة عن منبع الحكمة
الالهية ومهبط الانوار القدسية اللاهوتية يستضئ طائفة بعباراتها
وطائفة باشاراتها وكل حزب بما لديهم فرحون ومن اشاراتها
ان مدار الاعمال القالبية على الاحوال القلبية فما افاد منها ملكة
فاضلة وتوجها نحو الحضرة الربانية كان وسيلة الى المقصد الاعلى
وذريعة الى السعادة العظمى وما اوقع منها خلقا رديًا وبعدًا
عن تلك الحضرة كان موجبًا للشقاوة ومنتجًا للندامة وبحسب
ذلك يتفاوت الاعمال جودة ورداءة فكل عمل اوجب زلفاك
من مولاك كان خيرًا لك وما كان بخلافه كان شرًا لك ثم ان
للنفس تمويهات مزخرفة وتلبيسات فلا يتفرع عليه مثوبات

اولى نخ

نخ لا يشذ عنهما شيء قل او هو لو خذ منهما ابن حجر

بل عقوبات كمن قعد في المسجد مموهة فربما صورت لك السراب
عذبًا فراتًا وارتك الماء الزلال ملحًا اجاجًا فاشكل المميز
بين ما يدنيك من اللذة الكبرى وما يرديك من موجبات الردى في
الدنيا والاخرى فما احوجك الى التمسك بالعروة الوثقى والاعتلاء
الى ذروة التقوى بمتابعة شرع المؤيدة من السماء وذلك فضل
الله يؤتيه من يشاء وقال الطيبي في هذه الجملة اشارة الى
ما تتميزه النية من القبول والرد والثواب والعقاب فهم
من الكلام الاول ان الاعمال لا يكون محسوبة الا بالنية ومن
الثاني انها انما تكون مقبولة بالاخلاص وتبعده عن الرياء و
السمعة وتوضيحه انه اشار في الجملة الاولى الى ان الاعمال
الشرعية يتوقف صحتها على النية اللغوية واشار في الثانية
اى اعتبار على نية الشرعية ان حاصل المرء كل ما نواه سواء كان
محمودًا او مذمومًا فيعلم منه انه يمكن ان يجعل العادات عبادات
كالماكل والمشارب والمناكح والملابس والطيب ونحوها من المباحات
اذا نوى بها القوة على الطاعة او قصد اقامة السنة او دفع الرائحة
المؤذية عن الخلق لا استيفاء اللذات وقد تنعكس القضية بان
تصير العبادات عادات فلا يتفرع عليه مثوبات بل عقوبات
كمن قعد في المسجد للتفكه بالمحادثة والتلذذ بالمجالسة و
للمناظرات على سبيل المباهاة ونحوها من المباحات او الممنوعات
ففي الخبر من تطيب في الله جاء يوم القيمة وريحه اطيب من المسك
ومن تطيب لغير الله جاء يوم القيمة وريحه انتن من الجيفة
وكذا ورد وعيد من تعلم القران لغير الله ونحو ذلك ففي الجملة كل
عمل صدر عن العبد لداعي الحق فهو العمل الذي ينفعه فقد
روي ان رجلا في بني اسرائيل مر بكثبان رمل في مجاعة فقال في
نفسه لو كان هذا الرمل طعامًا لي لقسمته بين الناس فاوحى الله

وما الا فلا يفيده بل قد يضره صح

الى نبيهم وان الله صدقك وشكر حسن صنيعك واعطاك ثواب
ما لو كان طعاما فتصدقت به وهذا احد معاني حديث نية المؤمن
خير من عمله لان نيته قد تنفعه من غير عمله واما عمله فلا ينفعه
بدون نية ففي خبر البيهقي لا عمل لمن لا نية له فمن كانت
هجرته اى اذا عرفت ان الاعمال الشرعية لا تصح بدون النية اللزوم
وان سائر العبادات البدنية لا تثاب ما لم تقترن بالنية الشرعية
فمن كانت هجرته الى الله ورسوله وهي في الشريعة مفارقة دار
الكفر الى دار الاسلام خوف الفتنة وفي معناه الهجرة من دار البدعة
الى دار السنة وفي الحقيقة مفارقة ما يكره الله عز وجل الى ما يحبه
كما ورد المهاجر من هجر ما نهى الله عنه وهي اعم انواع الهجرة واتمها
والمعنى فمن قصد بهجرته وجه الله وابتغاء رضاه فهو كناية عن تخليص
النية وتحسين الطوية وذكر الله توطئة لذكر الرسول صلى الله عليه وسلم
وتعظيما للهجرة اليه فهجرته الى الله ورسوله كناية عن شرف الهجرة
وانها بمرتبة علية او كونها مقبولة مرضية فلا يضر اتحاد الشرط والجزاء
في العبارة الصورية وتكرير الاسمين لتعظيم الهجرة لديه وتكريم المهاجر
والمهاجر اليه ومجمل القضية فمن كانت هجرته الى الله ورسوله قصدا ونية فهجرته
الى الله ورسوله ثمرة ومنفعة وقال المص قوله فهجرته الى الله ورسوله بمعنى
مقبوله انتهى ولا يخفى ان الجار والمجرور على هذا خبر لقوله فهجرته
والاظهر ان التقدير فهجرته الى الله ورسوله مقبولة على حذف الخبر
فالجار حينئذ يتعلق بقوله فهجرته وان في الكلام وضع الظاهر
موضع المضمر فان من احب شيئا اكثر ذكره كما قيل اعد ذكر نعمان
لنا ان ذكره هو المسك ما كررته يتضوع ولا يبعد ان يكون التقدير فتكفيه
هجرته اليهما ثم اعلم ان هذا الكلام تفصيل لما سبق من المرام في قوله
انما لكل امرئ ما نوى وانما فرض القصة في الهجرة لانها السبب الباعث
على هذا الحديث وذكر ان رجلا من اهل مكة كان يهوى امراة يقال لها

ام

ام قيس فهاجرت الى المدينة فهاجر الرجل لاجلها لا تدينا فعرض
النبي صلى الله عليه وسلم به في حديثه تنفيرا له عن مثل قصده
وكان الرجل بعده يدعى بمهاجر ام قيس فان قلت اذا كان
القصة مشتركا بين العبادة وامور العادة فما حكمه قلت
الحكم بغالب الامر فقد صرح علماؤنا كما في الذخيرة والتجنيس
وغيرهما ان الرستاقي اذا سعى يوم الجمعة الى المصر يريد اقامة الجمعة
واقامة الحاجة فان كان معظم مقصوده اقامة الجمعة ينال ثواب
السعي الى الجمعة وان كان قصده اقامة الحاجة لا غير او كان
معظم مقصوده اقامة الحاجة لا ينال ثواب السعي الى الجمعة
ثم اعلم ان العمل اما رياء محض بان يراد به غرض دنيوي فقط ولو
مباحا فهو حرام لا ثواب فيه واما مشوب برياء ولا ثواب فيه ايضا
للخبر الصحيح من عمل عملا اشرك فيه غيري فانا منه برئ هو للذي اشرك
وحمل الغزالي الاشراك فيه على المساواة والظاهر ان يحمل كلام الامام فيما
لم يشترط فيه النية اللغوية لقوله تعالى فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل
عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه احدا بل يحمل العبادة التي يعتبر فيه
النية الشرعية وهي الاخلاص في خلوص الطوية كما هو من اخلاق
الصوفية لقوله تعالى وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين
واما من قصد بجهاده اعلاء كلمة الله ونيل نحو غنيمة نقص اجره ولم يبطل
لخبر مسلم ان الغزاة ان غنموا تعجلوا ثلثي اجرهم والا تم لهم اجرهم
وقد قيل من حج بنية التجارة كان له ثواب بقدر قصده الحج ومن عقد
عملا لله ثم طرا له خاطر رياء فان دفعه لم يضر اجماعا وان استرسل
معه ففيه خلاف والذي رجحه الامام احمد وجماعة من السلف ثوابه
بنيته الاول قيل ومحله في عمل يرتبط اجره باوله كالصلوة والحج
دون نحو القراءة ففيها لا اجر بعد حدوث الرياء ولو تم عمله خالصا
فاثني عليه ففرح لم يضر لخبر مسلم تلك عاجل بشرى المسلم ومن
كانت هجرته لدنيا اللام للتعليل اى لاجل غرضها ومتاعها

غزالى

ونيل

او حصول غرضها وانتفاعها او بمعنى الى كما فى نسخة صحيحة وهو اولى
لانه قابله بقوله الى ما هاجر اليه حيث لم يقل لما هاجر اليه كذا . قيل
والاظهر ان يقال الى ههنا بمعنى اللام كقوله تعالى والامر اليك وحينئذ
لفظ الجلالة في موضعها والهجرة غير مختصة بصوب المدينة لكونه
صلى الله عليه وسلم فيها بل المعنى فمن كانت هجرته لاجل رضى الله ورسوله
فهجرته منتهية اليهما والى رضاهما وبمعنى طاعته ومن كانت هو غاية
هجرته لغرض الدنيا وما فيها فهجرته منتهية اليها والى هو بها و
المعنى هو نهاية شهوية لا تجاوز عنها وبهذا التقرير يستغنى عما قالوه
من التقدير هذا وقد قال المالكي في استعمال دنيا منكرا اشكال لانها
تانيث الادنى وهو افعل التفضيل فكان نظاهره الدنيا كالكبرى
الا انها وردت على خلاف القياس لانسلاخها عن معنى الوصفية
واجرائها مجرى الاسمية وقيل النكتة فيه الايماء الى تجريدا لدنيا
وترك زوائدها وهو ماخوذ من الدنو والدناءة وقد تكسر داله ولا
يبعد انها نكرت اشارة الى ما يسمى دنيا من انواع ما في الدنيا وترك
تنوينه مخففا لكثرة استعمالها ويؤيده انه روى منونا **يصيبها**
حال مقدرة اى يقصد اصابتها وتحصلها فشبه قصد الدنيا وتحصيلها
باصابة الغرض بالسهم بجامع حصول المقصود **او امراة ينكحها** بالسهم
بفتح الياء وكسر الكاف اى تزوجها كما في نسخة ثم او للتنويع لا للشك
فهو من باب عطف الخاص على العام اشعارا بان النساء اعظم ضرر
ما في الدنيا او ايماء بانه لما كان قصد النكاح الذي هو سنة عظيمة
من سنن اهل الفلاح اذا كان يبطل ثواب الهجرة فكيف غيره من الامور
المباحة او المكروهة ولا يبعد ان مهاجر ام قيس المذكور كان يحبها
لمالها وجمالها فجمعهما في التعريض به ويحتمل انه كان لطلب نكاحها
وغيره من الناس هاجر لتحصيل دنيا من جهة ما فعرض بهما **فهجرته**
الى ما هاجر اليه فهجرته الى ما هاجر اليه اى من
اصابة الدنيا وتزوج المراة ولم يذكرهما صريحا للاعراض عنهما

وعدم

وعدم الاحتفال بامرهما وللزجر عن قصدهما بخلاف ما تقدم والله اعلم
والمعنى من كانت هجرته لدنيا او انتهت هجرته اليها او كانت نهاية هجرته
اليها لا يحصل له ثواب الهجرة سواء حصل غرضه من الدنيا وما
فيها ام لا فعلم ان الطاعة فى اصل صحتها وتضاعف مرتبتها مرتبطة
بالنيات وبها ترتفع الى خالق البريات فلا بد للساعي من تصحيح النية
والباني من احكام اساس البنية فانها بدون العمل منتج للمثوبة
والعمل بدون تصحيح النية موجب للعقوبة اما مثال الثاني فقد
ورد من تعلم علما مما يبتغى به وجه الله لا يتعلمه الا ليصيب به
غرضا من الدنيا لم يجد عرف الجنة يوم القيمة واما مثال الاول
فقد ورد في مسند ابو يعلى الموصلي مرفوعا ان الله يقول للحفظة
يوم القيمة اكتبوا لعبدى كذا وكذا من الاجر فيقولون ربنا لم نحفظ
عنه ذلك ولا هو في صحيفتنا فيقول الله انه نواه ونقل الاستاد
ابو القاسم ان زبيدة رؤيت فى المنام فقيل لها ما فعل الله بك فى
ذلك المقام فقالت غفر لى جميع الآثام فقيل لها بكثرة عمارتك الابار
والبرك والمصانع فى طريق مكة وانفاقك فيها من الذهب والفضة
فقالت هيهات هيهات ذهب ذلك كله الى اربابه واصحابه وانما
نفعنا منه النيات فغفر لى بها السيئات هذا وبلسان العارفين
معناه ان اعمال الظاهر متعلق بما وقع فى القلوب من انوار الغيوب
وان كشوف اسرار الطريقة وانوار الحقيقة في الباطن بما بدا من جمال
الفهم والالهام اذا انقدح سنابرة صفة الفعل من زنود صفات
الجلال والاكرام والنية جمع الهم في تنفيذ العمل للمعمول له وان
لا يسنح في السر ذكر غيره وللناس فيما يعشقوه مذاهب
ثم نية العوام في طلب الاغراض فى الفعل مع نسيان الفضل ونية
الجاهل التحصن عن سوء القضاء ونزول البلاء ونية اهل النفاق
التزين عند الخلق وعند الخلاق ونية العلماء اقامة الطاعة

وادامة العبادة لحرمة ناصبها للحرمة جانبها ونسبة الصوفية
ترك الاعتماد على ما يظهر منهم من الطاعات الصورية والحالات
المعنوية ونسبة اهل الحقيقة ربوبيته تولت عبودية وانما لكل
امرئ ما نوى من مطالب السعداء ومناقب الاصفياء وهي الخلاص
عن الدركات السفلية من الكفر والشرك والجهل والمعاصي والاخلاق

السفلي

الذميمة والحجب النفسية والفوز بالدرجات العلية وهي المعرفة والتوحيد و
العلم والطاعة والاخلاق المحمودة والجذبات الالهية والفناء عن انيته
والبقاء بهويته او من مقاصد الاشقياء وهي ما يبعد عن الحق في مقام
الاصطفاء فمن كانت هجرته بخروجه من مقامه الذي هو غاية مرامه
سواء كان منزلا من منازل النفس او مقاما من مقامات القلب
الى الله وتحصيل رضاه ورسوله باتباع اعماله والتوجه الى طلب
الاستقامة في استدامة احواله فهجرته الى الله ورسوله فتخرجه العناية
الالهية من ظلمات الحدوث والفناء الى نور الشهود والبقاء
وتجذبه من حضيض العبدية الى ذروة العندية ويذهل عن عالم
الناسوت ويفنى في عالم اللاهوت ويبقى بالحي الذي لا يموت ورجع
اليه الانس ونزل بمحلة القدس واشرقت عليه سبحات الوجه
الكريم وحل بقلبه روح الرضى العميم ووجد فيه الروح الحي
واحبابا وعرف ان له مثوى ومآبا هذا حال اخص الخواص واما
العوام فهجرتهم بسبب الاقامة بشرط جاهد وا فينا من الكفر الى المعرفة
ومن الشرك الى التوحيد ومن الجهل الى العلم ومن المعصية الى الطاعة
ومن مقابح الاخلاق الى محاسنها واما الخواص فهجرتهم بجذبات
لنهدينهم سبلنا من حجاب صفات الخلق الى درجات تجليات
صفات الحق ومن كانت هجرته لدنيا من تحصيل شهوة الحرص
على الجاه والمال ونيل المنال فيبقى مهجورا عن الحق في اوطان
الغربة وديار الظلمة له نار الفرقة والقطيعة نار الله الموقدة

بالجذ

التي تطلع على الافئدة لا نار الجحيم التي لا تحرق الا الجلد ولا تخلص الى
القلب فانها بالنسبة الى نار فرقة القلوب وحرقة القطيعة عن غيب
الغيوب كنسيم الحياة الى سموم الممات ولذا قالوا الحجاب اشد
العذاب وانشدوا شعر ففي فؤادي المحب نار جوى احر نار الجحيم ابردها
وما احسن من قال من ارباب الحال شعر يا غافل القلب عن ذكر المنيات
عما قليل ستثوى بين اموات ان الحمام لموقت الى اجل فاذكر
مصائب ايام وساعات لا تطمئن الى الدنيا وزينتها قد حان
للموت يا ذا اللب ان ياتي وكن حريصا على الاخلاص في العمل فان
العمل الزاكي بنيات هذا وفي معنى الحديث طلب العلم وصحبة الصوفية
بل كل حركة وسكون يحتاج الى تصحيح النية وفي الخبر ان الله لا ينظر
الى صوركم واعمالكم ولكن ينظر الى قلوبكم ونياتكم رواه اماما
المحدثين اى المصنفين في علم الحديث من المتاخرين احدهما
او منهما ابو عبد الله محمد بن اسمعيل بن ابرهيم بن
المغيرة بن بردزبه بضم وكسر بموحدة مفتوحة فراء ساكنة
فدال مهملة مكسورة فزاى ساكنة فموحدة فهاء ساكنة ومعناه
بلسان اهل بخارا الحارث بمعنى الزارع كان مجوسيا ومات عليه
البخاري منسوب الى بخارا بلد معروف من اعظم بلدان من ماوراء النهر
وفي بعض النسخ زيد الجعفي بفتح الجيم وسكون العين المهملة فالفاء
نسبة الى اليمان بن اخنس الجعفي لان المغيرة اسلم على يده هذا وقد
ولد سنة اربع وتسعين ومائة بخرتنك قرية على فرسخين من سمرقند
سنة ست وخمسين ومائتين فعمره اثنتان وستون سنة قال
خرجت كتابي الصحيح من زهاء ستمائة الف حديث لست عشرة سنة
وما وضعت فيه حديثا الا اغتسلت وصليت فيه ركعتين واوفر
من ان يستقصى وقد افردت بالتاليف فضائله اكثر من ان يحصى واوفر من ان يستقصى وقد
روى انه عمى في صباه فراى الخليل عليه السلام في المنام فدعا له وتغل
افردت بالتاليف

وتوفي صح
ليلة صلاة عيد الفطر

ابحضوره

في عينيه وبرك عليه فابصر باذن الملك العلام فمن ثم لم يقرا كتابه في كرب
الا فرج وقد روى هذا الحديث في سبعة مواضع من صحيحه وعدد
احاديث صحيحه سبعة الاف ومائتان وخمس وسبعون وباسقاط
المكرر اربعة الاف وقد كتب عن احمد بن حنبل ويحيى بن معين وخلايق
يزيدون على الف وروى عن مسلم خارج صحيحه والترمذي وابن خزيمة
قيل والنسائي **وابو الحسين مسلم بن الحجاج** بفتح الحاء وتشديد
الجيم الاولى **ابن مسلم القشيري** بضم القاف وفتح الشين المعجمة
منسوب الى قشير بن كعب بن ربيعة بطن من العرب **النيسابوري**
بفتح النون والسين المهملة معرب المعجمة مدينة بخراسان وهو
الامام الهمام النبيل والبحر الحبر الجليل ولد سنة اربع ومائتين وتوفى
سنة احدى وستين ومائتين واحاديث كتابه بعد اسقاط المكرر
اربعة الاف ايضا اخذ عن احمد وحرملة وخلائق وروى عنه الترمذي
حديثا واحدا **رضي الله عنهما** كذا في النسخ جميعها وفيه
توسعة والا فالانسب ان يقال رحمهما الله لان الترضية تختص
عرفا بالاصحاب المصطفوية **في صحيحيهما** انما خص بهما
لان لهما كتبا غيرهما ليست في رتبتهما وهو متعلق برواه
لا حال من الضمير الراجع الى الحديث كما ذكره الكازروني
اللذين بفتح الذال وكسر النون **هما اصح الكتب**
المصنفة اى المؤلفة احترازا من المصحف المنزل واما
قول الشافعي ما اعلم كتابا بعد كتاب الله اصح من موطا مالك
فذاك قبل وجود هما ثم الاول اصح منهما على الاصح من الا
قوال فيهما وقد رواه غيرهما كالامام احمد وابي داود والترمذي
والنسائي وابن ماجه وغيرهم حتى صار شبيها بالتواتر عندهم
وقد روى البخاري انه صلى الله عليه وسلم خطب به فقال
يا ايها الناس انما الاعمال بالنيات وخطب به عمر رضي الله عنه

٤٠

على منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم كما اخرجه البخاري ايضا

الحديث الثاني

عن عمر رضي الله عنه ايضا
اى عادت عنه الرواية عودا يقال اض فلان الى اهله اى رجع
قال بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم المستفاد من كلام
الرضى ان ما في بينما كافة لانها تكف المقتضى وتمنع عن اقتضاء
المضاف اليه وقد روى فيما بينما وفي بعض الروايات بينا على اشباع
الفتح لتكون الالف الحاصلة دليلا على عدم اقتضائه للمضاف اليه
لانه كانه وقف عليه فان الالف قد يوتى بها للوقف عليها كما في انا
والظنونا ثم بين في اصله مستعمل في الزمان والمكان واما اذ كف
بما او الالف واضيف الى الجملة فلا يكون الا للزمان لانه لا يضاف
الى الجمل الا حيث من ظروف المكان والمعنى في اثناء اوقات شريفة
وازمنة لطيفة نحن حاضرون لديه وواقفون بين يديه
ذات يوم اى ساعة نهار ففائدة زيادة ذات في البيان عدم
تجوز التوهم في اطلاق اليوم على مطلق الزمان وهو ظرف عذ لما فيه
من معنى الاستقرار في الخبر اذ طلع علينا رجل اي ظهر لنا شخص
بصورة رجل من جنسنا والتنوين فيه للتعظيم او للتنكير
والمعنى فاجانا وقت طلوعه حين كنا عند رسول الله صلى الله
عليه وسلم وفي مجلس حضوره وحال ظهور نوره رجل عالي الجناب
شديد بياض الثياب باضافة الشديد الى البياض وفي
نسخة بتنوين شديد ورفع ما بعده وكذا الكلام في قوله
شديد سواد الشعر بفتح العين ويسكن وفيه ايماء الى
استحباب البياض والنظافة في الثياب وان زمان طلب العلم
اوان الشباب وفي حديث الترمذي ان الله نظيف يحب النظافة
وصح ان من خير ثيابكم البياض فالبسوه وكفنوا فيها موتاكم
وقدم البياض على السواد لفضله وجمع الثياب دون الشعر اشعارا

بان جميعها كذلك وللتفنن في العبارة باستعمال الجمع تارة واعتبار
الجنس اخرى وهذا بالتحقيق احرى وفي رواية النسائي عن ابي
هريرة وابي ذر اذ اقبل رجل احسن الناس وجها واطيب الناس
ريحا كان ثيابه لا يمسها دنس واغرب ابن حجر في عبارته عن ابي
هريرة وذر انتهى وغرابته لا يخفى لا يرى بضم الياء من يرى
والراء فتحة وروى بالنون المفتوحة كذا في شرح مسلم عليه
اثر السفر برفع الاثر ونصبه كما يقتضيه اختلاف
الاثر والاثر العلامة من نحو الشعث والغبرة والسفر ماخوذ
من السفر وهو الكشف لانه يكشف احوال الرجال واخلاقهم
في احوال الانتقال ولا يعرفه منا اي معشر الصحابة
احد قدم منا للاهتمام ومؤداه وحاصل معناه انه حينئذ
اما ان يكون ملكا او جنيا اذ لو كان بشرا من المدينة لعرفناه او
غريبا كان اثر السفر في سيماه وفي هذا الحديث تصريح بانهم
راوه وسمعوا كلامه واما حديث الامام احمد عن غير عمر نسمع
رجع النبي صلى الله عليه وسلم ولا نرى الذي يكلمه ولا نسمع كلامه
فاما محمول على تلون حال جبرئيل ان كانت القضية واحدة و
اما على تعدد القصة لتاكيد تعليم الامة وهذا اولى من قول ابن حجر
يرد حديث عمر الاصح منه واما قول الفاكهاني ورواه ابو
العباس العذري لا نرى ولا نعرفه بالنون فانما يصح مع عدم قوله
منا احد حتى جلس متعلق بمحذوف دل عليه طلع اي سلم واستاذن
واتى ودنا حتى جلس مائلا الى النبي صلى الله عليه وسلم والمعنى بين
يديه ففي الحديث كنا نجلس بين يدي النبي وكانما على روسنا الطير
او متصلا اليه فيكون كالتفسير له قوله فاسند ركبتيه الى
ركبتيه اي اوصل ركبتيه الى ركبتي النبي عليه السلام لان
الجلوس على الركب الى التواضع اقرب وانسب الى كمال الادب

المفتوحة

واتصالها

واتصالها ابلغ في الاصغاء وحضور القلب والصفاء والاستيناس
بالتوحش عن الناس وكذا حكمة وضع الكف في قوله ووضع كفيه
على فخذيه بفتح الفاء وكسر الخاء وجوز في اللغة كسر اوله وسكون
ثانيه اي فخذي النبي كما في رواية النسائي هذا وقد ابعد ابن
حجر عن التحقيق حيث قال في جلس الى الى ههنا بمعنى عند او مع
هذا وفي رواية النسائي عن ابي هريرة وابي ذر انه عليه السلام كان يجلس
مع اصحابه فلا يعرفه الغريب فبنيت له المصطبة من طين فجاءه
جبرئيل وهو عليها فقال السلام عليكم يا محمد فرد عليه صلى الله عليه
وسلم قال ادنو يا محمد قال ادنه فما زال يقول ادنو مرارا
ويقول ادنه حتى وضع يديه على ركبتي النبي صلى الله عليه وسلم انتهى
وصيغة عليكم بلفظ الجمع للتعظيم اوله ولمن معه على وجه التعميم
كما قال الفقهاء انه يندب السلام بصيغة الجمع على الواحد نظرا
لمن معه من الملائكة ولا ينافي تخصيصه بالنداء بعد تعميم الثناء
وقال يا محمد لعل نداءه بذلك قبل التحريم او لانه لم يكن داخلا
في التعميم او التحريم محمول على ما اذا اراد به مجرد العلمية غير التعظيم
المستفاد من الدلالة الوصفية الموجبة للتفخيم واما ما ورد في الصحاح
من نداء بعض الصحابة باسمه فذلك اما قبل التحريم واما على قصد
ما ذكرنا من التعظيم وقال شارح نداؤه باسمه اذ الحرمة تختص
بالامة في زمانه وهو ملك معلم انتهى وفيه انه في هذا المقام تنزل
الى مرتبة التعلم او الى حالة تعليم غيره في السؤال والجواب
فمقتضاه انه كان يتادب في الخطاب لا سيما في اول الباب
والله اعلم بالصواب وقال الفاكهاني ونداؤه هذا كان تعمية
لحاله اقوى وهذا بعيد عن مقام جلاله وحسن سؤاله اخبرني
عن الاسلام وهو لغة الانقياد للاحكام ولذا اجاب عنه عليه السلام
بالاركان الخمسة من ظواهر احكام الشريعة وانما قدم السؤال

نسخه بحاله اقوى

عنه وان كان التصديق مقدما بحسب الرتبة لانه جاء لتعليم مراتب الشريعة
فبدا بالادنى ثم ترقى الى الاعلى ثم الى مشاهدة المولى فيكون هذه
الرواية هي الاولى من رواية الترمذي تقديم الايمان كما في رواية
للصحيحين عن ابي هريرة فلعلها رواية بالمعنى هذا وقد ذكر ابو عبد الله
بن ابي حفص الكبير عن ابيه عن محمد بن الحسن عن ابي حنيفة عن علقمة
عن يحيى بن يعمر عن ابن عمر ان جبرئيل ساله عن شرايع الاسلام
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الاسلام ان تشهد اى شهادتك
واقرارك عبارتك ان لا اله الا الله ان مخففة من المثقلة وضمير الشان
محذوف ويدل عليه عطف قوله الاتى وان محمدا الخ والمقصود من هذه
الكلمة اثبات التوحيد في الجملة بحسب ظاهر الشريعة والا فتفصيله
على وجه الحقيقة اثبات ذات الله بوحدانية منعوتا بالتنزه عن ما
يشابهه اعتقادا فقولا وعملا فيقينا وعرفانا فمشاهدة
وعيونا فثبوتا ودواما كما ستقف عليه مفصلا وتماما وقال
الغزالي للتوحيد لبان وقشران كاللوز فالقشرة العليا هي
القول باللسان المجرد والثانية الاعتقاد بالقلب جزما واللب
ان ينكشف بنور الله سر التوحيد بان يرى الاشياء الكثيرة
صادرة عن فعل واحد ويعرف سلسلة الاسباب مترتبة
بمسببها ولب اللب ان لا يرى في الوجود الا واحدا ويستغرق
في الواحد الحق غير ملتفت الى غيره ابدا واغرب ابن حجر فلو
قال اعلم بدل اشهد او اسقطها فقال لا اله الا الله محمد رسول
الله لم يكن مسلما وايده بحديث امرت ان اقاتل الناس حتى
يشهدوا مع انه جاء في رواية صحيحة حتى يقولوا وقد كثر
الروايات الثابتة عنه صلى الله عليه وسلم من قال لا اله
الا الله دخل الجنة على ان المراد بهذه الكلمة ضم الاخرى من
الاقرار بالنبوة لتلازمهما في اعتبار الشريعة وان الاقتصار على

هذه

هذه الكلمة من باب الاكتفاء او للبناء على ان هذه علم للاقرار بالتوحيد
والنبوة فكيف اذا انكلمت الكلمة بضم محمد رسول الله فقوله وان محمدا رسول الله
ايماء الى الاقرار بصحة النبوة وهما اصلان متلازمان في اقامة الدين ضرورة
توقف الاسلام على الشهادتين وقد يقال الشهادة تجيء في اللغة
على ثلاثة معان الاول بمعنى العلم كقوله تعالى يا اهل الكتاب لم تكفرون
بايات الله وانتم تشهدون اى تعلمون والثاني بمعنى الحضور
والابصار كما قال تعالى وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين والثالث
بمعنى الاخبار عن العلم والحضور كقوله تعالى وما شهدنا الا بما علمنا
وهذا المعنى هو المناسب لمقام الاسلام واما العلم والمشاهدة فهما
من مراتب العلماء الكرام ومناقب الاولياء العظام ومنه قوله تعالى
فاعلم انه لا اله الا الله وشهد الله انه لا اله الا هو قال المحققون
مجرد التوحيد هو الاحتجاب بالجمع عن التفصيل وهو محض الجبر
هو صرف القدرة المؤدي الى الاباحة واسناد القول والفعل الى الرسول
وسائر الخلق احتجاب بالتفصيل عن الجمع الذي هو صرف القدرة
المؤدي الى التعطيل او الثنوية والجمع بينهما هو الحق المحض قال
في العوارف الجمع اتصال لا يشاهد صاحبه الا الحق فمن شاهد
غيره اى ولو كان نفسه منه غيره فما ثمة جمع والتفرقة شهود
لمن شاهد بالمباينة فقوله امنا بالله جمع وما انزل الينا تفرقة
اقول فقول لا اله الا الله جمع وقول محمد رسول الله تفرقة كما قيل
اياك نعبد تفرقة واياك نستعين جمع وفي جمع المثالين ايماء بجواز
تقديم التفرقة على الجمع كما للسالك المجذوب المسمى بالمريد وتقديم
الجمع على التفرقة كما للمجذوب السالك المسمى بالمراد وهو اكمل من المريد
في مقام المزيد كما اشار اليه قوله سبحانه الله يجتبي اليه من يشاء و
يهدي اليه من ينيب وقال الجنيد القرب بالوجد جمع وغيبته
في البشرية تفرقة وكل جمع بلا تفرقة زندقة وكل تفرقة بلا جمع تعطيل

واقوال معلومة ح

وتقيم الصلوة اي تديمها محافظة شرائطها ورعاية اركانها
والصلوة لغة الدعاء نقل الى افعال مخصوصة لان الدعاء جزء
الصلوة وتؤتي الزكوة اى تعطيها مصارفها من زكي نمى
او طهر وهي اسم للقدر المخرج من النصاب لانه يزيد بركة المخرج عنه
ويطهره او يطهر قلب صاحبها عن خساسة البخل ونجاسة حب
الدنيا طلبا لحب المولى ورسمها بالواو على خلاف القياس بناء على
اصلها ثم اعلم ان الرواية بنصب يقيم وتؤتي وما بعدهما
ويؤيده حديث بني الاسلام على خمس واما من جعل الواو استينافية
على زعم ان اتيان الشهادتين يكفي في اجراء احكام الاسلام فاجيب
بان الانقياد بهما اقل وبتوابعهما من المذكورات ونحوها اكمل
على انه قد يقال المراد ببقية الافعال الخمسة هو الانقياد بقبول
فرضيتها واعتقاد ركنيتها وانكار وجوبها كفرا اجماعا لانها من
المعلوم بالدين ضرورة • وتصوم رمضان فيه جواز اطلاق رمضان
من غير ذكر شهر وهو علم للشهر المشهور من رمض اذا احترق
فاضيف اليه الشهر وسمي به لارتماضهم من حر الجوع او لاحتراق
ذنوبهم بالصبر على حرارة الجوع ومرارة العطش والصوم لغة
الامساك وشرعا امساك مخصوص بوصف مخصوص وتحج البيت
الحج بفتح الحاء وكسرها لغة القصد او قصد المعظم وشرعا قصد
بيت الله في وقت معين بشرائط معلومة والبيت اسم جنس غلب
على الكعبة علما ان استطعت اليه اى الى البيت او الحج المفهوم
من تحج يعني ان امكن لك الوصول اليه سبيلا تمييز عن نسبة
الاستطاعة اى ان استطعت سبيل البيت او الحج فاخر لتكون
اوقع في النفس وهي الطريق الذي فيه سهولة ويستعمل في كل
ما يتوصل به الى الشيء وهو المراد هنا ولذا فسر في الحديث بالزاد
والراحلة رواه الحاكم وصححه لكن ضعفه اخرون والحاصل

تحج ح

ان

بمجموع

ان الاستطاعة عند ابي حنيفة لمجموع البدن والمال وعند مالك بالبدن
وعند الشافعي بالمال وفي كتب الفقه تفصيل الاحوال ومن جملة تفاريعه
انه هل يجب على الفور او التراخي وفيه خلاف مشهور بين اصحابنا وكذا فيما بين
اصحاب مالك والشافعي ثم الاستطاعة تطلق على سلامة الاسباب وصحة الالات
وهي قد تتقدم على الفعل وتطلق على عرض في الحيوان يفعل به الافعال
الاختيارية ولا يكون الا مع الفعل وهي على ما فسرت استطاعة خاصة
بالمعنى الاول فلا يرد ما قيل من ان الاستطاعة التي بها تمكن المكلف
من فعل العبادة مشروطة في الكل فكيف خص الحج بها وتنكيره للعموم
وتقديم اليه عليه للاختصاص اى سبيلا ما الى البيت او الحج على اي
وجه كان قريبا او بعيدا بشرط اختصاص انتهائه اليه لا الى غيره
وايراد الافعال على صيغة المضارع لافادة الاستمرار التجددي
المناسب لكل منها ففي التوحيد الاستمرار الدائم مدة الحيوة الى
الممات وفي الصلوة دونه ثم في الصوم والزكوة دونهما وقدم
الاهم واخر ما وجب في العمر مرة وهو الاشق الاتم ولذا قيد بالاستطاعة
والله اعلم وقد نزل عليه صلى الله عليه وسلم يوم عرفة
وهو على ناقته في حجة الوداع اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم
نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا قال اي الرجل صدقت
فعجبنا له اي قال عمر فتعجبنا لاجل السايل او من كلامه المتقابل
حال كونه يساله ويصدقه اذ سؤاله يقتضي عدم علمه وتصديقه
يوجب خلافه حاله ثم زال التعجب الناشي عن الجهل بسبب الشيء
بعلمهم انه جبرئيل اتاهم في صورة متعلم لتعليمهم امر دينهم
قال فاخبرني عن الايمان وهو في اللغة التصديق الذي معه امن
وطمانينة وتحقيق وحقه ان يتعدى بنفسه الا انه لما كان متضمنا
لمعنى الاعتراف عدي بالباء في قوله قال ان تؤمن بالله كذا قرره بعض
الشراح وفيه ان الاقرار شرط لاجراء الاحكام الا شطر لمفهوم الايمان

بعدم
نفقيه

٣ واما من حج حجة الاسلام ثم ارتد
العياذ بالله ثم عاد الى الاسلام
فقال ابو حنيفة واحمد والمشهور
من مذهب مالك يجب عليه حجة الاسلام
خلافا للشافعي ح

كما هو عند بعض الاعلام فالاكتفاء به لايكون الحد على وجه النظام فالاولى
ما قال بعضهم من أن المراد بالمحدود الايمان الشرعي ومن الحدّ الايمان
اللغوي فانه متعدٍّ بالباء كما في القاموس امن به ايمانا صدقه فالمعنى
ان الايمان هو تصديق وجوب وجود ذات الله المستجمع لصفات
الكمال من نعوت الجلال والجمال وحسن الافعال وبكل ما جاء من عنده على
طريق التفصيل أو سبيل الاجمال قال ابن الصلاح هذا الحديث بيان
اصل الايمان وهو التصديق والاسلام وهو انقياد الاحكام وحكم الا
سلام يثبت بالشهادتين وانما اضاف اليهما الاعمال المذكورة لانها
اظهر شعائره ثم الايمان قد يطلق على الاسلام كما في حديث وفد
عبد القيس هل تدرون ما الايمان شهادة ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله
واقام الصلوة وايتاء الزكوة الحديث وقد يطلق الايمان على الاسلام
كحديث الايمان بضع وسبعون شعبة ادناها اماطة الاذى عن الطريق
واعلاها شهادة ان لا اله الا الله وقد يطلق الاسلام ويراد المعنى
الاعم لقوله تعالى ان الدين عند الله الاسلام ولخبر ابن ماجه
ما الاسلام قال تشهد ان لا اله الا الله وتشهد اني رسول الله وتومن
بالاقدار كلها خيرها وشرها حلوها ومرها ومنه ما روي الايمان
اعتقاد بالجنان واقرار باللسان وعمل بالاركان واسم الاسلام يتناول
اصل الايمان وهو التصديق والطاعات فان كل ذلك استسلام فعلم
انهما يجتمعان ويفترقان وان كل مومن مسلم من غير عكس كما يدل له قوله
تعالى قالت الاعراب امنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا اسلمنا ولخبر احمد
الاسلام علانية والايمان في القلب وفي حديث سعد تركت فلانا
لم يعطه وهو مؤمن فقال او مسلم فاعاد عليه فاعاد وهذا التحقيق
موافق لمذهب جمهور العلماء من الاشاعرة والماتريدية حيث جعلوا الايمان
مجرد التصديق والاقرار شرط لاجراء الاحكام وهو مذهب الامام وبه
اخذ علم الهدى والاشعري في اصح الروايتين عنه على ما ذكره الكردري

وقيل

تتمة

وقيل الاقرار ركن والتصديق وهو قول ساقط علامة للتحقيق واما
على ما ذهب اليه بعض الحنفية من ان الاعتراف شطر للايمان لكنه يسقط
بالاعذار في بعض الاحيان فكل مومن مسلم وكل مسلم مومن على ما هو
المتعارف في الزمان واما عند الشافعي وهو المنقول عن علي كرم
الله وجهه مرفوعا ان الايمان هو المعرفة بالجنان والاقرار باللسان
والعمل بالاركان والظاهر ان المراد به الايمان الكامل وعليه جميع
اهل السنة خلافا للمعتزلة حيث قالوا كما ذكر في الكشاف ان الايمان
الصحيح هو ان يعتقد الحق ويعرب عنه بلسانه ويصدقه بعمله
وكذا عند الخوارج الا ان المعتزلي يقول مرتكب الكبيرة يخرج عن
الايمان ولا يدخل في الكفر والخارجي يحكم بكفره فاذا كان الامر كذلك
فلا وجه لاسنادها قال على الى انه كذا عن الشافعي واتباعه على ما
ذكره بعض الشراح من اشاعة والا فيلزم منه انه خالف اهل
السنة وتابع اهل البدعة وليس كذلك فانه لم يقل بالتفريع الذي
ذكره الخوارج والمعتزلة وبطلان ما ذكروه ظاهر اذ حيث جاء
في الكتب والسنة عطف العمل على الايمان فيدل على مغايرته للعمل
بالاركان ومما يدل على بطلان ما ذهبوا اليه انه لو آمن شخص ولم
يلحق تكليف عمل ومات فهو مومن عند الله اجماعا وان ابا حنيفة
واتباعه انكر قبول الايمان للزيادة والنقصان ووافقه
امام الحرمين من الاشاعرة وجوزهما اخرون قال المصنف
وهو مذهب السلف والمحدثين قال الفخر الرازي وغيره
الخلاف مبني على ان الطاعة اذا اخذت في مفهومه قبلهما والا
فلا لان الايمان اسم للتصديق الجازم مع الاذعان وهذا لا
يتغير بهم طاعة ولا معصية اليه ثم قال مسلم قال المحققون
من اصحابنا المتكلمين ان نفس التصديق لا يقبلهما والايمان الشرعي
يقبلهما بزيادة ثمراته وهي الاعمال ونقصها قالوا وفي هذا توفيق

بين ظواهر النصوص التي جاءت بالزيادة وبين المعنى المفهوم من اللغة
قال وهذا الذى قاله هؤلاء وان كان ظاهرا حسنا فالاظهر
والله اعلم ان نفس التصديق يزيد بقوة النظر ولظاهر الادلة
ولهذا يكون ايمان الصديقين اقوى من ايمان غيرهم بحيث لا يعتريهم
الشبه ولا تزلزل ايمانهم بعارض ولا يشك عاقل في ان تصديق ابي بكر
لا يساويه تصديق احاد الناس اقول ثم اعلم ان المراد بالاركان
الاتيان بالاوامر المفروضة والانتهاء عن الزواجر المحرمة واغرب
شارح في تفسير الاركان بالاعضاء السبعة وهي العين واللسان
والاذن واليد والبطن والفرج والرجل واذا كان الايمان التصديق
على وجه التحقيق فلا يقبل الزيادة والنقصان الا باعتبار ثمراته من
الاعمال او مراتب ظهوره وانكشاف نوره في صدور ارباب الاحوال
اذ التصديق عند اهل التدقيق اذعان النفس وقبولها لما يجب
قبوله عليها وهو تقليدى وتحقيقي والتحقيقي اما استدلالي او ذوقي
والذوقي اما كشفي واقف على حد العلم او عيني غير واقف عليه
والعين اما مشاهدة او شهود والاول هو اعتقاد الجازم المطابق
الممتنع الزوال وهو اول ما لا بد منه في صحة العمل بالاركان والثاني
الاعتقاد الجازم المطابق الممتنع الزوال الثابت بالبرهان
والثالث الممتنع الزوال الثابت بالوجدان والثلاثة مراتب
الايمان بالغيب والاخيران علم اليقين والرابع هو المشاهدة
الروحانية مع بقاء الاثنينية ويسمى عين اليقين والخامس
هو الشهود الحقاني عند تجلي الوحدة الذاتية وزوال الاثنينية
ويسمى حق اليقين ومجمل الكلام في مقام المرام ان ايمان العوام
هو التصديق بالجنان والاقرار باللسان وايمان الخواص عزوف
النفس عن الدنيا وسلوك طريق العقبى وشهود القلب مع المولى
وايمان خواص الخواص ملازمة الظاهر والباطن في طاعة الله

اقول ٢

وابانة

شرح

وابانة الخلق الى الفناء في الله واخلاء للبقاء في الله واما
قول المص في شرح لمسلم اتفق اهل السنة من المحدثين والفقهاء
والمتكلمين على ان من امن بقلبه ولم ينطق بلسانه مع قدرته
كان مخلدا في النار فيعترض على ما قاله ابن حجر بانه لا اجماع على
ذلك وبان لكل من الائمة الاربعة قولا انه مؤمن عاص بترك
التلفظ بل الذى عليه جمهور الاشاعرة وبعض محققي الحنفية
كما ذكره المحقق الكمال ابن الهمام وغيره من علماء الانام ان الاقرار
باللسان انما هو شرط لاجراء احكام الدنيا فحسب اقول
واذا كان الامر كذلك فينبغي ان يحمل كلام النووي على امتناع اقراره
مع قدرته وقت مطالبته ولذا اجمعوا على كفر ابي طالب حيث
طالبه صلى الله عليه وسلم بالاقرار ولم يعترف خوفا من الملامة والعار
مع انه كان عارفا بحقية نبوته عليه السلام لما راى من اثار الانوار
وثبوت دار القرار باستدلاله العقلي حيث قال لا بد
من دار اخرى لجزاء الخلق والتمييز بين الفجار والابرار اذ الامر
منعكس في هذه الدار حيث اكثر الابرار في المحنة وجمهور الفجار
في النعمة والحاصل ان امتناعه عند مطالبته مع وجود قدرته
مبطل لمعرفته كما لو سجد لصنم باختياره او استخف بنبي او
بالكعبة او برمي القرآن في القاذورات ونحو ذلك من المكفرات فانه
يحكم بارتداده وبطلان اعتقاده لذلك ولا يفيده تصديقه القلبي
هنالك اذ انقلب ايمانه كفرا ولا يبعد ان يقال الاقرار حينئذ صار
شطرا فيكون ذا وجهين كما قال صاحبنا في الاحرام انه من
وجه شرط ومن وجه ركن وبه يجمع بين الاقوال المختلفة والله
اعلم وايضا لو لم يعتبر ما قاله المص لزم ان يكون بعض اليهود
والنصارى مؤمنا عند الله وهو خلاف الاجماع قال تعالى
فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به اي ما اقروا بنبوته فلم ينفعهم الايمان

بالله ووحدانيته هذا وقد اتفق اهل الحق وهم الاشاعره والحنفية
على انه لا عبرة بايمان بلا اسلام وعكسه اذ لا ينفك احدهما عن الاخر
في الشريعة وان كانا متغايرين في اصل اللغة فعلم انه باختلال
احد من الامرين ينتفي لازم الايمان في الدارين لكن الحنفية
اشد مبالغة في رعاية الملة الحنيفية ومن ثم كفروا باقوال
وافعال كثيرة نظرا منهم الى انها تدل على الاستخفاف بالشريعة
كتعمد صلوة بلا وضوئها ودوام ترك سنته استخفافا بها واستقباح
سنة كتحنيك العمامة وهو جعل طرفها تحت حلقه وامثالها
حتى روي ان ابا يوسف رحمه الله ذكر في مجلس انه صلى الله عليه
وسلم كان يحب الدباء فعارضه بعض الجهلاء بقوله انا ما
احب الدباء فسل له السيف وقال جدد ايمانك والا قتلتك
وملائكته جمع ملك على غير قياس والتاء لتانيث الجماعة
وهم اجسام لطيفة نورانية مبراة من كدورات نفسانية وظلمات
حيوانية مقتدرة على تشكلات مختلفة معصومون عن المخالفة
منهم وسائط بين الله وبين انبيائه المبعوثين الى الخليقة ولكل
مقام معلوم ومرام مقسوم وفي حديث مسلم عن عائشة مرفوعا خلقت
الملائكة من نور وخلقت الجن من مارج من نار وخلق ادم مما وصف
لكم وكتبه اي ما انزل الله على انبيائه اما مكتوبا في الالواح
او مسموعا من وراء حجاب او من ملك مشاهدا وهاتف وذلك
بان يعلم ان كلها وحي من الله مشتمل على احكامه واخباره واعلامه
ويعتقد ان القران كلام الله غير مخلوق بل ازلي قديم قايم بذاته
منزه عن حرف وصوت وحدوث شئ في صفاته وهو المكتوب
في مصاحفنا المحفوظ في صدورنا المقروء بالسنتنا قال
الزمخشري وغيره وهي مائة كتاب واربعة منها خمسون على
شيث وثلاثون على ادريس وعشرة على ادم وعشرة على ابرهيم

والتورية

والتورية والزبور والانجيل والفرقان ورسله بان يعرف انهم بلغوا
ما انزل اليهم وقاموا بما اوجب عليهم وانهم معصومون عن الكبائر
والصغائر عمدا الا سهوا وخطا بشرط التذكر في الحال او التنبيه
عليه بحسن المقال وهذا الترتيب في التعريف كما يقتضيه حكمة عالم
الوسائط والتكليف والاحتمام لي مع الله وقت لا يسعني فيه ملك
مقرب ولا نبي مرسل معلوم لنبينا صلى الله عليه وسلم اذ فيه
اشارة الى تمكينه في وقت كشوف المشاهدة واستغراقه في لجة كشوف
بحر الوحدة حيث لا يبقى فيه اثر البشرية ولا تصور الاثنينية
الا انه سبحانه كان يرده في بعض الاوقات من هذه النسبة الجمعية
الى النظر في تربية اصحابه العلية وتدبير مراتب احوال امته المرضية
ليجري عليه احكام التلوين بعد تحققه في مقام التمكين ولئلا
يذوب في نيران كبرياء الازل او يغرق في بحر الفناء ومقام حق اليقين
ومن هنا كان يقول لعائشة احيانا كلميني يا حميراء واليوم
الاخر اي يوم القيمة لانه اخر ايام الدنيا ولانه لا ليل بعده و
لا نهار اي ويعرف بوجود الابد الدائم الذي لا ينقطع وبما فيه من حشر ويومئ
الاشباح مع الارواح والمحاسبة والمجاذاة وموافقة من الصراط
والميزان ودخول الجنة ودرجاتها والنار ودركاتها وفي رواية
والبعث الاخر فكان البعث الاول هو الخلق بعد العدم وتومن
بالقدر بفتحتين مصدر قدر يقدر وقد يسكن داله وهو
ما قضاه الله وحكم به من الامور كذا في جامع الاصول واعاد العامل
اما لبعد العهد كقول الشاعر شعر اذا علم البجلي اليماني انني اذا
قلت اما بعد لي خطيبها او لشرف قدره وتعاظم امره لانه مجار
الافهام ومزل الاقدام فلذا اهتم بشانه ثم قرره بالابدال بقوله
خيره وشره اي حلوه ومره وفي رواية لمسلم وبالقدر كله
وليس تومن في اصل ابن حجر من شرحه فهو سقط من الكتاب ومن صاحب

الكتاب ويؤيده الثاني عدم تكلمه في هذا الباب والله اعلم بالصواب قال
المولف معناه نعتقد ان الله تعالى قدر الخير والشر قبل خلق الخلق وان
جميع الكائنات بقضاء الله تعالى وقدره وهو مريد لها انتهى فالطاعات
يحبها ويرضاها ويثيبها بخلاف الكفر والمعاصي قال تعالى ولا يرضى
لعباده الكفر والارادة لا تستلزم الرضا وقد قال سبحانه انا كل شئ
خلقناه بقدر وفي الخبر كل شئ بقدر حتى العجز والكيس واجمع
السلف والخلف على صحة قول ما شاء الله كان وما لم يشا لم يكن ولانه
سبحانه اعظم من ان يقع في ملكه ما لا يشاء او يشاء ما لا يكون من الاشياء
وقد قيل قدر الخير والشر قبل خلق الخلق بخمسين الف سنة هذا ولو
كان العبد يخلق الشر والمخالفات وهي اكثر وقوعا من الطاعات لكان
اكثر ما يجري في الوجود على خلاف مراد المعبود وذلك امر لا يرضاه امير
بلدة ولا زعيم قرية وقال الغزالي كيف يكون الحيوان مستبدا بالاختراع
ويصدر من العنكبوت والنحل ونحوهما من لطائف الصناعات ما يتحير فيه
عقول ذوي الالباب فكيف هي انفردت باختراعها دون رب الارباب
وهي غير عالمة بتفصيل ما يصدر منها من الاكتساب هيهات هيهات
دلت المخلوقات على خالق المصنوعات انتهى فالايمان بالقدر هو
التصديق بان ما قدره الله في ازله لا بد من وقوعه وما لم يقدره
مستحيل وقوعه فكل حادث في العالم فعله وخلقه واختراعه
لا خالق سواه ولا محدث الا اياه خلق الخلق وصنعتهم واوجد قدرتهم
وحركتهم قال تعالى خالق كل شئ والله خلقكم وما تعملون
وما تشاؤن الا ان يشا الله وفي صحيح مسلم عن عمران بن حصين
مرفوعا قال كان الله ولم يكن قبله شئ وكتب في الذكر كل شئ ثم خلق الله
السموات والارض ثم ان الله خلق الخلق على ما علم منهم وعلى
ما قدره عليهم قال تعالى انا كل شئ خلقناه بقدر اي
بحسب ما قدرنا قبل ان نخلقه وعن انس مرفوعا من لم يرض بقضائي

فليطلب

فليطلب ربا سوائي ثم القضاء هو الحكم بنظام جميع الموجودات
على ترتيب خاص في ام الكتاب اولا ثم في اللوح المحفوظ ثانيا على
سبيل الاجمال واما القدر فهو تعلق الارادة بالاشياء في اوقاتها
وهو تفصيل قضائه السابق بايجادها في المواد الجزئية المسمى
بلوح المحو والاثبات كما سمي الكتاب بلوح القضاء واللوح المحفوظ
بلوح القدر في وجه هذا تحقيق كلام القاضي البيضاوي فذكر
القدر دون القضاء من باب الاكتفاء او لكون الايمان بالقدر مستلزما
للايمان بالقضاء ولعل الاوجه ان يقال انما اختار لفظ القدر لقوله
تعالى انا كل شئ خلقناه بقدر وقوله وكان امر الله قدرا مقدورا
وذكر الراغب ان القدر هو التقدير والقضاء هو التفصيل
فهو اخص وقد قال ابو عبيدة لعمر رضي الله عنهما حين اراد
ان لا يدخل الشام وقت الطاعون اتفر من القضاء فقال افر
من قضاء الله الى قدره اي القدر ما لم يكن قضاء فمرجو ان يدفعه
الله فاذا قضي فلا وقيل القدر التقدير والقضاء الخلق قال
الجزري في النهاية القضاء والقدر امران متلازمان لا ينفك احدهما
عن الاخر لان احدهما بمنزلة الاساس والاخر بمنزلة البناء وقال
بعضهم مثل هذا بان القدر ما اعد للبس والقضاء بمنزلة اللبس
ويؤيده ما ذكره الحكيم الترمذي انه كان في البدو علم ثم ذكر ثم مشية
ثم تدبير ثم تقدير ثم اثبات في اللوح ثم ارادة ثم قضاء فاذا قال
كن فكان على الهيئة التي علم فذكر ثم شاء فدبر ثم قدر ثم اثبت
ثم قضى فعلم منه انه ما من شئ حيث استقام في العلم الازلي
الى انه استقر في اللوح ثم استبان في عالم الوجود الا يتعلق به امور
من الله سبحانه وقال بعض العارفين ان القدر كتقدير
النقاش الصورة في ذهنه والقضاء كرسمه تلك الصورة
للتلميذ بالاسرب ووضع التلميذ الصبغ عليها متبعا الرسم

الكساد هو الكسب والاختيار الجزئي وهو في اختياره لا يخرج عن ركة
الكساد كذلك العبد في اختياره لا يمكنه الخروج عن القضاء والقدر
لكنه متردد بينهما فتدبر لتعلم ان كل نعمة منه فضل وكل نقمة منه
عدل لا يسال عما يفعل وهم يسالون وهو اعلم باحوال خلقه منهم
قال تعالى هو اعلم بكم اذ انشاكم من الارض واذ انتم اجنة في
بطون امهاتكم وقال عز وجل هو الذي خلقكم فمنكم كافر ومنكم
مومن اذ لا يكفر احد بخلقه لقوله تعالى ولئن سالتهم من
خلق السموات والارض ليقولن الله فالمعنى فمنكم من هو كافر
في علمه ومنكم من هو مومن في علمه كما في حديث خلقت هؤلاء للجنة
ولا ابالي وخلقت هولاء للنار ولا ابالي ومن ثم قال بعض العلماء
يجب السكوت عن كيف في صفاته وعن لم في افعاله ثم اعلم ان
الايمان بالقدر على قسمين احدهما الايمان بانه تعالى علمه بفعل
عبيده من خير وشر وما يجازون عليه وانه كتب ذلك عنده وامضاه
وان اعمال العباد تجري على ما سبق في علمه وكتابه وثانيهما انه تعالى
خلق افعال عباده كلها من خير وشر ونفع وضر وايمان وكفر وطاعة
ومعصية وهذا القسم ينكره القدرية والاول لا ينكره منهم الا
قليلون وكفرهم بانكاره كثيرون ومحل الخلاف حيث لم ينكروا العلم
القديم والا كفروا كما نص عليه الشافعي واحمد وغيرهما ثم الخير
ما يصلح به حال الرجل او ما يرغب فيه الكل والشر بخلافه وكل منهما
اما مطلق لم يزل مرغوبا فيه كالعلم او عنه كالجهل او مقيد يكون
بالنسبة الى احد خيرا والى اخر شرا كالمال وكما ان الخير ضربان اخروية
وهي النجاة عن العقوبة ودخول الجنة ثم مشاهدة الجمال
الاحدية ومطالعة الجلال الصمدية ودنيوية وهي اربعة نفسانية
وهي الايمان والعرفان وحسن الخلق والحكمة والعفة والشجاعة
والعدالة وجسمانية وهي الصحة وحسن الصورة وطول العمر

والعبادة

والعبادة وخارجية وهي المال والجاه والاهل والنسب كذلك الشر على
هذه الرتبة ثم اعلم ان الايمان بالقدر يستلزم العلم بتوحيد ذات
الحق لان اتيان المقدورات واحكامها المختلفة على ما هو في ازمنة
وامكنة مخصوصة يدل على توحد الحكم بتقديرها المقتضي لتوحد
المقدر لها ويستلزم ايضا العلم بصفاته كسعة علمه ورحمته
على العالمين واثار قدرته وانوار حكمته للمخلوقين ونفوذ قضائه
فيهم مطيعين او مكرهين والعلم بكمال صنيعه وافعال العلية
وان الحوادث مستندة الى الاسباب الالهية فيعلم اذا الحذر لا يقطع
القدر وقال بعض العارفين ان الله قدر وجود الكائنات
بمظاهر تجلي الاسماء والصفات فلكل ذرة من الذرات لسان
ملكوتي ناطق بالتسبيح والتحميد والتهليل والتمجيد تنزيها لله
وحمدا له على ما من مظهريتها للصفات الجمالية والنعوت الجلالية
فالاشياء كلها مقادير لاسماء الله وصفاته دون ذاته فانه لا يسعها
الا قلب المومن المنور بتجلياته ففي الكلام الانسي والحديث القدسي
لا يسعني ارضي ولا سمائي ولكن يسعني قلب عبدي المومن
ولذا قيل القلب عرش الرب وقال ابو يزيد قدس سره
لو وقع العالم الف الف مرة في زاوية من زوايا قلب العارف ما
احس ولعل من هنا قيل ان الانسان هو العالم الاكبر فتدبر
ولا ينظر بعين الحقارة الى الاكبر والاصغر وقد كتب الحسن
البصري الى الحسن بن علي رضي الله عنهما يساله عن القضاء والقدر
فكتب اليه الحسن بن علي من لم يومن بقضاء الله وقدره وخيره
وشره فقد كفر نسال الله العافية ومن حمل ذنبه على ربه فقد
فجر وان الله تعالى لا يطاع استكراها ولا يعصى بغلبة لانه تعالى مالك
لما ملكهم والقادر على ما قدرهم عليه فان عملوا بالطاعة لم يحل
بينهم وبين ما عملوا وان عملوا بالمعصية فلو شاء يحال بينهم

حقها

الولله حج بكذا في نسخة الجم

ومن ما عملوا فان لم يفعل فليس هو الذي جبرهم على ذلك ولو جبر الله تعالى
الخلق على الطاعة لاسقط عنهم الثواب ولو اجبرهم على المعصية لاسقط
عنهم العقاب ولو اهملهم كان ذلك عجزا في القدرة ولكن له فيهم المشيئة
التي غيبها عنهم فان عملوا بالطاعة فله المنة عليهم وان عملوا
بالمعصية فله الحجة والسلام عليهم قال صدقت قيل يوخذ
من هذا الحديث تكفير القدرية بانكار القدر لانه جعل الايمان به
من جملة اركان الدين التي يكفر منكر واحد منها ويشهد له تبريه
ابن عمر منهم وخبر القدرية مجوس هذه الامة والاشبه عدم كفرهم
لتعارض شبه عندهم فلهم نوع عذر انتهى والمختار الذي عليه
جمهور المتكلمين والفقهاء من اتباع المجتهدين انه لا يكفر احد من
المخالفين الا بانكار ما كان من ضروريات الدين كفناء العالم وحشر
الاجساد في المعاد وعلمه تعالى بالجزئيات والكليات بخلاف ما
اذا لم يكن من ضرورياته كقول المعتزلة ان الشر غير مراد له سبحانه
وان القران مخلوق وامثاله الا اذا اريد بالمخلوق المختلق فان قائله حينئذ
يكفر بلا خلاف وذلك التفصيل لان الجهل به تعالى من بعض الوجوه
ليس بكفر هذا واعلم ان الايمان لا يشترط فيه الاستدلال
والبرهان بل يكفي اعتقاد جازم في ذلك العرفان اذ المختار الذي
عليه السلف والائمة الاربعة واتباعهم من الخلف صحة ايمان
المقلد واما نقل المنع الصحة عن الاشعري امام السنة فكذب
عليه كما قاله الاستاذ ابو القاسم القشيري وايضا لما فتح
الصحابة رضي الله عنهم اكثر العجم قبلوا ايمان عوامهم كاجلاف
العرب في اقوامهم وان كان بعضهم تحت السيف او اسلم تبعا
لغيره ولم يامروا احدا اسلم ترديد نظره ولم يسالوه عن دليل تصديقه
واما خلاف الباقلاني والاسفرايني وابي المعالي فمبني على
المتابعة لما ابتدعه المعتزلة ومن الهذيان انه يشترط لصحة الايمان

مالم

مالم يعرف هؤلاء الاعيان وهم افهم من فهموا عن الله واخذوا عن
رسوله واتبعوا سنته وطريقته وبلغوا اثر بعثته واما البراهين
التي حررها المتكلمون ورتبها الجدليون فانما احدثه المتاخرون
ولم يحضر في شيء منها السلف الصالحون ومن ثم اختار الغزالي و
غيره ان الذين لا اهلية فيهم لفهمها انهم لا يخوضون فيها اي يحرم ذلك
عليهم مخافة ان يقعوا في شبهه لا يمكن ازالتها عنهم ولذا قال
الشافعي لان القى الله بجميع المعاصي ما عدا الكفر اهون على من ان
القاه بشيء من علم الكلام وهذا مع انه يقل ان يرى مقلد في الايمان
بالله سبحانه لانا نجد كلام العوام محشوا بالاستدلال في مقام المرام
واما ما نقل بعضهم من ان الاجماع على تاثيم المقلد بترك الاستدلال
فمحمول على الاستدلال بالايات المنصوبة في الافاق والانفس واختلاف
الاحوال التي هي ظاهرة عند ارباب الكمال بل واضحة عند الكفار والجهال
اما ترى قوله تعالى ولئن سالتهم من خلق السموات والارض
ليقولن الله وقالت رسلهم افي الله شك فاطر السموات والارض
ثم اعلم ان جمعا من الحنفية ذهبوا الى ان الايمان غير مخلوق
وبالغ جمع منهم فكفر من قال بخلقه ولعله مبني على ان التصديق
لم يحصل الا بالتوفيق او بما اثبت الله في مقام التحقيق كما قال
تعالى اولئك كتب في قلوبهم الايمان وانما ينسب الى العبد
اسنادا مجازيا حيث دخل تحت كسبه مما يسمى اختيارا جزئيا
فيكون نظير قوله تعالى وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى
فالايمان من حيث انه فعل الله غير مخلوق بل هو فضل وهبي
ومن حيث انه دخل تحت اكتساب قلب العبد فهو امر كسبي
وهذا قريب من اصطلاحات الصوفية في مقام الجمع والتفرقة
وهذا القول ما انفرد به ابو حنيفة من السلف الصالحين
بل نقله الاشعري عن احمد وجماعة من المحدثين ومال اليه لكن

وَتَّجهه بان المراد بالايمان حينئذ ما دل عليه وصفه تعالى بالمومن
فان ايمانه هو تصديقه في الازل بكلامه القديم بوجوده ووحدانيته
وليس تصديقه هذا محدثا ولا مخلوقا تعالى ان يقوم به حادث بخلاف
تصديقه لرسله باظهار المعجزة فانه من صفات الافعال وهي حادثة
عند الاشاعرة قديمة عند الماتريدية انتهى ولا يخفى بعدهم عن قصد
هذا المعنى لان ما دل عليه وصفه تعالى بالمومن فهو غير مخلوق
قطعا [illegible] الايمان باق حكما شرعا مع النوم والغفلة
والاغماء والجنون وغلبة الحال ونظير ذلك بقاء حكم النكاح
ونحوه من العقود في هذه الاحوال هذا وقد منع جماعة من العلماء
الاعلام ومنهم ابو حنيفة واصحابه الكرام ان لا يقول احد انا
مومن ان شاء الله واجازه كثيرون قال السبكي وهم اكثر
السلف من الصحابة والتابعين ومن بعدهم من الشافعية
والمالكية والحنابلة ومن المتكلمين الاشاعرة وهو قول سفيان
الثوري وقال النووي في شرح مسلم عن اكثر اصحابنا المتكلمين
ان لا يقول انا مومن مقتصرا عليه بل يضم اليه ان شاء الله وعن الاوزاعي
وغيره التخيير وهو حسن اذ من اطلق نظر الى انه جازم في الحال
ومن قال ان شاء الله اما للتبرك او للجهل بخاتمة الاعمال قال
ابن حجر ووجه جوازه انه ليس القصد بالاستثناء فيه الا التبرك اتباعا
لقوله تعالى ولا تقولن لشيء اني فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله فانه
يعم طلب الاستثناء حتى في قطعي الوصول وقد صرح به فيه نحو
لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله مع ان خبره تعالى قطعي
التصديق تعليما للعباد في صرف المامور بها الى المشيئة انتهى
ولا يخفى انه خلط بين الاستثناء بالتعليق المستفاد من الاية الاولى
عند قصد فعله او وعده بقوله في زمن الاستقبال وهو مما لا يخالف
فيه احد من ارباب الكمال وبين الاستثنا للتبرك الذي يقال في قطعي الحصول

كما

كما في الاية الثانية ايماء بانه لا يجب عليه شيء من الافعال وانما الكلام
في ما يكون ذا وجهين متحقق في الحال وقابل للزوال في الاستقبال وان
الاولى ماذا من الاقوال والظاهر انه لا يستثني لكون الجواب على
طبق السوال اذ السائل ما قصد بسواله الا اتصافه بالايمان في
زمان الحال اذ من المعلوم ان احدا لم يطلع على المال وكذا لا يحسن الاستثناء
عرفا في قطعي الوقوع اصلا لانه اذا سئل انت مكي او مدني او جائع او
عاطش او شاب او طويل لا يقال ان شاء الله وكذا اذا سئل ان
الرب واحد او محمد نبي فلا يقال نعم ان شاء الله لانه يحصل التردد
في تصديقه والشك في تحقيقه ولذا قيل في توجيه منعه ان تركه
ابعد عن التهمة بعد الجزم في الحال وبتقدير انه قصد غير التعليق
فربما اعتادت نفسه التردد في الايمان لكثرة اشعار النفس بواسطة
الاستثناء بترددها في ثبوت الايمان واستمراره انتهى واجاب عنه ابن حجر
بما لا طائل تحته فتدبر ولعل ما صدر من الاستثناء عن بعض السلف
مبني على كثرة خوفه ان لا يكون داخلا في المنافقين حيث قال تعالى ومن
الناس من يقول امنا بالله وباليوم الاخر وما هم بمومنين ومن ثم قال
البخاري عن ابن ابي مليكة ادركت ثلاثين صحابيا كلهم يخاف النفاق على
نفسه ما منهم من احد يقول ان ايمانه على ايمان جبريل وميكائيل
لان ايمانهما مقطوع بهما لعصمتهما واما غير المعصوم فهو
غير جازم الا بحسب الظاهر لان تحقق السابقة واللاحقة
غير معلوم الا عند المطلع على السرائر ولذا لما سئل ابو يزيد
لحيتك احسن او ذنب الكلب فقال ان مت على الايمان
فهي احسن منه والا فذنب الحيوان خير منها وعند الشافعية
خلاف غريب في الكافر فقال بعضهم يقال هو كافر ولا يقال ان
شاء الله ومنهم من يقول هو كافر ان شاء الله فاخبرني
عن الاحسان اي في الايقان باعمال الاركان او المراد به

تيان

ايقان الاسلام والايمان او الاخلاص فانه غاية الاحسان حيث
قيل الاخلاص تصفية العمل من طلب عوض وكسب غرض وتخليصه
من رياء وسمعة ولو طرا وعرض وابعد ابن حجر حيث قال ال في
للعهد الذهني المذكور في الايات الكثيرة من القران نحو للذين احسنوا
الحسنى وهل جزاء الاحسان الا الاحسان انتهى ولا يخفى ان المراد
بالحديث المعنى الاخص من افراد الاحسان كما لا يخفى على ارباب
العرفان وكما سياتي في جواب جبرئيل ما يكون شافيا كافيا في
ميدان البيان والاولى انه اراد به مقام المشاهدة او المراقبة
على التنزل في الامكان قال ان تعبد الله كانك تراه يعني في
غاية الخضوع ونهاية الخشوع كما يقتضيه مقام الادب
عند شهود الرب والمعنى حال كونك مشبها بمن ينظر الى الله
ولم يلتفت الى ما سواه فيكونه فانيا عن نفسه باقيا ببقاء مولاه
وهذا من جوامع الكلم فان العبد اذا قام بين يدي سيده معاينا
له وفي حضرته لم يترك شيئا من تحسين عمله في خدمته مما قدر عليه
في حالته وهذا المعنى موجود في عبادة العبد مع عدم رؤية الله
فينبغي ان يعمل بمقتضاه فان لم تكن تراه اى مثل الرؤية المنورة
فانه يراك اى تكن بحيث انه يراك او فلا تغفل في العمل فانه
يراك ففيه الحث على الاخلاص في الاعمال ومراقبة العبد
ربه في جميع الاحوال قال القشيري ولم يتم المراقبة الا بعد تحقق
المحاسبة وقال بعض العارفين الاول اشارة الى مقام
المكاشفة ومعناه اخلاص العبودية عن رؤية الغير المعبر
عنها بالاثنينية بنعت ادراك القلب عيان جمال ذات الرب
والثاني الى مقام المراقبة في الاجلال وحصول الحياء من المعلم
باطلاع ذي الجلال وهاتان الحالتان من ثمرة معرفة الله
وخشيته ولذا جاء في خبر ان يخشى الله كانك تراه فعبر

بالخشية

بالخشية عن العمل مجازا عن المسبب باسم السبب اذ حالة الخشية اعم
من حالة العبادة فينبغي ان يكون السالك دائما على ذلك المنوال
فانه مقام الكمال ولا يبعد ان يقال معنى تعبد الله يكون عبدا له
في جميع الاحوال بوصف الخشية في الحال والمآل لتنال حسن المقال المنال
وقد سئل ابن عطاء ما افضل الطاعات فقال مراقبة الله
على دوام الاوقات والحاصل ان الخلق يراقبون ظاهرك والله
رقيب باطنك هذا وليس معناه فان لم تكن تعبد الله كانك
تراه فاعبده كانه يراك فانه خطا بين لا يخفى على ذوي الادراك
واما ما توهمه بعض الصوفية من ان المعنى فان لم تكن بان
تكون فانيا تراه باقيا فلا يساعده اثبات الالف في تراه مع عدم
ملايمته بما بعده من قوله فانه يراك وانما لم يقل صدقت ههنا
لان الاحسان هو الاخلاص وهو سر من اسرار الله تعالى لا يطلع
عليه ملك مقرب ولا نبي مرسل كما جاء في الحديث المسلسل
الرباني الاخلاص سر من اسراري استودعته قلب من احببت
من عبادي كذا قيل وفيه بحث ظاهر فالاولى ان يقال انه سقط
من بعض الرواة نسيانا او اختصارا لانه في بعض الروايات صحيح
مسلم وشرح السنة مسطور واما ما وقع في شرح ابن حجر
هنا من قوله قال صدقت فلا يوجد في اصل من الاصول المعتمدة ولا
في نسخة من الشروح المعتبرة نعم رواه الترمذي في جامعه وفيه
صدقت في المواضع الثلاثة وقيل النكتة في تركه على الاصح من
الرواية انه لما صدقه في البعض علموا تصديقه له في الباقي
واما ما قيل من ان في الحديث دلالة على ان رؤيته تعالى
في الدنيا ممكنة فمردود عليه فان كاف التشبيه في المبنى يمنع
عن ارادة هذا المعنى واما تقرير ابن حجر قوله وتقييده
بقوله وامكانها في الدنيا عقلا هو الحق ففيه انه ليس الكلام

في الامكان العقلي والحديث الذي هو المعتمد في الدليل النقلي
يشير الى انه لايمكن في الدنيا بل انه مختص تحققه بالعقبى نعم
جزاء هذا الاحسان الذي هو المشاهدة والمراقبة ليس الا الاحسان
في الجنة بالروية والزلفة كما يشير اليه قوله تعالى هل جزاء الاحسان
الا الاحسان قال فاخبرني عن الساعة اي عن قيام الساعة
كما صرح به في رواية مسلم اي وقت وقوع القيمة وهي جزء من اجزاء
الازمنة عبر بها عنها وان طال زمنها اعتبارا باول احوالها فانها
تقع بغتة اولسرعة حسابها او على العكس لطولها وهذا باختلاف
احوال اهلها اولانها عند الحق كساعة عند الخلق وليس المراد بها
الساعة المتعارفة عند اهل الهيئة وهي جزء من اربعة وعشرين
جزءا من اجزاء الليل والنهار ثم انها كما تطلق على القيمة وهي
الساعة الكبرى فتطلق على موت اهل القرن الواحد من المدن والقرى
ويسمى الساعة الوسطى كما في قوله صلى الله عليه وسلم حين سالوه
عن الساعة فاشار الى اصغرهم ان يعش هذا لايدركه الهرم
حتى تقوم عليكم ساعتكم اذ المراد به انقضاء عصرهم ولذا اضاف
اليهم وعلى موت كل واحد وهي الساعة الصغرى ومنه حديث
من مات فقد قامت قيامته ثم الساعة الكبرى قد يراد بها القيمة
كما هنا وهي بالنفخة الثانية وقد يراد بها النفخة الاولى فانها
ايضا يقع بغتة في ساعة واحدة حتى من تناول لقمة لايقدر على بلعها
وهو المراد بقوله تعالى فهل ينظرون الا الساعة ان تاتيهم بغتة
فقد جاء اشراطها قال ما المسئول عنها اي عن وقتها والعائد
الى اللام هو المستتر فيه اذ يقال سالت المسالة عن زيد وسالت
عنها زيدا اي ليس الذي سئل عن الساعة باعلم من السائل اى
عنها نفى ان يكون صالحا لان يسال عنه في امر الساعة لانها من
مفاتيح الغيب لايعلمها الا هو على سبيل الكناية لما عرف ان المسئول
عن

عنه يجب ان يكون اعلم من السائل فلا يقال لا يلزم من نفى الاعلميه
نفى اصل العلم عنها مع انهما متساويان في عدم العلم بها وسياق
الكلام يقتضي ان يقول لست اعلم بعلم الساعة منك لكنه عدل
عنه ليفيد العموم لان المعنى كل سائل ومسئول متساويان في هذا
الامر المجهول هذا خلاصة ما حققه الطيبي فان قلت فلم سال
جبرئيل عنها مع علمه بان غيره تعالى لا يعلمها فالجواب انه
لتنبيههم بذلك على انه ليس له الجواب عما لا علم له به في هذا الباب
وعلى عدم الاستنكاف من قول لا ادرى الذي هو نصف العلم كما
نبههم بما له الجواب عنه مما قد سلف له بحسن السوال الذى
هو نصف العلم فتم العلم على الوجه الاحكم والله اعلم وقد روى
عن علي كرم الله وجهه وابردها على كبدى اذا سئلت عما لا اعلم
ان اقول لا اعلم وقال بعض السلف اذا اخطا العالم لا ادرى فقد اصيبت مقاتله وقد قالت الملائكة لا علم لنا الا
ما علمتنا ويقول الرسل لا علم لنا وسئل النبي صلى الله
عليه وسلم اي بقاع الارض افضل فقال لا ادري حتى اسال جبرئيل
فساله فقال لا ادرى حتى اساله الله ثم ذهب فاتاه جبرئيل
فقال ان الله عز وجل يخبرك ان خير بقاع الارض المساجد وشر
بقاعها الاسواق رواه البزار وسال النبي صلى الله عليه وسلم
جبرئيل عليه السلام عن معنى قوله تعالى خذ العفو وامر بالعرف واعرض
عن الجاهلين فقال لا ادري ثم ذهب فجاءه فقال ان الله
يامرك ان تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتعفو عمن ظلمك
وسئل مالك عن اربعين مسالة فاجاب في اربعة وقال في ست وثلاثين
لا ادرى قال فاخبرني عن امارتها بفتح الهمزة اي علاماتها
وفي نسخة عن اماراتها فافردها واراد جنسها اى علاماتها
الدالة على اقترابها قال ان تلد الامة ربتها اي سيدتها وسيدها

فقال (margin)
بدل مقالته (margin)
ويقال اماراتها بلا هاء ... لكن الرواية بالهاء قاله المصحح (margin)

والتانيث باعتبار النفس فيشمل بنتها وابنها وفي رواية ربها اي
سيدها وفي اخرى بعلها بمعنى ربها ومنه قوله تعالى اتدعون
بعلا والتذكير باعتبار الشخص فيشمل جنس ولدها ولذا قيل
والمعنى مالكها ومولاها لاجل انها سبب عتقها او مولاها
بعد سيدها وعدم تانيثها لاجل الادب مع الله سبحانه وهذا
اشارة الى قوة الاسلام والمسلمين واستيلائهم على الكفرة
والمشركين فتكثر السراري حتى تلد السرية بنت سيدها
وهي في حكم سيدها وهي من علامات القيمة لان بلوغ الغاية منذر
بالانحطاط المؤذن بقيام الساعة وقيل اشارة الى كثرة بيع
السراري لفساد الزمان وفسق اهلها حتى يستعبد المرء امه
جاهلا بحالها وقيل عبارة عن كثرة العقوق واضاعة الحقوق
فيعامل الولد امه معاملة السيد امته من المهنة والمهانة و
يلايمه رواية ان تلد المرءة وخبر لا تقوم الساعة حتى يكون الولد غيظا
والمال فيضا وكناية عن كثرة بيع السراري حتى تزوج الانسان
امه وهو لا يدري ويناسبه رواية بعلها بمعنى زوجها والتحقيق
ما ذكره الطيبي من انه اشارة الى ان الاعزة تصير اذلة لان الام
مربية للولد ومدبرة لامره فاذا صار الولد ربا سيما اذا كان
بنتا ينقلب الامر كما ان القرينة الاتية تدل على عكس
هذه القضية وهي ان الاذلة ينقلبون اعزة فيتلائم المعطوفان
انتهى ويؤيده ما ورد من انه اذا ضيعت الامانة ووسد
الامر الى غير اهله فانتظر الساعة قال المؤلف قوله ربتها
اي سيدتها ومعناه ان يكثر السراري حتى تلد الامة السرية
بنتا لسيدها وبنت السيد في معنى السيد وقيل يكثر
بيع السراري حتى يشتري المراة امها ويستعبدها جاهلة
بانها امها وقيل غير ذلك وقد اوضحته في شرح مسلم

بدلائل

بدلائله وجميع طرقه وان ترى اي تبصر او تعلم خطاب عام ليدل
على بلوغ الخطب مبلغا لا يختص به روية راء دون غيره الحفاة
بضم الحاء جمع حاف وهو من لا نعل في رجله العراة بضم اوله
جمع عار وهو من لا شيء على جسده كذا ذكره ابن حجر والظاهر
ان المراد بهم العراة العرفية وهم الذين ليس لهم ما عدا ستر العورة
العالة بتخفيف اللام اي الفقراء واصله عولة بفتحتين جمع عائل
من عال افتقر ومنه قوله تعالى ووجدك عائلا فاغنى قال المص قوله
العالة اي الفقراء ومعناه ان اسافل الناس يصيرون اهل ثروة
ظاهرة رعاء الشاء بكسر الراء وبالالف الممدود جمع راع والشاء
اسم جنس للشاة والمعنى حفاظ الغنم وفي رواية لمسلم رعاء
البهم بضم الموحدة جمع بهمة بفتحها صغار الضان والمعز وفيه
غاية التحقير لحالهم وفي اخرى للبخاري رعاء الابل البهم بضم
اولجمع بهيم بمعنى الاسود الصرف على انه نعت للمضاف
او المضاف اليه فان قيل القضية متحدة لا متعددة
فكيف الجمع بين الروايات المختلفة فالجواب انه صلى الله عليه
وسلم جمع بينها فنقل كل راو ما ثبت عنده حفظها او حدث الاختلاف
بسبب نقل المعنى عند نسيان المبنى او بتداخل الروايات في المسندات
يتطاولون في البنيان يتفاضلون في رفعه ويتفاخرون في حسنه
وهو مفعول ثان ان جعلت الروية فعل البصيرة او حال ان جعلتها
فعل الباصرة والمعنى ان اهل البادية واشباههم من اهل الفاقة
تبسط لهم الدنيا فيتوطنون البلاد ويبنون القصور المرتفعة ويتباهون
العباد فهو اشارة الى تغلب الارذال وتذلل ارباب الكمال وتولي الرياسة
من لا يستحقها وتعاطي السياسة من لا يحسنها ومن ثم صح من اشراط
الساعة ان توضع الاخيار وترفع الاشرار وصح ايضا في الاخبار
لا تقوم الساعة حتى يكون اسعد الناس بالدنيا لكع بن لكع اي

لانك الذي أمرته به وروي عنه انه قال قتلني الذي امر بادخال السلاح
الحرم ولم يكن يدخل به فاوصى ان يدفن في الحل فلم تنفذ هذه الوصية
فدفن بذى طوى في مقبرة المهاجرين وقيل بفخ قال سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول جملة حالية بني الاسلام اى أسس الانقياد
للشريعة والاستسلام للحقيقة على خمس اى خمس قوائم او دعائم
وصرح به عبد الرزاق في روايته او خصال او قواعد وفي بعض الروايات
على خمسة بالتاء وهي رواية لمسلم اى اركان او اشياء او اصول ويقال انما
حذف التاء لان اسماء العدد انما يكون تذكيرها بالتاء وتانيثها بسقوط
التاء اذا كان المميز مذكورا اما اذا لم يذكر فيجوز فيها الامران كما صرح
به النحاة في قوله تعالى يتربصن بانفسهن اربعة اشهر وعشرا اي عشرة
ايام وكحديث من صام رمضان واتبعه ستا من شوال كان كمن صام
الدهر كله ففي هذا الحديث يجوز من جهة النحو وجود التاء وعدمها
شهادة ان لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله بجر الشهادة
مع ما بعدها على انه عطف بيان او بدل الكل من الكل وهو الاحسن
وقال الكازروني هو الرواية ويجوز رفعه بتقدير مبتدا اى احدها
او بحذف خبر اى منها وهذا اولى لان المختار عند تعارض حذف
المبتدا والخبر عند النحاة حذف الخبر قال الكافيجي ويجوز
النصب بتقدير اعني قال الحسن رضي الله عنه في مجمع
شهود جنازة للفرزدق ما اعددت لهذا المقام فقال
شهادة ان لا اله الا الله منذ كذا سنة فقال الحسن هذا
العمود فاين الاطناب فهو تمثيل شبه الاسلام بخيمة عمودها
كلمة التوحيد واطنابها الاعمال الصالحة وفي رواية للبخاري
تعليقا ايمان بالله ورسوله وهي اظهر في العمودية اللهم الا
ان يقال المراد بالاسلام هو الايمان وبالخمسة اركان الاسلام
فيكون تشبيها للمعقول بالمحسوس لانه اوقع في النفوس

فشبه

فشبه بحالة خباء اقيمت على خمسة اعمدة وقطبها الذي يدور عليه
بالاركان هو الشهادة وبقية مشعبة بمنزلة الاوتاد فيكون الايمان
مغايرا للاركان كمغايرة الخباء للعمود والاوتاد واقام الصلوة
اصله اقوام فحذف الواو لنقل حركتها الى ما قبلها وقلبها واجتماع
الساكنين عندها وعوض التاء عنها وتركت تخفيفا عند المضاف اليه
ليقامه مقامها واما ما قيل من انه مصدر فغير صحيح وكذا ما ذكره
ابن حجر من ان حذفها للازدواج خارج عن المنهاج وايتاء الزكوة
اي اعطائها مستحقيها وتمليكها اياهم وحج البيت بفتح الحاء
وكسرها لغتان مصدران وصوم رمضان هكذا رتبت العبادات
كما في سائر الروايات وفي رواية بتقديم الصوم على الحج وهو محمول على ان
ابن عمر رضي الله عنهما سمع الحديث مرتين فرواهما في وقتين وروى
بعض الرواة بالمعنى اذ الواو لمجرد الجمع في المبنى والا فرمضان فرض في
شعبان في السنة الثانية من الهجرة والحج سنة ست او تسع بالمثناة
فوق والظاهر ان المراد بهن جميع ما تعبد الناس في ابدانهم واموالهم
لان العبادة اما بدنية محضة كالصلوة او مالية محضة كالزكوة
او مركبة منهما كالحج او كالاخيرين لدخول التكفير بالمال فيهما
واما عدم ذكر الجهاد لانه غالبا فرض كفاية على العباد بل ذهب
جماعة كثيرة الى ان فرض الجهاد قد سقط بعد فتح مكة المشرفة
على ما صرح به القرطبي وذكر انه مذهب ابن عمر والثوري وابن سيرين
الا ان نزول العدو بقوم من العباد او يأمرهم الامام بالجهاد والله اعلم
ثم اعلم ان هذا تعريف الاسلام الكامل عند اهل السنة والجماعة
فمن تركها ولو كلها ما عدا الشهادة على خلاف مر فيها فهو فاسق
على ما ثبت عند الجمهور من الجمع بين ادلة الكتاب والسنة وخالف
احمد واخرون فاخذوا بظاهر خبر مسلم بين الرجل وبين الشرك
والكفر ترك الصلوة وحديث من ترك صلوة متعمدا فقد كفر

فكفروا تاركها مطلقا اي سواء استحل تركها او انكر فرضيتها ام لا وبالغ
اسحق فقال عليه اجماع اهل العلم وقال غيره عليه جمهور اهل الحديث
واجرت طائفة ذلك في الاركان الثلاثة ايضا وهو رواية عن احمد
اختارها طائفة من اصحابه وبعض المالكية ثم اعلم ان لكل من
تلك الاركان احكاما ظاهرية تتبين تفاصيلها في الكتب الفقهية
ولها انوار وحقائق واسرار ودقائق ذكرها ارباب القلوب من
الطائفة الصوفية اما التوحيد فسيجي بعض بيانه في محله اللائق بشانه
واما الصلوة فقد قيل كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم
معراجان في عالم الحس وهو من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى ثم
الى عالم الملكوت ومقام دنا فتدلى فكان قاب قوسين او ادنى
ومعراج في عالم الارواح والاسرار من الشهادة الى الغيب ومن
الغيب الى غيب الغيب وهكذا الى ان ينتهي الى نور الانوار وروح
الاسرار فلما اراد صلى الله عليه وسلم ان يرجع الى هذا العالم
قال الرب تعالى المسافر اذا عاد الى وطنه اتحف اصحابه
وان تحفة امتك الصلوة الجامعة بين المعراجين الجسماني
بالافعال والروحاني بالاذكار ولهذا ورد الصلوة معراج المؤمن
فالاركان السبعة وهي القيامان والركوعان والسجودان والقومة
بين الركوع والسجدة على مثال طباق السبع والقعود للتشهد مطلع
شمس الشهود ومنتهى سر الوجود فاذا وصل الى ذلك المقام وانتهى
الى عتبة الجلال الملك العلام يقول التحيات لله باللسان والصلوات
بالاركان والطيبات بقوة الايمان فعند ذلك تتلقى روحه بروح
محمد صلى الله عليه وسلم فيقول السلام عليك ايها النبي ورحمة الله و
بركاته فيجيبه بقوله على لسانه اظهار العلو شانه السلام
علينا وعلى عباد الله الصالحين فكانه قيل له في تلك الحالة
بم نلت هذه المقامة فقال اشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له

واشهد ان محمدا عبده ورسوله ثم اتحف محمدا بالصلوة عليه ثم دعا
الله وتضرع اليه ثم سلم على الملائكة الكرام ومن حضره من الخواص
والعوام واما الصوم ففي الطريقة هو الامساك عما حرم الله
على عبده والافطار بما اباح له في حكمة وفي الحقيقة هو الامساك
عن الاكوان والافطار بمشاهدة الرحمن واما الزكوة فهي
اشارة الى تزكية احوال الظاهرة والباطن بترك الاقوال وصرفها
الى اسباب الوصال وتخلية القلب عن الاغيار وتجلية الخاطر لظهور
تجليات الانوار واما الحج فهو الاحرام بالخروج عن الرسوم والعادات
والتجرد عن المالوفات والتوجه الى الله بصفاء الطويات والوقوف
بعرفات المعرفة والعكوف على عتبة جبل الرحمة والتقرب في المزدلفة
الى مقام الزلفة ورمي ما بين يديك من السوى في وصول المنى
وقطع تعلق الخلق بالقصر او الحلق ليحصل محو الاثار النفسية بمحو
الانوار القدسية ثم الطواف بالخروج عن الاطوار السبعية بالاشواط
السبعية حول كعبة الربوبية والسعي بين صفاء الصفات ومروة الذات
وقس عليه سائر المناسك ولله در القائل يا من الى وجهه حجي ومعتمري
ان حج قوم الى ترب واحجار لبيك من قرب ومن بعد سوا بسر واضمار باظهار لبيك
رواه البخاري اي في الايمان والتفسير رباعيا ومسلم في الايمان
والحج خماسيا وكذا رواه احمد والترمذي والنسائي

الحديث الرابع

عن ابي عبد الرحمن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه هذلي اسلم
قديما بمكة روي انه قال رايتني سادس ستة ما على وجه الارض مسلم غيرنا
هاجر الى الحبشة ثم الى المدينة وشهد بدرا والمشاهد كلها وشهد
بيعة الرضوان وصلى بالقبلتين وكان رسول الله يكرمه ويقربه
ولا يحجبه وكان ابن مسعود كثيرا يدخل عليه واذا قام يلبسه
نعليه واذا جلس ادخلهما في ذراعيه وكان يمشي معه وبين
يديه ويستره اذا اغتسل ويوقظه اذا نام وكان معروفا في

حتى ابتدائية فتكون على هذا بالرفع وهو مستقيم ايضا كذا ذكره
الشيخ ابن حجر العسقلاني في فتح الباري شرح البخاري وقال بعض
الشراح يكون في الموضعين بالرفع لا لان ما النافية كافة عن
العمل بل لان المعنى على حكاية حال الرجل لا الاخبار عن المستقبل
نحو مرض حتى لا يرجونه انتهى ولا يخفى ان وجه النصب اظهر وروايته
اشهر واغرب ابن حجر تبعا للفاكهاني حيث اقتصر على تعيين الرفع
وعلل بان ما الغت حتى وفيه ان ما النافية ما يلغى وان كان اعتبرها
كافة فلا يصح هنا لعدم صحة الاستثناء حينئذ بقوله بينه و
بينها الا ذراع اي قدره وهو مثل يضرب بمعنى المقاربة كحديث
من تقرب الي شبرا تقربت منه ذراعا وان تقرب الي ذراعا تقربت
اليه باعا فالمراد به التمثيل بالقرب من موته ودخوله عقيبه في
جنته فيسبق عليه الكتاب اورد الفاء ليدل على حصول
السبق بلا مهلة وعداه بعلى تضمينا المعنى يغلب اي فيغلب
عليه كتابة الشقاوة قبل النفخ عند الولادة المستند الى اللوح
الماخوذ من ام الكتاب وهو العلم الازلي المتعلق به في هذا الباب
والكتاب في المتن يحتمل ان تكون مصدرا وان تكون بمعنى المكتوب
فيعمل اي في تلك الحال بعمل اهل النار اي ويموت على ذلك
فيدخلها اي مع اهلها هنالك لان بذر الشقاوة والسعادة
قد اختفى في الاطوار الانسانية لا يبرز الا اذا انتهى الى الغاية
الطينانية او الايمانية وان احدكم ليعمل بعمل اهل النار حتى
ما تكون بينه وبينها الا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل
بعمل اهل الجنة اي بان يستغفر ويتوب منه فيدخلها
اذ الخاتمة نسخة السابقة وفي هذا الحديث اثبات القدر كما
هو مذهب اهل السنة خلافا للمعتزلة ومن تبعهم من اهل البدع
قال القاضي وغيره الاول نادر جدا بخلاف الاخير فانه كثير وجودا

ولعل

ولعله يخبر ان رحمتي سبقت غضبي وفي رواية يغلب غضبي فلله الحمد والمنة
ثم الحكمة في اخفاء القضية ان يعلم ان لا عبرة بالصورة بل بالاخلاص
وحسن السريرة وان لا يغتر بحسن الاعمال ولا يقنط من روح الله بقبح
الافعال ولا يحقر اهل الشقاوة في ظاهر الاحوال اذ الامر منوط بمطلق
القضاء في الازل وان يعلم ان ما يجري في العالم من الايمان والكفر
والطاعات والسيئات من الكليات والجزئيات بتقدير الله وايجاده في
عباده وفق مراده اذ لا موثر في الوجود الا الله الملك المعبود لا علة
لفعله ولا معقب لحكمه ثم القدر سر لم يطلع عليه ملك مقرب ولا نبي
مرسل فلا يجوز البحث عنه فانه تعالى لا يسال عما يفعل ولذا
قال علي كرم الله وجهه لمن ساله عن القدر هو طريق مظلم لا
تسلكه فاعاد السوال فقال بحر عميق لا تلجه فاعاد السوال
فقال سر خفي عليك فلا تفتشه ولله در من قال ع تبارك
من اجرى الامور بحكمه كما شاء لا ظلما اراد ولا هضما فما لك
شيء غير ما الله شاءه فان شئت طب نفسا وان شئت مت كظما
ثم في هذا الحديث الشريف ايماء للسالك الى مبداء احواله ومنتهى اماله
من غير اعتبار اعماله وفيه سر قول من عرف نفسه فقد عرف ربه ثم
منهم من نظر الى السابقة ومنهم من نظر الى الخاتمة اللاحقة والاول
اولى وفي المرتبة اعلى فان فيه ملاحظة فعل الحق مجردا عن الخلق فهو
انسب الى مقام التفريد وحال التوحيد بل هو مرتبة الجمع بخلاف
الاخير فانه يشير الى منزلة التفرقة رواه البخاري ومسلم وكذا
الاربعة وفي بعض روايات هذا الحديث وانما الاعمال بالخواتيم
وفي حديث الشقي من شقي في بطن امه والسعيد من سعد في
بطن امه وفي الصحيحين انه صلى الله عليه وسلم قال ما من نفس
منفوسة الا وقد كتب الله مكانها من الجنة او النار فقالوا
يارسول الله افلا نمكث على كتابنا وندع العمل فقال اعملوا فكل

يسّر لما خلق له اما اهل السعاده فييسّرون لعمل اهل السعادة
واما اهل الشقاوة فييسرون لعمل اهل الشقاوة ثم قرا
فاما من اعطى واتقى الايتين وفي رواية للبخاري انما الاعمال بخواتيمها
كالوعاء فانه اذا طاب اعلاه طاب اسفله واذا خبث اعلاه
خبث اسفله وفي رواية لمسلم ان الرجل ليعمل الزمان الطويل
بعمل اهل الجنة ثم يختم له عمله بعمل اهل النار وان الرجل ليعمل
الزمان الطويل بعمل اهل النار ثم يختم له عمله بعمل اهل الجنة
واخرج احمد والترمذي والنسائي عن ابن عمر قال خرج علينا
رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي يده كتابان فقال اتدرون
ما هذان الكتابان قلنا لا يا رسول الله الا ان تخبرنا فقال للذي
في يده اليمنى هذا كتاب من رب العالمين فيه اسماء اهل الجنة
وابائهم وقبائلهم ثم اجمل على اخرهم فلا يزاد فيهم ولا ينقص
منهم ابدا وقال للذي في شماله هذا كتاب من رب العالمين
فيه اسماء اهل النار وابائهم وقبائلهم ثم اجمل على اخرهم
فلا يزاد فيهم ولا ينقص منهم ابدا فقال اصحابه ففيم العمل
يا رسول الله ان كان امر قد فرغ منه فقال سددوا وقاربوا
فان صاحب الجنة يختم له بعمل اهل الجنة وان عمل اي عمل وان صاحب
النار يختم له بعمل اهل النار وان عمل اي عمل ثم قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم بيديه فنبذهما وقال فرغ ربكم من العباد
فريق في الجنة وفريق في السعير واخرج احمد والترمذي انه صلى الله
عليه وسلم كان يكثر ان يقول في دعائه يا مقلب القلوب ثبت قلبي على
دينك فقيل له يا رسول الله امنا بك وبما جئت به فهل تخاف
علينا قال نعم ان القلوب بين اصبعين من اصابع الرحمن
كقلب واحد يصرفه حيث يشاء ثم قال اللهم مصرف القلوب صرف
قلوبنا على طاعتك فلنختم الكلام على هذا الحديث العظيم بهذا الدعاء الكريم

الحديث الخامس

الحديث الخامس

عن ام المؤمنين كنية ازواج
سيد المرسلين لقوله تعالى وازواجه امهاتهم اي في حرمة النكاح
وباب التعظيم والتكريم دون نحو النظر والخلوة وسائر ما تتعلق
بالاجنبيات من التحريم ام عبد الله كناها صلى الله عليه وسلم بابن
اختها اسماء عبد الله بن الزبير او بسقط من رسول الله صلى الله
عليه وسلم سمي عبد الله وهو ضعيف كما ذكره في الاذكار عائشة
بكسر الهمزة لا بالتحتية كما تقوله العامة رضي الله عنها اسلمت
صغيرة وتزوجها صلى الله عليه وسلم وهي بنت ست سنين
بمكة قبل الهجرة بثلاث سنين ودخل بها في المدينة في شوال
منصرفه من بدر سنة اثنتين من الهجرة وهي بنت تسع وبقيت
معه تسعا وعاشت بعده اربعين سنة مروياتها الف ومائتا حديث
وعشرة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من احدث اي اتى
بامر حادث بان ابتدع من قبل نفسه واخترع من عند عقله في امرنا
شاننا او شرعنا او امرنا المهتم عندنا وفي رواية في ديننا هذا في ايراد
اسم الاشارة بدلا او صفة افادة التعظيم وايماء الى ظهور التفخيم
واشعارا بان امر الدين كمل وظهر ظهور المحسوس في مقام التكريم
ما ليس منه اي من اصوله او هي ما بينا فيه بحسب مبانيه او معانيه
وفي نسخة ما ليس فيه اي راي باطل ليس فيه مستند من الكتاب
او السنة او اجماع الامة سواء كان فعلا او قولا او حالا فهو رد
بضم الراء وسكون اي فذلك المحدث مردود عن جنابنا ومطرود
عن بابنا فان الدين اتباع اثار الايات والاخبار واستنباط الا
حكام منها لارباب الاثار وقد كمل الدين كما اشار الى ذلك في الكتاب
المبين فمن رام الزيادة عليه حاول امرا غير مرضي لديه لانه من
قصور فهمه راه ناقصا بدون احداثه وما احدث مردود فلا
تقبلوه وبمقتضاه لا تعملوا فالضمير الى الشخص او الامر

والاول ابلغ والثاني اظهر كذا قاله بعض الشراح والصواب ان يقال
الضمير الى من او الى ما فتفكر ثم في ايراد الرد لصيغة المصدر مبالغة
عظيمة فتدبر وقال المؤلف قوله رد اى مردود كالخلق بمعنى المخلوق
رواه البخاري ومسلم وكذا ابو داود والنساى وفي رواية لمسلم
من عمل عملا اى من اتى بشئ من الطاعات البدنية او الحالات القلبية
او بشئ من الاعمال الدنيوية او الاخروية سوا كان محدثا او سابقا
او مقدما على الامر بما بقا وكان من صفته انه ليس عليه امرنا
اي اذننا وحكمنا بل اتى به على حسب هواه وان حسن غرضه
فيما نواه فهو رد اى مردود عليه غير مقبول فيما نسب اليه
فهذه الرواية اعم وفي افادة الدراية اتم فهذا الحديث عمادٌ في
التمسك بالعروة الوثقى واصلٌ في الاعتصام بحبل الله الا
قوى وردٌ للمحدثات والبدع والهوى وقد انشد في هذا المعنى
اذا ما دجا الليل البهيم واظلما • بامر فظيع شق اسوداد همّا
فاعلى البرايا من الى السنن اعتزى • واعمى البرايا من الى البدع انتمى
ثم اعلم ان هذا الحديث اصل عظيم في ابطال المنكرات وحوادث
الضلالات وقد قال تعالى وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا
تتبعوا السُّبُل فتفرق بكم عن سبيله قال مجاهد السُّبُل البدع
وروى الدارمي انه صلى الله عليه وسلم خط خطا ثم قال هذا
سبيل الله ثم خط خطوطا عن يمينه وعن شماله ثم قال هذه سبل
على كل سبيل منها شيطان يدعو اليه ثم تلا الاية وقال عز وجل
فان تنازعتم في شئ فردوه الى الله والرسول قال ميمون
بن مهران من فقهاء التابعين الرد الى كتابه والى رسوله في
حياته والى سنته بعد مماته وقال عز وجل قل ان كنتم تحبون الله
فاتبعوني يحببكم الله وفي حديث مسلم انه صلى الله عليه وسلم
كان يقول في خطبته ان احسن الحديث كتاب الله وخير الهدى

هدي

هدي محمد صلى الله عليه وسلم وشر الامور محدثاتها وكل محدثة بدعة
وكل بدعة ضلالة زاد البيهقي وكل ضلالة في النار وروى الدارمي
ان ابن مسعود انكر على جماعة اجتمعوا في المسجد يعدون الاذكار
بالحصا واشار اليهم ان يعدّوا سيّاتهم وانهم مفتتحوا باب
ضلالة واخرج البيهقي ان ابن عباس قال ان ابغض الامور
الى الله تعالى البدع وان من البدع الاعتكاف في المساجد التي في الدور
واخرج ابو داود عن حذيفة كل عبادة لم يفعله الصحابة فلا
تفعلوها وقال الغزالي السكوت عما تكلم فيه السلف
جفاء والكلام فيما سكتوا عنه شقاء وورد عنه صلى الله
عليه وسلم انه قال عمل قليل في سنة خير من عمل كثير في بدعة
اى ولو مستحسنة لان من البدع ما استحسنه السلف ومنها ما استحبه
الخلف فمن قبيل الاول جمع القرآن كما اتفق عليه الشيخان وكذا
جمع عثمان بن عفان وكما وقع لعمر رضى الله عنه في جمع الناس لصلوة
التراويح في المسجد بعد ترك عليه السلام لذلك بعد ما فعله ليالي
وقال عمر نعمت البدعة هي لانها وان حدثت في الجملة الا انها ليس
فيها رد للفعلة المتقدمة بل مقوّية لتلك الحسنة فانه عليه السلام
علل تركها بخشية الفرضية فزال بوفاته عليه السلام توهم عود القضية
ومن امثلة الثاني بناء نحو الرُبُط وخانات السبل فانها في معنى
الخيرات الجارية الداخلة في الاحكام الوقفية وكالتصنيف
في العلوم الشرعية من الاصول والفروع الفقهية وما تعلق بها
من الالات الضرورية من القواعد الصرفية والنحوية والمعاني والبيان
والمحسنات البديعية وقال الشافعي ما احدث وخالف كتابا
او سنة او اجماعا او اثرا فهو البدعة الضالّة وما احدث من الخير ولم
يخالف شيئا من ذلك فهو البدعة المحمودة وقال الامام ابو
شامة شيخ المص ومن احسن ما ابتدع في زماننا كل عام في اليوم الموافق

ليوم مولده عليه السلام من الصدقات واظهار السرور والزينة فان ذلك
مع ما فيه من الاحسان الى الفقراء يشعر بمحبة سيد الانبياء وتعظيم
سيد الاصفياء كما ذكره ابن حجر ثم قال وصلوة الرغائب اول
جمعة من رجب وليلة النصف من شعبان بدعتان مذمومتان
خلافا لمن استحسنهما وحديثهما موضوع كما بينه المصنف في شرح
المهذب وغيره ممن قبله وبعده انتهى وفيه ان الصلوة
خير موضوع واحياء كل ليلة بالعبادة مشروع واذا لم يصح حديثهما
لم يلزم عدم فعلهما نعم لا يعتقد سنيتهما مع انه جاء في ليلة
شعبان قوموا ليلها وصوموا يومها على ما رواه الترمذي وفي
خبر انه تعالى يغفر ليلتها لاكثر من عدد شعر غنم كلب وفي
انه تعالى يغفر ليلتها لجميع خلقه الا المشرك او مشاحن وفي خبر
اخرج البيهقي انه عليه السلام صلى ليلتئذ وقال في هذه الليلة
يكتب كل مولود وهالك من بني ادم وفيها يرفع اعمالهم وتنزل
ارزاقهم ويعين اجالهم وقد سماها الله سبحانه في القران
انا انزلناه في ليلة مباركة فهي من مواسم الخيرات ومنازل المبرات
فصلوة مائة ركعة في كل ركعة قراءة الاخلاص عشر مرة
باي طريق لا تكون من البدع المذمومة مع ما ورد عن ابن مسعود
ان ما راه المسلمون حسنا فهو عند الله حسن ثم قال ومنه
الوقود ليلة عرفة او المشعر الحرام والاجتماع ليالي الختوم
اخر رمضان منكرة ما لم يكن فيه اختلاط الرجال بالنساء
بان يتضام اجسامهم فانه حرام انتهى وهو يدل على اطلاق
فان التوقيد المشعر بالتعظيم كتعظيم ليلة المولد والاجتماع
عند ختم القران من المستحبات كما هو في التبيان نعم ما يترتب
عليه من المفاسد وتشويش خاطر العابد والساجد والاسراف
في المال باعتبار عدم الاحتياج الى كثرة السراج لا سيما في الليلة الغراء

وامثال

ع
اي اذا صلوا منفردا اما اذا صلى
بالجماعة فوق الثلاث فمكروه
سنة كانت او لا
مطلقا سواء اعتقد حصول
الثواب ام لا
كما صرح به
فتدبر

وامثال هذه الاشياء يكون من الامور المنكرة وقد اغرب بعض
الشافعية وعد منها مداومة الامام في صبح الجمعة قراءة سورة
السجدة وسورة الدهر وكذا مداومة الاضطجاع بين سنة الفجر
وفرضه لكن فيه ملحظ لطيف وسر شريف لئلا يتوهم الفرضية
بالمواظبة السنية بل اقول وكان على الائمة الحنفية ان يقرؤا
السورتين في بعض الاوقات الرضية ليرتفع الوهم بالكلية
وقد بلغني ان اثنين من اهل ما وراء النهر لما رجعوا الى
بلادهم وسئلوا عن غرائب ما راوا في سيرهم ومعادهم فقال واحد
رايت الشافعية يكاد يصلون صلوة الفجر ثلاث ركعات فقال
الاخر انما كان ذلك يوم الجمعة لا جميع الاوقات واما ايراد
ابن حجر ما رواه الطبراني انه صلى الله عليه وسلم كان يقروهما في كل
جمعة فمحمول على الاغلبية لا الكلية والا فالمواظبة دليل
الوجوب في القواعد الاصولية واما ادخال ابن حجر صلاة
بلال شكر الوضوء في البدعة المستحسنة فمدفوع لان الصلاة
باعتبار اصلها مشروع مع انه صلى الله عليه وسلم قررها فهو من
من السنة المقررة والعبادة المحررة ثم اعلم ان الانسان لروح
نوراني من عالم الملكوت ونفس ظلمانية من عالم الملك ولكل
منهما نزاع وشوقا الى عالمه فغاية بعثة الانبياء تزكية
النفوس عن ظلمة اوصافها وتجليتها بانوار الارواح حتى يتجلى
فيها ان الوجود الحقيقي ذات الله وصفاته وافعاله فالواجب
على العبد ان يدق بمطرقة كلمة التوحيد تمرد النفس الى ان
تؤمن بذلك وتكفر بطاغوت وجوده ووجود ما سوى الله
هذا هو الدين القويم والطريق المستقيم فمن احدث فيه
بتسويل الشيطان غير ذلك بان ايس عن الله وتعلق
قلبه بما سواه ولم ينسلخ عن صفاته وافعاله واثاره

ولم ينطمس ظلمات ذاته في انواره فهو مردود ولا يكون مُريدا بل لم تنتج الا شيطانا مَرِيدا

الحديث السادس

عن ابى عبد الله النعمان بضم اوله ابن بشير بفتح الموحدة صحابيان انصاريان رضى الله عنهما وُلِدَ على راس اربعة عشر شهرا من الهجرة على الاصح وحنّكه عليه السلام بتمرة وهو اول مولود ولد فى الانصار بعد قدومه صلى الله عليه وسلم المدينة كما ان عبد الله بن الزبير المولود معه في عامه اول مولود ولد للمهاجرين بها روى له مائة واربعة عشر حديثا قتلها بقرية من قرى حمص سنة اربع وستين ولم ينفرد برواية هذا الحديث بل رواه ايضا جمع من اكابر الصحابة رضى الله عنهم قال سمعتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقول وفي رواية انه اهوى الى اذنيه باصبعيه وفيها تاكيد للتصريح بسماعه من النبى عليه السلام وهذا هو الصحيح ولا التفات الى اختلاف فيه قاله المصنف والمراد به ما نقله الشيخ صلاح الدين بن العلاء عن يحيى بن معين ان اهل المدينة يقولون لم يسمع من النبى صلى الله عليه وسلم واهل العراق يصححون سماعه منه وليس يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم الا في حديث الحلال بين والباقى يقول عن ان الحلال بين اى واضح غير خفى حِلّه نظرا الى ما نص الله ورسوله او اجمع المسلمون على تحليله ومنه ما لم يعلم فيه منع على اظهر القولين كما بُيِّن في محله وان الحرام بيّن في اكثر النسخ المصححه باعادة انّ لتاكيد القضية وهو ما دل دليل ظاهر على تحريمه من كتابٍ او سنةٍ او اجماع امةٍ ثم التحريم اما لمفسدة جلية او مضرة خفية كالربوا وتذبيح المجوس واما لمفسدة واضحة او مضرة لائحة كالسم والخمر وكذا سائر المسكرات والمخدرات كالحشيشة والافيون والبنج وكذا جوزة الطيب كما افتى به ابن حجر ونقل فيه

نص

قتل ح

لعل نظرا

فائدة عظيمة في تحريم المسكرات والمخدرات [illegible] عبد الحفيظ [illegible] ١٣٢٥

نص ارباب المذاهب الثلاثة من الشافعية والمالكية والحنابلة قال وهو مقتضى كلام الحنفية يعني ان وصل الى حد السكر واما الافيون فصرح علماؤنا بانه يَحرُمُ اكلُه واذا اعتاده يجب عليه استعماله وبينهما مشتبهات اى امور مشتبهة لوقوعها بين اصلين متغايرين او وجودها بين دليلين متعارضين بحيث يفسر ترجيح احد الطرفين فيقع الاشتباه فى الحكمين او لكونها ذات جهة الى الحلال لم يجز انْ تعد من الحلال المبين وكونها ذات جهة من الحرام لم يجز انْ تعد من الحرام المعين لا يعلمهن اى لا يَعرف حكمهن كثير من الناس وقد جاء واضحًا فى رواية الترمذي ولفظ لا يدري كثير من الناس امن الحلال ام من الحرام يعني لتعارض الامارتين او تناقض العلامتين واما العارفون المحققون والعلماء المجتهدون وقليل ما هم لا يشتبه ذلك عليهم فاذا تردد الشئ من الحل والحرمة ولم يكن نص واجماع الامة اجتهد فيه المجتهد فالحقه باحدهما الدليل شرعي ظهر له فاذا فقد فالورع تركه كما يدل عليه الحديث فيما بعده قال المص والعلماء فيه ثلاثة اقوال الحكم بالحل والحرمة والتوقف فالاول دليله قوله عليه السلام كالراعي يرعى حول الحِمى فيدلّ على ان ذلك حلال والثاني دليله قوله استبرا لدينه وعرضه والثالث دليله التعارض او قوله عليه السلام الحلال بين والحرام بين فالمشتبه ليس بينهما قلت فينبغي ان يقال مكروه ثم رايت القرطبي صوب الكراهة وفسّر الامام احمد واسحاق وغيرهما المشتبه بما اختلف في حل اكله كالخيل او شربه كالنبيذ او لبسه كجلود السباع او كسبه كبيع العينة وفسّره احمد مرة باختلاط الحلال والحرام قيل ومنها اموال السلاطين لكن في زماننا لا يخفى حكمها على اهل الدين نعم منها اذا اشترى شيئا فى الذمة وقضى ثمنه من مال حرام ومنها معاملة من فى ماله حرام ولذا قيل هذا زمان المشتبهات

المشتبهات

والورع عن المحرمات والاظهر ما اعتمده الغزالي من ان من كان اكثر ماله
حراما حرمت معاملته ثم لما كان سياق الكلام وتفصيل الاحكام
للارشاد الى التحرز من الحرام وذلك لا يحصل الا بالانتهاء عن المشتبه
لتمام النظام بين انتفى الشبهات فيه وضع المظهر موضع المضمر قال ح
تفخيما لشانها فقد برئ من اجتنبها في المعاملات واحترز عنها في
الاستعمالات استبرأ اي طلب البراءة لدينه من الذم الشرعي
وعرضه من الطعن العرفي لاتهامهم اياه بمواقعة المحظورات
اذا لم يتق الشبهات قال المظ اي صان دينه وحمى عرضه
عن وقوع الناس فيه واما قول ابن حجر فقد استبرأ بالهمز وقد
يخفف ففيه ان لفظ فقد غير موجود في الاصول وتخفيف الهمز م
المتحرك غير صحيح الا حال الوقف عند بعضهم وحمل الشارح المظهر
العرض على النفس حيث قال طهر دينه وبدنه من العقوبة
وكلامه صحيح ففي النهاية العرض موضع المدح والذم من الانسان
سواء كان في نفسه او سلفه ولما كان موضع النفس حمل
عليها اطلاقا للمحل على الحال والحاصل ان ما اشتبه امره في الحل
والحرمة ينبغي اجتنابه لئلا يجره الى الوقوع في الحرام وانه لو وجد
في بيته ما لا يدري اله ام لغيره فالورع تركه كما فعله النبي صلى الله
عليه وسلم في التمرة التي وجدها في بيته وقال اخشى ان يكون
من الصدقة ولا يحرم لانه في يده والاصل الا يكون من الصدقة كما ان
الاصل في الطهارة وكذا المعاملة مع من في ماله شبهة ربا ونحوه اولى التوبة ح
ما لم تتيقن حرمته فانه صلى الله عليه وسلم رهن درعه عند يهودي
بشعير اخذه لقوت اهله او ضيفه مع اكلهم الربا واثمان
الخمور لذا ذكره شارح ففعله صلى الله عليه وسلم لبيان الجواز
او لعلمه ان شعيره هذا اليهودي ليس فيه شبهة لما كان هناك من قرينة
او لم يكن موجودا الا عنده فكانا ضرورة هذا وفي عطف العرض

والاصل انه لا ...

على

على الدين اشعارا الى ان طلب براءته مطلوب للمتقين ومن ثم
ورد ما يقي به العرض فهو فهو صدقة وجاء في الاثر من وقف
موقف تهمة وفي رواية من عرض نفسه للتهمة فلا يلومن
من اساء الظن به وقد قال صلى الله عليه وسلم لرجلين رأياه
مع امراة على رسلكما انها صفية خوفا عليهما ان يظنا به شيئا
فيهلكا فقالا يا رسول الله من كنا نتهمه فلا نتهمك فقال ان الشيطان
يجري من ابن ادم مجرى الدم واني خشيت ان يقذف في قلوبكما شرا
وروي ان انسا خرج لصلوة الجمعة فرأى الناس راجعين منها
فدخل محلا لا يرونه وقال من لا يستحي من الناس لا يستحي من الله
قيل ورفع الطبراني فلو امره احد ابويه باخذ شبهة او اكلها
فقال احمد لا يطيعهما وقال بعض السلف يطيعه وتوقف
اخرون ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام اي من سهل على نفسه
واكثر تعاطي الشبهات افضاه الحال متدرجا الى ارتكاب المحرمات
المقطوع بحرمتها وان لم يعد ما هنالك اذ قد يأثم اذا قصر في التحري
بذلك او المعنى انه يعتاد المساهلة في المعاملة ويجره على شبهة
اغلظ منها ثم اخرى اي ان يقع في الحرام عمدا في الحالة الاخرى او المعنى
وقع في الجملة في ارتكاب المحرمات لان الذي ارتكبها من المشتبهات
ربما كان حراما فيقع فيه بخلاف المحتاط فانه اذا امتنع من
الشبهات فبالاولى ان لا يرتكب المحرمات ولذا جاء في خبر الترمذي
لا يكون احد من المتقين حتى يترك ما لا باس به مخافة ما به باس
وقال الحسن ادركنا قوما كانوا يتركون سبعين بابا من الحلال
خشية الوقوع في باب من الحرام ومن ثم قيل الصغيرة تجر الى الكبيرة
والكبيرة الى الكفر وقال بعض السلف المعاصي بريد الكفر و
قيل انه حديث ويؤيده قوله تعالى كلا بل ران على قلوبهم
ما كانوا يكسبون وروى الترمذي عن ابي هريرة ان الرجل

ليصيبُ الذنبَ فيسودّ قلبه فان هو تاب صُقل قلبه وفي رواية
ان العبد اذا اذنب ذنبا كانت نكتة سوداء في قلبه وكلما زاد زاد
حتى تعلوا قلبه فذلكم الرّان وفي رواية ان هذه القلوب تصدى كما
تصدا الحديد قيل ما جلاؤها يا رسول الله قال ذكر الموت
وتلاوة القران وحاصله ان من اكثر من موافقة الشبهات اظلم
قلبه لفقدان نورها الورع فيقع في الحرام ولا يشعر بالمرام وحاصله
ان ما قارب الشئ خالطه غالبا ومنه قوله تعالى تلك حدود الله
فلا تقربوها نهى عن المقاربة حذرا من الموافقة واليسير من الحرير
محذورا في نفسه وانما حرم لئلا يندرج منه الى الكثير المحذور وكذا
الخلوة بالاجنبية لا محذور رغبه الا لكونه داعية بالتدريج الى الوطى
المحرم وكذا قبلة الصايم اذا حركت شهوته انما يكره لئلا يندرج
الى الوطى المفسد للصوم ومنه قوله عليه السلام لعن الله السارق
يسرق البيضة فيقطع يده اى يندرج من سرقته ما لا قطع فيه
الى سرقة ما يقطع به هذا وفي رواية للصحيحين ومن اجترا
على ما شك فيه من الاثم اوشك ان يقع فيما استبان اي الحرام
الذي ظهر وتبين وفي رواية لغيرهما ومن يخالط الريبة
يوشك ان يجترئ على الحرام المحض وفي حديث مرسل من يرعى
بجانب الحرام يوشك ان يخالطه ومن تهاون بالمحقرات
يوشك ان يخالط الكبائر ويحل الامرانا الحرام البين ابتلاء
للعامة والشبهة اختيار للخاصة كالراعي اى حاله كحال
الراعى للابل ونحوها يرعى اي دوابه قال او صفة لان الراعي
في المعنى كالنكرة حول الحمى بكسر الحا ما يحمى من الارض
لاجل الدواب ويمنع دخول الغير وهذا غير جائز الا للنبي
صلى الله عليه وسلم لقوله لا حمى الا لله ورسوله وقد حمى
صلى الله عليه وسلم حرم المدينة عن ان يقطع شجره او يصاد

الران ح

نور الورع

تهاون ح

كحال ح

صيده وفي معناه الخليفة اذا حمى لابل الصدقة كما روى عن صنيع عمر
رضي الله عنه يوشك بضم الياء وكسر الشين اي يسرع ويقرب
ان يرتع بفتح الياء والتاء اى الراعي يرعى ماشيته فيه اى في
الحمى لعدم الاحتماء بناء على تساهله في المحافظة وجرائه على
الرعي والمخالفة فيستحق العتاب او العقاب وهذا ضرب مثل
وفائدته تجلية المعاني المعقولة بصور المحسوسات لزيادة كشف
المعقولة وله شان عجيب في ابراز الحقايق ورفع الاستار عن وجوه
الدقائق ثم نبّه بكلمة ألا على امور خطيرة في الشرع في ثلاثة
مواضع من هذا الحديث ارشادا الى ان كل امر دخله حرف
التنبيه لجلالة شانه النبيه يستحق ان يتنبه المخاطب له
ويستانف الكلام لاجله فقال ألا وهي مركبة من همزة
الاستفهام وحرف النفي فتفيد التنبيه على تحقق ما بعدها
ولافادة التحقيق لا يكاد يقع الجملة بعدها الا مصدّرة بنحو
ما يتلقى به القسم كقوله تعالى الا ان اولياء الله وان لكل ملك
اى من ملوك العرب حمى يمنع الناس عنه ويعاقبون عليه
كما في الجاهلية فقيل هو عطف على الابناء على انه يفهم من
لفظه ألا انبه ومن قوله ان لكل ملك احقق فبهذا التاويل
صح العطف اذ عطف المفرد على الجملة لا يصح الا باعتبار ان
يتضمن المفرد معنى الفعل كما في قوله تعالى فالق الاصباح
وجعل الليل سكنا على قراءة الكوفيين والاولى ان يقال هنا انها
واو الابتداء التي سميتها النحاة واو الاستيناف الدالة على انقطاع
ما بعدها عما قبلها في الجملة كما ذكره صاحب المغني او هي عطف الكلام
على السابق ولفظ الا متوسطة اى ان الحلال بين وكذا وكذا
وان لكل ملك حمى ادعا مقدر يناسب المقام كما ذكره الزمخشري
في قوله تعالى اوكلما عاهدوا اثم لما كان المتورع والتهمك مما يتبع

تبين ان القلب آلة الصلاح والفساد ثنية على ذلك بقوله الا وان
حمى الله محارمه اي المعاصي كما في الروايات ويطلق المحارم
على المنهيات وعلى ترك المامورات ومعناه الذى حماه الله ومنع
دخوله هو الاشياء التي حرمها انتهى الحديث قوله تعالى تلك
حدود الله فلا تقربوها الا وان في الجسد مضغة اى قطعة
لحم قدر ما يمضغ كما قيل ولكن صغيرة في الجرم كبيرة في الجرم
اذا صلحت بفتح اللام وضمها والفتح افصح صلح الجسد كله
اى اعضاء البدن جميعها من العين والاذن واللسان وسائر
الاركان واذا فسدت بفتح السين وبضم والاول هو الرواية
على ما صرح به الكازروني فسد الجسد كله لما روى انه عليه
السلام راى رجلا يعبث بلحيته او يلعب بثوبه في صلاة فقال
لو خشع قلبه لخشعت جوارحه الا وهي اي تلك المضغة الموصوفة
القلب سمى به لتقلبه في امره وانقلابه بقضاء الله
وقدره وفي الحديث ان القلب كريشة بارض فلاة تقلبها الرياح
وقد قال الشاعر شعر قد سمى القلب قلبا من تقلبه ❊ فاحذر على القلب
من قلب وتحويله ❊ والمعنى ان صلاح الجسد تابع لصلاح القلب
وفساده تابع لفساده لان القلب مبدا الحركات البدنية والارادات
النفسية فان صدرت عنه ارادة صالحة تحرك الجسد حركة صالحة
وان صدرت عنه ارادة فاسدة تحرك الجسد بحركة فاسدة
فاهم الامور مراعاة القلب في انقياد الرب فمن صلح قلبه بالايمان
والمعرفة والعلم ونية الخير والاحسان صلح الجسد كله بالاعمال
الرضية والاحوال البهية واذا فسد القلب بالجحود والشكر
الكفران فسد الجسد بارتكاب الفجور والعصيان فعلى المكلف
ان يقبل عليها في جميع الحالات ويمنعها عن الانهماك في
الشهوات حتى لا تبادر الى الشبهات ولا يستعمل جوارحه

باقتراف

وقال المصنف
ويشير الى
وهي

باقتراف المحرمات ثم اعلم ان الجمهور ذهبوا الى ان العقل في القلب ويؤيده
قوله تعالى افلم يسيروا في الارض فتكون لهم قلوب يعقلون بها وقوله
عز وجل ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب اي عقل فلعدم انفكاكه
عنه كانه عينه ونسب الى ابي حنيفة ان محله الدماغ وهو مذهب
الحكماء بدليل انه اذا فسد فسد ولا يبعد ان يكون له تعلق تام بالدماغ
في حال من احواله فيختل باختلاله والحاصل انه كالملك في القضية
والاعضاء كالجند او كالرعية وفيه من الاشارة انه حمى الله سبحانه فلا
ينبغي ان يتعرض لما يقتضي من نقصان شانه وشبه بالعين والبدن
كمزرعتها فان عذب ماؤها عذب زرعها وان ملح ملح اوهو كالعين والاعضاء
كالانهار اوهو كالارض والاعمال كالنبات كما يشير اليه قوله تعالى والبلد
الطيب يخرج نباته باذن ربه والذي خبث لا يخرج الا نكدا ثم الانسان
يتميز عن الحيوان بالقلب الذى هو محل العقل الكامل فيتميز بين مصالح
الامور ومنافعها وبين مفاسدها ومضارها ويطلع به على الكليات
والجزئيات ويفرق به بين الواجبات والجائزات والمستحيلات واذا عرفت
ان هذا القلب لم يشرف من حيث صورته الكلية بل من حيث هو محل
لتلك الخاصية الالهية علمت انه اشرف الاعضاء واعز الاجزاء وان غيره
مسخرة له ومطيع فيما استقرض ان خيرا فخيرا وان شرا فشر فعند ذلك
انكشف لك معنى قوله اذا صلحت الى اخره هنالك وقيل الحواس مع
القلب بمنزلة بيت للملك له خمس طاقات يشاهد كل منها ما لا يشاهده
من الاخرى ثم مما يصلحه تدبر القران وخلو الجوف وقيام الليل
والتضرع عند السحر ومجالسة الصالحين واس الاعظم
اجتناب المحرمات واحتراز الشبهات فان اكل الحلال ينوره ويصلحه
واكل الشبهة والحرام يصديه ويقسيه ويظلمه ولهذا قال تعالى
كلوا من الطيبات واعملوا صالحا قال الغزالي الطعام بذر
الافعال ان دخل حلالا خرج حلالا وان دخل حراما خرج حراما

الشكلية
فيما تستقر فيه

أمته

وان دخل شبهة خرج شبهه انتهى وقيل انه يخاف على اكل الحرام
ان لا يقبل له عمل ولا يسمع له دعاء لقوله تعالى انما يتقبل الله من المتقين
ولما شرب ابو بكر رضي الله عنه جرعة من لبن استقاها فاجهده ذلك حتى
تقيأها فقيل له اكل ذلك في شربة فقال والله لو لم يخرج الا بنفسي لاخرجتها
سمعت رسول الله يقول كل لحم نبت من سحت فالنار اولى به وقد قال
يوسف بن اسباط اذا تعبد الشاب قال الشيطان انظروا من اين مطعمه فان كان
مطعمه سوءا قال دعوه لا تشتغلوا به دعوه يجتهد وينصب فقد
كفاكم نفسه وقد سئل سفيان الثوري عن فضل الصف الاول
فقال انظر كيف كسرتك التي تاكلها من اين تاكلها وقم في الصف
الاخير وهذه مصيبة عظمى وبلية كبرى في زماننا هذا اذ المكاسب
فسدت والمحارم كثرت مع ضرورة المخالطة والحاجة الملجئة الى المعاملة
وعلى هذا فالخلاص بعيد والامر شديد وقد بلغني عن شيخ مشايخي
العالم الرباني مولانا اسمعيل الشيرواني انه قال من يوم دخلت الصرة
والوظيفة في الحرمين الشريفين ذهبت الولاية وسببه ذلك انهم كانوا
قبل ذلك يتعيشون بالمكاسب الشرعية من التجارة والزراعة او بالمواهب
الغيبية والفتوحات المكية من حيث لا يحتسبون ثم استولى في هذه الازمنة
باكل مال الحرام كعشور جدة او الشبهة كالصرة فصار اماتهم
واذانهم وقراءتهم ونحو ذلك كلها معلولة ويبعد كونها خالصة
مقبولة وبحكم البلية اذا عمت طابت لم يبق في قلوب اهلها نخاش
من تناولها بل عرض لهم مرض الاستسقاء حيث الاكتفاء لهم
بشرب الماء ولا يقنعون بمقدار الضرورة حتى يكون لهم في الجملة نوع
من المعذرة فان الضرورات تبيح المحظورات بل يتعدون عن حد الفقراء
ويصلون الى مرتبة الاغنياء وهم يزاحمون المساكين على حقوقهم
من سكنى الخلوة ووظيفة الخدمة ولا يفرقون بين الحل والحرمة
فنسال الله العفو والعافية وحسن الخاتمة عند حلول العاقبة قال

بعض العارفين القلب هدف سهام القهر واللطف ومظهر الجمال و
الجلال ومنشا البسط والقبض ومبدا المحو والصحو ومنبع الاخلاق
الرضية والاحوال الردية فاذا وقعت هذه المضغة في بحار المنكرات
مالت من تاثر القهريات الى عالم الشهوات وافاضت الى الجوارح مباشرة
السيآت واذا وقعت في بحار المعارف مالت بنعت المحبة والشوق
الى المشاهدة فاستنارت بنورها فنورت العقل والحس والروح
والصورة فيتولد من حسن جوارها خشوع الصورة في هيئته و
صلاح الجوارح في خدمته ثم له ظاهر وهو المضغة الصنوبرية
المودعة في تجويف الايسر من الصدر وهو محل اللطيفة الانسانية
ولذا نسب اليه الصلاح والفساد في الامور الدنيوية والاخروية وله
باطن وهو اللطيفة النورانية الربانية العالمة التي هي مهبط الانوار
الالهية الصمدانية وبها يكون الانسان انسانا وبها يستعد
باكتساب الاوامر واجتناب الزواجر وهي خلاصة تولدت من
الروح الروحاني ويعبر عنها بالنفس الناطقة قال تعالى ونفس وما سواها
وبالروح قال عز وجل قل الروح من امر ربي وهو مقر الايمان كما في
القران اولئك كتب في قلوبهم الايمان كما ان الصدر محل الاسلام
كما قال عز وعلا فمن شرح الله صدره للاسلام والفؤاد مقر
المشاهدة لقوله سبحانه ما كذب الفؤاد ما راى واللب مقام التوحيد
لقوله انما يتذكر اولوا الالباب اي الذين خرجوا من قشر الوجود
المجازي وبقوا بلب الوجود الحقيقي لكن معرفته كما هي متعذرة والاشارة
الى حقيقتها على ارباب الحقائق واصحاب الدقائق متعسرة رواه
البخاري ومسلم وكذا الاربعة على ما في جامع الصغير ولفظه الحلال
بين والحرام بين وبينهما امور مشتبهات لا يعلمها كثير من الناس
فمن اتقى المشتبهات استبرا لعرضه ودينه ومن وقع في المشتبهات
وقع في الحرام كراع يرعى حول الحمى الا وان لكل ملك حمى الا وان

صلى الله تعالى في ارضه محارمها الحديث وروى الطبراني في الاوسط
عن عمر مرفوعا ولفظه الحلال بين والحرام بين فدع ما يريبك الى ما لا
يريبك وروى الترمذي وابن ماجة والحاكم في مستدركه عن سلمان
مرفوعا ولفظه الحلال ما احل الله في كتابه والحرام ما حرم الله
في كتابه وما سكت عنه فهو مما عفا عنه

الحديث السابع

عن ابي رقية بضم الراء وفتح القاف وتشديد الياء اى التحتية
قال المص ابنة له لم يولد له غيرها تميم بن اوس الداري
نسبه الى جد له اسمه الدار وقيل الى موضع يقال له دارين ويقال
فيه ايضا الديري نسبة الى دير كان يتعبد فيه وقد بسطت القول
في ايضاحه في اوائل شرح قال المص رضى الله عنه كان نصرانيا مسلم ح
وقدم المدينة فاسلم وذكر للنبي صلى الله عليه وسلم قصة الجساسة
والدجال انه وجده هو واصحابه في البحر فحدث النبي صلى الله عليه
وسلم بذلك على المنبر وعد ذلك من مناقبه اذ لم يقع نظيره لغيره
في مراتبه فيكون من رواية الاكابر عن الاصاغر قال ابن السكن
اسلم سنة تسع هو واخوه نعيم ولهما صحبة وقال ابو نعيم كان
راهب اهل عصره وعابد اهل دهره في فلسطين وهو اول من اسرج
السرج في المسجد واول من قص في زمن عمر باذنه انتقل الى بيت
المقدس بعد قتل عثمان وسكن فلسطين وكان عليه السلام اقطعه
بها قرية وكان كثير التهجد يختم القران في ركعة قام ليلة بقوله تعالى
ام حسب الذين اجترحوا السيئات الاية حتى اصبح مات سنة اربعين ودفن
ببيت جبريل او جبرين من بلاد فلسطين وهو قرية من قرى الخليل
روى له ثمانية عشر حديثا لمسلم منها واحد وهو هذا الحديث ان النبي
صلى الله عليه وسلم قال الدين اي دين الاسلام يعني مدار قوامه
ومعظم مرامه النصيحة ماخوذة من النصح ضد الغش من
نصحت العسل اذا صفيته وهي كلمة جامعة تفسيرها

ارادة

ارادة الخير للمنصوح له وليس يمكن ان يعبر هذا المعنى بكلمة واحدة
تجمع معناها غيرها كما قالوا في الفلاح ليس كلمة اجمع لخير الدنيا
والاخرة منه وزيد في المشكوة ثلاثا ثم لما كانت النصيحة من الامور الاضافية
استفصلت لرفع الحالة الابهامية قلنا معشر السامعين من
الصحابة والظاهر ان السؤال وقع من بعض ارباب الحال لكن
لما كان يرضى بقية ارباب الكمال نسب اليهم المقال لمن اي
النصيحة لمن والنكتة في الابهام اولا ثم التبيين ثانيا يكون القضية
اوقع في النفس مما اذا جىء من اول وهلة وفي حال غفلة قال
اي النبي عليه السلام لله اى بالايمان بوجوب وجوده واثار كرمه
وجوده وبصفاته الثبوتية والسلبية والاضافية وبافعاله
المحمودة المرضية وبان يعلم ان كل ما سواه فانما حدث بقدرته
القوية ومشيئته الجلية وحكمته الخفية وباحكامه بان يعلم
انها غير معللة وان المراد من شرعها منافع عائدة الى العباد
ولا يجب عليه شئ ان اثاب فبفضله وان عذب فبعدله
ثم باخلاص الطاعة واجتناب المعصية وهذه الاوصاف
راجعة الى العبد في نصيحته نفسه فان الله غني عن العالمين
وعن نصح الناصحين وحكى ان الحواريين قالوا لعيسى عليه السلام
يا روح الله من الناصح لله قال الذي يقدم حق الله على حق
الناس هذا والمفهوم من شرح ابن حجر زيادة عز وجل هنا في المتن
وهو غير موجود في الاصول ولكتابه بان يعتقد ان كلامه
ويعتبر بمواعظه ويتدبر في عجائبه وغرائبه ويعمل بمحكمه ويسلم
في متشابهه ويكل علمه الى عالمه ويذب عنه تاويل المحرفين
وطعن الطاعنين علومه وينشره ويبحث عن عمومه وخصوصه
وناسخه ومنسوخه ومطلقه ومقيده ومجمله ومبينه ويحفظ
مبانيه ويراعي معانيه ويعمل بما فيه والمراد بالكتاب القران

لان الايمان به يتضمن الايمان بجميع الكتب المُنزَلَة او جنس الكتب
السماوية اذ الجنس المضاف يفيد العموم كما قُرِّرَ فى الاصول
ولرسوله بالايمان به وبجميع ما جاء به والانقياد لاوامره
والامتثال لزواجره ومعاداة من عاداه وموالاة من والاه
ونصرها ملته واحياء سنته ومحبة اهل بيته وصحابته والمراد
به محمد صلى الله عليه وسلم او الجنس ليشمل الانبياء والملك الصا
لانهم رسل الى الانبياء كما قال تعالى جاعل الملائكة رسلا
ولائمة المسلمين بان ينقاد لطاعتهم ولا يخرج عليهم
والامام من له خلافة الرسول فى اقامة الدين بحيث يجب
اتباعه على الخلق اجمعين قال الخطابي ومن النصيحة لهم
الصلوة خلفهم والجهاد معهم واداء الصدقات اليهم انتهى يعنى
ما الامر ما اذا كانوا اعدولا فى حكمهم والا فالاخفاء عنهم وصرفها الى مستحقين
وفى معناهم العلماء الاعلام بقبول ما رووه من الاحكام واحسان
الظن بهم فيما استنبطوه من فروع الكلام وعامتهم
بارشادهم الى مصالحهم ومنافعهم والامر بالمعروف
والنهى عن المنكر ورفع الضر عنهم وجلب الخير اليهم وستر
عوراتهم وسد خلاتهم وتوقير كبيرهم وشفقة صغيرهم
وان يحب لهم ما يحب لنفسه من الخير ويكره لهم ما يكره لنفسه
من الشر وقد قال بعض السلف من وعظه اخاه
سرا فهى نصيحة ومن وعظه على روس الناس فهى
فضيحة هذا ولم يقل ولعامتهم للاشعار بان عامة الامة
اتباع للائمة رواه مسلم منفردا به عن تميم وليس له
فى صحيحه عنه سواه واخرجه البخارى فى صحيحه تعليقا
وفى بعض النسخ رواه البخارى ومسلم وهو كذا فى الاذكار
والمشكوة ورياض الصالحين لكن فيه مساهلة ومسامحة

لان

لان العبارة يقتضى ان يكون البخارى فى صحيحه روى هذا الحديث
متصلا مسندا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من طريق تميم الدارمى
وليس كذلك بل انما اورده فى ترجمة باب بدون ذكر تميم الدارمى
نعم بعدم انه روى صدر هذا الحديث فى تاريخه عن ثوبان فالصواب
الاكتفاء بقوله رواه مسلم والله اعلم

الحديث الثامن

عن ابن عمر رضى الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
أُمِرتُ اى امرنى ربى وفائدة العدول عن التبيين دعوى التعين
والتعويل على شهادة العقل اذ ليس يامره غيره عز وجل ان
اقاتل الناس اى بان اقاتلهم اذ تعدية الامر فعل بغير حرف
الجر نحو امرتك الخير لكن ما ائتمرت به والمراد بالناس عبدة الاوثان
دون اهل الكتاب كما ذهب اليه اكثر شراح الحديث لان غاية
مقاتلتهم ليس مجرد ذكر فقط بل اما ذاك او اعطاء الجزية او المراد بهم
الاعم لكن خص منه اهل الكتاب بالاية ذكره الطيبى قيل وهو الاولى
لان الامر بالقتال انما نزل بالمدينة مع كل من يخالف الاسلام
قال ابن الصباغ فى الشامل لما بعث النبى صلى الله عليه وسلم فرض
عليه التوحيد والتبليغ وقراءة القران لقوله اقرا باسم ربك الذى خلق
ثم فرض الصلوة بمكة وفرض الصوم بعد سنتين من الهجرة والحج
فى السنة السادسة او التاسعة واما الزكوة فقيل بعد الصيام
وقيل قبله واما الجهاد فلم يؤذن له بمكة واذن له بالمدينة لمن ابتدا به
ثم ابتداءهم به دون الحرم والاشهر الحرم ثم نسخ ذلك وابيح ابتداؤهم
فى الاشهر الحرم والحرم واما قول الخطابى ان المراد بالناس
عبدة الاوثان لان اهل الكتاب يقولون لا اله الا الله ثم يقاتلون
ولا يرفع عنهم السيف حتى يقروا بالشهادتين فمحمول على رواية
ابى هريرة من اقتصارها على لا اله الا الله لا على رواية ابن عمر لقوله
حتى يشهدوا ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله مع ان

ونشر دعوته صح

لعله بالآخر

الكلام

التحقيق في المراد بلا اله الا الله كلمتا الشهادة وان الاقتصار عليها من
باب الاكتفاء او صار هذه الكلمة علما للجملة ولذا ورد في كثير من الاحاديث
من قال لا اله الا الله دخل الجنة ومن كان آخر كلامه لا اله الا الله دخل الجنة
واما قول ابن حجر ان تخصيص جمع من الشراح الناس بما قاله الخطابي
وهم فانما هو وهم منه لعدم فهم كلامهم وغرض مرامهم على ما قررنا
تبيانه وحررنا برهانه هذا وفي رواية حتى يقولوا وهي صريحة
في عدم اشتراط لفظ الشهادة وفي الرد على من يقول بعدم صحة
التقليد في باب التوحيد بل ايمان المقلد صحيح عند ارباب التاييد
قال المص وهو مذهب المحققين والجماهير من السلف والخلف
واشتراط تعلم ادلة المتكلمين ومعرفة الله بها والا لم يكن من اهل
القبلة خطا ظاهر فان المراد بالايمان هو التصديق الجازم
وقد حصل ولانه صلى الله عليه وسلم اكتفى بالتصديق بما جاء به ولم
يشترط المعرفة بالدليل وقد تظاهرت هذه الاحاديث في الصحيح
يحصل بمجموعها التواتر والعلم القطعي انتهى ويقيموا الصلوة ويوتوا
الزكوة خصهما بالذكر من بين اركان الاسلام اهتماما بشانهما
لانهما اما العبادات البدنية والمالية ولذا سمي الصلوة عماد
الدين والزكوة قنطرة الاسلام وقد قرن بينهما في القران امرهما
والمعنى حتى يقبلوا احكام الاسلام وينقادوا تحت الاحكام والا فبمجرد الشهادتين
لا يجوز المقاتلة معهم حيث اتوا بنظام المرام ولا يتوقف اجراء احكام الاسلام
على اداء الصلوة وايتاء الزكوة باجماع العلماء الاعلام واغرب ابن
حجر في هذا المقام حيث قال فيه دليل لقتل تارك الصلوة وادعى انه
عليه اكثر العلماء لان غي الامر بالقتال ولا يخفى ما فيه من تزييف المقال
اذ القائل بقتل تاركها لا يخرجه عن كونه مسلما بل يقتله حدا كقتل القاتل
قصاصا وهو مناف لان يكون غاية للمقاتلة مع ان المقاتلة مع
الكفار والقتل مع الفجار على ان الشافعية يقتل تارك الزكوة وقد وقع

الاجماع

ما نعيها

الاجماع على قتال بطريق الامتناع كما وقع في زمن الصديق والفاروق
ومن تبعهما من اهل التحقيق ولم ينقل من السلف والخلف انهم قتلوا
احدا بترك صلوة او زكوة بل ولم يشترط احد لمريد الاسلام التزام صلوة
ولا زكوة بل روي عن الامام احمد انه قبل اسلام من اشترط ان لا زكوة
ولا جهاد ومن اشترط ان لا يصلي الا صلاتين ومن اشترط ان يسجد
من غير ركوع وهذا مبني على ان الاسلام يصح على الشرط الفاسد ثم
يومر بالشرائع كلها وهذا هو المناسب لمقام التدريج في احكام
الاسلام وقد جاء في حديث ضعيف على ما قيل انه صلى الله عليه
وسلم لم يكن يقتل من اجاب الى الاسلام الا باقامة الصلوة وايتاء
الزكوة وهذا لا ينافي قتال اهل الردة وامتناعهم اداء الزكوة
بعد انقياد احكام الاسلام وحديث ابي هريرة في صحيح مسلم
كالتصريح لما ذهبنا اليه وهو انه صلى الله عليه وسلم يوم خيبر حين اعطى
الراية لعلي قال على ما اقاتلهم قال على ان يشهدوا ان لا اله الا الله وان
محمدا رسول الله فاذا فعلوا ذلك عصموا منك دماءهم واموالهم
الا بحقها فجعل مجرد الاجابة اليهما عاصمة للنفوس والاموال الا
بحقها ومنه حديث معاذ لما بعثه الى اليمن امرهم ان يدعوهم اولا
الى الشهادتين وان من اطاعه بهما اعلمه بالصلوة ثم بالزكوة
نعم نقاتل قوما او اهل قرية اتفقوا على ترك الصلوة وكذا في ادنى
شعائر الاسلام كالاذان على ما صرح به علماؤنا الاعلام الا انه لا يجوز
قتل كل فرد منهم بعلة ترك الصلوة والاذان اجماعا الا ما قال الامام احمد
من ان تارك الصلوة متعمدا كافر يعني يصير كافرا بحدوث تركها والجمهور
اولوا الحديث بان المراد بقوله من ترك صلوة متعمدا فقد كفر اي النعمة
او قارب الكفر او يخشى عليه الكفر او محمول على المستحل فاذا فعلوا ذلك
اي ما ذكر من الشهادتين والاقامة والايتاء واطلاق الفعل على المشار
اليه مع ان بعضه قول اما باعتبار انه عمل اللسان المعبر عن عمل الجنان

وفـــ

او على سبيل تغليب الاثنين على الواحد عصموا بفتح الصاد اى حفظوا
مني اي من تعرضي دماءهم واموالهم فان قيل جعل غاية المقاتلة
وجود ما ذكر بمقتضى الحديث ان من شهد واقام وآتى يترك القتال
معه وان يجحد سائر ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم لكنه ليس كذلك
اجيب بان الشهادة برسالته يتضمن التصديق بجميع ما جاء به
مع ان قوله الا بحق الاسلام يدخل فيه جميع ذلك وانما خصصنا
بالذكر لما قدمناه هنالك والمراد بحق الاسلام القتل بالقصاص
والزنا والقطع بالسرقة وغرامة ما اتلف من مال اخيه المسلم
ونحو ذلك فانها حدود واجبة الاحكام بحق الاسلام والمسلم
التزمها باسلامه فيقام عليه بمقتضى التزامه والمعنى فاذا
فعلوا ذلك لا نتعرض لهم بسبب من الاسباب يحدث هنالك الا بحق
الاسلام وحسابهم اى محاسبة بواطنهم على الله تعالى
اى انا احكم فيهم بهذه الاحكام ظاهرا وحسابهم يتعلق الى
الله عز وجل باطنا فرب عاص يصادف عند الله عز وجل خيرا
في الباطن وبالعكس لحديث نحن نحكم بالظواهر والله عالم
بالسرائر ولخبر ما أمرت ان اشق عن قلوب الناس ولا
بطونهم وقال لاسامة فهلا شققت عن قلبه وفيه دليل
على ان من اظهر الاسلام وابطن الكفر قبل اسلامه ظاهرا
وهو ما ذهب اليه الجمهور وقال مالك واحمد لا تقبل توبة
الزنديق وكذا قال بعض علمائنا رواه البخاري ومسلم
اى ما عدا قوله الا بحق الاسلام ولما كان الاعتبار لاكثر الكلام
صح اسناده لمسلم في هذا المقام فاندفع قول ابن حجر وعجيب
من المصنف مع شدة تحقيقه وحفظه كيف اوهم ان كلا من
الشيخين خرجه جميعه انتهى ويؤيد ما قلنا ان السيوطي
ذكر هذا الحديث في الجامع الصغير وقال رواه الشيخان

وفـــ والاربعة

وفـــ

والاربعة عن ابي هريرة مرفوعا ولفظ امرت ان اقاتل الناس حتى
يشهدوا ان لا اله الا الله واني رسول الله فاذا قالوها عصموا
مني دماءهم واموالهم الا بحقها وحسابهم على الله وذكره
في الكبير ايضا وقال رواه ابن جرير والطبراني في الاوسط عن
انس ولفظ امرت ان اقاتل الناس حتى يشهدوا ان لا اله الا الله
فاذا قالوها عصموا مني دماءهم واموالهم الا بحقها قيل وما
حقها قال زنا بعد احصان او كفر بعد اسلام او قتل نفس فيقتل
بها وفي حصر الثلاثة في موضع البيان دلالة على ان تارك الصلوة
لا يقتل فتامل ولا يغرك قول ابن حجر من ان سياق الحديث
وان كان في الكافر لكن المسلم اولى منه بذلك لانه تركها مع
اعتقاده وجوبها بخلاف الكافر الاصلي فانه ممنوع ومدفوع
بان المسلم معصوم الذمة الا ان احدى الثلاثة المذكورة على ما
ورد بصيغة الحصر في حديث صحيح بلفظ لا يحل دم امرئ
مسلم الا باحدى ثلاث الحديث كما سياتي في اصل الكتاب
هذا وجاء في رواية للشيخين عن ابي هريرة امرت ان اقاتل
الناس حتى يشهدوا ان لا اله الا الله ويؤمنوا بي وبما جئت
به فاذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم واموالهم الا بحقها
وفي رواية حتى يقولوا لا اله الا الله فمن قال لا اله الا الله
عصم مني الى اخره واخرج مسلم عن جابر بهذا اللفظ
وزاد ثم قرا انما انت مذكر لست عليهم بمصيطر واخرج
مسلم عن انس ولفظه امرت ان اقاتل المشركين حتى يشهدوا
ان لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله وان يستقبلوا قبلتنا
وان ياكلوا ذبيحتنا وان يصلوا صلوتنا فاذا فعلوا ذلك حرمت
علينا دماؤهم واموالهم الا بحقها لهم ما للمسلمين وعليهم
ما على المسلمين واخرج الذهبي عن يونس بن بكير

وفـــ

عن قتادة قال لما توفى النبي صلى الله عليه وسلم ارتدت طوائف كثيرة
من العرب عن الاسلام ومنعوا الزكوة ام ومنهم من منع الزكوة ولم
يكفر كما صرح به غيره فنهض ابو بكر لقتالهم فاشار اليه عمر وغيره
ان يفتر عن قتال مانعي الزكوة فقال والله لو منعوني عقالا او عناقا
كانوا يؤدونها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم على منعها
فقال عمر كيف تقاتل الناس وقد قالوا لا اله الا الله وقد قال
صلى الله عليه وسلم امرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله فاذا
قالوها عصموا مني دماءهم واموالهم الا بحقها فقال ابو بكر لاقاتلن
من فرق بين الصلوة والزكوة فان الزكوة حق المال وقد قال
الا بحقها قال عمر فوالله ما هو الا رايت الله شرح صدر ابي بكر
للقتال فعرفت انه الحق انتهى وبهذا يندفع قول ابن حجر ومن العجب
ان حديث ابن عمر هذا الذي ساقه المص نص في قتال مانعي الزكوة
ولم يبلغ ابا بكر وعمر رضي الله عنهما مع تشاجرهما واختلاف
رايهما فاستدل ابو بكر بالحديث الثاني وعمر بانه اقتصر على قول
لا اله الا الله انتهى ولا يخفى ان عمر وغيره رضي الله عنهم ذهبوا
الى ان اكثر الاحاديث فيه الاكتفاء بالشهادتين في الغاية فلا
يجوز قتال مانعي الزكوة كما لا يجوز قتال تاركي الصلوة واختار
ابو بكر انه يجوز قتال قوم تركوا من شعائر الاسلام شيئا من ترك
صلوة وزكوة وجمعة وجماعة واذان ونحوها من حقها ورجعوا الى
قوله رضي الله عنه فيكون اجماعا واما قتل احد بترك صلوة او
زكوة او جمعة ونحوها مع اقراره بالمفرضية فلا يعرف له سند مرضي
في القضية وحاصل جميع الاحاديث انه امر ان يقاتل الكفرة حتى
يقروا بالتوحيد والنبوة وان ينقادوا لاحكام الملة ثم اعلم
ان في هذا الحديث اشارة الى نور التوحيد وظهور التفريد وهو
وضوح فناء اثار الخلق بتشعشع انوار بقاء الحق وله مراتب

منها

فى التوحيد

منها التوحيد النظري ان علم بالاستدلال او التقليدي ان علم
بمجرد تصديق المخبر الصادق في مقام الكمال وسلم القلب في توحيد
الرب من الشبهة والحيرة والريبة وهو ان يعتقد ان الله منفرد
بوصف الالوهية متوحد باستحقاق العبودية كما اشار اليه
في الحديث ان به تحقن الدماء والاموال ويتخلص من الشرك
الجلي في الاحوال ومنها التوحيد العلمي وهو ان يصير العبد
بخروجه من غشاوة صفاته وخلاصه من سجف ظلمات ذاته وانسلاخه
عن لباس الاختيار حيران في فضاء انوار عظمة الجبار ولهان
تحت سبحات سطوات الانوار فيعرف ان الموجد الحق والمؤثر المطلق
هو الله الواحد القهار وانه كل ذات فرع من نور ذاته وكل نعت من
علم وقدرة وارادة وسمع وبصر عكس من انوار صفاته واثر من اثار
افعاله واسرار مصنوعاته ومنشاؤه نور المراقبة ومنها
التوحيد الحالي وهو ان يصير التوحيد وصفا لازما لذات الموحد
بتلاشي ظلمات رسوم وجود الغير الا قليلا في غلبة اشراق نور التوحيد
واستتار نور جماله في نور علم التفريد كما قال بعض اهل التاييد
فلما استنار الصبح ادرج ضوؤه باسفاره اضواء نور الكواكب
واستغراقه في مشاهدة جمال وجود الواحد بحيث لا يظهر عند
شهوده الا ذات الواحد ويرى التوحيد صفة الواحد لا
صفته بل لا يرى ذلك هنالك قال الجنيد التوحيد
معنى يضمحل فيه الرسوم ويندرج فيه العلوم ويكون الله كما
لم يزل ومنها التوحيد الالهي وهو ان الله تعالى كان
في الازل موصوفا بالوحدانية في الذات وبالاحدية في
الصفات كان ولم يكن معه شئ والان كما كان كل شئ هالك
الا وجهه ولم يقل يهلك لان غيرة وحدانيته لم تدع لغيره
وجودا وفي هذا المعنى انشد العارف الانصاري لنفسه

شعرا شريف المبنى ظريف المعنى • ما وحد الواحد من واحد • اذ كل من
وحده جاحد • توحيد من ينطق عن نعته • عارية ابطلها الواحد
• توحيده اياه توحيده • ونعت من ينعته لاحد • ثم اعلم ان كل جمع
ليس بعده تفرقة فهو الحاد وزندقة فنرجع عن هذا التدقيق •
ونقول في مقام التوفيق ان التحقيق هو ان يقال الشهادة
اشارة الى تخلية لوح القلب عن الشرك الجلي والخفي واثر
النقوش الكونية ثم تحليته بالمعارف والحكم الالهية والاعتقادات
الحقية واحوال المعاد وغيرها من الامور الاخروية لان من اثبت
ذات الله بجميع اسمائه وصفاته التي دال عليها اسم الجلالة ونفى
غيره وصدق رسالة النبي بنعت الصدق والامانة فقد وفى
بعهده عهده وبذل نهاية جهده في بداية جهده وآمن بجميع ما
وجب من الكتب والرسل والمعاد ولذا لم يتعرض في الحديث لاعداد
سائر الاعداد ثم اقامة الصلوة ارشاد الى ترك الراحات البدنية
واتعاب الالات الجسدية وهي ام العبادات التي اذا وجدت لم
يتاخر عنها البقية ولذا استغنى عن عد ما عداها وعن ترك السيئات
بعدها فان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر ثم ايتاء الزكوة
هو الاعراض عن الفضول المالية بل عن كل الموجودات الوهمية
وبذل المال الذي هو شقيق الروح لاستفتاح ابواب الفتوح ولرفع
المانع عن الاشتغال بمقامات ارباب الكمال ولعدم الانس بالفاني
عن الباقي من مطالعة الجمال ومشاهدة الجلال والله سبحانه اعلم بحقيقة
الاحوال **الحديث التاسع** عن ابي هريرة قيل
بالتنوين وصوبه جماعة لانها جزء علم واختار اخرون منع صرفه
كما هو السائغ على السنة العلماء من المحدثين وغيرهم
لان الكل صار كالكلمة الواحدة واعترض عليه بانه يلزم
عليه رعاية الاصل والحال معا في كلمة بل في لفظ هريرة

الا الاصل وتمنع من الصرف نظرا

اذا وقعت فاعلا مثلا فانها تعرب اعراب المضاف اليه نظرا الى الحال
ونظيره خفي في جنس المقال قال ابن حجر ويجاب بان الممتنع
رعايتهما من جهة واحدة لا من جهتين كما هنا وكان الحامل
على الخفة واشتهار هذه الكنية حتى نسي الاسم الاصلي بحيث
اختلفوا فيه اختلافا كثيرا انتهى ولا يخفى ان هذا مما لا يسقي
الغليل ولا يشفي العليل فالمعتمد ما قدمناه في الخطبة ان هريرة
صارت علما حتى كان يطلق عليها وهي كبيرة وسبب تلقيبه
بذلك ما رواه ابن عبد البر عنه انه قال كنت احمل يوما هرة
في كمي فرآني رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما هذه فقلت
هرة فقال يا با هريرة واختلف في اسمه على خمسة و
ثلاثين قولا اصحها ما ذكره المص بقوله عبد الرحمن وقد روى
ابن اسحق عنه انه ابدل به في الاسلام عن عبد شمس اسمه
في الجاهلية ابن صخر رضي الله عنه اسلم عام خيبر وشهدها
ثم لازم النبي صلى الله عليه وسلم الملازمة التامة رغبة في العلم
راضيا لشبع بطنه في باب القناعة ومن ثم كان من احفظ
الصحابة قال البخاري روى عنه اكثر من ثمانمائة ما بين صحابي
وتابعي توفي سنة سبع وخمسين بالمدينة ودفن بالبقيع وما
اشتهر ان قبره بقرب عسقلان لا اصل له وانما ذاك صحابي
آخر اسمه جيدرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول ما نهيتكم عنه سواء كان نهي تحريم او تنزيه
ليشمل الحرام والمكروه فاجتنبوه اي اجعلوه في جانب واتركوه
وفي رواية فدعوه قاله في حجة الوداع حين خطب قائلا ايها
الناس فرض عليكم الحج فقال اقرع بن حابس اكل عام
يا رسول الله فسكت قالها ثلاثا فقال لو قلت نعم لوجب
ولما استطعتم وهذا الخطاب ونحوه يختص لغة بالموجودين

عند نزوله وعرفا يشمل من بعدهم لما هو معلوم من الدين بالضرورة
أن هذه الشريعة عامة الى يوم القيمة ولقوله حكمي على الواحد
حكمي على الجماعة وما امرتكم به فاتوا وفي نسخة صحيحة فافعلوا
منه اى مما امرتكم وجوبا في الواجب وندبا في المندوب ما
استطعتم ما قدرتم عليه فانه سبحانه يريد بكم اليسر ولا يريد
بكم العسر ولا يكلف نفسا الا وسعها وبهذا الحديث
والاية الموافقة له يخص عموم قوله تعالى وما اتاكم الرسول
فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا ثم هذا الحديث موافق لقوله
تعالى فاتقوا الله ما استطعتم واما قوله عز وجل اتقوا الله
حق تقاته فقيل منسوخ والاصح ان تلك مبينة لهذه وانما
يتم هذا على تفسير حق تقاته بامتثال امره واجتناب زجره واما
على المشهور من تفسيره بان يذكر فلا ينسى ويطاع فلا يعصى
فالاوجه النسخ فان هذه لما نزلت تحرجت الصحابة رضي الله عنهم
منها وقالوا اينا يطيق ذلك فنزلت والاظهر ان هذا التفسير
بيان لتقوى الخاصة وما سبق لتقوى العامة وعن احمد انه يوخذ
من الحديث ان النهي اشد من الامر لانه لم يرخص في شيء منه والامر
مقيد بالاستطاعة ويؤيده قول بعضهم اعمال البر يعملها البار
والفاجر والمعاصي لا يتركها الا الصديقون وقد يوخذ من
من هذا الحديث مبنى القاعدة المشهورة وهي ان درء المفاسد
اولى من جلب المصالح فاذا تعارضت مفسدة ومصلحة قدم دفعها
على نفعها لان اعتبار الشارع بالمنهيات اشد منه بالمامورات
وهذا يوافق الحكمة البدنية ايضا من ان الاحتماء اولى من
استعمال الدواء فانما اهلك الذين من قبلكم اى صار سبب
هلاكهم كثرة مسائلهم اى مما لم يحتج اليها الضرورات
وقيل الاستفسار يحسن في الاخبارات ويقبح في الانشاءات

وذلك

وذلك كقصة بني اسرائيل في قضية البقرة ونحوها واختلافهم
قال المص هو برفع الفاء لا بكسرها يعني لفساد المعنى اى
عصيانهم على انبيائهم او ترددهم في ابنائهم ثم اعلم
ان هذا الحديث من جوامع الكلم وقد تضمن احكاما منها
وجوب ترك المنهيات ومنها وجوب فعل المامورات لان الامر
فيهما للوجوب ومنها تحريم الاختلاف الموجب للاختلال وكثرة
السوال من غير ضرورة داعية الى تلك الحال لانه توعد عليه
بالهلاك والوعيد على الشيء يقتضي تحريمه وقد قال تعالى واعتصموا
بحبل الله جميعا ولا تفرقوا اما الاختلاف فلانه سبب تفرق القلوب
ووهن الدين وظهور العيوب كما جرى للخوارج حين تبرا بعضهم
من بعض وان دحضوا وذلك حرام وسبب الحرام حرام واما كثرة
السوال عن غير ضرورة به تشعر بالتعنت او مفض اليه
وهو حرام وقد نهى صلى الله عليه وسلم عن قيل وقال وكثرة السوال
وروى احمد انه عليه السلام نهى عن الاغلوطات وهي المسائل
المشكلات وورد سيكون اقوام من امتي يغلطون فقهاءهم
بعضل المسائل اولئك شرار امتي وقال الحسن شرار
عباد الله الذين يتبعون شرار المسائل يعمون بها عباد الله
وقال الاوزاعي ان الله اذا اراد ان يحرم عبده بركة العلم
القى على لسانه المغاليط فلقد رايتهم اقل الناس علما وكان
ابي بن كعب وزيد بن ثابت وغيرهما من افاضل الصحابة
اذا سئل احدهم عن مسالة يقول او وقعت فان قيل نعم قال
فيها بعلمه او احال على غيره وان قيل لا قال دعها حتى تقع
ثم هذا كله فيمن يسال تعنتا او تكلفا واما من سال حاجة وتعرفا
فهو مثاب لقوله تعالى فسئلوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون
لا سيما اذا كان المسئول عنه معدن الحقائق ومنبع الدقائق

وان كنت لابد متشربا فمن اعظم البحر تتشرب وفي الحديث
اشارة الى وجوب اتباعه عليه السلام وتسليم ما جاء به من الاحكام
من غير معارضة ولا مدافعة اذ لم يترك شيئا يقرب الى الله الا امر به
ولا شيئا يبعد عن جنابه الا نهى عن ذلك وهي امور لا يرشد اليها
بمجرد العقل اذ العقل لاقامة رسم العبودية لا لادراك رسوم
الربوبية بل تلك اسرار يكاشف بها من حضرة القدس وحظيرة
الانس القلب الاصفى للنبي المصطفى لانه من بين الخلق تخلق
باخلاق الحق فذو العرش محمود وهذا محمد قال السهروردي
العارف وجاء مثالك ايها المحبوس في قفص عالم الحكمة مثال
الجنين في بطن الام فانه لو قيل له ان الله خلق السموات
والارض والعرش والكرسي والشمس والقمر ما يفهم ذلك
ولا يهتدي ما هنالك فانت ايها المتعقل بعقلك ذلك الجنين
ما انشقت عينك مشايم عالم الشهادة ولا تفضضت بيضة
وجودك بعد ما ولدت فاذا مت يقال لك فكشفنا عنك غطاءك فبصرك
اليوم حديد فتستيقظ من رقدتك بموتك وترى عالما ما رايته بعينك
كما قال بعضهم الناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا واما اهل الله وخاصته
فوجدوا ذلك ذوقا وما لوا الى ما هنالك شوقا وقد قال قائلهم لو كشف
الغطاء ما ازددت يقينا رواه البخاري ومسلم عن ابي هريرة خطبنا
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا ايها الناس قد فرض عليكم
الحج فحجوا فقال رجل اكل عام يا رسول الله فسكت حتى قالها
مرارا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو قلت نعم لوجبت
ولما استطعتم ثم قال ذروني ما تركتكم فانما هلك الذين من
قبلكم بكثرة سوالهم واختلافهم على انبيائهم فاذا امرتكم
بشئ منه فاتوا منه ما استطعتم واذا نهيتكم عن شئ فدعوه
هذا وقد قال تعالى لا تسالوا عن اشياء ان تبد لكم تسؤكم

فقيل

فقيل انها نزلت لما سالوه عن الحج وقالوا افي كل عام والمعنى ان جميع
ما يحتاج اليه من امر الدين لا بد ان يتبين في القران المبين فلا حاجة
الى السوال وانما المحتاج فهم ما فيه بمساعدة احاديث سيد المرسلين
قال تعالى لتبين للناس ما نزل اليهم ولعلهم يتفكرون وقد
صح ان اعظم المسلمين جرما من سال عن شئ لم يحرم فحرم من اجل
مسالته وعن انس نهينا ان نسال رسول الله صلى الله عليه وسلم
عن شئ وكان يعجبنا ان يجئ الرجل من اهل البادية العاقل
فيساله ونحن نسمع وروى احمد انهم رشوا اعرابيا برداء
حتى يسال لهم ولعل هذا هو السبب لسوال جبرئيل عليه السلام

الحديث العاشر

عن ابي هريرة رضي الله
عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى
طيب اي حسن جيد ماخوذ من الطيب والمعنى طيب
الثناء مستلذ الاسماء قيل هو من اسمائه الحسنى يصح الحديث
به كالجميل لحديث ان الله جميل يحب الجمال رواه البيهقي بسند
صحيح عن ابي سعيد واما ما زاد ابن عدي سخي يحب السخاء
ونظيف يحب النظافة فسنده ضعيف وكذا ما رواه الترمذي
ان الله طيب يحب الطيب نظيف يحب النظافة جواد يحب الجود
ففي اسناده مقال والحاصل ان معناه متصف بجميع صفات الكمال
ومنزه عن سمات النقصان والزوال لا يقبل من الاعمال والاقوال
والاموال والاحوال الا طيبا لقوله تعالى اليه يصعد الكلم
الطيب والعمل الصالح يرفعه والمعنى الا طاهرا خالصا من المفسدات
كالعجب والريا او حلالا احترازا من مال المغصوب والربوا واعلم
ان الطيب يطلق لمعان منها المستلذ طبعا نحو هذا طعام
طيب نحو قوله تعالى فانكحوا ما طاب لكم من النساء ومنها
الحلال ويقابله الخبيث كقوله تعالى قل لا يستوي الخبيث والطيب

ومنها الظاهر كقوله الطيبون للطيبات اى الطاهرون من
العيوب للطاهرات من الذنوب والله عز وجل طيب بهذا المعنى
اى هو طاهر منزه عن جميع النقائص والآفات لا يقبل من
الاعمال الا طاهرا من المفسدات ولا من الاقوال الا طاهرا من
المحرمات ثم اعلم ان انتفاء القبول قد يوذن بانتفاء الصحة
كما في حديث لا يقبل الله صلوة احدكم اذا احدث حتى يتوضأ
وقد يفسر القبول بالثواب ومنه خبر احمد من صلى في ثوب
قيمته عشرة دراهم فيه درهم حرام لم يقبل له صلوة ما كان عليه
ومنه قوله تعالى انما يتقبل الله من المتقين فمعنى الحديث لا ينبغي
ان يتقرب الى الملك المتعال الا بما يكون حلالا من خيار المال كما
قال تعالى لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون ولا يقبل
الا عبدا متحليا بفضيلتي العلم والعمل تقيا من الشبهات
نقيا من النجاسات سليما قلبه من الآفات ثم هذه الجملة
المصدرة توطئة لما هو الغرض من سياق هذا الحديث وهو
استعمال اكل الحلال لحيازة الكمال المستلزم لاجابة الدعاء في
غالب الاحوال ولذا قال وان الله عز شانه وجل اى برهانه
امر المومنين بما امر به المرسلين فسوى بين الرسل وامهم
في خطاب المقال لعموم وجوب اكل الحلال فقال اى الله كما في
نسخة صحيحة وفي اخرى اكتفى بقوله تعالى يا ايها الرسل هذا
الخطاب والنداء ليس على ظاهره لانهم ارسلوا في ازمنة مختلفة
فالمراد الاعلام بان كل رسول نودى بهذا في زمانه ليعتقد السامع
ان ما نودوا به جميعا حقيق بالاخذ والعمل به كذا في الكشاف
وفيه نفحة اعتزالية لانهم لما لم يثبتوا قدم الكلام حملوا على ذلك
لنظام المرام لكن الحق ان الله متكلم في الازل وان لم يكن ثم مخاطب
فالخطاب على ظاهره واجيب عن هذا بان التعلق التنجيزي

في حال

في حال العدم بان يطلب من المكلف العقل والفهم في حال العدم محال
بالاتفاق والمراد بالخطاب للمعدوم كما حققه شارح المختصر التعلق
العقلي وهو ان المعدوم الذي علم الله انه يوجد بشرائط التكليف
يتوجه عليه حكم في الازل انتهى وقد يقال يمكن الجمع بين القولين
بانه كما تعلق العلم الازلي بهذا الخطاب ظهر عيانا وفقه التعلق
التنجيزي بخطاب الرسل واحدا بعد واحد في هذا الباب
ويويده ان هذا كله محفوظ في ام الكتاب كلوا من الطيبات
اى الحلالات ولو كانت من المستلذات وقدمه على قوله واعملوا
صالحا اى كل ما يصلح من العبادات ليكون اشاره الى ان الصالح
من الاعمال لا بد ان يكون مسبوقا باكل الحلال وقال تعالى يا ايها
الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم اى حلالات ما ملكناكم
واعطيناكم اسند الرزق الى نفسه تحريضا لهم على غاية احتياطهم
حتى لا ياكلوا الا الحلال المطلق الذي يستاهل ان يضاف اليه
ومن تبعيضية صيانة لهم عن الاسراف في الكمية او اشارة
الى ان جملة رزقه ومحصوله اكثر من ماكوله ومع هذا هو حريص
على زيادة تحصيله والامر للاباحة او للوجوب كما لو اشرف على
الهلاك في المجاعة او للندب كموافقة الضيف ومعاونة الصوم
وقوة العبادة قال سهل بن عبد الله اداب الاكل ان يكون
حلالا وهو ما لا يعصى الله فيه وصافيا وهو ما لا ينسى الله فيه
وقواما وهو ما يمسك النفس والعقل وتماما وهو ان يودي شكر
المنعم وفي الاية اشارة الى ان الحرام رزق وهو مذهب اهل السنة
خلافا للمعتزلة ودليلنا من الكتاب قوله تعالى وما من دابة في الارض
الا على الله رزقها وقد علمنا ان جميع المكلفين ليس ما ياكلون حلالا فانهم
قد يسرقون ويغصبون فينتفعون به ومن السنة حديث ان
نفسا لن تموت حتى يستكمل رزقها فدل على ان جميع ما اكلته كل

بما يفهمه ويعقله فيما لا يزال صح

بدل فيعقلون

نفس رزقها حلالا كان او حراما مع اجماع الامة على ان الله يرزق
البهايم ما ياكله وليس عليك لها فدل على ان اصل الرزق لا يشترط
فيه الملك قال ابو هريرة ثم ذكر اى النبى عليه السلام الرجل
استطرادا بان عقب كلامه بذكر الرجل الموصوف استبعادا لان
الله لا يقبل دعاء آكل الحرام لبعد مناسبته عن جنابه الاقدس
لتكدر وقته وتسود قلبه فلفظ ثم للترتيب فى الوجود لا فى رتبة
الشهود ويطيل السفر منصوب المحل بانه صفة للرجل
لانه فى المعنى كالنكرة او حال كما جوز الوجهان فى قوله تعالى
يحمل اسفارا او قيد الاطالة لانها اقرب الى الاجابة لان طول
الغربة يقتضى زيادة الكربة والمعنى يطيل السفر فى العبادات
كالحج وطلب العلم والغزوات ومع ذلك لا يستجاب له الدعوة فكيف
بمن هو منهمك فى المعصية او الغفلة اشعث متفرق الشعر
كما هو من لوازم السفر اغبر مغبر الوجه فى الاكثر صفتان
اخريان او حالان مترادفتان من فاعل يطيل او متداخلان وفى
هذين الحالين ايضا اشارة الى ان رثاثة الهيئة من اسباب الاجابة
ومن ثم قال صلى الله عليه وسلم رب اشعث اغبر ذي طمرين
مدفوع بالابواب لو اقسم على الله لابره ولذا ندب ذلك فى دعاء
الاستسقاء يمد يديه اى يرفعهما الى السماء لانها قبلة
الدعاء قائلا يا رب اعطنى كذا يا رب جنبنى كذا والمراد بهما
التكرار والاكثار ويؤيده انه اخرج البزار مرفوعا اذا قال العبد
يا رب اربعا قال الله لبيك عبدي سل تعطه ولذا تحالب ادعية القران
مصدرة بذكر الرب فان نعت الربوبية يناسب حالة العبودية وقد
قال جعفر الصادق من حزبه امر فقال خمس مرات ربنا نجاه
الله مما يخاف واعطاه ما اراد لان الله حكى عنهم فى اخر ال عمران
انهم قالوه خمسا ثم قال فاستجاب لهم ربهم وفى الحديث

ان

ان الله كريم يستحيى من عبده ان يرفع اليه كفيه ثم يردهما صفرا خائبتين
رواه احمد وابو داود والترمذي والحاكم والبيهقى عن ابى موسى وسبب ذلك
ان فى رفعهما اشعارا الى الذل والانكسار والاقرار بسمة العجز والا
فتقار ولذا قال صلى الله عليه وسلم سلوا الله ببطون اكفكم ولا
تسالوه بظهورها فاذا فرغتم فامسحوا بها وجوهكم واما ما ورد
فى صحيح مسلم انه صلى الله عليه وسلم جعل ظهورهما الى السماء فلعله
من خصوصية دعاء الاستسقاء لما فيها الايماء الى انقلاب الاحوال
كما ذكر فى تقليب الرداء وروى احمد انه صلى الله عليه وسلم
فعله وهو واقف بعرفة وحملوه على انه جمع بين الوجهين فالاول
لحصول مطلوب من النعماء والثاني لدفع ما وقع به من البلاء
وجاء ايضا انه رفع يديه وجعل ظهورهما الى جهة القبلة
وهو مستقبلها وجعل بطونهما مما يليه ولعله لبيان الجواز او
لدفع ما يتوقع به من المحنة فجعل يديه بمنزلة الجنة ثم فى رفعهما
الى السماء ايماء الى ان السماء مخزن الارزاق ومعدن اسرار الخلاق
ومعبر العمال ومحل الضياء ومنزل الصفاء ومطعمه حرام
حال من فاعل قائلا وهو مصدر ميمى بمعنى المفعول وكذا قوله
ومشربه حرام وملبسه حرام وغذى هو بضم الغين وكسر
الذال ذكره المصر وهو بتخفيف الذال المعجمة فى اكثر النسخ المعتبرة
وفى المصابيح وردت مشددة اى والحال انه قد حصل تغذيته
وتنميته وتربيته بالحرام فهو اشارة الى حال صغره كما ان
قوله مطعمه الى حال كبره تنبيها على استواء حاليه فى امره
فانى الاستفهام للاستبعاد اى كيف ومن اين يستجاب اي
يجاب الدعاء لذلك اى الرجل الموصوف بالابتداء او لاجل
كون مطعمه ومشربه وملبسه حراما من الابتداء الى الانتهاء
وقد قيل ان للدعاء جناحين اكل الحلال وصدق المقال لكنه فى

هذا الزمان لا يوجد الا قليلاً في كثير من الاحوال فلنكتف بغيره
بما يحفظ دُرُعاً لئلا نموت جوعاً وما احسن قول بعض الظرفاء شعر
يقول لي الجهول بغير علم • دع المال الحرام وكن قنوعا فلما لم
اجد مالا حلالا • ولم اكل حراما مت جوعا لكن قال بعض العارفين
واذا كنت مضطرا باكل الميتة فينبغي انك ما دمت تلقى غنما لا تاكل
من حمار وما دمت تجد حمارا لا تاكل من كلب وما دمت تصادف
كلبا لا تباشر خنزيرا ففيه الاشارة الى ان وقت الابتلاء
بالمحرمات والشبهات ينبغي ان يراعي ما يوجد اقرب الى الحلالات
ثم اقل المراتب في هذا الباب ان يحترز مما حرمه فتوى العلماء
وهو ورع العامة ثم يمتنع عما يتطرق اليه احتمال التحريم
وان افتى المفتي بحله بقوله عليه السلام فيما ياتي وان افتوك
وهو ورع الصالحين ثم ترك ما لا باس به مخافة ما به باس وهو
ورع المتقين ثم الحذر عن كل ما لا يراد بتناوله القوة على الطاعة
او يتطرق الى بعض اسبابه معصية او كراهية وهو ورع
الصديقين رواه مسلم وهو احد الاحاديث التي عليها قواعد
الاسلام وبيان الاحكام وعليه العمدة في اكتساب الحلال
واجتناب الحرام واخرج الطبراني عن ابن عباس قال
تليت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الاية يا ايها
الناس كلوا مما في الارض حلالا طيبا فقال سعد بن ابي
وقاص يا رسول الله ادع الله ان يجعلني مستجاب الدعوة
فقال له النبي صلى الله عليه وسلم عليه السلام يا سعد اطب
مطعمك تكن مستجاب الدعوة والذي نفس محمد بيده ان
العبد ليقذف اللقمة الحرام في جوفه ما يتقبل منه اربعين يوما
وايما عبد نبت لحمه من سحت فالنار اولى به وقد قيل لم يستجاب
دعوتك دون الصحابة فقال ما رفعت الى فمي لقمة الا وانا

اعلم

نسخه ما يحفظ روعاً

ومباني

اعلم من اين جاءت ومن اين خرجت وجاء في حديث انه اذا خرج
الحاج بالنفقة الخبيثة فوضع رجله في الغرز اي الركاب فقال
لبيك ناداه ملك من السماء لا لبيك ولا سعديك وحجك مردود عليك

الحديث الحادي عشر

قيل انه مبني على السكون وقيل
على الفتحة التقديرية وقيل بالفتحة اللفظية عن ابي محمد
الحسن كناه بذلك وسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم
بن علي بن ابي طالب وقع في اصل ابن حجر هنا رضي الله عنهما
وهو في غير محله توهم رجع الضمير الى علي والى طالب فالصواب
تاخيره كما في النسخ المعتبرة على ما سياتي سبط رسول الله صلى الله عليه
وسلم بالجر على انه بدل من ابي محمد او بيان للحسن ويجوز رفعه على انه خبر
مبتدا مقدر هو هو ونصبه بتقدير اعني اي ابن بنته فاطمة الزهرا
رضي الله عنها وريحانته اي طيب قلبه او رزق ربه او راحة
روحه ولبه وهو ماخوذ من قوله عليه السلام في شان الحسن والحسين
هما ريحانتاي من الدنيا وفي رواية من الجنة ولد في نصف رمضان
سنة ثلاث من الهجرة على الاصح ومات سنة خمسين مسموما
من زوجته بارشاء يزيد بن معاوية لها على ذلك كما قيل ودفن
بالبقيع وكان من العلماء الكرماء ومروياته ثلاثة عشر
حديثا وعلقت فاطمة باخيه الحسين بعد خمسين يوما من ولادته
رضي الله عنهما اي عن الحسن وعلي ومن جملة مناقبه وعلو
مراتبه ما رواه مسلم عن ابي هريرة انه عليه السلام قال للحسن
اللهم اني احبه فاحبه وعن معاوية قال رايت النبي صلى الله
عليه وسلم يمص لسانه او قال شفته يعني الحسن وانه لن يعذب
لسان او شفة مصهما النبي صلى الله عليه وسلم وروي انه حج
خمس عشرة حجة ماشيا والنجائب تقاد بين يديه وخرج
من ماله مرتين وقاسم الله ماله ثلاث مرات وربما اجاز الواحد

ف

مائة الف وقد احصي سبعين امراة ولما بايعه الناس بعد ابيه ولي
الخلافة سبعة اشهر واحد عشر يوما ثم تركها خشية سفك
الدماء مطابقة لما روى الحسن البصري عن ابي بكرة قال
بينما رسول الله يخطب جاء الحسن حتى صعد المنبر فقال ان
ابني هذا سيد وان الله سيصلح به بين فئتين عظيمتين
من المسلمين قال حفظت من وفي نسخة ضعيفة عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم دع ما يريبك الى ما لا يريبك
هو بفتح الياء وضمها لغتان والفتح افصح واشهر ومعناه
اترك ما شككت فيه واعدل الى ما لا تشك فيه ذكره المصنف واشار
فيه الى ان الى متعلقة بمقدر كاعدل او اذهب والمعنى خذ ما
تيقنته حسنا وحلالا واترك ما شككت في كونه حسنا ام قبيحا
وفي كونه حلالا ام حراما ويقال دع ذاك الى كذا اي استبدل به والامر
فيه للندب فعن عمر رضي الله عنه ما تشتبه فيها بعض الريبة خير
من المسائل ويروى عن زيد بن ثابت انه قال ما شيء اسهل من
الورع اذا رابك شيء فدعه وقال ابو ذر تمام التقوى ترك بعض
الحلال خوفا ان يكون حراما وقيل لابن ادهم الا تشرب من ماء
زمزم فقال لو كان لي دلو لشربت اشارة الى ان الدلو من مال
السلطان وهو مشتبه ثم اعلم ان الريبة يقع في العبادة
والمناكحة وسائر انواع المعاملة ومن ثم كان الخروج من الخلاف
في كل مسالة افضل باجماع علماء الامة لانه ابعد عن الشبهة
فالمعنى اترك ما تشك فيه من الاحوال انه من نوع الحرام او الحلال
او ما تتردد فيه من الاقوال والافعال انه منهي عنه اولا او سنة او
بدعة واعدل الى ما لا تشك فيه من الاحوال والمقصود ان يبني
المكلف اموره في الاتباع على اليقين واما بلسان العارفين فمعناه
اذا كنت صحيحا الخاطر طاهر الباطن نقي القلب مراقبا للغيب

وتوف

وتوف لمة الملك لمة من الشيطان والالهام من حديث النفس وكنت
مميزا بين الحق والباطل بنور الفراسة دع ما يريبك من الاغلوطات
القلبية والشبهات النفسانية والشيطانية الى ما لا يريبك مما
ينزل بقلبك وعقلك وروحك من الالهام الالهي وكما ان تترك ما
يريبك مامور به فترك ما يريب الغير مما يصعب على افهام العامة
اولى كما اشار الى ذلك الامام الاعلى اني لاكتم من علمي جواهره
كيلا يرى الحق ذو جهل فيفتتنا يا رب جوهر علم لو ابوح به
لقيل لي انت ممن يعبد الوثنا ولاستحل رجال مسلمون دمي
يرون اقبح ما ياتونه حسنا رواه الترمذي بكسر التاء والميم
وبفتح الاولى وحكي ضمهما والكل بالذال المعجمة نسبة لمدينة قديمة
على طرف جيحون نهر بلخ وهو ابو عيسى محمد بن عيسى بن سورة و
كان من اوعية الفقه والحديث لقي البخاري وخلقا كثيرا توفي
بترمذ من وراء جيحون في رجب سنة تسع وسبعين ومائتين
والنسائي بفتح النون والسين مقصورا ويمد منسوب الى نساء خراسان
وهو الامام ابو عبد الرحمن احمد بن شعيب رحل واجتهد واتقن
الى ان تفرد فقها وحديثا وامامة وديانة ومات بمكة سنة ثلاث
وثلاثمائة كذا ذكره الشارحون ونسبوه الى جامع الاصول ونقل
ابن حجر انه مات بالرملة والله اعلم ورواه ايضا ابن حبان في صحيحه
والحاكم وقال الترمذي حديث حسن صحيح اي حسن باعتبار
اسناده وصحيح باعتبار اسناد اخر والجمع بينهما باعتبار التردد فيه
هل هو مترق من درجة الحسن الى الصحة ام لا بحذف كلمة او
كما تحذف من الذي بعد فلا يرد ما قيل من ان الجمع بينهما في
حديث واحد كالجمع بين المتنافيين لان الحسن قاصر درجته
عن مرتبة الصحيح كما يظهر لك من تعريفهما في اصول الحديث
وذكر ابن الصلاح وجها اخر وهو انه اراد بالحسن اللغوي

وبالصحيح الاصطلاحي وهو ما تستحسنه النفس ويميل الطبع اليه
انتهى ولا يبعد ان يكون الامر بالعكس بان يراد الصحيح الثابت سنده
وقد يقال حسن لذاته وصحيح لغيره هذا وعند الترمذي وغيره
زيادة فيه وهي فان الصدق طمانينة والكذب ريبة ولفظ ابن
حبان فان الخير طمانينة وان الشر ريبة وقد اخرجه احمد ايضا عن
انس والطبراني عن ابن عمر وروى ابو نعيم في الحلية والخطيب عن ابن
عمر مرفوعا دع ما يريبك الى ما لا يريبك فانك لا تجد فقد شيء
تركته لله وروى باسناد ضعيف عن ابي هريرة عن النبي صلى الله
عليه وسلم انه قال لرجل دع ما يريبك الى ما لا يريبك قال
وكيف لي بالعلم قال اذا اردت امرا فضع يدك على صدرك
فان القلب يضطرب للحرام ويسكن للحلال وان المسلم الورع
يدع الصغيرة مخافة الكبيرة زاد الطبراني قيل له فمن الورع
قال الذي يقف عند الشبهة ومن ثم تنزه يزيد بن زريع عن
خمسماية الف من ميراث ابيه فلم ياخذها وكان ابوه يلي
الاعمال للسلاطين وكان يزيد يعمل الخوص ويتقوت منه
الى ان مات وقد قيل ينبغي ان التدقيق في التوقف عن
الشبهات انما يصلح لمن استقامت احواله وتشابهت اعماله
بخلاف المنتهك في المحرمات ومن ثم قال ابن عمر لمن سال عن دم
البعوض قتلوا الحسين ولم يسالوا واستاذن رجل بعض السلف
ان يكتب من محبرته فقال هذا ورع مظلم وقال الاخر في مثل
ذلك ما بلغ ورعي ولا ورعك هنالك وقد قال بعض علمائنا
هذا زمان الشبهات وقت استعمالها وترك المحرمات والمعنى ان
كثرة الشبهات وقلة الحلالات اوجبت ان يكون الورع منحصرا
في ترك المحرمات ويؤيده انه صلى الله عليه وسلم قال لاصحابه انتم
في زمان لو تركتم عشر ما علمتم لهلكتم ويأتي على الناس زمان

يعني والبصة من محمد والخطيب عن ابن عمر ...

وقعت

و

لو عملوا بعشر ما علموا لنجوا وفقنا الله لمرضاته ورزقنا رزقا
حسنا مقويا للطاعة

الحديث الثاني عشر

عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه بفتح اوله ذكره
المصنف يعني ويكسر ثالثه اي لا يهمه من العنا بمعنى الاعتناء والمعنى
ما لا ضرورة فيه ولا منفعة له والضمير المستتر المرفوع راجع
الى ما والضمير المنصوب الى المرء بمعنى الشخص الشامل للرجل
والمراة ومن للتبعيض لان محاسن الاسلام كثيرة ومن
جملتها فعل ما يعنيه وتركه مصدر مضاف الى الفاعل الراجع
الى المرء وما لا يعنيه مفعوله والمجموع مبتدا ومن حسن خبره
وانما قدم الخبر لاشتمال المبتدا على ضمير يرجع الى متعلق الخبر
فهو من باب على التمرة مثلها زبدا ثم اعلم ان الذي يعني الانسان
من الامور ما يتعلق بضرورة حياته في معاشه مما يشبعه من جوع
ويرويه من عطش ويستر عورته ويعف فرجه ويكفه ويسكنه
وبضرورة سلامته في معاده وهو الاسلام والايمان والاحسان
على ما مر بيانه وسبق برهانه وذلك يسير بالنسبة الى ما لا يعنيه
ان سلم من سائر الافات وجميع الشرور والمخاصمات وكان ذلك
من الفوائد الدالة على حسن اسلامه وثبات مقامه وحقيقة
تقواه ومجانبه للهواه لاشتغاله بمصالحه الاخروية واعراضه
عن اغراضه الدنيوية واغراضه الشهوية من التوسع في الدنيا
الدنية وطلب المناصب والرياسات النفسية ومجمل الكلام انه
ينبغي للمرء ان يشتغل بالامور التي يكون فيها صلاح معاشه
ومعاده ويتصرف في الدنيا بمقدار اخذ زاده لحصول مراده
ويسعى في الكمالات العلمية والحالات العملية التي هي وسائل
الى حصول السعادات الابدية ووصول النعم السرمدية وقد

قال انس استشهد غلام منا يوم احد فوجد على بطنه صخرة مربوطة
من الجوع فمسحت امه التراب عن وجهه وقالت هنيئا لك الجنة
فقال النبي صلى الله عليه وسلم وما يدريك لعله كان يتكلم
فيما لا يعنيه وروي انه عليه السلام قال لابي هريرة تريد
ان لا يجري عليك القلم قال نعم يا رسول الله قال اد فرايض الله
وكف عن المحارم ودع الكلام فيما لا يعنيك وكان الصديق الاكبر
يقول يا ليتني كنت اخرس الا عن ذكر الله وقال معروف مقت الله
للعبد ان يراه مشتغلا بما لا يعنيه فانه من اشتغل بما لا يعنيه
فاته ما يعنيه وقال الغزالي حد ما لا يعنيك في الكلام ان يتكلم
بما لو سكت عنه لم تاثم ولم تتضرر حالا ومآلا فانك به تضيع زمانك
وتحاسب على ما نطق به لسانك اذ تستبدل الذي هو ادنى بالذي
قال اتستبدلون الذي هو ادنى الآية
هو خير ولو صرفته في الفكر والدعاء بما يتفتح لك من نفحات
وجه الله ما يعظم جدواه ولو سبحت تبنى لك قصر في الجنة
ومن قدر على ان ياخذ كنزا من كنوز الجنة واخذ بدله بدرة
كان خاسرا في التجارة ثم حسن الاسلام عبارة عن كماله وتمامه
والاستسلام لاحكامه وهو علامة شرح الصدر بنور الرب
ونزول السكينة على القلب حديث حسن بل صرح ابن عبد البر
بانه صحيح رواه الترمذي وغيره في الجامع الصغير للسيوطي
انه رواه الترمذي وابن ماجه عن ابي هريرة واحمد والطبراني
عن الحسين بن علي والحاكم في الكنى عن ابي بكر والشيرازي عن ابي ذر
والحاكم في تاريخه عن علي بن ابي طالب والطبراني في الاوسط عن
زيد بن ثابت وابن عساكر عن الحارث بن هشام هذا وفي اصل
ص ١٢
ابن حجر زيادة هكذا مخالفا لما في الاصول فقال موصولا ولا ينافيه
رواية مالك له في الموطا عن الزهري مرسلا لان للزهري فيه
اسنادين احدهما مرسل وهو ما رواه مالك والاخر موصول

وهما

وهو ما رواه الترمذي وغيره والاتصال مقدم على الارسال وبذلك
يجاب عن قول احمد والبخاري وابن معين والدارقطني لا يصح الا مرسلا
اقول وله جواب اخر وهو ان اسناد المرسل صحيح واسناد الموصول
حسن ولا تنافي بينهما فلا يحتاج الى قول ابن حجر على ان له طرقا
مرفوعة اذا اجتمعت حدثت له قوة ولعل هذا من اسباب
تحسين المصنف له انتهى ولا يخفى انه لم يقل احد بضعف
هذا الحديث حتى احتيج الى تحسينه بتعدد طرقه بل لعل تعدد
طرقه باسانيد حسنة اوجب ابن عبد البر ان يقول بتصحيحه
فكانه اراد انه حسن لذاته صحيح لغيره او باعتبار بعض طرقه
صحيح ومن ثم قال ابن عبد البر رواته ثقات ثم هذا الحديث
من جوامع الكلم الجزيلة لاندراج المعاني الجليلة في اندماج المباني
القليلة ولعله مستفاض من قوله تعالى فيما وصف به المومنون الكاملون
قد افلح المومنون الذين هم في صلاتهم خاشعون والذين هم عن
اللغو معرضون ولهذا لما راى عليه السلام من يعبث بلحيته
في صلاته قال لو خشع قلبه لخشعت جوارحه وفيه اشارة
الى ان اللغو يكون في القول والفعل والخاطر وقد قال
ابو داود هذا الحديث ربع الاسلام وروى عنه عليه السلام
انه قال في صحف ابرهيم من عد كلامه من عمله قل كلامه الا
فيما يعنيه وروي ان رجلا وقف على لقمان الحكيم وهو في
خلق عظيمة فقال الست عبد بني فلان قال بلى قال
بعد
فما الذي بلغ بك الى ما ارى قال قدر الله وصدق الحديث
ارى
وترك ما لا يعنيني وعن الحسن من علامة اعراض الله عن العبد ان
يجعل شغله فيما لا يعنيه واخرج الترمذي ان رجلا مات اي
شهيدا كما في رواية فقال اخر ابشر بالجنة فقال صلى الله
عليه وسلم او لا تدري فلعله تكلم بما لا يعنيه او بخل بما يعنيه واخرج

العقيلي مرفوعا اكثر الناس ذنوبا اكثرهم كلاما فيما لا يعنيه
الحديث الثالث عشر عن ابي حمزه بحاء مهملة
وزاي مفتوحتين بقلة حريفية كناه صلى الله عليه وسلم بها
لاجتنائه اياها انس بن مالك رضي الله عنه الانصاري
الخزرجي البخاري خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم
كما صح عنه ان النبي عليه السلام لما قدم المدينة كان عمره عشر
سنين وان امه ام سليم اتت به النبي صلى الله عليه وسلم
اي في السنة الاولى من الهجرة فقالت له خذه غلاما يخدمك
فقبله وقد قالت له يوما يا رسول الله ادع الله له فقال
اللهم كثر ماله وولده وادخله الجنة وفي رواية اكثر ماله وولده
وبارك له فيه قال فلقد رزقت من صلبي سوى ولد ولدي
مائة وخمسة وعشرين اي ذكورا ولم يرزق الا بنتين على ما
قيل وان ارضي لتثمر في السنة مرتين وانا ارجو الثالثة
واستمر في خدمته صلى الله عليه وسلم الى ان توفي وهو عنه راض
ثم توطن بالبصرة وكان آخر الصحابة بها موتا سنة تسعين
عن مائة سنة او وعشرين سنة مات بقصره بالطف على فرسخين
من البصرة واوصى ثابتا البناني ان يجعل تحت لسانه شعرة
كانت عنده من شعر رسول الله صلى الله عليه وسلم ففعل وهو
احد المكثرين روى له الفان ومائتا حديث منها عن النبي صلى
الله عليه وسلم قال لا يؤمن احدكم اي ايمانا كاملا بدليل ما سبق (انه صح)
في حديث جبريل من تعريف اصل الايمان انه التصديق فقط
ونفي اسم الشيء على نفي الكمال عنه مستفيض شائع في كلامهم
كقولهم فلان ليس بانسان فان قيل فاذا حصل هذه
المحبة يلزم ان يكون مومنا كاملا وان لم يات بسائر اركان
الطاعة اجيب بان هذا مبالغة كان الركن العظيم فيه

هذه

هذه المحبة نحو لا صلوة الا بطهور او هذا الحصر بالنسبة الى
حقوق العباد دون حقوق الله سبحانه والمعنى لا يكمل ايمان
احدكم بان يترقى من حضيض التقليد الى ذروة اليقين والتاييد
حتى يحب لاخيه اي المسلم كما في رواية الاسماعيلي وكذا
رواية احمد والنسائي ولفظ حتى هنا جارة لا عاطفة ولا ابتدائية
اذ ما بعدها خلاف ما قبلها وان بعدها مضمرة ولهذا نصب
يحب ولا يجوز رفعه هنا لان عدم الايمان ليس سببا للمحبة ما
يحب لنفسه اي من الطاعات والمباحات كما جاء في رواية
النسائي من الخير كذا قال الشارح ولكن رواية الاسماعيلي والنسائي
وابن منده حتى يحب لاخيه من الخير ما يحب لنفسه اي مثل ما يحب
لنفسه فان عين ذلك المحبوب محال ان يحصل في محلين قال المص
في شرح مسلم وليس هذا من الصعب الممتنع كما ظن اذ
القيام بذلك يحصل بان يحب له حصول مثل ذلك من جهة
لا يزاحمه فيها بحيث لا تنقص النعمة عن اخيه شيئا من
النعمة عليه ويرحم عليه في جميع الاحوال وذلك سهل على القلب
السليم انتهى وكذا من كمال الايمان ان يبغض لاخيه مما
يبغض لنفسه ولم يذكره لان حب الشيء مستلزم لبغض
نقيضه فيكون من باب الاكتفاء كما اكتفى في الحديث السابق
بترك ما لا يعنيه عن فعل ما يعنيه ثم رايت خبرا احمد افضل الايمان
ان تحب للناس ما تحب لنفسك وتكره لهم ما تكره لنفسك وتحقيق
ذلك ان المومنين متحدون بحسب الارواح متعددون باعتبار الاشباح
كنور واحد في مظاهر مختلفة او كنفس واحدة في ابدان متفرقة
بحيث لو تالم البعض تالم الكل كما جاء في الحديث الاخر المومنون
كالجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعي له سائر الجسد بالحمى
والسهر وذلك لان ايمانهم من اثر نور الهداية شريعة وطريقة

ومن اثر الوار اسمائه وصفاته حقيقة فاروا حضهم المحدث
بذلك النور المقتضى للالفة والرحمة فان حزن واحد حزنوا
وان فرح واحد فرحوا وهذا مقام الجمع بالروح وهو ان يجتمع
عند تجلي الروح له عن تفرقة الطبيعة وهناك مقام اعلى
يقال له جمع الجمع وهو ان يجتمع عند تجلي الحق له عن تفرقة
الغير روحانيا ونفسانيا ملكيا وملكوتيا فلا يرى غير الله
لاختفاء ما سواه من جميع الاشياء كاختفاء النجوم عند اشراق
الشمس في السماء او كالهباء في الهواء رواه البخاري ومسلم
ورواه احمد والترمذي والنسائي وابن ماجه كلهم عن انس
لكن لفظ مسلم والذي نفسي بيده لا يؤمن عبد حتى يحب لاخيه
او قال لجاره ما يحب لنفسه ولفظ احمد لا يبلغ عبد حقيقة
الايمان حتى يحب للناس ما يحب لنفسه من الخير هذا وقد ورد
لا حرج على من كره الامتياز بالجمال ما ترى فما احب ان احدا من
الناس فضلني بشراكين فما فوقهما اليس ذلك هو البغي فقال لا
ليس ذلك من البغي ولكن البغي من بطر او قال سفه الحق

الحديث الرابع عشر عن ابن مسعود قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم لا يحل دم امرئ بحذف المضاف
واقامة المضاف اليه مقامه اي لا يحل اراقة دم شخص وهي
كناية عن قتل مسلم اي يشهد ان لا اله الا الله واني رسول الله
كما في البخاري ومسلم وجامع الاصول وقال المخرج الخمسة فوجه
حذفه لا يظهر ولعل الاكتفاء به وقع في رواية لهما لكن الاولى
ان يختار لفظ الاشهر والاكثر فتدبر الا باحدى ثلاث اي
ثلاث خصال والتقدير لا يجوز قتل مسلم بسبب من الاسباب الا
بارتكاب احدى ثلاث وهي زنا المحصن وقتل النفس بغير حق
والارتداد ففصل ذلك بتعداد المتصفين به المستوجبين القتل

خصال

لايحل

لاجله فقال الثيب بالرفع وهو الرواية كما صرح به الشارح
الكازروني فيقدر المبتدا اي احدها او الخبر اي منها او مضاف
اي خصلة الثيب وزناه او يقال هم الثيب الى اخره وهو الاظهر فتامل
ويجوز نصبه بتقدير اعني وجره بالبدل وهو اسم جنس يشمل الرجل
والمرأة الزاني بحذف الياء تخفيفا كالمتعال وفي نسخة صحيحة باثبات
الياء والمراد بالثيب المحصن وهو المكلف الحر الذي اصاب بعد التكليف
والحرية نكاحا صحيحا ولا بد من تحقق وطئ عندنا المقابلته بقوله
عليه السلام البكر بالبكر ثم للامام لا للآحاد رجمه ولا يجوز قتله
بغير ذلك اجماعا ثبت ان عمر رضي الله عنه قال في خطبته ان الله
بعث محمدا نبيا وانزل عليه كتابا وكان فيما انزل الشيخ والشيخة
اذا زنيا فارجموهما البتة نكالا من الله ان الله كان عزيزا حكيما
وقد رجم رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجمنا الحديث رواه مسلم
وغيره وكان ذلك بمشهد من الصحابة فلم ينكر عليه وفي صحيح
البخاري قال عمر رضي الله عنه خشيت ان يطول بالناس
زمان حتى يقول قائل لا نجد الرجم في كتاب الله فيضلوا بترك
فريضة انزلها الله الا وان الرجم حق على من زنى وقد احصن
اذا قامت البينة او كان الحبل او الاعتراف ورجم علي ايضا كما في
صحيح البخاري وغيره وحكوا على ذلك اجماع الصحابة ومن بعدهم
ممن يعتد باجماعه واما البكر المكلف غير المحصن فان كان حرا
فيجلد مائة وان كان رقيقا فيجلد خمسين ولا تغريب عندنا
ثم من الحكمة في قتل الزاني ان في الزنا مفاسد من اختلاط
الانساب وتضييع الاولاد ووثوب كل رجل على كل امرأة بمقتضى
طبعه وهواه فيهيج الفتن والحروب بين الانام بعد التشبه
بالبهائم والانعام والله رؤف بالعباد وهو لا يحب الفساد ثم
حكم اللواطة يعرف بادلة اخرى تفصيلها في محلها الاخرى

الزاني

لبناء

والنفس بالنفس اى وقاتل النفس يُقتل قصاصًا بالنفس التي
قتلها عدوانًا بشروطها المعتبرة فى الفروع وهو مخصوص بولى الدم
ولا يحل قتله لاحد سواه حتى لو قتله غيره لزمه القصاص وظاهر
الحديث المطابق لقوله تعالى وكتبنا عليهم فيها ان النفس بالنفس
يؤيد مذهب ابي حنيفة في ان المسلم يقتل بالذمي وان الحر يقتل بالعبد
خلافا للائمة الثلاثة فى اعتبارهم تساويهما فى الحرية لمفهوم قوله تعالى
الحر بالحر والعبد بالعبد وفى الاسلام لقوله عليه السلام لا يقتل
المسلم بكافر ودفع بان المراد بالكافر الحربي بدليل ما رواه الطحاوي
فى مسنده ان النبي عليه السلام قتل مسلما بذمي وقال انا احق من وفى
بذمته وكذا رواه ابو حنيفة وابو داود في مراسيله وعبد الرزاق و
الدارقطني ويؤيده ما رواه الشافعي والدارقطني عن علي من كانت
له ذمتنا فذمته كذمتنا وديته كديتنا واما الحديث الحسن الذى
فى التاريخ الاوسط للبخاري وسنن ابي داود من قوله عليه السلام
لا يقتل مسلم بكافر ولا ذو عهد بعهده فمحمول على الكافر الحربي المستامن
جمعا بين الادلة وان المقابلة فى الاية رد على اهل الجاهلية فى عدم
اعتبار المثلية بالكلية كما يدل عليه قوله سبحانه والانثى بالانثى فان
الاجماع على انه يقتل الذكر بالانثى والانثى بالذكر فتدبر وانما استدل لهم
بقوله تعالى وكلم فى القصاص فرد بانه لا مساواة فى الانفس كما لو قتل
عشرة واحدا او قتل صحيح سليم كبيرًا ضعيفا او رجل امرأة مع نقصان
عقلها ودينها عن دية الرجل فثبت ان لا اعتبار بالمساواة فى
ايجاب القصاص فى الانفس وان الكامل يقاد منه للناقص
وممن قال بان الحر يقتل بالعبد سعيد بن المسيب والنخعي والشعبي
وقتادة والثوري محتجين بقوله عليه السلام المسلمون تتكافؤ
دماؤهم بل وذهب النخعي والثوري فى احد قوليهما الى ان الحر
يقتل به وان كان عبده محتجين فى ذلك بما رواه النسائى من حديث

الجدع قطع الاذن والانف

الحسن عن سمرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قتل عبده
قتلناه ومن جدعه جدعناه ومن خصاه خصيناه قال البخاري
وانا اذهب اليه وقال غيره لم يسمع الحسن من سمرة الا احاديث
العقيقة وهو مدفوع بان من حفظ حجة على من لم يحفظ وبان
اعتبار الاتصال اولي من اعتبار الانفصال قال بعض العرفاء
كما كتب الله سبحانه القصاص على القتلى كتب على نفسه الرحمة
في قتلاه الذين بذلوا الروح الانساني عند شهود الجلال الصمداني
كما قال من احبني قتلته اى بسيف المجاهدة او بنور المشاهدة
ومن قتلته فانا ديته الحر بالحر والعبد بالعبد والانثى بالانثى اى
من كان متوجهًا اليه بالكلية كان قبضه به متصلا به بالكلية
ومن كان في رق غيره من المكونات لم يتصل به غاية الاتصال
ومن كان ناقصًا في دعوى محبته لم يكن مستحقا لكمال مودته ومن
كان الله ديته فله حيوة الدارين والبقاء برب الثقلين
والتارك لدينه يعني به المرتد بعد يقينه وفي رواية المسلم
التارك للاسلام وهو اظهر فى المرام المفارق اى بقلبه
واعتقاده او ببدنه او لسانه للجماعة اى المعهودين وهم
جماعة المسلمين فهو تاكيد لما قبله اى الذي فارق جماعة المسلمين
وخرج عن جملتهم وانفرد عن زمرتهم بالردة التي هي قطع اهل
الاسلام ومودتهم فيجب قتله ان لم يتب واستثناء المرتد
من المسلم باعتبار ما كان قبل ردته خصوصا وعلاقة الاسلام
مرتبطة بدليل انه لا يقتل حتى يستتاب ثلاثا وانما يقتل لان
في اقراره على الردة مع اصراره خللا لنظام عقد الاسلام فوجب
قتله حفظا للاحكام واختلف فى المراة المرتدة فقال
الشافعي واحمد تقتل لقوله عليه السلام من بدل دينه فاقتلوه
رواه الشيخان وهو عام فى الرجل والمراة ولان اشارة الحديث

لعل قبضه

المذكور الى ان العلة بتبديل الدين موجودة فى المراة وقال ابو حنيفة
لا تقتل لنهيه صلى الله عليه وسلم عن قتل النساء كما فى الصحيحين
وهو خاص فيهن فيقدم على عموم من بدل دينه فاقتلوه وفي
اثار محمد بن الحسن عن ابن عباس اذا هن ارتددن لا يقتلن ولكن
يحبسن ويدعين الى الاسلام ويجبرن عليه ولان العلة في قتل
الرجل بالردة انه لو اقر على الاصرار للحق بالكفار فكثر سوادهم
وحارب المسلمين فكفت عادينه بالقتل وهذا مفقود
فى المراة فانها ليست من اهل الحرب والنكاية فلا يخاف منها الاعانة
واما قول ابن حجر هذا منقوض بنحو اعمى والزمن فمدفوع بانه من
النوادر في هذا الجنس ثم فى الحديث دليل على انه لا يقتل بالبدعة
او نفى الاجماع الخالي عن نقل التواتر كالروافض والخوارج وكذا تارك
الصلوة لا يقتل واما قوله صلى الله عليه وسلم من ترك الصلوة متعمدا
فقد كفر فليس على ظاهره خلافا لاحمد فان الجمهور اولوه بان
معناه قارب الكفر او شابه الكافر او كفر نعمة ربه او جره الى
كفره في اخر امره او تحلوه على مستحله فيدخل فى حد المرتد واما
تفسير الشافعي للحديث بانه استحق عقوبة الكفر فليس ظاهرا فى
المراد فانه يحتمل استحقاق عقوبته فى الدنيا او الاخرى مع
انه ليس بقائل لكفره فى المعاد واما ما ذكره بعضهم
من ان المرتد بدل كل دينه والمفارق بعض دينه فدخل فى
الحديث اهل البغى والخوارج تجب المقاتلة معهم حتى يرجعوا
الى الحق ففيه ان الكلام فى القتل لا فى المقاتلة اما
ترى ان الاجماع على عدم جواز قتل باغ بانفراده او خارجي
او رافضي وحده فانه لا يلزم من جواز المقاتلة جواز القتل
الا ترى ان مانعى الزكوة يقاتلون بخلاف من تركها من
غير قتال فانه لا يقتل فكذا تارك الصلوة فحصلت الموافقة بين

هذا

هذا الحديث وما سبق من حديث امرت ان اقاتل الناس حتى يشهدوا
ويقيموا الصلوة ويؤتوا الزكوة بل هذا الحديث مبين لاجمال قوله
الا بحق الاسلام فانه محصور في هذه الثلاثة من الاحكام كما جاء مصرحا
مرويا عنه عليه السلام ثم خص من عموم هذا الحديث دفع الصائل
فانه لو ادى الامر الى قتله حل اراقة دمه او التقدير لا يحل تعمد قتله
الا في الثلاثة وقودا بعد من قال بدخوله فى المفارق للجماعة
ولا يخفى ان الارتداد حال الاشقياء من اهل القهر الالهي والطرد الكلي
لا يفتح لهم باب القلب فبابه الالهام ولا باب السمع والبصر فيدخلها
الفهم والاعتبار فارتدوا عن طريق الحق وصراط التوحيد واحتجبوا
بظلمات الكثرة عن نور التفريد فاستحقوا القتل والنار وحبسوا
فى ظلمات دار البوار فنسال الله لطف العزيز الغفار رواه البخاري
ومسلم وتقدم انه رواه الخمسة وقد اخرجه احمد ايضا لكن عن ابى
امامة بن سهل قال كنا مع عثمان وهو محصور في الدار فقال
انهم يتوعدونني بالقتل قلنا يكفيكهم الله يا امير المؤمنين
قال ولم يقتلونني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول لا يحل دم امرئ مسلم الا باحدى ثلاث رجل كفر بعد اسلامه
او زنى بعد احصانه او قتل نفسا فيقتل بها فوالله ما احببت
بديني بدلا منذ هداني الله ولا زنيت في جاهلية ولا اسلام
قط ولا قتلت نفسا فبم يقتلونني **الحديث الخامس عشر**
عن ابى هريرة رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
من كان يؤمن اى ايمانا كاملا بالله واليوم الاخر الكتفي بطرفي ما
يؤمن به لان المدار عليهما وخص اليوم الاخر بالذكر لان الخير
والشر ورجاء الثواب وخوف العقاب كلها راجع الى الايمان
باليوم الاخر فمن لم يعتقده لم يرتدع عن شر ولم يقدم على خير
وتكرير الشرطين في كل جملة للاهتمام والاعتناء بكل خصلة مستقلة

فليقل بسكون اللام وبكسراى فليقل قولا خيرا او فليذكر خيرا
لما فيه منفعة او ليصمت بضم الميم وكسره المص اى ليسكت ويترك
شرا لما فيه مضرة واو للتنويع والمعنى اذا اراد المومن ان يتكلم
فان كان ما يتكلم به خيرا يثاب عليه واجبا كان او مندوبا فليتكلم
به وان لم يظهر له خيره سواء ظهر انه حرام او مكروه او مباح
فليمسك عنه فالكلام المباح مامور بتركه مخافة انجراره الى حرام
او مكروه او خيفة من غفلة عن حال ذكره ومقام فكره ولذا قال
الصديق الاكبر ليتني كنت اخرس الا عن ذكر الله وفي الخبر ليس
يتحسر اهل الجنة يوم القيمة الا على ساعة مرت بهم ولم يذكروا
الله فيها وفي حديث اخر من صمت نجا فاعلم ان الصمت
في وقته صفة الرجال لما في الكلام من الافات الثقال واختلاف
الاحوال من حظ النفس واظهار الامتياز من بين الاشكال
وبه يظهر لمعات الطوارق وتطلع شموس الحقايق كما ان
النطق في موضعه من انفس الخصائل وانس الشمائل ولذا
قال الدقاق من سكت عن الحق فهو شيطان اخرس
وقال غيره الجاهل اذا تكلم فهو كالحمار واذا سكت فهو
كالجدار وفيه اشعار بان سكوته في مقامه خير من كلامه اذ
لا ضرر في سكوته مع ظهور الشر في رفع صوته ولقد صدق من
قال وحقق شعر تكلم وسدد ما استطعت فانه كلامك حي و
السكوت جماد فان لم تجد قولا سديدا تقوله فصمتك عن غير
السديد سداد قال تعالى يا ايها الذين امنوا اتقوا الله و
قولوا قولا سديدا وقد ورد عنه صلى الله عليه وسلم ان في صحف
ابرهيم عليه السلام على العبد ان يكون بصيرا بزمانه مقبلا على شانه
حافظا للسانه ومن حسب كلامه من عمله قل كلامه الا فيما
يعنيه وجاء في خبر انك لن تزال سالما ما سكت فاذا تكلمت

كتب

كتب لك او عليك وروى احمد والترمذى والنساى ان احدكم ليتكلم
بالكلمة من رضوان الله لم يظن ان تبلغ ما بلغت فيكتب الله بها
رضوانه الى يوم القيمة وان احدكم ليتكلم بالكلمة من سخط الله
ما يظن ان تبلغ ما بلغت فيكتب الله عليه بها سخطه الى يوم القيمة
والاحاديث في هذا المعنى كثيرة المبنى وقال الفضيل لا حج
ولا رباط ولا جهاد اشد من حبس اللسان على العباد وقال
لقمان لابنه لو كان الكلام من فضة لكان السكوت من ذهب
ومعناه كما قال ابن المبارك لو كان الكلام بطاعة الله من فضة
لكان السكوت عن معصية الله من ذهب وهو صريح في ان
الكف عن المعصية افضل من الطاعة التي لا يكون تركها معصية
وفيه اشارة الى ان الصمت افضل من الكلام لكن جماعة من
السلف الى تفضيل الكلام ويؤيدهم هذا الحديث حيث قدم الكلام
في معرض المرام وامر بالسكوت عند عدم وجود قول الخير خوفا من
وقوعه في الشر فيفيد ان قول الخير غنيمة والسكوت عن الشر سلامة
والايمان مشتق من الامان ولا امان لمن فاته الغنيمة والسلامة
فان الانسان اما ان يتكلم او يسكت فان تكلم فاما بخير وهو ربح
واما بشر فهو خسر وان سكت فاما عن شر وهو ربح واما
عن خير فهو خسر فله في كلامه وسكوته ربحان فينبغي ان يكتسبهما
وخسارتان فينبغي ان يتجنبهما وما احسن ما قال بعض ارباب
الحال شعر زيادة المرء في دنياه نقصان وربحه غير محض الخير خسران
وقد قال تعالى ان الانسان لفي خسر الاية وقد قال
عز وجل ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد قال محمد بن الحسن
اخبرنا هشام بن عروة عن عكرمة عن ابن عباس قال ان
الملائكة لا يكتب الا ما فيه اجرا ووزر وقد روى
البيهقي عن عايشة قالت ما رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم

نائما قبل العشاء ولا لاغيا بعدها اما ذاكرا فيغنم واما نائما
فيسلم وروى ان داود الطائي لما اراد ان يقعد في بيته
اعتقد ان يحضر مجلس ابي حنيفة اذ كان تلميذا له ويقعد
بين اضرابه من العلماء ولا يتكلم في مسألة فلما قوى نفسه
على ممارسة هذه الخصلة سنة كاملة قعد في بيته عند
ذلك واثر العزلة وقال بشر بن الحارث اذا اعجبك الكلام
فاصمت واذا اعجبك الصمت فتكلم ويروى عن معاذ بن جبل
انه قال كلم الناس قليلا وكلم ربك كثيرا لعل قلبك يرى الله
سبحانه وقيل ان ابا بكر رضي الله عنه كان يمسك في فيه
حجرا كذا سنة ليقل كلامه واما التزام الصمت واعتقاده
قربة مطلقا او في بعض العبادات كالصوم والاعتكاف
فمنهي عنه لخبر ابي داود ولا صمات يوم الى الليل وروى اسماعيلي
النهي عنه في الاعتكاف وروى ايضا في الصوم ومن كان
يومن بالله واليوم الاخر فليكرم جاره بالاحسان اليه
وتحمل ما يصدر منه وكف الاذى عنه واما ما وقع في رواية
من قوله فلا يوذ جاره فمحمول على ادنى الاكرام فقد قال
عليه السلام اتدرون ما حق الجار ان استعانك اعنته وان
استقرضك اقرضته وان افتقر جدت عليه وان مرض
عدته وان مات اتبعت جنازته وان اصابه خير هنأته
وان اصابته مصيبة عزيته ولا تستطيل عليه بالبناء عنه
فتحجب الريح الا باذنه وان اشتريت فاكهة فاهد له وان
لم تفعله فادخلها سرا ولا يخرج بها ولدك ليغيظ بها
ولده ولا توذه بغبار قدرك الا ان تغرف له منها اتدرون
ما حق الجار والذي نفسي بيده لا يبلغ حق الجار الا من
رحم الله تعالى ذكره الغزالي في الاربعين وكذا البيهقي

عن

عن عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده وقد قال تعالى والجار ذي
القربى والجار الجنب فقيل المراد بالاول الزوجة والغريب وبالثاني
الاجنبي وقيل الاول المسلم والثاني الكافر وقيل الاول القريب
المسكن منك والثاني ضده لخبر عايشة يا رسول الله ان لي
جارين فالى ايهما اهدي قال الى اقربهما منك بابا
والحاصل ان الجيران ثلاثة كافر فله حق واحد بالجوار
ومسلم فله حقان الجوار والاسلام ومسلم قريب فله حقوق
ثلاثة الجوار والاسلام والقرابة وهذا مضمون حديث
له طرق متعددة وبعضها متصلة وبعضها مرسلة وروى
الزهري مرسلا ان رجلا اتى النبي صلى الله عليه وسلم يشكو اليه
جارا له فامر صلى الله عليه وسلم بعض اصحابه الا ان اربعين دارا جار
وبه اخذ جمع من السلف وقيل في جار المسجد من سمع الاذان
والاقامة فيتقدر ذلك المقدار في الدار وقيل من ساكنك في
محلة او بلد فهو جارك وروى مسلم عن ابي ذر اوصاني
خليلي اذا طبخت مرقا فاكثر ماءه ثم انظر الى اهل بيت من
جيرانك فصلهم منها بمعروف وفي رواية فاكثر ماءه وتعاهد
جيرانك وروى البخاري في الادب كم جار متعلق بجاره
يوم القيمة يقول يا رب هذا اغلق بابه دوني فمنع معروفي
وفي الصحيحين ما زال جبرئيل يوصيني بالجار حتى ظننت
انه سيورثه ومن كان يومن بالله واليوم الاخر فليكرم ضيفه
بالبشر في وجهه وطيب الحديث معه وتعجيل ما حضر عنده
وقيامه بنفسه في خدمته واطعامه ثلاثة ايام بقدر وسعه
ثم يودعه بلطف في تودده واعتذار في تقصير حقه وروى
ابو الليث السمرقندي والبيهقي ان ابرهيم عليه السلام كان
يسمى ابا الضيفان وكان لقصره اربعة ابواب يمشي الميل

والمبلين في طلب من يتغذى معه وروى البيهقي عن عبد الله
بن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا جبرئيل بم اتخذ
الله ابرهيم خليلا قال لاطعامه الطعام وامر خبر الضيافة
على اهل المدر وليست على اهل الوبر فقيل موضوع وقيل ضعيف
والجمهور على ان الضيافة مستحبة وذهب احمد والليث بن سعد
انها واجبة هذا وبلسان العارفين كان الحديث يشير
الى رعاية السالك حال الاقرب فالاقرب فيبدأ بتكميل نفسه
ويروضها بذكر الحق والسكوت عن غيره لغلبات الروحانية
واستيلاء سلطان الحقيقة الفردانية حتى ينسى اولا نفسه
في ذكره ثم ينسى ذكره في ذكره ثم ينسى كل ذكر في ذكر ربه
ثم يثني بتكميل ما هو اقرب اليه قربا معنويا من الجار الذي في
مقام السلوك قريب في مقامه والضيف الذي هو السالك في
طريق الحق الداخل في الغربة عن ماوى النفس ولم يصل الى
مقام من مقامات اهل الانس فيكرمه ويزكيه ويونسه بذكر
المولى ويحفظ من التذلل لارباب الغنى ومن ادناس محبة
الدنيا لتحصيل الحيوة الطيبة وهي ان يصير النفس مطمئنة
مستعدة لقبول فيض ارجعي ويطيب القلب عن دنس الحدث
فانيا عن انانيته بكشف جلاله باقيا بشهود الحق وجماله
رواه البخاري ومسلم وفي الجامع الصغير رواه احمد والشيخان
والترمذي وابن ماجة عن ابي شريح وعن ابي هريرة ولفظه
من كان يومن بالله واليوم الاخر فليحسن الى جاره ومن
كان يومن بالله واليوم الاخر فليكرم ضيفه ومن كان يومن
بالله واليوم الاخر فليقل خيرا او ليسكت انتهى وفي البخاري
عن شريح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال والله لا يومن
والله لا يومن والله لا يومن ثلاثا قالوا ومن ذاك يا رسول الله

قال

قال الجار لا يومن جاره بوائقه قالوا وما بوائقه قال
شره وفي صحيح مسلم عن ابي هريرة مرفوعا لا يدخل الجنة
من لا يومن جاره بوائقه وروى البيهقي عن المقداد بن الاسود
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لان يزني الزاني بعشر
نسوة ايسر عليه من ان يزني بامرأة جاره ولان يسرق
السارق من عشر بيوت ايسر عليه من ان يسرق من بيت
جاره الحديث السادس عشر عن ابي هريرة ان
رجلا اي من الصحابة وهو ابن عمر او جارية بن قدامة او سفيان
بن عبد الله على ما ذكره الكازروني وغيره او ابو الدرداء كما ذكره ابن
حجر قال فقد اخرج الطبراني قلت يا رسول الله دلني على عمل عنه
يدخلني الجنة قال لا تغضب ولك الجنة لكن يبعد تعبير ابي هريرة
عنه بهذه العبارة اللهم الا ان يقال بتعدد السائل او لشكه
في القائل ويويده انه اخرج احمد عن جارية بن قدامة عم الاحنف
بن قيس انه قال سالت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت
يا رسول الله قل لي قولا واقلل علي لعلي اعقله قال لا تغضب
فاعدت عليه مرارا كل ذلك يقول لا تغضب لكن نازع في هذا
يحيى القطان بانهم يقولون ان جارية هذا تابعي لا صحابي
قال للنبي صلى الله عليه وسلم اوصني اي دلني على ما
ينفعني دينا ودنيا ويقربني الى الله زلفى وفي بعض
طرق الحديث اخبرني ما يبعدني من غضب الله قال لا تغضب
اي فيما يتعلق بحظوظ النفس والهوى لا فيما يتعلق
بحقوق المولى فردد وزيد في نسخة لفظ ذلك اي كرر الرجل
ذلك السوال او كرر ذلك السائل السوال مرارا اي ثلاث
مرات وكانه لم يقنع بقول لا تغضب فطلب وصية
ابلغ منها وانفع لغيرها فلم يزده صلى الله عليه وسلم عليها

وفي كل مرة قال لا تغضب لما علم عليه السلام من حاله ان
اختلال امره واضطراب باله من استيلاء الغضب عليه فامره
بما هو اولى بالنسبة اليه او اختصر على جواب موجز جامع
لما لديه فان جميع المفاسد التي تعرض للانسان انما يعرض
له من فرط شهوته واستيلاء غضبه وحدته وضرر ما يقتضيه
القوة الغضبية اكثر بالاضافة الى ما يقتضيه القوة الشهوية
فلما ساله الرجل ان يشير اليه بما يتوسل به الى التجنب عن
الاخلاق الردية نهاه عن الغضب لداعي الى ما هو اعظم
ضررا واكثر وزرا فان ارتفاع السبب يوجب ارتفاع المسبب
وفي الحديث اقتباس من قوله تعالى واذا ما غضبوا هم يغفرون
وقوله سبحانه والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله
يحب المحسنين. وفي حديث الشيخين ليس الشديد بالصرعة انما
الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب وذلك لان الغضب من
نزغات الشيطان يخرج به الانسان عن اعتدال حاله فيتكلم
بالباطل ويفعل المذموم وينوي الامر الملوم بل قد يكفر نعوذ بالله
من الحور بعد الكور ويؤيده حديث البيهقي ان الغضب ليفسد
الايمان كما يفسد البصل العسل وعلاجه ان يرى الكل من الله
ويترك متابعة نفسه وهواه ويذكر نفسه ان غضب الله اعظم
وفضله اتم وكم خالف امره لديه وهو سبحانه لم يغضب عليه
ويتعوذ ويتوضا ويصلي ويشغل نفسه بامر ينفعه في مقام
النية وقد ورد ان من كظم غيظا وهو يقدر على انفاذه ملا
الله قلبه امنا وايمانا رواه ابو داود وفي رواية من كظم الغيظ
وهو قادر على ان ينفذه دعاه الله عز وجل على رؤوس الخلائق
يوم القيمة حتى يخيره في اي الحور ما شاء رواه احمد واصحاب
السنن الا النسائي واخرج احمد ما تجرع عبد جرعة افضل

البحر

عند

عند الله من جرعة غيظ يكظمها ابتغاء وجه الله رواه البخاري
وفي الجامع الصغير رواه احمد والبخاري والترمذي عن ابي هريرة
واحمد ايضا والحاكم في مستدركه عن حارثة بن قدامة وروى
الطبراني عن ابي الدرداء ولفظه لا تغضب ولك الجنة وابن ابي الدنيا
بلفظ لا تغضب فان الغضب مفسدة هذا وفي طريق اخرى
ان رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم اوصني ولا تكثر
علي او قال مرني بامر واقلله علي كي اعقله قال لا
تغضب وفي اخرى قلت يا رسول الله اوصني قال لا
تغضب ففكرت حين قال النبي صلى الله عليه وسلم ما قال
فاذا الغضب يجمع الشر كله ومن ثم قال جعفر الصادق
الغضب مفتاح كل شر وقيل لابن المبارك اجمع لنا حسن الخلق
في كلمة قال ترك الغضب واخرج محمد بن نصر المروزي
ان رجلا اتى النبي صلى الله عليه وسلم من قبل وجهه فقال يا رسول الله
اي العمل افضل قال حسن الخلق ثم اتاه عن يمينه
وقال له ذلك فقال كذلك ثم عن شماله كذلك ثم عن خلفه
فالتفت اليه فقال مالك لا تفقه حسن الخلق هو ان لا تغضب
ان استطعت وروى احمد والترمذي انه صلى الله عليه وسلم
قال في خطبته الا ان الغضب جمرة تتوقد في قلب ابن
ادم اما ترون الى انفناخ اوداجه واحمرار عينيه فمن
احس من ذلك شيئا فليلزق بالارض وفي رواية فليجلس
ولا يعدو به الغضب وفي رواية اذا غضب احدكم فليقعد
وان غضب وهو قاعد فليضطجع وروى احمد وابو داود اذا
غضب احدكم وهو قائم فليجلس فان ذهب عنه الغضب
والا فليضطجع وفي رواية لاحمد اذا غضب احدكم فليسكت
قالها ثلاثا وقد ورد عنه صلى الله عليه وسلم انه قال اذا

لعله انتفاخ

انطفه

غضب احدكم فليتوضا بالماء فانما الغضب من النار وانما انطف
النار بالماء وفي رواية ان الغضب من الشيطان وانما الشيطان
خلق من النار وانما تطفا النار بالماء فاذا غضب احدكم فليتوضا
وفي رواية ابي نعيم عن معاوية فليغتسل وفي الصحيحين
استب رجلان عند النبي صلى الله عليه وسلم واحدهما يسب صاحبه
مغضبا قد احمر وجهه فقال صلى الله عليه وسلم اني لاعلم
كلمة لو قالها لذهب عنه ما يجد لو قال اعوذ بالله من الشيطان
الرجيم فقالوا للرجل اما تسمع ما يقول النبي صلى الله عليه وسلم
قال اني لست بمجنون قلت قوله هذا ايضا من الغضب
ونظيره ما سال شيخ كبير طبيبا عن ضعف البصر
فقال من اثر الكبر وهكذا سال عن ثقل السمع وضعف
الظهر وغير ذلك الى ان غضب الشيخ فقال انت مجنون
كل هذا من الكبر فقال له هذا ايضا من الكبر واخرج الطبراني
ثلاث من اخلاق الايمان من اذا غضب لم يدخله غضبه
في باطل ومن اذا رضي لم يخرجه رضاه من حق ومن اذا قدر
لم يتعاط ما ليس له وقالت عايشة رضي الله عنها كان خلقه
القرآن يرضى لرضاه ويسخط لسخطه واما ما نقل عن الفضيل
ثلاثة لا يلامون على غضب الصائم والمريض والمسافر فمحمول
على ان من كان سبب غضبه مباحا كالسفر او طاعة كالصوم
لا يلام على ما صدر عليه من حدة كلامه لشدة حال مزاجه والله
اعلم وكان الشعبي مولعا بهذا البيت ليست الاحلام في حين
الرضى انما الاحلام في حين الغضب وعن عبد الرزاق قال
سكبت جارية لعلي بن الحسين الماء يتهيا للصلوة فسقط
الابريق من يد الجارية على وجهه فشجه فرفع وجهه اليها
فقالت الجارية ان الله عز وجل يقول والكاظمين الغيظ

احلام صبر

فقال

فقال كظمت غيظي قالت والعافين عن الناس فقال قد عفا الله
عنك قالت والله يحب المحسنين قال اذهبي فانت حرة وعن سهل
بن عبد الله قال لا يبلغ العبد حقيقة الايمان حتى يكون لعباده
كالارض اذا هم عليها ومنافعهم لديها وعن انس بن مالك
رضي الله عنه قال كنت امشي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
وعليه برد نجراني غليظ الحاشية فادركه اعرابي فجذبه من خلفه
جذبه حتى رايت صفحة عنق رسول الله صلى الله عليه وسلم قد
اثرت بها حاشية البردة من شدة جذبه فقال يا محمد اعطني
من مال الله الذي عندك فالتفت اليه وضحك ثم امر له بعطاء
رواه مسلم وفي بعض الكتب المنزلة يقول الله تعالى يا ابن ادم
اذكرني اذا غضبت اذكرك اذا غضبت قال الطحاوي
يغضب ويرضى لا كاحد من الورى وقال غيره الغضب ثوران
دم القلب وعرض يتبعه ذلك لدفع الموذيات قبل وقوعها
والانتقام بعد حصولها فاطلاقه على الله مجاز اي يفعل
بهم ما يفعل الملك اذا غضب على من تحت يده من الانتقام
وانزال العقوبة هذا وقد قال بعض العارفين التحقيق
ان الناس في الغضب على ضربين احدهما مغلوب الطبع
الحيواني فلا يمكنه دفعه وهو الغالب في الناس والثاني
غالب الطبع بالرياضة فيمكنه منعه ولولا هذا والا لكان قوله
عليه السلام لا تغضب تكليفا بما لا يطاق ثم اقوى الاشياء في
منع الغضب ودفعه التوحيد الحقيقي وهو اعتقاد ان
لا فاعل في الوجود الا الله وان الخلق آلات لفعله فاذا توجه
اليه مكروه من جهة غيره يرى ان فاعله هو الله لا غيره وان
ذلك الغير آلة للفعل كالسيف للضارب ونحوه وحينئذ
يندفع منه الغضب اذ لو غضب والحالة هذه لكان غضبه

وقف

إما على الخالق وهو جُرْأة منافية للعبودية او على المخلوق وهو
إشراك ينافي توحيد الربوبية ولذا جاء في حديث انس قال
خدمتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر سنين فما قال لي لشيء
فعلته لم فعلت ولا لشيء لم افعله لم لم تفعله ولكن يقول
قدّر الله وما شاء فعل ولو قدّر لكان وما ذلك الا لكمال معرفته
صلى الله عليه وسلم بان لا فاعل ولا معطي ولا مانع الا الله عز
وجل فعلى هذا الفاعل في الوجود عند نظر ارباب الشهود هو الله
الموجود المعبود المقصود وله آلات كبرى وصغرى ووسطى
فالكبرى ما له قصد واختيار كالانسان الضارب بالعصا
والصغرى ما لا قصد له ولا اختيار كالعصا المضروب بها
والوسطى ما له قصد ولا اختيار له كالدابة فمجمل معنى الحديث
لا تظهر اثر الغضب الا فيما يوافق غضب الرب **الحديث**
السابع عشر عن ابي يعلى بفتح الياء واللام مضارع
على بفتح فكسر شداد بفتح فتشديد بن اوس بفتح فسكون
رضي الله عنه انصاري خزرجي ابن اخي حسان قال عبادة بن
الصامت وابو الدرداء كان شداد ممن اوتي العلم والحلم
سكن بيت المقدس واعقب بها وتوفي فيها سنة ثمان وخمسين
عن خمس وسبعين سنة قال المص في التهذيب وقبره بظاهر
باب الرحمة باق الى الآن انتهى وقيل مات بفلسطين روى له
خمسون حديثا وكان اذا اخذ مضجعه ينقلب كالحبة على المقلى
يقول اللهم ان النار منعتني النوم ثم يقوم فلا يزال يصلي الى
الصباح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله كتب
الاحسان اي فرضه وقدّره او اثبته او امر به على كل شيء
اي لاجل كل شيء كقوله تعالى ولتكبروا الله على ما هداكم اي لما
هداكم او في كل شيء كقوله تعالى واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك

وقف سليمان

وقف

سليمان اي في ملكه او الى كل شيء كذا قيل ولعله مبني على ان الحروف
يقوم بعضها مناب بعض ولا يبعد ان يكون على على مبناه ومعناه
ان الله اوجبه على كل شيء كيف ينبغي للفاعل ان يقوم به ويفعل
معه يعني انه قدر وبين ذلك على لسان نبيه النبيه فاذا قتلتم
اي اذا قصدتم قتل من يجوز قتله شرعا من قصاص ونحوه فاحسنوا
القِتلة بكسر القاف هو الرواية وهي هيئة القتل والاحسان
فيها اختيار اسهل الطريق الاما واقلها تعذيبا وايلاما وفيه
ردع عما كان عليه الجاهلية من المثلة بقطع الاعضاء وتعذيب الاجزاء
واذا ذبحتم اي واذا اردتم ذبح ما يحل ذبحه من البهائم فاحسنوا
الذِّبحة بكسر الذال وهي هيئة الذبح وروي الذبح ذكرها الكازروني
قيل وهو الذي في اكثر نسخ صحيح مسلم وهو المصدر لا غير لكن قال المص
القِتلة والذِّبحة بكسرهما ثم الذبح مختص بالحيوان واحسان الذبح
بالبهيمة هو الرفق بها بان لا يصرعها بعنف لها ولا يجرها
من موضع الى آخر بالشدة في جرها واحضار نية الاباحة
او القربة وتوجيهها الى القبلة والتسمية وقطع اوداجها
اي عروق رقبتها واحداد آلة ذبحها لقوله وليحد احدكم
شفرته بسكون اللام ويكسر وبضم الياء وكسر الحاء وتشديد
الدال المفتوحة ويجوز كسرها لغة والمعنى ليحددها والشفرة
بفتح اوله السكين العريض والمراد به السكين ونحوه مما يذبح
به وليرح ذبيحته بسكون اللام ويكسر وبضم الياء وكسر الراء
وجزم الحاء من الاراحة وهي جلب الراحة للشيء او تسبب الى
حصولها له والمعنى ليوصل الراحة اليها بان يتركها على
حالها حتى تستريح عن اضطرابها عند ذبحها والذبيحة
بمعنى المذبوحة فعيلة بمعنى المفعولة كانه قال دابته
الذبيحة او يكون من باب غلبة الاسمية على الوصفية

وقف

رواية بكذا

وليحد

ليريح

هذا وينبغي ان يسقيها عند ذبحها وان يواري احدادها عنها
لامره صلى الله عليه وسلم بذلك على ما رواه احمد وابن ماجة
ولا يذبح اخرى قبالتها ثم يمر السكين بسرعة عليها
ثم يمهلها حتى تبرد ثم يسلخها فقد روى الخلال والطبراني
انه صلى الله عليه وسلم مر برجل واضع رجله على صفحة شاة وهو
يحد شفرته وهي تلحظ اليه ببصرها فقال افلا قبل
هذا اتريد ان تميتها موتات وروى ابن ماجة ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم مر برجل وهو يجر شاة باذنها فقال له دع
اذنها وخذ بسالفتها اي مقدم عنقها واخرج عبد الرزاق
ان شاة انفلتت من جزار حتى جاءت للنبي صلى الله عليه وسلم
فاتبعها فاخذ يسحبها برجلها فقال لها النبي صلى الله
عليه وسلم اصبري لامر الله وانت يا جزار فسقها للموت
سوقا رفيقا واخرج احمد انه قال رجل يا رسول الله
اني لاذبح الشاة وانا ارحمها فقال ان رحمتها رحمك الله
رواه مسلم وكذا احمد والاربعة قال العلماء وهذا الحديث
متضمن لجميع قواعد الاسلام لان الاحسان في الفعل ايقاعه
على مقتضى الشرع او العقل والافعال التي تصدر عن الشخص
اما ان تتعلق بمعاشه او معاده والاول اما بسياسة
نفسه وملكه او اهله واخوته واولاده او باني الخلق و
الثاني اما الايمان وهو عمل القلب او الاسلام وهو عمل
البدن فاذا احسن الانسان في هذا كله واتى به على مقتضى
دينه فقد ادى ما عليه من انواع التعظيم لامر الله والشفقة
على خلق الله فرضا وندبا شرعا وعرفا فقوله ان الله كتب
معناه انه اوجب وقدر الاحسان على الانسان في كل شيء
يتعلق بمعاده بان ياتي بالتكاليف على الوجه المشروع ومعاشه

باصلاح

باصلاح امور نفسه وبايصال النفع الى اخوته علميا وماليا ودفع
الضر عنهم اما في الدنيا باذ لا يشتغل بمقابلة الاساءة باخرى
واما في العقبى بان يبرئ ماذمته عن التبعات المقتضية للعقوبات
والاحسان يطلق على الانعام وعلى الاتقان والاحكام وفي كلام
بعض العرفاء الكرام ان الاحسان اسم جامع لجميع ابواب الحقائق
وهو اما احسان في القصد وهو اصلاحه على مقتضى العلم
وابرامه عزما بان ياخذ من العمل جدا او تصفيته حالا بان
لا يلاحظ حظ نفسه ابدا او في الاحوال بان يراعي حفظها
بالحضور ويسترها عن الناس بالستور ويجتهد في تحقيق
الامور او في الوقت بان لا يفارق المشاهدة ابدا ولا
يلاحظ بهمته احدا ويجعل هجرته الى الحق سرا سرمدا ولقد
افاد من اجاد بقوله احسن فحسبك ان تسمى محسنا
ما احسن الاحسان ممن احسنا واغنم من الذكر الجميل اجله
فاجل ما كسب الفتى حسن الثنا وقد قال تعالى ان احسنتم
احسنتم لانفسكم وان الله يحب المحسنين وان رحمت الله قريب من
المحسنين وهل جزاء الاحسان الا الاحسان واحسن انواع الاحسان
واكمل مقامات افراد الانسان ما في حديث جبريل الاحسان ان
تعبد الله كانك تراه وهذا في الدنيا واما في العقبى فهو ان ترى
الله وتغيب عما سواه وتفنى ثم تبقى ببقاه الحديث الثامن عشر
عن ابي ذر جندب بضم الجيم وضم الدال وفتحها ذكره المص
ف ١٣ وقال ابن حجر بتثليث الدال حينئذ جواز كسرها مع ضم اولها
لعله فيفيد وهو مخالف لما في كتب اللغة وضبط الاسماء والانحصار على
اوزان معروف في الصرف نعم جندب كدرهم لغة في جندب
جراد معروف ووهم على ما في القاموس بن جنادة بضم
الجيم قال المولف وابي عبد الرحمن معاذ بن جبل بضم الميم

رضي الله عنهما اي عن ابي ذر ومعاذ ثم ابو ذر غفاري روي عنه
انه قال انا رابع الاسلام اسلم ورجع الى قومه ثم هاجر الى
المدينة وورد بروايات متعددة انه اصدق الناس لهجة وهو
احد النجباء من اصحابه صلى الله عليه وسلم وزهادهم وكان يرى
ان من اوكى على صفرا او بيضاء كوى بها يوم القيمة وقال
علي في حقه وعاء ملئ علما اوكي عليه فلم يخرج منه شئ حتى
قبض روي له مائتا حديث واحد وثمانون حديثا مات
بالربذة سنة ثلاثين وصلى عليه ابن مسعود ومات بعد
عاشره بالمدينة ومعاذ انصاري اسلم وعمره ثمان عشر سنة
شهد بدرا والعقبة والمشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه
وسلم روي له مائة حديث وسبعة وخمسون وورد انه صلى الله
عليه وسلم قال اعلم امتي بالحلال والحرام معاذ بن جبل وانه
قال له يا معاذ اني لاحبك فقال وانا احبك والله يا رسول الله
قال لا تدع ان تقول في دبر كل صلوة اللهم اعني على ذكرك
وشكرك وحسن عبادتك وانه قال ياتي معاذ يوم القيمة
بين يدي العلماء رتوة اي رمية بسهم او خطوة او درجة
وقال مالك بلغني ان ابن مسعود قال ان معاذا كان امة
قانتا لله فقيل يا ابا عبد الرحمن انما ذكر الله بهذا ابرهيم عليه
السلام فقال ابن مسعود ان الامة الذي يعلم الناس الخير
وان القانت هو المطيع وفي رواية انه قال انا كنا نشبه معاذا
بابرهيم عليه السلام ثم هو ممن جمع القران في حيوة رسول الله
صلى الله عليه وسلم وقد قال صلى الله عليه وسلم استقرؤا
القران من اربع عبد الله بن مسعود وسالم مولى ابي حذيفة
وابي ومعاذ مات بناحية الاردن في طاعون عمواس وهو
بفتح اوله قرية بين الرملة والقدس نسب اليها لانه اول ما ظهر

منها

منها سنة ثماني عشرة وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة وقبره بغور
بيسان شرقيه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اي لكل
منهما او لاحدهما وسمع الاخر او لغيرهما وهما سمعا اتق الله
امر وجوب لان المراد به الخوف والخشية واكتساب الاوامر
واجتناب الزواجر والتقوى لغة حفظ النفس عما يؤذيه
كانها جعلت في وقاية وشرعا صيانة النفس عن المحذورات
واختلف في الصغائر والتحقيق ان للتقوى مراتب من ترك
المحظور والمكروه والمباح وما لا يعني والغفلة عن الذكر والشكر
والتبري عما سوى الله سبحانه ولذا قال تعالى ان اكرمكم عند الله
اتقاكم وكمالها كما ورد في تفسير قوله تعالى يا ايها الذين امنوا
اتقوا الله حق تقاته بان يطاع فلا يعصى ويذكر فلا ينسى
ويشكر فلا يكفر اخرجه الحاكم مرفوعا حيثما كنت يستعمل
للمكان والزمان والمعنى اتق مخالفة الحق يراك الخلق اولا حيث صح
يرونك اكتفاء بنظره تعالى كما يشير قوله عز وجل واتقوا الله
ان الله كان عليكم رقيبا وكما ورد عنه صلى الله عليه وسلم انه قال
لابي ذر اوصيك بتقوى الله في سر امرك وعلانيته والمعنى اتق
الله في الخلاء والملاء وفي حالي النعماء والباساء فان الله عالم
بسرائرك كما انه مطلع بظواهرك فعليك برعاية دقائق الادب
في حفظ اوامره ومراضيه والاحتراز عن مساخطه ومناهيه
والتقوى هي الكلمة الجامعة للامم السابقة واللاحقة قال
تعالى ولقد وصينا الذين اوتوا الكتاب من قبلكم واياكم ان
اتقوا الله فالتقوى من اساس الدين وبه يرتقي الى مراتب
اليقين واتبع السيئة الحسنة بفتح الهمزة وسكون
التاء وكسر الباء امر من الاتباع والمعنى باشر الحسنات عقيب
السيئات وهو ايضا للوجوب على ما قيل من ان المراد بالحسنة

التوبة بقرينة قوله تمحها فان سائر الحسنات لم يكفر جميع
السيئات والمعنى تمح الحسنة تلك السيئة اى يمح الله بها اثارها
من القلب او من ديوان الحفظة ويثبت مكانها الطاعة كما قال
تعالى الا من تاب وامن وعمل عملا صالحا فاولئك يبدل الله سيئاتهم
حسنات وقيل الاولى حمل الحسنة على العموم والمعنى اذا
ابتليت بسيئة فافعل بعدها حسنة تمح اثار السيئة
كما قال تعالى ان الحسنات يذهبن السيئات وكما ثبت فى الاحاديث
الصحيحة من تعميم المكفرات وفيه بحث اذ سبب نزول الاية
كما فى الصحيحين عن ابن مسعود ان رجلا اصاب امراة قبلة
ثم اتى النبى صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك له فسكت النبى صلى الله عليه
وسلم حتى نزلت هذه الاية فدعاه فقراها عليه فقال رجل هذه
له خاصة فقال بل للناس عامة فالحسنة محمول على التوبة
اذ جاءه تائبا وليس فى الحديث ما يدل على انه صدر منه حسنة اخرى
ولو فرض وقوع طاعة كصلوة ونحوها فما بقى بالغرض من عموم السيئات
ليشمل الكبائر وحقوق العباد وايضا لو اخذ بعموم حكمها لترتب عليه
الفساد من عدم خوف فى المعاد ويويد ما قررنا ان فى طريق من طرق
وصايا معاذ لما بعثه الى اليمن وان احدثت ذنبا فاحدث
عنده توبة ان سرا فسرا وان علانية فعلانية هذا وقد اجمع
العلماء على ما قاله ابن عبد البر ان الاعمال الصالحة لا تكفر غير
الصغائر نعم قد تخفف الكبائر على ما صرح به النووى
واما الكبائر فلا بد لها من التوبة لاجماعهم على انها فرض
ويلزم من التكفير الكبائر بنحو وضوء وصلاة بطلان فرضية
التوبة وهى فرض عين على الخاصة والعامة قال تعالى
وتوبوا الى الله جميعا ايها المومنون لعلكم تفلحون وفى الصحيحين
الصلوات الخمس والجمعة الى الجمعة ورمضان الى رمضان مكفرات لما بينهن

ما

ما اجتنبت الكبائر فحكى ابن عطية عن جمهور اهل السنة فى
معناه ان اجتناب الكبائر شرط لتكفير هذه الفرايض للصغائر
فان لم يجتنب لم يكفر شيئا بالكلية وهو ظاهر اية ان تجتنبوا
كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سياتكم اى نمحها لكم على قواعد اهل
السنة لا بمجرد اجتناب كبائركم كما قالت المعتزلة وقال بعض
اهل السنة ان الحسنة تكفر الصغيرة ما لم يصر عليها سواء فعل
الكبيرة ام لا مع القول الاصح بان التوبة من الصغيرة واجبة
ايضا ولو لم يات بكبيرة لجواز تعذيب الله سبحانه بها خلافا للمعتزلة
وقيل الواجب الاتيان بالتوبة او بمكفرها من الحسنة
وهذا جمع مستحسن فى التحقيق والله ولى التوفيق واما
اتباع الحسنة بالسيئة فان كانت ردة فتحبطها والا فلا
على مذهب اهل السنة خلافا للمعتزلة ثم لما وصاه بحقوق الله
وما يتعلق باصلاح نفسه ذكر ما يتعلق بحقوق العباد من
غيره فقال وخالق الناس بخلق حسن بضم الخاء واللام
ويسكن اى وخالطهم مخالطة حميدة وعاشرهم معاشرة جديدة
وهو بسط المحيا وبذل الندى وكف الاذى وجملة جامع الناس
بما تحب ان يعاملوك به وعاملهم بما يعجبك ان يعاملوك به وفى وصية
بعض الحكماء عليك بالخلق مع الخلق وبالصدق مع الحق ثم الخلق
وان كان فى الاصل سجية لما ورد مرفوعا ان الله قسم بينكم
اخلاقكم كما قسم بينكم ارزاقكم الا ان للانسان قابلية يمكنه ان
يتخلق بالاخلاق الحسنة الرضية اذا تعلق به العناية الربانية
وتدل عليه الادعية النبوية اللهم كما حسنت خلقى فحسن خلقى
اللهم اهدنى لصالح الاخلاق لا يهدى لصالحها الا انت و
اصرف عنى سيئها لا يصرف عنى الا انت فهو جبلى باعتبار اصله
اكتسابى بالنظر الى محله واما ما ورد عن ابن مسعود فرغ ربك

(margin) ای العطاء ای الحسنة
(margin) تعامل يحمل
(margin) سيئها
(margin) يعلم

الذي في اصل ابن حجر بخطه الخلق والخلق والرزق والاجل

من اربعة الخلق والعمل والرزق والاجل كذا ذكره ابن حجر ولعله
تصحف عليه فتح الخاء بالضم والا فهو يوافق قوله تعالى الله
الذي خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم الاية رواه الترمذي
اى في جامعه وقد سبق بعض مناقبه وله تواليف في التواريخ
والعلل وفي الشمائل وقد شارك البخاري ومسلما في كثير من
مشائخهما وروى عن اتباع الاتباع وكتب عنه امام الصنعة محمد بن
اسماعيل البخاري وحسبه بذلك فخرا وقال حديث حسن وانما قاله
صلى الله عليه وسلم لابي ذر لما جاء اليه وهو مختف بمكة فاسلم
واراد المقام معه صلى الله عليه وسلم فعلم عليه السلام انه لا يقدر
معه على المقام فامره ان يلحق بقومه عسى ان ينفعهم الله به و
قاله ايضا لمعاذ لما بعثه حيث كنت الحديث
الى اليمن معلما لهم وقاضيا فيهم وقد امتثل رضي الله عنه
هذه الوصية ومن ثم لما بعثه عمر رضي الله عنه على عمل قدم منه
وليس معه شيء فعاتبته امراته فقال لها كان ضاغط اى ضابط
يضيق علي ويمنعني من اخذ شيء لدي واراد به عز وجل وظنته
امراته ان عمر بعث معه رقيبا فقامت تشكوه الى الناس وفي
بعض النسخ اى نسخ الجامع حسن صحيح وقد سبق
اجوبة عن وجه الجمع بينهما وفي شرح الكازروني حسن من حديث
معاذ صحيح من حديث ابى ذر واما قول ابن حجر تحسينه لهذا
الحديث مقدم على ترجيح الدارقطني ارساله للقاعدة المقررة
ان المسند لزيادة علمه مقدم على المرسل ففيه بحث لان
الدارقطني يقدم سند ارسال الحديث على اسناد الاتصال وهو
لا ينافي كونه حسنا او غيره واما قوله ويؤيد تحسين الترمذي
انه ورد لهذا الحديث طرق متعددة عند احمد والبزار والطبراني
والحاكم وابن عبد البر يفيد مجموعها حسنه ففيه نظر

ظاهر اذ لم يقل احد بتضعيفه حتى يفيد تعدد الطرق تحسينه
بل تعدد الطرق الحسنة يفيد تصحيحه فيكون الحديث حسنا لذاته
صحيحا لغيره ويؤيده ان الحاكم قال صحيح على شرط الشيخين وانه
قيل انه وهم منه لان ميمون احد رواته لم يخرج له البخاري شيئا ولم يصح
سماع من احد من الصحابة فلم يوجد فيه شرط البخاري كذا ذكره
ابن حجر وفيه ان عدم اخراج البخاري له لا ينفي كونه على شرطه وكذا
عدم سماعه من الصحابة لا ينفي ان سنده غير صحيح بل يكون منقطعا
وهو مختلف في ضعفه على ان شرط السماع انما هو معتبر عند البخاري
دون مسلم لانه لا يكتفي باحتمال السماع عند امكان الاجتماع
فهو صحيح على شرط مسلم من غير النزاع بل وشرط البخاري ذلك
من غاية الاحتياط والا فالجمهور على خلافه في اعتبار صحة الحديث
هذا وقد قال سهل لا معين الا الله ولا دليل الا رسول الله
ولا زاد الا تقوى الله وقال الكتاني قسمت الدنيا على البلوى
وقسمت الجنة على التقوى وقال النصرابادي من لزم التقوى
اشتاق الى مفارقة الدنيا قال تعالى وللدار الاخرة خير للذين
اتقوا وقيل من تحقق في التقوى هون الله على قلبه الاعراض
عن الدنيا وقيل التقوى على وجوه للعامة تقوى الشرك
وللخواص تقوى المعاصي وللاولياء تقوى التوسل بالافعال
وللانبياء تقويهم منه اليه واما الخلق فقد روى الحسن
عن الحسن عن ابي الحسن عن سبط الحسن ان من احسن الحسن
الخلق الحسن وفي حديث انكم لن تسعوا الناس باموالكم
وانما تسعونهم ببسط الوجه وحسن الخلق وقيل لذي
النون المصري من اكثر الناس هما فقال اسوأهم خلقا وقال
وهب ما تخلق عبد بخلق اربعين صباحا الا جعل الله ذلك طبيعة
فيه ثم التحقيق كما ذكره بعض اهل التوفيق انه قد لاح عند

ارباب العرفان بطوالع الوحي ولوامع الوجدان ان الانسان جوهر
لطيف نوراني من عالم الامر الرباني شبيه بالجواهر القدسية
الملكوتية وله قوتان يحظى بكمالهما ويشقى باختلالهما
قوة عاقلة تدرك حقائق الموجودات باجناسها وانواعها وينتقل
منها الى معرفة من استقل بابداعها وقوة عاملة تدرك النافع نافعا
فتميل اليها والضار ضارا فتنفر عنها وذلك امور معاشية
تتعلق بحفظ النوع وكمال البدن او ملكات فاضلة واحوال
باطنة هي الخلق الحسن وهو اما تزكية النفس عن الرذائل
واصولها عشرة شره الطعام والكلام والغضب والحسد
والبخل وحب المال والجاه والكبر والعجب والرياء واما
تحليتها بالفضائل وامهاتها عشرة التوبة والخوف وذكر الموت
والزهد والصبر والشكر والاخلاص والتوكل والمحبة
والرضا بالقضاء ثم الخلق ملكة تصدر بها الافعال عن النفس
بسهولة من غير سبق روية وتنقسم الى فضيلة هي الوسط
ورذيلة وهي الاطراف وهذا جار في الاعتقاد بان يكون توحيد
تنزيه بين تعطيل وتشبيه وبين جبر وقدر وفي الافعال
بان يكون كرما بين اسراف وتقتير وفي الاخلاق بان يكون شجاعة
بين تهور وجبن وفي الاحوال بان يكون بانشا... بين محو وصحو
فان خير الامور الوسط وحسبنا لتناهي من الغلط وبما ذكرنا
تبين لك ان السالك المتقي لابد له من علم وعمل وتصحيح نية وتحسين
طوية وحسن الخاتمة فالتقوى باعتبار مبناها وحيزه ومن جهة
معناها عزيزة ومجملها ان الله لايراك حيث نهاك وقيل
يستدل على تقوى الرجل بثلاث بحسن التوكل فيما لم ينل
وبحسن الرضا فيما قد نال وبحسن الصبر على ما فات وروي
ان ابا حنيفة ما جلس في الحر في ظل غريمه ويقول في الخبر

كل

كل قرض جر منفعة فهو ربا وذكر الفرغاني ان الجنيد كان
جالسا مع رويم والجريري وابن عطاء فقال الجنيد
ما نجا من نجا الا بصدق اللجا قال تعالى وعلى الثلثة الذين
خلفوا حتى اذا ضاقت عليهم الارض وقال رويم ما نجا من
نجا الا بصدق التقى قال تعالى وينجي الله الذين اتقوا بمفازتهم
وقال الجريري ما نجا من نجا الا بمراعاة الوفا قال تعالى
الذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق وقال ابن عطاء
ما نجا من نجا الا بتحقيق الحساب قال تعالى الم يعلم بان الله يرى
قال الاستاد ابو القاسم القشيري ما نجا من نجا الا بالرضا
بالقضاء قال تعالى ان الذين سبقت لهم منا الحسنى قلت
جميعها مندرجة تحت التقوى ففي الحديث كل الصيد في جوف الفرا
وعن جابر قال قال موسى عليه السلام يا رب امهلت فرعون
اربعماية سنة فاوحى الله اليه انه كان حسن الخلق سهل الحجاب
عن الخلق فاحببت ان اكافيه ومن شعر ابي الدرداء
يود المرء ان يعطى مراده ويابى الله الا ما اراده يقول المرء فائدتي
ومالي وتقوى الله افضل ما استفادا

الحديث التاسع عشر

عن ابي العباس حبر الامة وبحر الحكمة ترجمان القران وابو الخلفاء
عبد الله بن عباس عم النبي صلى الله عليه وسلم رضي الله عنهما
ولد قبل الهجرة بثلاث سنين وقد صح عنه عليه السلام انه
قال في حقه اللهم فقهه في الدين وعلمه التاويل
اللهم علمه الحكمة وتاويل القران اللهم بارك فيه وانشر منه واجعله
من عبادك الصالحين اللهم زده علما وفقها وقال مسروق
ادركت خمسماية من الصحابة اذا خالفوا ابن عباس لم يزل
يقررهم حتى يرجعوا الى ما قال وقال كنت اذا رايته
قلت اجمل الناس واذا تكلم قلت افصح الناس واذا حدث قلت

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال كنت خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فقال يا غلام احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده واذا سالت فاسال الله واذا استعنت فاستعن بالله واعلم ان الامة لو اجتمعت على ان ينفعوك بشيء لم

اعلم الناس روى له الف حديث وستمائة وستون مات بالطائف ودفن
بها سنة ثمان وستين في خلافة ابن الزبير وصلى عليه محمد بن الحنفية
وقال مات رباني هذه الامة وقد استاذنه صلى الله عليه وسلم
وهو على يمينه حين شرب فقال له أتأذن لي ان اعطي الاشياخ
اي ابابكر وعمر وغيرهما فقال والله لا اوثر بنصيبي منك
احدا فوضع القدح في يده وقد عمي في اخر عمره وفي ذلك يقول
ان يأخذ الله من عيني نورهما ففي فوادي وقلبي منهما نور
قلبي ذكي وعقلي غير ذي دخل وفي فمي صارم كالسيف مأثور
قال كنت خلف النبي صلى الله عليه وسلم يوما اى خلفه راكبا كما
في رواية ذكرها الواحدي في وسيطه عن ابن عباس انه اهدى كسرى
الى النبي صلى الله عليه وسلم بغلة فركبها بحبل من شعر ثم اردفني
خلفه وسار بي مليا ثم التفت فقال يا غلام بضم الميم لانه نكرة
مقصوده ويجوز كسرها بنية الاضافة وهو ابلغ بالتنبيه وفي
رواية يا غليم وهو تصغير شفقة او لكونه صغيرا اقل من
عشرة اني اعلمك كلمات اى ينفعك الله بهن كما في رواية
لمسلم اى بتعلمهن وعملهن وتعليمهن والمعنى اعلمك فصولا
مفيدة في دفع اللاواء وجلب الآلاء وفائدة هذا التمهيد ان
ينتبه المخاطب السعيد ويصغي بها سمعه السديد ليفهم
ما يلقيه اليه ويتمكن في نفسه فضل تمكن لديه ثم
ايراد الكلمات بجمع القلة للايماء بانها قليلة المباني جزيلة
المعاني يسهل حفظها ويتيسر ضبطها احفظ الله اي امره
وحكمه بامتثال اوامره واجتناب زواجره والرضا بما قدره و
قضاه وعدم الالتفات الى ما سواه او احفظ مراسم طاعاته
ولوازم عباداته يحفظك اي يحرسك من مكاره الدنيا
ومشاق العقبى ومجمل معناه فاحفظ الله فلا يراك حيث

نهاك

احفظ الله ع

نهاك يحفظك في دينك ودنياك اى في امتثال حكم شريعته وحسن الخلق
مع خليقته فان المدار على التعظيم لامر الله والشفقة على خلق
الله تجده تجاهك بضم التاء اى حذاءك وتلقاءك بنصره ايا
واصل تجاه وجاه والتاء بدل من الواو كما في تقاة وقال المص
تجاهك بضم التاء وفتح الهاء اى امامك كما في الرواية الاخرى
ثم المعنى تجد عنايته ورافته قريبا منك يراعيك في جميع الحالات
وينقذك من انواع العثرات ويسعدك باصناف البركات وهذه
استعارة تمثيلية شبه حاله في معاونة الله اياه ومراعاة
حالاته وسرعة انجاح حاجاته بحال من يجلس امامك يحفظك
ويراعيك في مقامك وهو يتلمح الى قوله سبحانه ونحن اقرب اليه من
حبل الوريد وقد اشار بعض العارفين الى انه لا ذرة من ذرات
العالم الا ونور الانوار محيط بها قاهر عليها اقرب من وجودها
اليها لا بمجرد العلم فقط ولا بمعنى الايجاد والامداد بل بمعنى اخر
لا يجوز كشفه لعموم العباد ورمزت اليه حذار الرقيب وكتمان
سر الحبيب حبيب اذا ما تلاشيت في نوره يقول لي ادع فاني قريب
وقال بعضهم لفرط قربه بك لا تراه ولغاية بعدك عنه ترى شيئا
سواه وهذا تمام لمن يطلب معرفة مولاه ولا يصح الطلب الا لمن
خالف هواه وخص الامام اشعارا بشرف المقصد والمرام
وبان السالك كالمسافر الى العقبى متحول عن الدنيا مقبل
بكليته على المولى فكان المعنى تجده حيث ما توجهت من امر الدين
والدنيا المعينة على تحقيق امر اليقين او المعنى اجعله بمرئى
منك تجاه فانك الى ما منك اذا سالت اى اذا اردت سوال
شئ فسئل الله ولا تلتفت الى ما عداه فانه المعطى والمانع
والضار والنافع وخزائن العطايا عنده ومفاتيح المزايا
بيده فينبغي ان لا يرجى الا نعمته ولا يخشى الا نقمته ويلتجى

في عظام المهام اليه ويعتمد في جمهور الالمام عليه وقد قال
تعالى وسلوا الله من فضله وفي الحديث من لم يسأل الله
يغضب عليه اذ السوال اظهار شعائر الانكسار والاقرار
بسمة العجز والافتقار والافلاس عن ذروة القوة والطاقة
الى حضيض الاستكانة والفاقة وفي الخبر ليسال احدكم ربه
حاجته كلها حتى شسع نعله اذا انقطع وقد قال تعالى
لموسى عليه السلام يا موسى سلني في دعائك حتى ملح عجينك
واخرج المحاملي وغيره قال تعالى من الذي دعاني فلم
اجبه وسالني فلم اعطه واستغفرني فلم اغفر له وانا ارحم
الراحمين واذا استعنت اى اردت طلب المعونة في تحمل
المؤنة المتعلقة بامر الدنيا والاخرة فاستعن بالله
اذ لا معين سواه ولا فاتح ولا مانح الا اياه وكل معين لا يعين
له الا بالقاء ربه الداعية في قلبه فلابد من قطع الواسطة
في مقام قربه كما يشير اليه قوله تعالى اياك نعبد واياك نستعين ولانه
لا حول عن معصية الله الا بعصمة الله ولا قوة على طاعة الله
الا باعانة الله ومن ثم كانت لا حول ولا قوة الا بالله كنزا من
كنوز الجنة على ما ورد به الخبر وكتب الحسن الى عمر بن عبد العزيز
لا تستعن بغير الله فيكلك الله اليه وقيل المعنى اذا
سالت غير الله فسل الله ان يوفقه اياه واذا استعنت بما سواه
فاستعن بالله ليعينك بخلق الاعانة والشفقة في قلبه ان
قدره وقضاه واعلم حث على التوجه التام نحو الخبر الذي هو
المقصود والمرام ان الامة المراد بها ههنا سائر البرية لو
اجتمعت على ان ينفعوك بشيء لفظ لو بمعنى ان اذ المعنى
على الاستقبال كما في لو تركوا من خلفهم ونكتة العدول هي
ان اجتماعهم على الامداد من المستحيلات بخلاف الاتفاق

على

على الايذاء فانه من الممكنات ولذا قيل ٥ لا تظلم من شيم النفوس فان تجد
ذا عفة فلعلة لا يظلم لم ينفعوك اي بشيء من الاشياء
الا بشيء قد كتبه الله لك وان اجتمعوا على ان يضروك
بشيء لم يضروك الا بشيء قد كتبه الله عليك اى قدره واشبه
في الذكر وفرغ منه والمعنى وحد الله في الطلب الدفع وحقوق
الضر والنفع كما قال تعالى وان يمسسك الله بضر فلا كاشف
له الا هو وان يردك بخير فلا راد لفضله رفعت بصيغة المجهول
الاقلام اى وثبتت الاحكام لما في جامع الترمذي ان اول ما
خلق الله القلم فقال اكتب قال ما اكتب قال اكتب القدر ما
كان وما يكون وفي رواية لابي داود والترمذي اول ما خلق الله
القلم ثم قال اكتب في تلك الساعة ما هو كائن يوم القيمة
وجفت بالجيم المفتوحة وتشديد الفاء اى يبست
الصحف اى كتابة ما زبر في اللوح وفرغ منها على وفق ما
قدر وهو كناية عن جريان القلم بالمقادير وعدم امكان شيء من
التغيير لا يقال هذا ينافي قوله تعالى يمحو الله ما يشاء ويثبت لانا
نقول المحو والاثبات لما جفت به الصحف ايضا لان القضاء
قسمان مبرم ومعلق او نقول ما في اللوح قابل للمحو
والاثبات على نهج الصواب بخلاف ما في علمه سبحانه واليه الاشارة
بقوله وعنده ام الكتاب رواه الترمذي وقال اى هذا كما في
نسخة حديث حسن صحيح وقد روى مسلم ان الله كتب
مقادير الخلق قبل ان يخلق السماء والارض بخمسين الف
سنة وروي ايضا قيل يا رسول الله فيما العمل اليوم
افيما جفت به الاقلام وجرت به المقادير ام فيما يستقبل قال بل
فيما جفت به الاقلام وجرت به المقادير قيل ففيم العمل
قال اعملوا فكل ميسر لما خلق له وقد روى جماعة غير الترمذي

من عدة طرق عن ابن عباس وجاءَ انه صلى الله عليه وسلم وصاه
بذلك عن علي وابي سعيد وسهل بن سعد وعبد الله بن جعفر
لكن قال ابن منده وغيره اصح الطرق كلها الطريق التى اخرجها
الترمذي ثم هو حديث كبير الشان كثير البرهان للدلالة على
رعاية حقوق الله والتفويض والتوكل عليه وعجز الخلق وافتقارهم
اليه وشهود توحيده وظهور تفريده وفي رواية غير
الترمذي وهو عبد بن حميد في مسنده لكن باسناد ضعيف
ورواه احمد باسنادين منقطعين ولفظه يا غلام او يا غليم الا
أعلمك كلمات ينفعك الله بهن فقلت بلى يا رسول الله فقال
احفظ الله يحفظك الله احفظ الله تجده امامك تعرف الى الله
في الرخاء يعرفك في الشدة واذا سالت فسئل الله واذا استعنت
فاستعن بالله قد جف القلم بما هو كائن فلو ان الخلق كلهم جميعا
ارادوا ان ينفعوك بشئ لم يقضه الله لم يقدروا عليه وان ارادوا
ان يضروك بشئ لم يكتبه الله عليك لم يقدروا عليه واعلم ان
الصبر على ما تكره خير كثير وان النصر مع الصبر وان الفرج
مع الكرب وان مع العسر يسرا وهذا تم من حديث عبد بن
حميد الذى ذكره المصنف بقوله احفظ الله تجده امامك
بفتح الهمزة تعرف بتشديد الراء الى الله في الرخاء اي
تحبب اليه بلزوم طاعته واجتناب معصيته ذكره المصنف
لان المعرفة سبب المحبة وقيل اجعل الله يعرفك بطاعته
والعمل فيما اولاك من نعمته يعرفك بفتح الياء وكسر الراء
اى يجازيك ويمدك في الشدة ويجعل لك من كل ضيق فرجا
ومن كل هم مخرجا وحاصل المعنى تقرب اليه بانواع الطاعات
واصناف العبادات وتحبب اليه وتوكل عليه واستسلم لتكون
معروفا بذلك لديه فيستقل عليك همومك ويدفع عنك غمومك

علق

بما سلف من تقربك اليه وتذللك لديه واعتمادك عليه وفي حديث
للترمذي عن ابي هريرة من سره ان يستجيب الله له عند الشدائد
والكرب فليكثر الدعاء في الرخاء ورواه الحاكم عن سلمان
وقال صحيح الاسناد واعلم ان ما اخطأك اى جاوزك
من المقادير من نعمة او شدة فلم يصل اليك لم يكن مقدرا
ليصيبك اى لان يصيبك والا لكان اصابك ولم يتجاوزك
ولم يتعد عليك وما اصابك من المقدرات لم تكن مقدرا
ليخطئك والمعنى انه فرغ مما اصابك او اخطاك من خير
وشر ونفع وضر وطاعة ومعصية ونعمة ومحنة فما
اصابك كانت اصابته لك محتومة فلا يمكن ان يخطئك وما
اخطاك فسلامتك منه محتومة فلا يمكن ان يصيبك لان ذلك
كالسهام الصائبة وجهت من الازل فلا بد ان تقع مواقعها
من غير ان تتغير وتتبدل وقد قال تعالى قل لن يصيبنا
الا ما كتب الله لنا وقال ما اصاب من مصيبة في الارض
ولا في انفسكم الا في كتاب من قبل ان نبراها اى نخلقها
وقد ورد في مسند احمد انه صلى الله عليه وسلم قال
ان لكل شئ حقيقة وما بلغ عبد حقيقة الايمان حتى يعلم
ان ما اصابه لم يكن ليخطئه وما اخطاه لم يكن ليصيبه وفي
خبر اخر فان استطعت ان تعمل لله بالرضا في اليقين
فافعل وان لم تستطع فان في الصبر على ما تكره خيرا كثيرا
وزيد في رواية اخرى بعد هذا قلت يا رسول الله كيف
اصنع باليقين قال ان تعلم ان ما اصابك لم يكن ليخطئك
وما اخطاك لم يكن ليصيبك فاذا انت احكمت باب اليقين
وهو العيان بقوة الايمان لا بالحجة والبرهان وقيل هو مشاهدة
الغيوب بصفاء القلوب وملاحظة الاسرار بمخاطبة الافكار

اي ان تيقن قلبك بالقضاء يعينك على الرضاء بما اصابك من البلاء
وان لم تصل الى هذا المقام فتجرع الصبر فان في الصبر خيرا كثيرا
لتحقق المرام كما اشار اليه بقوله واعلم ان النصر من الله
للعبد على جميع اموره يوجد مع الصبر اى من العبد على امر ربه
من امتثال طاعته واجتناب معصيته وحلول محنته ونزول
مصيبته قال تعالى والله مع الصابرين وقال تعالى
واصبر لحكم ربك وقال واصبر وما صبرك الا بالله وقال
ولئن صبرتم لهو خير للصابرين ومن جملة الخير النصر بل الظاهر
كما هو الغالب ان من انتصر بنفسه عدم النصر ومن صبر
ورضي بعلم الله وطلب النصر من عنده فالمعهود من احسانه وكرمه
ان ينصره ويقويه على عدوه ومجمل معناه ان الصبر سبب للنصر
وان الفرج بفتحتين الخروج من الغم مع الكرب
بفتح فسكون اى الغم الذي ياخذ بالنفس اى لا يدوم على احد
امر الكرب والشدة ولابد عقباه من الفرج والخلاص من المحنة
ولذا ورد اشتدي ازمة تنفرجي فينبغي للعبد ان يكون صابرا
على ما ابتلاه مولاه وراجيا وقوع الفرج مما نزل به وقدره وقضاه
فانه ارحم الراحمين واكرم الاكرمين وان مع العسر يسرا مصداقه
قوله تعالى فان مع العسر يسرا ان مع العسر يسرا فذكر العسر مرة
واليسر مرتين فان المعرفة المعادة هي عين الاولى بخلاف النكرة
فانها غيرها ولذا قال صلى الله عليه وسلم لن يغلب عسر يسرين
ولعل المعنى ان العسر في الدنيا يصحب اليسر في الدنيا والعقبى
واخرج البزار وابن ابي حاتم واللفظ له لو جاء العسر
فدخل هذا الحجر لجاء اليسر حتى يدخل عليه فيخرجه فانزل
الله هذه الاية فان قلت النصر والفرج واليسر بعد
الصبر والكرب والعسر لانهما يتواردان على المحل فما معنى

١١

الاصطحاب المستفاد من مع فالجواب ان المقصود
المبالغة في معاقبة احدهما الاخر واتصاله به حتى جعله
كالمقارن زيادة في التسلية والتنفيس وجعلها بمعنى بعد من
ضيق العطن وحاصل معنى هذا الحديث الشريف هو الحث
على التوكل والرضا ونفي الحول والقوة الا بالمولى اذ ما من حادثة
من سعادة وشقاوة وخير وشر ونفع وضر ويسر وعسر
وعمل واجل الا وقد تعلق بقدر الله وقضائه قبل ان يخلق
السموات والارض بخمسين الف عام وجرى قلم القضاء بما يكون
فيهما من التحرك والسكون فيجب الشكر في حال السراء والصبر في
حال الضراء معتقدا ان الامر كله لله وان كل شيء من عند الله
فان تعسر شيء فبتقديره وان اتفق شيء فبتيسيره وفي
الحديث ايضا اشارة الى ان الله تعالى اذا اراد ان يفتح لعبده
بابا من فضله ابتلاه بشيء من بلائه ثم يخصه بنعمة من نعمائه
وما رايت شيئا من الامتحان الا رايت معه او بعده من بوادر
لطائف بره وسعة الطريق محبتهم وزيادة لمودتهم والحكمة
في ذلك ان تعرف قدر النعمة وشرف المنة فبمرارة الفراق
تعرف حلاوة الوصال وبجراحة الهجران تدرك راحة العرفان
وبالنقطة السوداء في وجه الحسناء تعلم قدر الحسن والبهاء
فعلى المومن اذا لحقته شدة في صعوبة ما لها ان يعلم انه سيظفر
بزوالها لانه اما ان يتخلص عنه بالحيوة واما يحصل له النجاة
بالممات وحينئذ يصل الى من لا يهمل شيئا من امره ولا يضيع
حقه من صبره وشكره وقال بعض المريدين للسيد ابي الحسن
الشاذلي علمني الكيميا فقال له هي كلمتان اطرح الخلق
عن نظرك واقطع طمعك عن الله ان يعطيك غير ما قسم لك
وقال القطب الرباني الشيخ عبد القادر الجيلاني في فتوح الغيب

النفس لها حالتان لا ثالث لهما حالة عافية وحالة بلاء فاذا كانت
في بلاء فالجزع والشكوى والتسخط والاعتراض والتهمة للحق عز وجل
لا صبر ولا رضا ولا موافقة بل سوء الادب والشرك بالخلق والاسباب
والكفر واذا كانت في عافية فالاشر والبطر واتباع الشهوات واللذات
كلما نالت شهوة طلبت اخرى واستحقرت ما عندها من النعم من ماكول
ومشروب وملبوس ومنكوح ومسكون ومركوب فتخرج لكل واحدة من
هذه النعم عيبا ونقصا وتطلب اعلى منها واسنى مما لا يقسم لها
وتعرض عما قسم لها فتوقع الانسان في تعب طويل ولا ترضى
بما في يديها وما قسم لها فترتكب الغمرات وتخوض المهالك
في تعب طويل لا غاية له ولا منتهى في الدنيا ثم في العقبى كما قيل
من اشد العقوبات طلب ما لا يقسم فاذا كانت في بلاء لا تتمنى سوى انكشافها
وتنسى كل نعيم وشهوة ولذة لا تطلب شيئا منها فاذا عوفيت
منه رجعت الى رعونتها واشرها وبطرها واعراضها عن
طاعة ربها وانهماكها في معاصيه وتنسى ما كانت فيه من البلية
وحل بها من الويل فترد الى اشد ما كانت عليه من انواع البلاء
والضر عقوبة لها لما قد اجترحت وركبت من العظائم وفطما
لها وكفا عن المعاصي في المستقبل اذ لا تصلح لها العافية
والنعمة بل حفظها في البلاء والبؤس فلو احسنت الادب
عند انكشاف البلية ولازمت الطاعة بالشكر والرضا بالمقسوم
لكان خيرا لها دنيا واخرى فكانت تجد زيادة في النعيم والعافية
والرضا من الله عز وجل والطيبة والتوفيق واللطف فمن
اراد السلامة في الدنيا والاخرة فعليه بالصبر والرضا وترك
الشكوى الى الخلق وانزال حوائجه بربه عز وجل ولزوم طاعته
وانتظار الفرج منه عز وجل والانقطاع اليه هو خير من غيره
من جميع خلقه حرمانه عطاء عقوبته نعماء بلاؤه دواء

وعده

وعده نقد نسيئته حالة وقوله فعل انما قوله وامره اذا اراد شيئا
ان يقول له كن فيكون كل افعاله حسنة وحكمة ومصلحة غير انه عز
وجل طوى علم المصالح عن عباده وتفرد به فالاولى للعبد واللائق
بحاله الرضا والتسليم والاشتغال بالعبودية من اداء الاوامر وانتهاء
النواهي والتسليم في القدر وترك الاشتغال بالربوبية التي هي علة
الاقدار ومجاريها واصولها والسكوت عن لم وكيف ومتى والتهمة
للحق عز وجل في جميع حركاته وسكناته وتستند هذه الجملة الى
حديث عبد الله بن عباس وهو ما روى عطاء عن ابن عباس رضي الله
عنهما انه قال بينما انا رديف رسول الله صلى الله عليه وسلم
اذ قال لي يا غلام احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده امامك
فاذا سالت فسل الله واذا استعنت فاستعن بالله جف
القلم بما هو كائن ولو جهد العباد ان ينفعوك بشيء لم يقضه الله
لك لم يقدروا عليه ولو جهد العباد ان يضروك بشيء لم يقضه الله
عليك لم يقدروا عليه فان استطعت ان تعمل لله بالصدق في
اليقين فاعمل وان لم تستطع فان في الصبر على ما تكره خيرا كثيرا
واعلم ان النصر مع الصبر والفرج مع الكرب وان مع العسر يسرا
قال فينبغي لكل مؤمن ان يجعل هذا الحديث مرآة قلبه
وشعاره ودثاره وحديثه فيعمل به في جميع حركاته وسكناته
حتى يسلم في الدنيا والاخرة ويجد العزة فيهما برحمة الله عز وجل
انتهى وقد افرد هذا الحديث بشرح مستقل لبعض العلماء
وهو حقيق بذلك لمن اراد تحقيق ما هنالك

العشرون

لم يتعرض المص للفظة الحديث من ههنا الى اخر الكتاب كذا قاله
الشارح الكازروني وغيره واما ما وقع في اصل ابن حجر ف ١٣
من قوله الحديث الموفي عشرين فمخالف للنسخ المعتبرة
ثم اعلم ان العشرون يطلق على مجموع عدده ومنه قوله تعالى

ان يكن منكم عشرون ويطلق على عدد الكمل للعشرين مجازا كما
هنا لانه ثم به العشرون عن ابي مسعود عقبة بن عمرو
الانصاري الخزرجي البخاري البدري شهد العقبة
الثانية مع السبعين ولم يشهد بدرا عند الجمهور وانما نسب الى
ماء بدر لانه نزل فيه لكن الزهري ومحمد بن اسحق والبخاري ومسلم
ذهبوا الى انه شهدها رضي الله عنه سكن الكوفة ومات بها
في خلافة علي وهي من يوم الجمعة لثمان عشرة خلت من ذي الحجة
سنة خمس وثلاثين الى غداة الجمعة لسبع بقين من رمضان سنة
اربعين ومروياته مائة حديث وحديثان قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان مما ادرك الناس بالرفع على الفاعلية
والراجع الى ما محذوف او الفاعل ضمير يعود الى ما والناس
مفعوله لكن الرواية على الاول كما قاله الكازروني ولفظ
من تبعيضية اي من جملة ما وصلوا اليه وحفظوه وظفروا به
من كلام النبوة الاولى من بيانية لما اي من كلمات ذوي
النبوة المتقدمة واضاف الكلام اليها اعلاما بان الحياء
من قضايا النبوة المجمع عليها فما من نبي الا وقد حث
عليه وندب الامة اليه بقوله اذا لم تستحي فاصنع ما
شئت والجملة اسم ان بتاويل هذا القول وفي حديث لم يدرك
الناس من كلام النبوة الا هذا ولهذا قال بعضهم ان من
الاولى ابتدائية يقال استحيى واستحى لكن الاول اصح وافصح
ومنه قوله تعالى ان الله لا يستحيي ان يضرب مثلا ومنه
هذا الحديث على ما في الاصول المعتمدة خلافا لما يتوهم من
شرح ابن حجر فتدبر قال المصنف معناه اذا اردت فعل شيء
فان كان مما لا تستحي من الله ومن الناس في فعله فافعله
والا فلا وعلى هذا مدار الاسلام يعني مدار احكام الاسلام

وذلك

وذلك بان افعال الانسان اما ان يستحى منها او لا فالاول يشمل الحرام والمكروه
وتركهما هو المشروع والثاني يشمل الواجب والمندوب والمباح
وفعلها مشروع في الاولين جائز في الثالث فعلى هذا يتضمن الحديث
الاحكام الخمسة ولهذا ورد الحياء هو الدين كله رواه الطبراني
عن قرة ثم في كلام المص اشارة الى ان صيغة الامر في الحديث للاباحة
فان معناه اذا انت لم تستحي من صنيع امر وفعل فذلك دليل على جواز
ارتكابه وصنيعه وقال بعضهم الامر للتهديد كما في اعملوا ما
شئتم اي اذا نزع منك الحياء فافعل ما شئت فان الله يجازيك
عليه ويكون هذا تعظيما للحياء وتبجيلا في حقه بالثناء وقيل
امر بمعنى الخبر اي صنعت ما شئت وقيل المعنى انك اذا لم
تستحي من الله من فعل شيء يجب ان لا يستحي منه في امر الدين فافعل
ولا تبال بالخلق ولعل من هذا القبيل ما قيل من ان الحياء يمنع
العلم والرزق يعني الحياء من الناس ولذا قال تعالى والله لا
يستحيي من الحق ومن ثم قالت عائشة نعم النساء نساء الانصار
لم يمنعهن الحياء عن يسألن عن امر دينهن وفي حديث ان ديننا
هذا لا يصلح لمستحيي ولا لمتكبر والمراد منه الحياء المذموم والا فقد
صح ان الحياء شعبة من الايمان رواه مسلم والترمذي عن ابن عمر
وفي رواية عنه على ما رواه ابو نعيم في الحلية والحاكم في مستدركه
والطبراني في الكبير الحياء والايمان قرنا جميعا فاذا رفع احدهما رفع
الاخر والحاصل انه لا ينبغي ان يغلبه الحياء من الناس على الحياء من الله
حتى يستحي فيما يضره من امر دينه او دنياه وبهذا تبين لك صحة قوله
صلى الله عليه وسلم الحياء خير كله الحياء لا ياتي الا بخير فان المراد
به الحياء من الحق اذ لا عبرة بالخلق في الشهود المطلق وقيل
المعنى اذا بطلت منك هذه القوة التي هي اصل كل خير وما بقي
فيك عين ولا اثر فافعل ما شئت فانه لا يفيدك دواء ولا ينفعك

احتماءً كما ان الطبيب الحاذق اذا ايس من مداواة المريض وعرف
ان الاحتماء والدواء ماينفعه لفساد مزاجه لعدم قبول علاجه
فياذن المريض ان يستعمل كل مايشتهي من الاشياء ولا يامره بالاحتماء
ولا شك ان الانبياء للقلوب كالاطباء للقوالب فهذا تفخيم لامر الحياء
ومزيد تعظيم له في مقام الثناء ثم الحياء تغير وانكسار يعتري
الانسان من خوف مايلام به وقال الجنيد الحياء روية التقصير
وروية الالاء فيتولد من بينهما حالة تسمى الحياء وقال ذو النون
الحياء وجود الهيبة في القلب مع وحشة ما سبق منك الى الرب
وقال الدقاق هو ترك الدعوى بين يدي المولى وقال العارف
السهروردي الحياء اطراق الروح اجلالا لعظمة الجلال ومن
هذا القبيل حياء اسرافيل كما ورد انه يتستر بجناحه حياء من الله
عزوجل وكذا حياء عثمان رضي الله عنه كما قال اني لاغتسل
في البيت المظلم فانطوي حياء من الله عزوجل قيل والحياء
وجوه منها حياء الجناية كآدم عليه السلام لما قيل له افرارا منا قال
لا بل حياء منك وحياء الكرم كحياء نبينا صلى الله عليه وسلم كما
في قوله تعالى ان ذلكم كان يوذي النبي فيستحي منكم وحياء الحشمة
كعلي كرم الله وجهه حين سال المقداد حتى سال النبي عليه السلام
عن حكم المذي لمكان فاطمة رضي الله عنها منه وحياء الاحتقار
كموسى عليه السلام قال انه ليعرض لي الحاجة من الدنيا فما
استحي ان اسالك يارب فقال الله عزوجل سلني ملح عجينك
وعلف شاتك وحياء الانعام وهو حياء الرب عزوجل
يدفع كتابا مختوما الى العبد بعدما عبر الصراط واذا فيه فعلت
وفعلت ولقد استحييت ان اظهر عليك فاذهب فاني غفرت لك
وفي الكتب قال الله تعالى ما انصفني عبدي يدعوني فاستحي
ان اردّه ويعصيني ولا يستحي مني ويويده ماورد عما رواه الطبراني

ومنها

لعل فاستحي

بعض نسخ

عن انس مرفوعا من لا يستحي من الناس لا يستحي من الله وقال
بعضهم التحقيق ان الحياء ينشا عن علم القلب بان الله رقيب
عليه فيحافظ ظاهره وباطنه من مخالفة احكامه ويستقبح ما
يصدر من هفوات افعاله وزلات كلامه ويتحمل انواع البلاء تنشيطا
في نظره ولا يشتكي الى غيره فاذا ترقى وتحقق ان الله اقرب
الاشياء اليه استحى من قربه فوق ما يستحيي من رويته فيدعوه
ذلك الى محبته والخلوة معه مستوحشا من الاغيار مستلذا بروح
انس الملك الغفار حتى تطلع عليه انوار التوحيد وتلمع في سره
بوارق اسرار التفريد فيستحيي من شهود مشهوده المطلق
فانيا عن الخلق باقيا مع الحق هذا واقل الحياء ان لا يراك
حيث نهاك ولا يفقدك حيث امرك رواه البخاري وكذا احمد
وابو داود والنسائي ورواه احمد ايضا عن حذيفة واخرجه
ابن ابي شيبة عن ابي مسعود الانصاري مرفوعا ولفظه ان آخر
ما كان من كلام النبوة الاولى اذا لم تستحي فاصنع ما شئت وروى
الترمذي من حديث ابن مسعود رضي الله عنه انه صلى الله عليه وسلم
قال استحيوا من الله حق الحياء قالوا انا نستحيي والحمد لله
قال ليس ذلك ولكن الاستحياء من الله حق الحياء ان يحفظ الراس
وما حوى والبطن وما وعى وان يذكر الموت والبلى فمن فعل ذلك
فقد استحى من الله حق الحياء وروى البيهقي عن سعيد بن زيد
ان رجلا قال للنبي صلى الله عليه وسلم اوصني قال اوصيك
ان تستحيي من الله كما تستحيي رجلا صالحا من قومك وعن بهز بن
حكيم عن ابيه عن جده قال قلت يا رسول الله عوراتنا ما ناتي
منها وما نذر قال احفظ عورتك الا من زوجتك وما ملكت
يمينك قلت يا رسول الله اذا كان احدنا خاليا قال فالله احق
ان يستحيى منه ووضع يده صلى الله عليه وسلم على فرجه

الحادي والعشرون

عن ابي عمرو با لوا و
وقيل ابي عمرة اي بالتاء تانيث عمرو سفيان بن عبد الله بضم
السين رواية وبتثليث دراية رضي الله عنه كان ثقفيا عاملا
لعمر على الطائف مروياته خمسة احاديث قال قلت يا رسول الله
قل لي اي لاجلي خاصة من بين الانام في الاسلام اي فيما يكمل
به الاسلام ويستدل به على توابعه من الاحكام قولا كافيا
كاملا شاملا واضحا شافيا لا اسال عنه احدا غيرك
اي لا احتاج فيه الى سوال غيرك وفي رواية بعدك اي بعد سوالك
هذا قال قل امنت بالله اي وبجميع ما يجب الايمان به من المعتقدات
ثم استقم على اداء الطاعات وانتهاء المخالفات او قل
امنت بالله وهذا معنى قول المصنف ثم استقم كما امرت ممتثلا امر الله
مجتنبا نهيه انتهى شامل للاتيان بكل المامور والانتهاء عن كل
محذور فيدخل فيه اعمال القلوب والابدان من الايمان والاسلام
والاحسان وقوله ثم استقم محمول على الثبات فيها ولعظم امر
الاستقامة قال شيبتني هود لانه نزل فيها فاستقم كما امرت
وهي جامعة لجميع انواع التكاليف وقال الصوفية لان
الدعوة الى الله مع كون المدعو على الصراط المستقيم امر صعب
لا يمكن الا اذا كان الداعي على بصيرة يرى انه يدعوه من اسم الى اسم
ومن ثم قال صلى الله عليه وسلم كما اخرجه احمد استقيموا ولن تطيقوا
اي حق الاستقامة وقال ابن عباس في قوله تعالى فاستقم كما امرت
ما نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم في جميع القران اية كانت
اشد ولا اشق عليه من هذه الاية ولذا قال عليه السلام
لاصحابه حين قالوا له قد اسرع اليك الشيب قال شيبتني
هود واخواتها واخرج ابن ابي حاتم لما نزلت هذه الاية
شمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فما روي ضاحكا واما عطف

او قل امنت بالله صح

اخوانها

اخواتها فلا بد في معنى الاستقامة فان من جملتها همهم امته
ان لا يقع بهم ما وقع بالامم السالفة في الدنيا ومنها تذكر
احوال الاخرة واهوال يوم القيمة ثم للتراخي الزماني فيفيد ان
الكفار غير مخاطبين بفروع الاسلام بل باصوله فاذا امنوا
كلفوا بفروعه ايضا والاظهر انه مستعار للتراخي الرتبي
لان الاستقامة افضل من مجرد الايمان لشمولها العقايد
والاعمال والاخلاق والاحوال ولذا قيل الاستقامة خير
من الف كرامة وقد نقل انه لا يطيقها الا اكابر الامة لانها الخروج
عن المالوفات ومفارقة الرسوم والعادات والقيام بين يدي
الحق على قدم الصدق والحديث مقتبس من قوله تعالى ان الذين
قالوا ربنا الله ثم استقاموا الايتين فعن ابي بكر رضي الله عنه
لم يشركوا به شيئا ولم يلتفتوا الى اله غيره او استقاموا على
ان الله ربهم وعن عمر رضي الله عنه استقاموا على طاعته
ولم يروغوا روغان الثعالب وعن ابن عباس وجمع من السلف
استقاموا على شهادة ان لا اله الا الله وجاء عن الصديق
الاكبر في رواية اخرى انه فسرها ايضا بانهم لم يلتفتوا
الى غير الله وهذا هو غاية الاستقامة ونهاية الكرامة وقيل
تنقسم الى استقامة العمل وهو الاقتصاد فيه غير متعد
من نهج السنة ولا متجاوز عن حد الاخلاص الى الريا والتسمع
او رجاء العوض وطلب الغرض والى استقامة القلب وهي الثبات
على دوام ذكر الرب والى استقامة الروح وهي الثبات على الحق
والى استقامة السر وهي الثبات على الحقيقة وعند المحققين
ان استقامة العمل هي استواء القصد في السير الى الله وهي دون
الاستقامة في السير في الله لان هذه في الطريق والسلوك اليه
باخذ الطريق المستقيم بحسب التوفيق واما السير في الله

ولفظ صح

فهو الاتصاف بصفاته ثم الاستقامة فى الله دون الاستقامة
بالله المامور بها نبينا صلى الله عليه وسلم فى قوله فاستقم
كما امرت لان تلك فى مقام جمع الجمع والبقاء بعد الفنا والاولى
للمريدين والثانية للمتوسطين ولعل هذا هو السر فى تخصيص
الخطاب به عليه السلام فى قوله فاستقم دون الخطاب العام
ويشير اليه ايضا حديث استقيموا ولن تطيقوا وقال جعفر الصادق
فى قوله تعالى فاستقم كما امرت افتقر الى الله تعالى بصحة العزم
وقال القشيرى الاستقامة درجة بها كمال الامور وتمامها
وبوجودها حصول الخيرات ونظامها ومن لم يكن مستقيما
ضاع سعيه وجده وقال العارف العاشق معنى
الحديث اذا وقفت بالتوحيد ورؤية جلال قدمه دُر مع
الحق حيث دار اما قضاء واما رضاء ولا تنزل عن مقام
الرضا الى فترة النفس والهوى رواه مسلم وكذا الترمذى
وقال حسن صحيح وزاد زيادة مهمة فى حديثه وهى قلت يا
رسول الله ما اخوف ما تخاف علىّ فاخذ بلسان نفسه وقال
هذا ويؤيده ان اخرج احمد لا يستقيم ايمان عبد حتى يستقيم قلبه
ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه واقول وقد يقال ولا
يستقيم لسانه حتى يستقيم قلبه كما سبق اذا صلحت صلح
الجسد كله وربما يقال ان تقديم القلب للمجذوب والمراد
وتقديم اللسان والاركان للسالك والمريد والله سبحانه اعلم
بما يريد هذا وروى عن على كرم الله وجهه انه قال قلت
يا رسول الله اوصنى فقال قل ربى الله ثم استقم قال
قلت ربى الله وما توفيقى الا بالله عليه توكلت واليه انيب
فقال ليهنك العلم ابا الحسن

الثانى والعشرون

عن ابى عبد الله جابر بن عبد الله الانصارى رضى الله عنهما

كان

كان هو وابوه من اشاهير الصحابة شهدا العقبة الثانية وبدرا
واستغفر له عليه السلام فى ليلة البعير سبعا وعشرين مرة وهو من
الحفاظ المكثرين فى الرواية وممن طال عمره كثر الاخذ عنه وعمى
اخر عمره وتوفى عن اربع وتسعين سنة عام ثلاث وسبعين يقال
هو اخر من مات من الصحابة بالمدينة روى الف وخمسمائة حديث
واربعون حديثا وقتل ابوه يوم احد فاحياه الله وكلمه كفاحا
ان رجلا هو النعمان بن قوقل بقافين مفتوحتين بينهما واو ساكنة
واخره لام اوسى شهد باحد سال رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال ارايت هذه الكلمة تستعمل للاستقبال وحاصل معناه
اخبرنى لان مشاهدة الاشياء لما كانت طريقا الى الاحاطة بها علما
وصحة للخبر عنها استعملوا ارايت بمعناه لان الروية سبب للعلم
والعلم سبب لصحة الخبر عنه فاطلق المسبب واريد المسبب البعيد
فهو من روية البصر اولانه العلم بها وسيلة الى صحة الخبر فاطلق
السبب واريد المسبب القريب فحينئذ من روية البصيرة والا
ستفهام فيه بمعنى الامر لانه للتقرير المستلزم لطلب الخبر وقيل
حقيقة الاستفهام دخلت على ارايت وهو بمعنى ترى من روية
القلب كانه قال اترى اذا صليت المكتوبات اى الخمس
المفروضات وصمت رمضان اى ايام شهره واحللت
الحلال وحرمت الحرام اى اعتقدت الحلال حلالا واكتسبته
والحرام حراما واجتنبته ولم ازد على ذلك المذكور شيئا
من سائر العبادات يحتمل ان السائل لم يكن من اهل الزكوة
والحج فلذا لم يذكرهما ويحتمل انه ذكرهما ولم ينقل الراوى اختصارا
او نسيانا او كان هذا السوال قبل وجوبهما ويحتمل انه اكتفى
بقوله حرمت الحرام لان ترك الفرايض من جملة المحرمات
فعلى هذا ذكر الصلوة والصوم للاهتمام بهما ادخل الجنة

اى من غير سبق العقوبة وهمزة الاستفهام فيه مقدرة
قال نعم اى تدخلها وذلك لان اللام فى الحلال والحرام
للاستغراق فاذا احل كل حلال وحرم كل حرام فقد اتى بجميع
وظائف الشريعة وذلك مستقل بدخول الجنة فان الحلال المراد
به الماذون فى فعله يشمل الواجب والمباح والحرام المراد به الممنوع
متناول للمكروه التحريمى رواه مسلم قال المص فى الاصل
ومعنى حرمت الحرام اجتنبته اى معتقدا حرمته و
معنى احللت الحلال فعلته معتقدا حله اى حال كونه
معتقدا حله والله اعلم انتهى كلامه وفيه نظر لان فى الحلال
يكفى مجرد الاعتقاد كما ذكره المص فى شرح مسلم نقلا عن ابن الصلاح
الظاهر انه اراد بتحريم الحرام ان يعتقده حراما وان لا يفعله
بخلاف تحليل الحلال فانه يكفى مجرد اعتقاده كذا نقله عنه
وسكت عليه وهو خلاف ما ذكره هنا قال السيد جمال
الدين الحق ما قاله ابن الصلاح لان مجرد الاجتناب عن الحرام
لا يكفى بل لا بد من اعتقاد كونه حراما ومجرد اعتقاد كون الشئ
حلالا بدون الفعل كاف انتهى والتحقيق انه لا يحتاج الكلام
فى طرفيه الى ذكر الاعتقاد لانه مفهوم من ذكر الحلال والحرام
وانما احتيج الى التاويل قوله حرمت واحللت اذ ليسا على بابهما
فان الله سبحانه هو المحرم والمحلل فتاويل حرمت باجتنبت
كاف وتاويل احللت بفعلت ومقصوده ان يجتنب الحرام
ويكتسب الحلال مع ان العلم بتفاصيل الشرع غير متوجه على
كل احد حتى يشترط الاعتقاد المبنى على معرفة كل شئ بانه حرام
او حلال بل يكفى للعامة ان يكفوا عن المحرمات ويتناول المباحات
سواء علموا تفصيل ذلك ام لا فلو تناول احد ما هو حلال
فى نفس الامر وترك ما هو حرام فى ذاته مع جهله باحكامهما

الموجب

الموجب لاعتقادهما لم يكن مؤاخذا فيهما ولعل ابن الصلاح نظرا
الى هذا قال الظاهر الى اخره نعم يمكن حمل الحديث على الكمال وهو
انه ما اجتنب شيئا الا وقد اعتقد انه حرام وما اكتسب شيئا الا وقد
اعتقد انه حلال وفيه اشارة الى انه ليس عنده شئ من الشبهات
ثم لا يلزم من قوله نعم فعل كل حلال بخلاف قوله اجتنبته فانه يلزمه
اجتناب كل حرام وقد سبق ان الحلال بين والحرام بين فكانه اكتفى
بهما فى بيان احكامهما فان قلت ظاهر الحديث يقتضى ان
الاعمال الصالحة اسباب دخول الجنة لان تعليق الحكم بالوصف
يشعر بالعلية وقد ثبت فى الصحاح انه قال صلى الله
عليه وسلم لن ينجى احدا منكم عمله قالوا ولا انت يا رسول الله قال
ولا انا الا ان يتغمدنى الله برحمته فالجواب ان دخول الجنة
بمحض رحمة الله وفضله كما ان دخول النار بمقتضى سخطه وعدله
واما تفاوت درجات الجنة واختلاف دركات النار فبحسب مراتب
الاعمال لكن لا بد للعبد ان يتعرض لفضله وذلك باحسان عمله
كما قال تعالى ان رحمت الله قريب من المحسنين وما احسن قول
على كرم الله وجهه من ظن انه بدون الجهد يصل فهو متمن
ومن ظن انه ببذل الجهد يصل فهو متعن

الثالث والعشرون

عن ابى مالك الحارث بن عاصم الاشعرى رضى الله عنه
مات فى خلافة عمر رضى الله عنه بطعن هو ومعاذ وابو عبيدة
وشرحبيل فى يوم واحد ثالث ذى الحجة سنة ثلاث وعشرين
روى عن جابر بن عبد الله وغيره قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم الطهور بالضم هو المختار وقول الاكثرين كما قاله
المص وقال القرطبى الفتح هو المروى قال السيد
جمال الدين الطهور بالضم المصدر وبالفتح اسم لما يتطهر به
فان كانت الرواية بالضم فظاهر وان كانت بالفتح فصحيح ايضا

والمراد به المصدر لان الفعول بالفتح قد يجي مصدرا كالقبول
او المضاف محذوف اى استعمال الطهور كذا قاله شارحوا
الحديث ولكن روايتنا في هذا الحديث بالضم والله اعلم
انتهى وفي شرح مسلم للمص اجمع اهل اللغة على ان الطهور
والوضوء بضمهما اذا اريد بهما المصدر اى الطهارة
عن الحدث والخبث ويفتحان اذا اريد بهما الاسم اى ما
يتطهر به قال القاضي عياض هو ههنا بمعنى المصدر اى الطهارة
عن الحدث الاكبر والاصغر في البدن وعن الخبث في الملبوس
والمكان او هو التنزه عن المتخبثات الحسية والمعنوية
شطر الايمان اى بعض الصلوة فانه شرط من شرائطها
والشطر كما يطلق على النصف يطلق على الجزء كما سيجي
تحقيقه ومنه قوله تعالى فول وجهك شطر المسجد الحرام
اى جانبا من اجزاء جوانبه واطلق الايمان على الصلوة كما
في قوله تعالى وما كان الله ليضيع ايمانكم اى صلاتكم الى بيت
المقدس لانها اعظم اثاره واكرم انواره قال شارح
وانما جعل شطرها لان صحة الصلوة بالاركان وهي احد الشطرين
وبالشرائط وهي الشطر الآخر ولما كان اظهرها واكثرها ف
افعالا هي الطهارة جعلت كالشروط كلها شطرا على الاتساع انتهى
وفيه ما لا يخفى من النزاع وقال المص المراد بالطهور الوضوء
يعني وما في معناه من انواع الطهارة واصناف النظافة والا فلا
يلايم مجرد الوضوء لما ذكره بقوله وقيل معناه ينتهي تضعيف
ثوابه الى نصف اجر الايمان اى اجر اصل الايمان وهو في غاية
من البعد لان الايمان شرط لصحة جميع الاعمال والاحوال
فكيف يقابل نصفه اجره باجر وسيلة من وسائل عمل الصلوة
ولو كان في اعلى درجات المضاعفة مع ان اجر الوضوء متوقف
على

على صحة النية وهي متوقفة على وجود صفاء الطوية ولان
اصل الايمان لا يعرف غير الله سبحانه ثم قوله وقيل الايمان يجب
ما قبله من الخطايا يعني من الصغائر والكبائر وحقوق العباد
وغيرها فلا يلايم قوله وكذلك الوضوء لان الصلوة مع اصالتها
لا يجب الا الصغائر فكيف بالوضوء على ان المكفرات متعددة
وايضا التشبيه يقتضي المثلية لا التنصيفية لكن الوضوء
يتوقف صحته على الايمان فصار نصفا منه بحث ظاهر
لان المتوقف على الايمان اشياء كثيرة من عبادات مستقلة ووسائل
مستتبعة فكيف يكون الوضوء و نصفا مع ان الصلوة با مستتبعة
ستقلالها بل مع انضمام غيرها لا يصلح ان يكون نصفا له لا سيما
على مذهب اهل السنة والجماعة من ان الاركان غير داخلة في حد
الايمان بل امر زائد معبر عنه بالكمال في مقام الاحسان ثم قال يدل وحده
وقيل المراد بالايمان الصلوة والطهور شرط لصحتها فصار
كالشطر وفيه ما قدمناه من التحقيق وانه لا يصح في مقام التدقيق
والله ولي التوفيق ثم قوله وقيل غير ذلك لعله اشارة
الى ما اخترناه اولا او الى ما قاله بعض الصوفية من ان الطهور
تزكية النفس عن الرذائل والاخلاق الدنية وهي نصف الايمان
اذ النصف الآخر التحلية بالفضائل والاعتقادات الحقية والتخلية
مقدم على التحلية وحاصله ان الايمان مشتمل عليهما فيكون
كل نصف الآخر وبيانه ظاهر في كلمة التوحيد فانها
مشتملة على تخلية القلب عن وجود سوى المعبود بالحق
وتحلية باثبات توحيد الرب في الشهود المطلق مع الاشارة
الى اثبات الصفات السلبية والنعوت الثبوتية وقيل
للايمان ظاهر وهو الاقرار والتسليم وباطن وهو الاخلاص
والتصديق فبالاقرار بلا اله الا الله طهارة الظاهر عن الشرك

والبراءة عنه وبالتصديق والاخلاص طهارة الباطن عن الشك
والنظافة عنه فنصف الايمان تطهير الظاهر وكماله تطهير الباطن
وهذا المعنى يقوى القول بان الاقرار شطر للايمان والله ولي
الاحسان وقال الغزالي للطهارة مراتب من تطهير الظاهر
عن الحدث والخبث ثم تطهير الجوارح عن الجرائم ثم تطهير
القلب عن الاخلاق المذمومة ثم تطهير السر عما سوى الله
انتهى وفيه اشارة الى ما سبق من اعتبار التخلية والتحلية
فان المقابل لما ذكره هو التلطخ بالنجاسة الحقيقية والحكمية والتدنس
بالاعمال الردية والدنية المتبعد عن الله وبالاشتغال بما عداه
من الامور الكونية وقد قارب هذا المبنى بعض الفقهاء في تحصيل
المعنى بناء على ان المراد بالايمان الكامل بالمعنى الاعم المتركب
من ثلاثة اجزاء وهي تصديق الجنان واقرار اللسان وعمل
الاركان فانه وان كثر خصاله لكنها منحصرة فيما ينبغي التنزه
والتطهر عنه وهو كل محذور عنه اعتقادا وقولا وفعلا وخلقا
وحالا وما ينبغي التلبس وهو كل ماموربه كذلك فهو شطران
فهو نظير جزا الايمان نصفان نصف صبر ونصف شكر
واما حديث ابن ماجه وابن حبان في صحيحه اسباغ الوضوء
شطر الايمان ورواية الترمذي والوضوء شطر الايمان
فليس على ظاهره بل يتعين تاويله بان المراد بالشطر هو الجزء
ففي القاموس الشطر نصف الشئ وجزؤه ومنه
حديث الاسراء فوضع شطرها اى بعضها يعني لو كان
المراد به النصف لفرغت الخمسون في المرة الثانية فيتعين ان
يراد به الخمس لما جاء في روايات اخر فوضع عني عشرا
واما حديث احمد والطهور نصف الايمان فمحمول على ما
قدمناه من تقسيم الايمان بالنوعين من الاحسان مع انه قد

لايراد

لايراد به حقيقة التنصيف كقول شريح وقد قيل له كيف اصبحت
قال اصبحت ونصف الناس علي غضبان يريد ان الناس بين محكوم له راض
وبين محكوم عليه غضبان فهما جزءان مختلفان ومنه قول
الشاعر اذا مت كان الناس نصفين شامت بموتي ومثن
بالذي كنت افعل اي ينقسمون قسمين ومنه حديث تعلموا
الفرائض فانها نصف العلم وكذا قول مجاهد المضمضة والاستنشاق
نصف الوضوء على انه قد يقال الايمان تطهر الباطن من دنس
الكفر والوضوء الظاهر من وسخ الوزر ثم رايت انه ذكر صاحب
النهاية والله ولي الهداية والحمد لله تملا الميزان روي بالتاء
المثناة من فوق وبالياء اخر الحروف فالاول بتاويل الكلمة و
الثاني بتاويل القول كذا ذكره السيد جمال الدين وقول المصنف اى
ثوابها يشير الى الاول فتامل وقد بعد من قال المراد بالحمد لله
الفاتحة والمعنى ان ثواب التلفظ بمبناها مع استحضار معناها تملا
كفة الحسنات التي هي مثل طباق السموات وذلك ان حمده سبحانه على
ذاته وصفاته وافعاله في اظهار الموجودات واثار المصنوعات مما يوجب
عظم تملا الميزان بتقدير تجسمه او باعتبار صحفه وفي الحديث
اثبات الميزان ذي الكفتين واللسان كما هو مذهب اهل السنة
خلافا للمعتزلة قال الغزالي وصفته في العظم انه مثل طباق
السموات والارض يوزن فيه الاعمال بقدرة الله تعالى والصنج
يومئذ مثاقيل الذر والخردل تحقيقا لتمام العدل وتطرح
صحائف الحسنات في كفة النور فيثقل بها الميزان على قدر درجاتها
عند الله تعالى بفضله وتطرح صحائف السيئات في كفة
الظلمة فيخف بها الميزان بعدل الله سبحانه انتهى ونقل
الواحدي في تفسيره عن ابن عباس قال يوزن الحسنات
والسيئات في ميزان له لسان وكفتان فاما المومن فيوتى بعمله

في احسن صورة فيوضع في كفة الميزان فتثقل حسناته على
سياته فذلك قوله تعالى فمن ثقلت موازينه فاولئك هم المفلحون
ويؤتى بعمل الكافر في اقبح صورة فيوضع في كفة الميزان فيخف
وزنه فذلك قوله تعالى فاولئك الذين خسروا انفسهم قيل
ولكل انسان ميزان لظاهر قوله تعالى ونضع الموازين القسط
والاصح انه ليس الا ميزان واحد والجمع اما لتعظيم شانه تحذيرا
من السيات وتحريضا على الحسنات او باعتبار الموزونات وينابه
قوله واما من خفت موازينه واما من ثقلت موازينه وسبحان الله
والحمد لله تملان بالفوقية والتحتية وكذا قوله او تملاء لكن
قال الكازروني الرواية فيهما التانيث ثم او للشك فقوله ما بين
السماء والارض مفعول لاحدهما وفي نسخة صحيحة ما بين
السموات والارض قال المص اى لو قدر ثوابهما جسما لملا
وسببه ما اشتملتا عليه من التنزيه والتفويض الى الله انتهى
وكانه اشار الى ان الحامد لله سبحانه على افعاله ينبغي ان يكون
مفوضا الى ربه في جميع احواله والاظهر ان التسبيح يشير الى التنزيه
الذي مدار الصفات السلبية والحمد يومي الى اثبات الثناء
الجميل وهو مدار النعوت الثبوتية وبهذا الاعتبار علا انوارهما
جميع ما في الدار ولقد قيل شعر ليس في الدار غيره ديار وقد
ذكر البيهقي في تفسيره وابن دحية عن طلحة بن عبيد الله قال
سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن تفسير سبحان الله فقال
هو تنزيه الله عز وجل عن كل سوء وهو اتم من التسبيح كما حققه
ابن مالك لا علم له كما ذكره الزمخشري ثم الظاهر انهما تملان
باجتماعهما ويحتمل ان كلا منهما بانفراده تملا فقوله او تملا شك
من الراوي في سماع لفظ الحديث ويصح ضميره ان يكون راجعا
الى مجموع اللفظين او الى كل من الكلمتين فاندفع بهذا قول

بعضهم

علي ح

بعضهم هذا شك فيما تملا ما بين السماء والارض هل هو الكلمتان
او احدهما انتهى ولا يخفى ان الشك لا يجوز ان ينسب اليه
صلى الله عليه وسلم ولا يتصور ان الراوي من عنده يتصرف
في العبارة وياتي بالة الشك ليتم له الاشارة فكلام هذا القائل
باطل ليس تحته طائل وفي رواية النساى وابن ماجة والتسبيح
والتكبير ملا السموات والارض اى كل منهما او كلاهما والاول
هو المعول لان الميزان اوسع مما بين السماء والارض فما
يملاؤه اكثر مما يملاهما وقد سبق ان الحمد لله تملا الميزان
بانفراده فلا وجه ان يراد به انضمامه وقد جاء في حديث
اخرجه الحاكم مرفوعا وصححه بلفظ يوضع الميزان يوم القيمة
فلو وزنت السموات والارض لوسعت فيقول الملائكة يا رب
لمن يزن هذا فيقول الله تعالى لمن شئت من خلقي فيقول
الملائكة سبحانك ما عبدناك حق عبادتك وقد روى احمد
والنساى والترمذي لا اله الا الله لا يعدلها شيء في الميزان و
عند احمد لا يثقل شيء بسم الله الرحمن الرحيم وفي رواية لاحمد
لو ان السموات السبع والارضين السبع في كفة ولا اله الا الله
في كفة مالت بهن والصلوة نور اي ذات نور او ذاتها نور
مبالغة في التشبيه والمعنى كما قال المظ انها تمنع من المعاصي
وتنهى عن الفحشاء وتهدي الى الصواب يعني كما ان النور
يستضاء منه ويهتدي به قال ولعل يكون ثوابها نورا لصاحبها
يوم القيمة وقيل لانها سبب لاستنارة القلب انتهى وتوجيهه
انها منورة وجه صاحبها في الدارين ومنه ما روى الصلوة
نور المومن وجاء من صلى بالليل حسن وجهه بالنهار وقال
ابو الدرداء صلوا ركعتين في ظلم الليل لظلم القبر وفي صحيح
ابن حبان مرفوعا من حافظ عليها كانت له نورا وبرهانا

ف

ونجاة يوم القيمة واخرج الطبراني انه صلى الله عليه وسلم قال
من صلى الصلوات الخمس في جماعة جاز على الصراط كالبرق اللامع في
اول زمرة السابقين وجاء يوم القيمة ووجهه كالقمر ليلة البدر
واخرج ايضا مرفوعا اذا حافظ العبد على صلاته قالت له
حفظك الله كما حفظتني فصعد بها الى السماء ولها نور حتى
ينتهي الى الله عز وجل فيشفع لصاحبها او منورة قلب ملازمها
لانها تشرق فيه انوار المعارف واسرار العوارف فيتفرغ منها
من كل شاغل ويعرض عن كل زائل ويقبل على الله بكليته حتى يمن
عليه بشهود قربه ووجود محبته وقد ورد عنه صلى الله عليه
وسلم كما رواه احمد والنسائي وجعلت قرة عيني في الصلوة
وفي رواية الجائع والظمآن يروى وانا لا اشبع من حب الصلوة
ثم هي تزيل الهموم والغموم عن صاحبها ومنه قوله عليه
السلام يا بلال اقم الصلوة ارحنا بها اخرجه احمد والصدقة
اى الزكوة كما في رواية ابن حبان ويصح بقاؤها على عمومها برهان
اى دليل وبيان على صحة ايمان المتصدق بيوم الحساب فان العبد
اذا سئل عن مصرف ماله وقال تصدقت كانت صدقاته براهين
في الجواب حيث بذل العاجل رجاء للآجل من الثواب او برهانه
على صدق دعواه في محبة الله اذ المحبوبات كلها تبذل لاجل المحبوب
الاكبر من ان ينال بالحواس ومن ان يدرك جلاله بالعقل والقياس
ولذا انفق بعض العرفاء كالصديق الاكبر جميع ماله وبعضهم
امسك قدر ما يدفع به الحاجة من ماله وبعضهم اقتصر على
الواجب لضعف حاله والبرهان لغة هو الشعاع الذي يلي وجه
الشمس ومنه خبر ان روح المومن يخرج من جسده كبرهان
الشمس ومنه سميت الحجة القاطعة برهانا لوضوح ما فيه
من الدلالة قال تعالى يا ايها الناس قد جاءكم برهان من ربكم

الاية

الاية وقال المصنف الصدقة برهان اى حجة لصاحبها في اداء حق
المال وقبل حجة في ايمان صاحبها لان المنافق لا يفعلها غالبا
والصبر ضياء اي نور قوي ينكشف به الكربات وينقلع به
الظلمات قال المصنف اى الصبر المحبوب وهو الصبر على طاعة
الله والبلاء ومكاره الدنيا وعن المعاصي ومعناه لا يزال صاحبه
مستضيئا مستمرا على الصواب انتهى وفي خبر لابن ابي الدنيا
وابن جرير ان الصبر على المصيبة يكتب به للعبد ثلاثمائة درجة
وان الصبر على الطاعة يكتب به للعبد ستمائة درجة وان الصبر على
المعاصي يكتب به للعبد تسعمائة درجة قيل حكمة جعل الصلوة نورا
والصبر ضياء مع انه سبحانه قال هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر
نورا هي ان الصبر هو الاساس المبني عليه سائر الاعمال فلو لم يكن وجوده
لم يتصور صلاة ولا غيرها من الاحوال ومن ثم ورد ما اعطى احد خيرا
من الصبر وفي رواية اوسع عطاء من الصبر وايضا فالضوء فيه
احراق بخلاف النور فانه محض اشراق ولذا وصف شريعة موسى عليه
السلام بانها ضياء حيث قال تعالى ولقد اتينا موسى و
هارون الفرقان وضياء وذكرا للمتقين لما فيها من شدائد الا
نكال والاغلال ووصف شريعة نبينا صلى الله عليه وسلم
بانها نور لقوله تعالى قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين لخلوها
عن تلك المشاق الدينية واتصافها بالملة السهلة الحنيفية
ولا ينافيه ما ورد في رواية الصوم بدل الصبر فانه من بين العبادات
مختصة بالاحراق للاجزاء الباطنية لكونه سببا لاحتراق
الذنوب الماضوية ولانه احراق فيه اشراق ولهذا اورد
الصوم لي وانا اجزى به واما ما جاء في رواية احمد والترمذي
من طرق هذا الحديث والصوم نصف الصبر اى بعضه او معظمه
هذا وقد قال الامام حجة الاسلام لما كان الانسان مركوزا

فيه العقل كداعي الى المصالح والشهوة الباعثة الى المفاسد لم يوجد
الصبر في غيره من الملايكة لفقدان الشهوة الصارفة عن الخدمة
ومن البهائم لعدم العقل ثم ما دام صبيا ليس له الا شهوة الغذاء
ثم اللعب ثم المنكح فاذا بلغ ظهر باعث الدين والعقل يرشده
الى الاعراض عن الباطل الفاني والاقبال على الحق الباقي فصد
العقل الطبع عن خلاف الشرع هو الصبر وهو اما بدني فعلا
كتعاطي الاعمال الشاقة او انفعالا كالثبات على الآلام المحرقة
او نفساني وهو منع النفس من مقتضيات الطبع الى موافقات
الشرع فان كان عن شهوة البطن والفرج فهو العفة وان كان
عن المكاره ففي المصائب بان يحمل النفس على ترك اظهار الجزع
خص بالصبر وهو عند الصدمة الاولى والا فيسمى سلوا وفي
النوائب يسمى سعة الصدر وان كان في مبارزة الاقران فهو
الشجاعة وان كان في كظم الغيظ سمي حلما وان كان في حال
الغنى سمي ضبط النفس وان كان عن فضول العيش سمي
زهدا وان كان على قدر يسير من المال سمي قناعة وعلى هذا انسحب
كلام الامام فعلم منه ان الصبر بنيت عليه اركان الايمان والاسلام
واحكمت عليه قواعد الاحكام فيكون اتم من الصلوة فناسب ان
يشبه بالضياء الذي هو اقوى من النور مع انهما قد يتعاوران
وفي كلام العارفين اشارة الى ان للصبر اقساما من الصبر لله
اي عن معصيته وعلى طاعته لاجل مثوبته وهو للعامة والصبر
بالله اي بتاييده وهو صبر المنسلخ عن حوله وقوته عالما
بانه لا حول ولا قوة الا بالله نص عليه في المنازل وذكر
القاشاني انه فوق جميع الاقسام لحصوله بالبقاء
بعد الفناء ويؤيده قوله تعالى لسيد الاصفياء واصبر
وما صبرك الا بالله والصبر على الله اي على حكمه وما قضاه

وهو صبر السالك الذي بريء عن التصرف والاختيار ويرى
ان المتصرف فيه وفي الكل والمصرف للامور هو الحق فيصبر
على احكامه مع مكابدة الامر والالم ومنه قوله تعالى وما
واصبر لحكم ربك فانك باعيننا والصبر في الله والصبر
مع الله وهما لاهل الحضور والمشاهدة والصبر عن الله وهو
لاهل المحبة اذا اراد المحبوب فراق المحب كما قال قائلهم
اريد وصاله ويريد هجري فاترك ما اريد لما يريد وهو اشد
انواع الصبر مرارة ولذا لما سمعه الشبلي شهق لديه وخر مغشيا
عليه وانشد ان صوت المحب من الم الشوق وخوف الفراق
يورث ضرا صابر الصبر فاستغاث به الصبر فصاح المحب
للصبر صبرا وتحقيق هذه المعارف تطلب من العوارف
والقران حجة لك اي ان حفظت مبناه وعملت بمقتضاه
تشهد لك ويصير حجتك ويدل على نجاتك وحسن ماابك
او عليك اي ان تركت تلاوته وخالفت طاعته تشهد عليك في
مآلك ويلقيك في مهالك ففيه اشارة الى ان القران سبب الوصول
الى اعالى الدرجات او اسافل الدركات ولذا قال تعالى واعتصموا
بحبل الله فهو كبحر النيل ماء للمحبوبين ودماء للمحجوبين قال تعالى
يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا وننزل من القران ما هو شفاء ورحمة
للمومنين ولا يزيد الكافرين الا خسارا وقد قال الخطابي جاء في
الاثار ان عدد اي القران على قدر درج الجنة فمن استوفى جميعها
استولى على اعلى درجات الجنة قال المحققون استيفاء جميع
اي القران هو ان يتخلق باخلاقه وصفاته بل باخلاق الله و
صفاته ويشير اليه قول عايشة رضي الله عنها كان خلقه القران
ويومي اليه قوله الرحمن علم القران هذا وجاء في حديث
القران شافع مشفع وماحل مصدق من قدمه امامه قاده الى

عليك سان

الجنة ومن جعله وراءه وقع في قفاه الى النار وقيل المعنى لك او
عليك في القواعد الشرعية والوقائع الحكمية لانه المرجع عند المنازعات
العرفية كل الناس يغدو والجملة مستانفة كانه قيل قد تبين الرشد
من الغي هنالك فما حال الناس بعد ذلك فقال كل الناس يصبح
ساعيا في تحصيل اغراضه ومراده مسرعا في طلب نيل مقاصده
فبائع نفسه وفي نسخة بالاضافة وهو خبر مبتدا محذوف وهو
والفاء تفصيلية والبيع بمعنى [illegible] الشرا لان المشتري
يعتق لا البايع وهو مجاز اي يصرف نفسه من الاغراض
التي يتوخاها ويقصدها من الخير والشر فمعتقها خبر
بعد خبر او بدل من قوله فبايع نفسه والفاء سببية او موبقها
عطف عليه اي فمنهم من يسعى في فكاك رقبته من اسر الطبع
باتباع الشرع فيعتقها من العذاب ويخلصها من العتاب
ومنهم من يسعى في هلاك نفسه بمتابعة النفس والشيطان
والهوى فيهلكها ويرميها في طريق الردي فيكون للاول
خير الدارين والامان وللثاني الهلاك والخسران وقال
المص معناه كل انسان يسعى بنفسه فمنهم من يبيعها لله
بطاعته فيعتقها من العذاب ومنهم من يبيعها للشيطان
والهوى باتباعهما فيوبقها اي يهلكها انتهى ولا يخفى انه
اختار على ان البيع على بابه كما اشار اليه الحق سبحانه في كتابه
بقوله ان الله اشترى من المومنين انفسهم واموالهم بان لهم
الجنة الى ان قال فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك
هو الفوز العظيم اي الحظ الجسيم والنعيم المقيم قال
الشيخ ابو الحسن الشاذلي النفوس ثلاثة اقسام نفس
لا يشترى لخستها وهي نفوس الكافرين ونفس يشتري
لكرامتها وهي نفوس المومنين ونفس لا يقع عليها الشري

لثبوت

من يبيعها

لثبوت حريتها وهي نفوس الانبياء والمرسلين قال المص
وقد بسطت شرح هذا الحديث في اول شرح صحيح مسلم فمن اراد
زيادة فليراجعه وبالله التوفيق انتهى وقال الفاكهاني المعنى
ان كل انسان يصبح ساعيا في اموره وهو اما ان يكون الغالب عليه
السعي في خلاص نفسه بتوجهه بقلبه وقالبه الى العقبى وما
عند الله تعالى مع الاعراض عن زخارف الدنيا والتقيد باداب الشرع
اكتسابا واجتنابا فهذا الذي قال فيه عليه السلام فمعتقها اي باع
نفسه من الله وعقوبة مولاه وناهيك بها صفقة اغتنام اذ كان
الثمن عينها دار السلام والنظر فيها الى الوجه الملك العلام والعجب انه
بيع آيل اي عتق وحرية وسيادة بسبب ما اسلفه من عبادة وزهادة
فاعتق نفسه من رق المخالفات بل من اقتحام النار وعظم العقوبات
واما ان يكون ساعيا في مذموم اغراضه وهواه مخالفا في غالب
تقلباته لسيده ومولاه فهو الذي باع نفسه من الشيطان
وتصدى لغضب الرحمان واختار عذاب النيران على نعيم الجنان
فكان جديرا بالطرد والحرمان نعوذ بالله من سخطه واليم عقابه
ونسال رحمته وكريم ثوابه هذا وقالوا يجب على العبد مخالفة
النفس الداعية الى المهالك المعينة للاعداء المغموسة في البلاء
المتهمة باصناف الاسواء المتبعة للاهواء الغالبة على العقلاء
والعلماء مما لا يسلم منها الا الصديقون والانبياء وقال
تعالى لا تتخذوا الهين اثنين اراد بالاخر بلسان الاشارة الهوى
لقوله عليه السلام ما عبد اله ابغض على الله من الهوى لان كل ما عبد
ما عبد الا على موافقة النفس والهوى ومخالفة الكتاب والهدى
ولذا قال تعالى افرايت من اتخذ الهه هواه واضله الله على
علم حين قدره وقضاه وقال ابو يزيد من امات نفسه
يلف في كفن الرحمة ويدفن في ارض الكرامة ومن امات

قلبه يلف في كفن العقوبة ويدفن في ارض العقوبة رواه مسلم
وكذا احمد والترمذي والنسائي وابن ماجة والبيهقي **الرابع**
والعشرون عن ابي ذر اي الغفاري كما في نسخة رضي الله
عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما يروى اي يرويه كما في نسخة
وفي اخرى فيما روى عن الله عز وجل وفي نسخة عن الله تعالى
وفي اخرى عن ربه والمعنى روينا عنه انه روى عن النبي عليه السلام
ما ياتي من الكلام حال كونه مندرجا في جملة الاحاديث القدسية التي
يرويها عنه سبحانه انه قال والفرق بين الحديث القدسي وبين القران
انه اللفظ المنزل للاعجاز بواسطة جبرئيل عليه السلام والقدسي
اخبر الله نبيه معناه بالالهام او المنام فاخبر النبي صلى الله عليه وسلم
امته بعبارته عن ذلك الكلام فلا يكون معجزا ولا متواترا كالقران
وقال الطيبي فضل القران على الحديث القدسي انه نص الهي
في الدرجة الثانية وان كان من غير واسطة الملك غالبا لان المنظور
فيه المعنى دون اللفظ وفي التنزيل اللفظ والمعنى منظوران معنى
يا عبادي الخطاب مع الثقلين لاختصاصهم بالتكليف
في الامور وبتعاقب التقوى والفجور ويؤيده انه فصل المخاطبين بالانس
والجن ويحتمل ان يكون عاما شاملا لذوي العلم كلهم من الملائكة
والثقلين ويكون ذكر الملائكة مطويا مدرجا في قوله وجنكم لشمول الا
الاجتنان لهم ثم توجه الخطاب نحوهم لا يتوقف على صدور الفجور منهم
ولا على امكانه لانه كلام صادر على سبيل الفرض والتقدير اني حرمت
الظلم على نفسي التحريم لغة المنع شبه تنزه عن الظلم باحتراز
المكلف عما نهي عنه والمعنى تعاليت وتنزهت عن ان اظلم احدا
بان اعذبه بلا ذنب او اضيع اجر محسن مع انه لا يجب على شيء لكني
حكيم في كل باب فانزه نفسي عن زيادة عقاب او نقص ثواب
والمراد بالنفس الذات وجاء اطلاقه عليه في حديثه هذا وفي

قوله

قوله عليه السلام لا احصي ثناء عليك انت كما اثنيت على نفسك
فقول شارح لا يطلق على الله الا على سبيل المشاكلة مدفوع
مع انه لا مقابلة في هذا الحديث ايضا واغرب ابن حجر حيث
اقره وقدر المشاكلة بقوله فان معناه حرمته على نفسي فنفوسكم
بالاولى مع ان المشاكلة محلها الكلمة الثانية لا الاولى واما قوله لا يجوز
اطلاق النفس عليه سبحانه لانها تشعر بالتنفس فمسلم لكنا نقول
يجوز اطلاقها من حيث انها ماخوذة من النفاسة لا من النفس بفتح
الفاء فهما اعتباران مختلفان كالشيء فانه باعتبار معنى المفعول
لا يجوز اطلاقه عليه سبحانه ومنه قوله تعالى ان الله على كل شيء قدير
واما باعتبار معنى الفاعلي فيجوز ومنه قوله تعالى قل اي شيء اكبر
شهادة قل الله واما ايهام شمول قوله تعالى كل نفس ذائقة الموت
مع كون المراد كل متنفس فمدفوع بما علم استثناؤه سبحانه قطعا
بالعقل والنقل ومنه قوله تعالى كل شيء هالك الا وجهه فلا
يخطر هذا الوهم بالبال والله اعلم بالكمال هذا ولقد بالغ بعض المانعين
وتكلف في قوله تعالى تعلم ما في نفسي ولا اعلم ما في نفسك بجعل الخطاب
راجعا الى عيسى على ان الاصل ولا اعلم ما فيها ثم اوقع الظاهر موقع المضمر
فصار معناه ولا اعلم ما في مخلوقتك وتعسفه مما يمجه السمع السليم
ويدفعه الطبع المستقيم وقال المص اي تقدست عنه فالظلم مستحيل في
حق الله تعالى لانه مجاوزة الحد او التصرف في غير ملكه وهما جميعا
محال في حق الله تعالى انتهى اولانه وضع الشيء في غير موضعه وهو
محال ايضا لانه حكيم عليم فيما قدره ودبره فان قيل قد نفى الله عن
نفسه الظلم بقوله وما ربك بظلام للعبيد على سبيل المبالغة وذلك
يوهم بثبوت اصل الظلم كما توهمه بعض الشراح وقال يتصور فيه
لكنه لا يفعله جدا لا منه وتنزها عنه فالجواب ان يقال صفات الله
بلغت غاية الكمال ونهاية الجلال فلو اتصف بالظلم لكان عظيما

فنفاه على احد عظمته لوكان ثابتا اواراد نفي نفس الظلم لكن القليل
منه بالنسبة الى رحمته الذاتية كثير فلذا عبر بلفظ المبالغة مع انه
قد يقال ان صيغة فعال تجيء للنسبة فمعناه ليس بذى ظلم
او ورد بصيغة المبالغة المفيد للكثرة مقابلة العبيد وكثرتهم في عالم
الخلقة واما ما اجاب بعضهم بان الله تعالى في خلقه تصرفين
ظاهرا وباطنا فبتصرفه الظاهر ينهى عنه شرعا وبتصرفه الباطن
يقضيه ويخلقه حقيقة وهو الاول والاخر والظاهر والباطن فهذا
صحيح المعنى لكنه لا يدفع الشبهة كما لا يخفى ولعله اراد ان تصرفه
الباطن على خلاف تصرفه الظاهر ليس بظلم منه مجازا كما يتوهم
من ظاهر عبارة بعضهم وهي الهي امرت الشيطان بالسجود ومنعته
منه ونهيت ادم عن اكل الشجرة وحملته عليه ولعل هذه المسئلة
شبهة المعتزلة في خلق الافعال لتوهمهم انه لولا هذا لوقع ظلم
بحسب ظاهر الاحوال وينسبون مذهبهم الى العدل والاعتدال
مع انهم عنه في حيز الاعتزال وجعلته بينكم محرما والشرك
وان كان اعظم الظلم وكذا سائر المعاصي يسمى ظلما الا ان المراد هنا ظلم
العباد بعضهم لبعض كما يدل عليه قوله فلا تظالموا قال المصحح
هو بفتح التاء اى لا تتظالموا انتهى وهو تخفيف الظاء في الاصول
المعتبرة ونقل ابن حجر انه روى بتشديدها والاشهر تخفيفها
والمعنى لا يظلم بعضكم بعضا فان الظلم ظلمات يوم القيمة كما
رواه الشيخان وروى البخاري من كانت منه مظلمة لاخيه فليتحلله
منها فانه ليس ثم دينار ولا درهم من قبل ان يوخذ لاخيه من
حسناته فان لم يكن له حسنات اخذ من سيات اخيه وطرحت عليه
ثم اعلم ان من اعان ظالما ولو بالدعاء له بطول بقائه او مال اليه
بالوقوف عليه والتردد اليه من غير ضرورة ملجئة فهو من جملة
الظلمة قال تعالى ولا تركنوا الى الذين ظلموا فتمسكم النار

وفكسل

وقد سئل ابن المبارك عن خياط يخيط للظلمة بل هو من اعوانهم
فقال لا هو من الظلمة وانما هو من الاعوان من يبيع له الخيط
والابرة ولقد سئل سفيان الثورى عن ظالم اشرف على الهلاك
في برية هل يسقى شربة من الماء قال لا قيل له يموت قال دعه
يموت وذكر البيهقى عن مجاهد عن ابن عباس قال اوحى الله
تعالى الى داود يا داود قل للظلمة لا تذكروني فان حقا على ان
من ذكرني اذكره وان ذكرى اياهم ان العنهم روى انه لما خالط
الزهري السلطان كتب اليه اخ في الله عافانا الله واياك من الفتن فقد
اصبحت بحال ينبغى لمن عرفك ان يدعو لك ويرحمك اصبحت شيخا كبيرا
وقد اثقلتك نعم الله فيما افهمك من كتابه وعلمك سنة نبيه واعلم
ان ايسر ما ارتكبت واخف ما احتملت انك آنست وحشة الظالم
وذللت مرتبة العالم فدونك ممن لم يود حقا ولم يترك باطلا حين
اتاك اتخذوك قطبا يدور عليه رحى باطلهم وجسرا يعبرون
عليه الى بلائهم وسلما يصعدون فيك الى ضلالهم يدخلون الشك
بك على العلماء ويقتادون بك قلوب الجهلاء فما ايسر ما عمروا في جنب
ما خربوا عليك وما اكثر ما اخذوا منك فيما افسدوا الدين فما يؤمنك
ان يكون ممن قال الله فيهم فخلف من بعدهم خلف اضاعوا الصلوة
واتبعوا الشهوات وانك يقابلك من لا يهمل ويحفظ عليك من لا يغفل
فداو دينك فقد دخله سقم وهيئ زادك للسفر البعيد وما
يخفى على الله من شيء في الارض ولا في السماء يا عبادى كرر
النداء زيادة لتنبيههم ولتشريفهم ولذا اضاف الى نفسه
وتنبيها على فخامة ما بعده وجمع لافادة الاستغراق افراده
كلكم ضال اى من شانكم وفي جبلتكم الضلال كما ورد
انه قال ان الله خلق الخلق في ظلمة ثم رش عليهم من
نوره اى في ظلمة الطبيعة من الميل الى الشهوات والركون الى

المحسوسات والغفلة عن اسرار المكونات فرش عليهم من نوره ما نصب
لهم من الآيات والدلالات فمن اصابه من ذلك النور اهتدى ومن
اخطاه ضل اي واختار طريق الردى الا من هديته بتنوير
قلبه وشرح صدره وتصفية استعداده عما ينافي قبول الحق
من ظلمات الشكوك والشبه والهوى فينبت فيه شجر التصديق
بما جاء من اصول الدين ثم ينموا باغصان الطاعات في كل حين
ثم يثمر بثمار المشاهدة واليقين ولا ينافي ذلك قوله صلى الله
عليه وسلم كل مولود يولد على الفطرة فان هذه ظلمة طارية على
الفطرة الاولى كما يشير اليه ما روي خلق الخلق على معرفته
فاغتالهم الشيطان وقال ابن المبارك يولد على ما يصير اليه
من سعادة او شقاوة فمن علم الله انه يصير مسلما ولد
على فطرة الاسلام ومن علم انه يصير كافرا ولد على فطرة الكفر
ويويده قوله تعالى هو الذي خلقكم فمنكم كافر ومنكم مومن
وحديث خلقت هولاء للجنة ولا ابالي وخلقت هولاء
للنار ولا ابالي وحديث فرغ ربكم من العباد فريق في الجنة
وفريق في السعير وهذا المعنى لا ينافي كون كل مولود متهيئا
للاسلام ومستعدا للايمان الا ان بعضهم يختار الكفر والطغيان
على الطاعة والاحسان كما اخبر الله عنهم بقوله اولئك
الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وما كانوا
مهتدين وبهذا التحقيق يحصل الواسطة المختارة لاهل بيان المختارة
السنة بين الجبر والقدر على طريق التدقيق والله ولي
التوفيق فاستهدوني اهدكم فاطلبوا مني الهداية
الموصلة الى ادلكم عليها واوصلكم اليها وللهداية
مراتب علية لا ينتهي امر احد لديها ولعل حكمة طلبه
سبحانه منا سوال الهداية مع انه تعالى يهدي من يشاء
نحسن

نحسن الرعاية وجميل العناية اظهار الافتقار والاشعار بانه لو هداه
قبل سواله اياه لربما قال انما اوتيته على علم عندي فيضل بذلك
عن تحقيق ما هنالك فاذا سال ربه امور الدنيوية والاخروية
فقد اعترف على نفسه بالعبودية ولمولاه بالربوبية وهذا
مقام شريف ومشهد لطيف وبهذا المعنى تبين وجه العموم
والخصوص من قوله تعالى والله يدعو الى دار السلام ويهدي
من يشاء الى صراط مستقيم وفيه دليل واضح على ان المهتدي
من هداه الله وبارادته اهتدى من اهتدى لا بما سواه
وان غير المهتدي لم يرد الله هدايته فلم يهتد لذلك ولو ارادها
لاهتدى فيما هنالك خلافا للمعتزلة حيث قالوا انه تعالى
اراد هداية الجميع على انه تعالى يقول ولو شاء الله لجمعهم على
الهدى فلا تكونن من الجاهلين ويقول ولو شاء الله ما
اشركوا فجل ربنا ان يريد ما لا يقع او يقع ما لا يريد فانه تعالى
يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد لا يقال المومن مهتد فطلبه الهداية
تحصيل الحاصل لان المراد طلب المزيد او الثبات والتابيد على وجه
التابيد كما اشار الى المعنى الاول قوله سبحانه زادهم هدى والى المعنى
الثاني آمنوا آمنوا يحتمل كلا من المعنيين قوله تعالى اهدنا وتحقيقه
ان الانسان مركب من روح روحاني يقتضي العروج الى عالم القدس
ومقام الانس ومن نفس مائلة الى الخلود في السفليات
والانهماك في متابعة الشهوات فمن شاهده التوفيق هداه
الى سواء الطريق واذاقه حلاوة المجاهدة حتى يصل الى مقام
المشاهدة وذلك بارشاده الى تحصيل الملكات الكاملة
والاخلاق الفاضلة المعبر عنها بالصراط المستقيم والدين
القويم ولما فرغ من الامتنان بالامور الدينية شرع في الامتنان
بالاحوال الدنيوية فقال يا عبادي كلكم جائع الا من اطعمته

بالوسائط والروابط من الصناعات التي عليها تدور المناجح
وبها منتظم المصالح بمقتضى القسمة الازلية المقدرة في عالم
القضا كما قال تعالى نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحيوة الدنيا
وقد نقل الشيخ اليافعي عن بعضهم انه سبحانه لما اظهر الخلق
من العدم في عالم القدم عرض عليهم الصنائع وخيرهم
فيها فاختار كل منهم صنعة قدرت له فلما ابداهم الى
الوجود اجرى على كل ما اختاره لنفسه بمقتضى اعملوا فكل
ميسر لما خلق له وانه انفردت طائفة فلم يختاروا شيئا
وقالوا ما اعجبنا شيء نختاره فاظهر لهم مقامات العبادة
فقالوا اخترنا خدمتك فقال وعزتي وجلالي لاسخرنهم
لكم ولاجعلنهم خداما بين يديكم ولاشغلنكم فيمن عرفكم
وخدمكم على انه تعالى قد يرزق بلا سبب معلوم كما روى ان موسى
عليه السلام عند نزول الوحي عليه وحصول الكلام تعلق قلبه
باهله في ذلك المقام فامره الله ان يضرب بعصاه صخرة فانشقت
وخرجت منها صخرة ثانية ثم ضرب فانشقت فخرجت ثالثة
ثم ضربها فخرجت دودة كالذرة وفي فمها شيء يجري مجرى
الغذاء فسمع الدود يقول سبحان من يراني ويسمع
كلامي ويعرف مكاني ويذكرني ولا ينساني فاستطعموني
اى اطلبوا مني الطعام اطعمكم بتفتيح ابواب المرام
وتسهيل اسباب الانتظام فلا يجوز ابطال حكمه برفع وسائط
الارزاق والاتكال بسعة نعمة الرزاق فقد روى ان
بعض العارفين بلغ من زهده ان فارق الناس وخرج
من الامصار وقال لا اسئل احدا حتى ياتيني رزقي
من عند ربي فاقام في سفح جبل سبعا لم يأته شيء حتى
كاد يتلف فقال يا رب ان احييتني فاتني برزقي

الذى قسمت لى والا فاقبضني اليك فالهم الله وعزتي وجلالي
لا ارزقنك حتى تدخل الامصار وتقيم بين الناس فدخل المدينة
فبسط في رزقه فاوجس في نفسه ذلك فسمع اردت ان تبطل حكمتنا
بزهدك في الدنيا اما علمت انه ان يرزق العباد بايدى العباد احب اليه
من ان يرزقهم بيد القدرة ولا تنافى بين تكفله سبحانه بارزاق العباد
من طريق فضله واحسانه استطعام بمقتضى لطفه وبره وامتنانه
اذ لا يجب عليه شيء من شانه فمن لا يطعمه بفضله يبقى جائعا
بعدله وفيه نكتة لطيفة واشارة شريفة الى تاديب الفقراء
الواقفين على ابواب الاغنياء فكانه قال لا تطلبوا الطعام من
غيري فان من يطلبونهم انا الذي اطعمهم فاستطعموني
اطعمكم كما اطعمتهم يا عبادى كلكم عار في اول وجوده
في ابتداء شهوده الا من كسوته من عندى بخلق الكسوة
وتقدير الشفقة والمرحمة ومما نقل عن حكيم عليه السلام ابن
آدم انت اسوا بربك ظنا حين كنت اكمل عقلا لانك تركت
الحرص جنينا محمولا ورضيعا مكفولا ثم ادرعته عاقلا حين
اصبت رشدك وبلغت اشدك فاستكسوني اكسكم
بفتح الهمزة وضم السين وفيه تنبيه نبيه على عجزهم عن
جلب منافعهم ودفع مضارهم الا ان يتيسر الله لهم ما ينفعهم ويدفع
عنهم ما يضرهم ولعل الاقتصار على احتياج الطعام واللباس
اذ لا مندوحة عنهما للناس يا عبادي انكم تخطون
بضم التاء وكسر الطاء في الرواية المشهورة وروى بفتحهما ففي النهاية
خطئ في دينه خطا اثم فيه واخطا سلك سبيل الخطا عمدا او سهوا
وقال ابو عبيدة خطئ واخطا بمعنى واحد وقيل المخطئ
من اراد الصواب فصار الى غيره ومنه قولهم المجتهد يخطئ
ويصيب والخاطئ من تعمد ما لا ينبغي ومنه ترجح رواية

الثانية لانه جعل ذنبا مغفورا والخطا من غير تعمد معفو عنه
سئل ام لا وتوضيح ان بعض الفضلاء ضبط بفتح التاء
والطاء على وزن تفترون وقال اخطا يخطئ رباعيا اذا فعل
اثما من غير قصد وخطئ يخطئ على وزن علم يعلم ثلاثيا اذا فعل عن
قصد ومنه ناصية كاذبة خاطئة قال وانما يتعين ان
يكون هنا يخطون ثلاثيا لانه جعله ذنبا يغفر لقوله وانا اغفر
وانا اغفر الذنوب جميعا والخطا عن غير قصد معفو عنه لقوله صلى الله
عليه وسلم رفع عن امتي الخطا والنسيان انتهى ويمكن تاييد
القول الاول بان الخطا ولو كان عن غير قصد لكن ربما وقع
تقصير في بعض مقدماته فلا يبعد ان يحتاج الى المغفرة
مع انه وقع الدعا برفع الخطا في قوله تعالى ربنا لا تواخذنا
ان نسينا او اخطانا نظرا اليه اذ لا يجب على الله سبحانه شئ
وفي الدعوات النبوية اللهم اغفر لي ذنبي خطاي وعمدي
وكل ذلك عندي وربما يحمل دعاء امثال ذلك على التلذذ
بابتداء غفر ان ما هنا لكن على انه قد يقال المعنى تذنبون
عمدا وخطايا الليل والنهار في ساعاتهما واوقاتهما
وقدم الليل اذ الظلمة هي الاصل والنور طار عليها يسترها
او لان المقام يقتضي تقديمه اذ اكثر المعاصي يوجد عنده
وانا اغفر الذنوب اى المتعمدة واعفو عن غيرها
جميعا هو كقوله تعالى ان الله يغفر الذنوب جميعا
وهو اما محمول على حال التوبة واما عام مخصوص بالشرك
وما شاء الله ان لا يغفره لقوله سبحانه ان الله لا يغفر ان
يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء فاستغفروني
اطلبوا مني المغفرة اغفر لكم اى ذنوبكم ولو مع
الكثرة وفي الحديث لو لم تذنبوا وتستغفروا لذهب الله بكم

وجاء

وجاء بقوم غيركم فيذنبون فيستغفرون فيغفر لهم وذلك لان
صفة الغفارية تستدعي ظهور ذلك كما ان نعت الرزاقية يقتضي
ما سبق هنالك وظاهر الحديث ان مجرد الاستغفار مع تحقق
اصرار مفيد في الجملة لانه اظهار الافتقار الى مغفرة الغفار
وهو مما يخفف عقوبة الفجار او يوخرها الى اجل من اطوار
الادوار يا عبادي انكم لن تبلغوا ضرى بفتح اوله وبضم
وهو منصوب بنزع الخافض اى لن تصلوا الى ضرى فتضروني
منصوب جوابا للنفي ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني والمعنى
لن تقدروا ان توصلوا الي ضرا ولا ان توصلوا الى نفعا فالطاعة
لا ينفعه والمعصية لا يضره بل ان احسنتم احسنتم لانفسكم
وان اساتم فلها والله الغني عن جميع الاشياء وانتم الفقراء اى
المحتاجون اليه في ايجادكم وامدادكم فالنفي غير متوجه الى القيد
بل الى مجموع الكلام كما لا يخفى على الاعلام يا عبادي لو ان اولكم
واخركم اى كل افرادكم او الاموات الذين سبقوكم والاحياء
الموجودين فيكم ومن لا يوجد بعد منكم وانسكم وجنكم
اى جميع اصنافكم كانوا على اتقى اى تقوى اتقى قلب رجل
او على اتقى احوال قلب رجل واحد منكم وانما قدر هكذا ليصح
الحمل والمعنى لو كنتم على غاية التقوى ما زاد ذلك الكون في ملكي
شيئا اى من العظمة يا عبادي لو ان اولكم واخركم وانسكم
وجنكم كانوا على افجر اى على فجور افجر قلب رجل واحد
او على افجر احواله ولم يقل لفظ منكم هنا لئلا يخاطبهم بالافجرية
تفضلا واحسانا كذا قاله شارح وقال الكازروني وقع
منكم في بعض النسخ لكن الرواية على الاول والمعنى لو اتفقوا
على الفجور ما نقص ذلك من ملكي شيئا لان واجب الوجود
لذاته الثابت في جميع صفاته لا بد ان يكون غنيا عن الحاجا

متصفا بكل الكمالات فملكه كامل بل لا يتصور وجود اكمل منه كما
اشار اليه الامام حجة الاسلام بقوله ليس في الامكان ابدع مما كان
ثم ما يوجد في الكون من الشر فهو اضافي وليس شرا مطلقا بحيث
يكون عدمه خيرا من وجوده بل وجوده مع ذلك خير من عدمه وقوله شيئا
مفعول مطلق ان قلنا نقص لازم اى شيئا من النقصان او مفعول به
ان قلنا انه متعد اى شيئا من الاشياء هذا وقيل اراد بانثى رجل
منكم محمدا عليه السلام كما اراد بافجر رجل ابليس فانه من الجن
عند الجمهور ولعل هذا ايضا نكتة اسقاط لفظة منكم في الفقرة
الثانية فان المقصود بالذات خطاب الانس وانما ذكر الجن تبعا
في مقام الانس يا عبادي لو ان اولكم واخركم وانسكم
وجنكم قاموا في صعيد واحد وهو وجه الارض وظاهرها
اى في مقام واحد فسألوني في تلك الحالة بالسنة مختلفة فواتح
مؤتلفة وقيد السؤال بما ذكر لان تزاحم الاسولة وتزاد الناس
في المسالة مع كثرتهم وكثرة حاجتهم مما يضجر المسؤل عنه
ويدهشه وذلك يوجب حرمانهم ونقصانهم او تعسر انجاز مطالبهم
واسعاف ماربهم وليس كذلك في حق الله سبحانه ولذا قال فاعطيت كل
انسان مسالته اى مطلوبه وحاجته ما نقص ذلك اي العطا لعبيدي
مما عندي من خزائن الرحمة التى في امري وحكمي وقد يروى الا كما
ينقص المخيط اذا ادخل البحر بصيغة المجهول البحر على ثانى المفعول
قال المص هو بكسر الميم واسكان الخاء وفتح الياء اى الابرة
ومعناه لا ينقص شيئا يعني لان ما عند الله لا يدخله نقص
بل يدخل المحدود الفانى وما في كليهما موصولة او موصوفة او مصدرية
اى ما نقص شيئا مثل الذي او مثل شيء ينقصه او نقصانا
الا مثل نقصانه في القلة وانما ضرب المثل بالمخيط والبحر
لانه وان كان يرجع بشئ قليل محسوس لكن لقلته بالنسبة

الى

خيراً / خير

لعله حوايج

ونصب

للاشياء

الى اعظم المرئيات عيانا لا يرى ولا يعد شيئا فكانه لم ينقص منه شيئا
وهذا من باب تشبيه المعقول بالمحسوس للتفهيم لان في التحقيق
لا ينقص خزائن الله بشئ او ينقص ماء البحر فاين ذلك مما
هنالك وفي معناه قول الخضر لموسى عليهما السلام ما نقص علمي
وعلمك من علم الله الا كما ينقص هذا العصفور وهو الذي رأياه
شرب من البحر فان قلت هل يتصور ملك يعطى منه هذا العطاء
ولا ينقص شئ من الاشياء فالجواب ان العلم يقتبس منه ما شاء
الله ولا ينقص منه شئ اصلا ثم في هذا الحديث تنبيه للخلق
على الاداب لسواله تعالى مع اعظام الرغبة وتوسيع المسالة
والعلم بان منع بعض عطائه ليس لنقص في خزائنه بل الحكمة
تقتضي ذلك ان تكون المنع خيرا من عطائك ولذا قال ابن عطاء
ربما اعطاك فمنعك وربما منعك فاعطاك فالعوام يطلبون
الدنيا وزهراتها والخواص يتوجهون الى العقبى ولذاتها
والعارفون يقصدون الحضرة الاحدية ومناجاتها وذلك
بعد ان فاح عليهم نفحات الوفا وزكاهم الحق من كدورات
الصفا وحلاهم باجمل الحلى واحياهم بعد ما افناهم بمعنى
البقا وسقاهم من شراب الوداد واسكرهم بحقيقة المراد وكشف
لهم الاستار واطلع عليهم شموس الاسرار ورقاهم حالا بعد
حال من بسط وقبض وجذب وحجب وجمع وفرق وكشف وستر
وصحو ومحو وتمكين وتلوين كما قيل كان شيئا لم يزل اذا اتى
كان شيئا لم يكن اذا مضى فلا يشهدون في الملكوت الا جلال
ذى العزة والجبروت قال الشاذلي انا لا نرى مع الحق
من الخلق احدا ان كان ولا بد فكالهباء ان فتشته لم تجد
شيئا اى في الهواء وما اشتهر انه قال بعضهم ما راينا
شيئا الا وراينا الله بعده وما راينا شيئا الا وراينا الله فيه

لعله ادامه

لعله بمعنى

وما راينا شيئا الا ورأينا الله قبله وما راينا شيئا الا ورأينا الله فاشار
الى ترقيهم في معارج الارب ومناهج الطلب يا عبادى انما
الضمير للقصه وقوله اعمالكم على حذف المضاف اى جزاء
اعمالكم احصيها لكم اى احفظها عليكم واكتبها ثم او
فيكم بتشديد الفاء اى اردها اليكم تاما وافيا كذا ذكره
السيد جمال الدين وقال المظهر هي ضمير مبهم يفسره قوله
اعمالكم يعني راجع الى متعلق ذهني اشير اليه ثم اخبر عنه بما بعده
كما قال صاحب الكشاف في قوله هذا فراق بيني وبينك انه قد
يصور فراق بينهما عند حلول ميعاده فاشار اليه انتهى وفي
قوله لطف لكم حكم حيث لم يقل عليكم وقال الطيبي الضمير
راجع الى ما يفهم من قوله اتقى قلب رجل وافجر قلب رجل وهي
الاعمال الصالحة والطالحة اعمالكم احصيها عليكم اى بعلمي
وملائكتي الحفظة احفظها عليكم ثم اوفيكم اياها اى اودى
جزاءها اليكم ان خيرا فخيرا وان شرا فشرا فمن وجد وفي نسخة
صحيحة عمل خيرا اي ما يثاب عليه فليحمد الله على توفيقه للطاعة
وليعلم انه من فضل الله ورحمته ومن وجد غير ذلك اي
غير كما قالت المعتزلة ذلك الخير وهو الشر ولم يذكر للعلم ومن جهة
مقابلة ولانه ليس شرا محضا كما قرر في محله اولانه ذكر الشر شرا
فترك خيرفانه من اداب حسن الخطاب ولعل غيره لكنه اعم من الشر
فيشمل المباح فانه بالنسبة الى الخير شر ولذا ورد ليس
يتحسر اهل الجنة يوم القيمة الا على ساعة مرت بهم ولم
يذكروا الله فيها فمن وجد غير محض الخير ولو لم يكن صريح
الشر ينبغي ان يلوم نفسه في مقام المراقبة وحال المحاسبة
ولذا قال الشيخ البستي زيادة المرء في دنياه نقصان
وربحه غير محض الخير خسران فلا يلومن الا نفسه لبقائها

اياها ای م
اديتها

عل

على الظلمة الاصلية لها فاثرت شهواتها ومستلذاتها
على رضى خالقها ورازقها وكفرت بنعمه ولم تذعن لحكمه فاستحقت
ان يعاملها ربها بمقتضى عدله وان يحرمها من ابادى كرمه و
فضله وفيه ايماء الى ذم ابن ادم وقلة انصافه حيث يحسب طاعته
من نفسه وكسبه ولا يسندها الى توفيق ربه واذا صدر منه
شئ من الاوزار يسندها الى الاقدار فان كان لا تصرف له على
زعمه فهلا كان ذلك فيهما وان كان له تصرف فلم ينفه عن احدهما
قيل هذا الحديث صريح في ان الخير من الله والشر من النفس
كما قال المعتزلة وتاويله على مذهب اهل السنة ما قيل في قوله
تعالى ما اصابك من حسنة فمن الله وما اصابك من سيئة
فمن نفسك اضاف السيئة والشر الى النفس لانها السبب
فيها لاستجلابها المعاصي وهو لا ينافي قوله تعالى قل كل
من عند الله فان الكل منه ايجادا وايصالا غير ان الحسنة
احسان وانعام والسيئة مجازاة وانتقام ولا لوم على الله
تعالى لانه لا يجب عليه تعالى بشانه وقد اكد الفعل
بالنون تحذيرا ان يقع في قلب عامل غافل انه لا يستحق غير
نفسه قال البيضاوي افعال العباد وان كانت
غير موجبة للثواب والعقاب بذواتها الا انه تعالى اجرى
عادته بربطها بها ربط المسببات بالاسباب وانشد بعض
ارباب الالباب اخاف وارجو عفوه وعقابه ٥ واعلم
حقا انه حكم عدل ٥ فان يك عفوا فهو منه تفضل ٥ وان
يك تعذيبا فاني له اهل ٥ والتحقيق ان السبب الفاعل
للخير والشر ليس الا الله وحده بمقتضى فضله وعدله واما
السبب القابلي فهو وان كان ايضا منه في الحقيقة الا ان
قابلية الخير من الاستعداد الاصلي الذي هو من الفيض الاقدس

الذى لايدخل للاختيار فيه وقابلية الشر من الاستعداد الحادث
بسبب ظهور النفس بالصفات والافعال الحاجبه للقليب
المكدرة لجوهر الروح حتى احتاج الى الصقل بالرزايا والبلايا
ولذا قال تعالى وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم
ويعفوا عن كثير ثم المجازاة قد يكون فى الدنيا على الحسنات والسيات
لما روى ان المومنين يجازون بسياتهم فى الدنيا ويدخلون الجنة
بحسناتهم والكافر يجازي بحسناته فى الدنيا ويدخل النار بسياته
والمراد بحسنات الكافر طاعات لم يتوقف صحتها على الايمان
كاحسان اليتيم وصلة الرحم واطعام المسكين واغاثة الملهوف
اداء والضيافة واعتاق الرقبة وامثال ذلك هذا وفى القران
ان اهل الجنة يحمدون بقولهم الحمد لله الذي هدانا لهذا وما
كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله وان اهل النار يلومون انفسهم
قال تعالى حكاية عن ابليس لهم فلا يلوموني ولوموا انفسكم وقال
عز وجل ان الذين كفروا ينادون لمقت الله اكبر من مقتكم انفسكم
رواه مسلم وهو حديث عظيم من الاحاديث الالهية المسماه
بالقدسية وهى اكثر من مائة وقد جمعها بعضهم وقد انتخبت
منها اربعين وقد ساق المص هذا الحديث باسناده في اذكاره
وختم به وفيه عن رسول الله عن جبريل عن الله ثم نقل ابا
ادريس رواية عن ابي ذر كان اذا حدث به جثى على ركبتيه تعظيما
له واجلالا ورجال هذا الحديث دمشقيون قال احمد ليس
لاهل الشام حديث اشرف منه واخرجه احمد والترمذي
وابن ماجه بزيادة يا عبادي كلكم مذنب الا من عافيته
فسلوني المغفرة اغفر لكم ومن علم منكم اني ذو قدرة على
المغفرة فاستغفرني غفرت له ولا ابالي وكلكم فقير الا من
اغنيته فسلوني ارزقكم فلو ان حيكم وميتكم واولكم واخركم
ورطبكم

اسناده

ورطبكم ويابسكم اجتمعوا وكانوا على قلب اتقى عبد من عبادي
لم يزد في ملكي جناح بعوضة ولو اجتمعوا وكانوا على قلب اشقى
عبد من عبادي لم ينقص من ملكي جناح بعوضة ولو ان حيكم
وميتكم واولكم واخركم ورطبكم ويابسكم اجتمعوا فسال كل سائل
منهم ما بلغت امنيته ما نقص من ملكي الا كما لو كان احدكم مر
بالبحر فغمس فيه ابرة ثم نزعها ذلك باني جواد واجد ماجد افعل
ما اريد عطائي كلام وعذابي كلام انما امري بشئ اذا اردته ان اقول
له كن فيكون هذا وفى هذا الحديث دليل على قدر الاعمال
وان من لا عمل له فهو على خطر عظيم فى المال قال القاضي رزيق
ابن معاوية كل الناس الا من عصمه الله تعالى قد اتخذوا مذهب
المرجئة امنية فيرجوا الجنة بلا عمل الطاعة ويلتمس الرحمة
مع الاقامة على المعصية من غير توبه وقد جاء ان الغرة هي المقام
على المعصية وتمني المغفرة وجاء كما لا يجتنى من الشوك العنب
كذلك لا تنال الابرار منازل الفجار وقال تعالى ان الذين
امنوا والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله اولئك يرجون
رحمت الله وقال تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء ثم
وصفهم بقوله ان الذين يتلون كتاب الله الى قوله انه غفور شكور
فالواجب على العبد ان يكون بين الخوف والرجاء قال تعالى
نبئ عبادى انى انا الغفور الرحيم وان عذابي هو العذاب الاليم
وجاء في الحديث ان الله لا يجمع على خوفين ولا يجمع له بين امنين
وان من خافه فى الدنيا امنه فى العقبى وان من امنه فى الدنيا اخافه
فى الاخرى والشر لقد اسمعت لو ناديت حيا ولكن لا حياة
لمن ينادى. **الخامس والعشرون** عن ابي ذر ايضا
اى رجع الحديث عنه اليه رجوعا رضى الله عنه ان ناسا
اى جمعا وهم فقراء المهاجرين من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم

الايمان

عبد ٢

وقف

قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم الجمع بين النبي والرسول لا نتصه
عليه السلام بهما ثم خص بالوصف الاخص حال النداء بقولهم
يا رسول الله ذهب اهل الدثور قال المص بضم الدال والثاء
المثلثة الاموال الكثيرة واحدها دثر كفلس وفلوس انتهى بالاجور
الباء للتعدية وفيه معنى المصاحبة اى ذهب اهل الاموال بالدرجات
العلى واستصحبوها معهم في الدنيا والعقبى فما حالنا وما لنا
حيث ولم يتركوا لنا شيئا من اسباب المنى لانهم يصلون كما
نصلي ما كافة او مصدرية ويصومون كما نصوم ويتصدقون
بفضول اموالهم اي ونحن لا نقدر على ان نلحق بهم
في زيادة اعمالهم هذا ليس بحسد في اموالهم بل غبطة في
حسن احوالهم ورجاء زيادة آمالهم في مآلهم قال
اوليس الهمزة للانكار والواو للعطف على مقدر اى ايكون كذلك
وليس قد جعل الله لكم ما تصدّقون الرواية فيه بتشديد
الصاد والدال جميعا ويجوز في اللغة تخفيف الصاد قال
المص في شرح مسلم اى تتصدقون به ان بكل تسبيحة اى
ان لكم بسبب كل قول سبحان الله ونحوه من سبوح وقدوس
وامثالهما صدقة اسمها وبكل متعلق الخبر المقدر وليس
بخبر لعدم الفائدة ثم الصدقة ما يخرجه الانسان من ماله
على وجه القربة واجبا كان او تطوعا فقال القاضي عياض
تسميتها صدقة تشبيها لها بالمال في اثبات الاجر او على
سبيل المشاكلة وقيل معناه انها صدقة على نفسه انتهى
وعلى كل ففيه ايماء الى ان الصدقة للقادر عليها افضل من هذه
الاذكار ويؤيده ان العمل المتعدي افضل من القاصر غالبا
والى ان تلك الاذكار اذا احسنت النية فيها ربما يساوي اجرها
اجر الصدقة لا سيما في حق من لم يقدر على الصدقة بل قد ورد

وقف لوان

وقف

لو ان رجلا في حجره دراهم يقسمها وآخر يذكر الله كان ذكر الله افضل
فتامل وفي بعض النسخ ان كل تسبيحة صدقة وهو مع مخالفته
للاصول المعتبرة غير مطابق لما سياتي من ضبط المص عند قوله
وكل تكبيرة صدقة وكل تحميدة صدقة وكل تهليلة صدقة
حيث قال في شرح مسلم رويناه بالوجهين رفع صدقة ونصبها
فالرفع على الاستيناف والنصب عطفا على ان بكل تسبيحة صدقة
انتهى والحاصل ان كلا في المواضع الثلاثة مجرور للعطف على مدخول الجار
في بكل تسبيحة وصدقة منصوب على اسم ان وهذا الوجه هو المختار
المضبوط في اكثر نسخ العلماء الابرار واما مرفوع على انه مبتدا وصدقة
خبره والجملة عطف على محل ان والمراد بالتكبيرة قول الله اكبر
وبالتحميدة الحمد لله وبالتهليلة لا اله الا الله وامثالهما مما يدل
على معناها وان اختلف مبناها وامر بالمعروف وهو ما عرف في الشرع
ولو على خلاف الطبع صدقة وقد ضبط في اصلنا المعتمد المقروء
على مشايخنا بجر امر ونصب صدقة عطفا على ما قبله وفي بعض النسخ
المصححة برفعهما على انهما مبتدا وخبر والمخصص للابتداء بالنكرة
ههنا عملها في المعروف على ما نص عليه ابن مالك وكذا الكلام في قوله
ونهي عن منكر صدقة وفي نسخة المنكر قيل واسقط المضاف
ههنا اعتمادا على السابق او قطعا له عن ذكر الحكم والتنوين للتقليل
للاشعار بان قليلا من هذا النوع يقوم مقام تلك الامور السابقة
فكيف بالكثير وذهب المص في شرح مسلم الى ان التنكير فيه للافراد
حيث قال فيه اشارة الى ثبوت حكم الصدقة في كل فرد من افراد
الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ولذا كررهما والى ان الثواب فيهما
اكثر منه بالتسبيح ونحوه لانهما فرضا كفاية وتلك نوافل ومعلوم ان
اجر الفرض اكثر من النفل لقوله عز وجل وما تقرب الي عبدي بشيء
احب الي مما افترضت عليه وروي ان ثواب الفرض يزيد على النفل

وقف

سبعين درجة انتهى والمعروف هو الصنائع الجميلة والخصائل
الجليلة لانها عرفت في الشرع ولذا عرفها باللام والمنكر ما ينكره
الشرع ولا يرتضيه العقل والطبع ولذا نكر للتحقير
وفي بضع احدكم صدقة بالنصب والرفع وفي تعليلية بمعنى
الباء السببية قال المص هو بضم الباء واسكان الضاد
المعجمة وهو كناية عن الجماع اذا نوى به العبادة وهو قضاء حق
الزوجة وطلب ولد صالح واعفاف النفس وكفها عن المحارم
اى من النظر او الفكر او الهم والعزم وامثال ذلك والظرفية كلام
متعلق بمحذوف اى يكون الجماع صدقة اذا نوى العبادة من قصد
معاشرتها بالمعروف الذى امره الله به ثم الواو في كلامه بمعنى او لان
كلا من الامور المذكورة سبب لكونه صدقة ثم البضع بالضم النكاح
على ما في الصحاح وقال غيره يطلق على الفرج نفسه
والمراد هنا مباشرة الرجل منكوحته او مملوكته ولما كان الجماع
من الامور المباحة واستبعد ان يكون فيه اجر الصدقة قالوا
يا رسول الله ايأتي احدنا شهوته ويكون له فيها اجر
اى مثوبة قال ارايتم اخبروني لو وضعها في حرام اكان
عليه وزر اى اثم يترتب عليه عقوبة والاستفهام للتقرير
ولذا قال فكذلك اذا وضعها في الحلال وفي نسخة في حلال
كان له اجر بالرفع في اصلنا وفي بعض النسخ بالنصب
قال في شرح مسلم ضبطنا اجرا بالنصب والرفع وهما ظاهران
انتهى فالنصب على انه خبر كان واسمه مستتر فيه اى كان ذلك
الوضع له اجرا والرفع على انه اسم كان اى كان اجر له بوضعه
او كان لاجل وضعه اجر والحديث دليل لمن جوز القياس
وهم اكثر الاصوليين والمذكور قياس العكس واختلف
فيه ايضا وهو اثبات ضد الحكم في ضد الاصل كاثبات

الوزر

الوزر الذى هو ضد الصدقة في الزنا الذي هو ضد الوطئ
المباح ومثله قول ابن مسعود قال صلى الله عليه وسلم من مات
لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة وانا اقول من مات يشرك بالله
شيئا دخل النار ذكره ابن حجر واقول مثله حديث طوبى لمن
طال عمره وحسن عمله فان الويل لمن طال عمره وساء عمله ثم
رايت رواية احمد والترمذي عن ابي بكر بلفظ خير الناس من
طال عمره وحسن عمله وشر الناس من طال عمره وساء عمله
واما ما نقل عن بعض التابعين في ذم القياس فهو اما محمول
على قياس معارض لما نص واما على فقد فيه بعض شروطه
وقال المص في شرح مسلم فيه اثبات جواز القياس كما
قال العلماء كافة خلافا لاهل الظاهر واختلف الا
صوليون في العمل به وهذا دليل لمن عمل به وهو الاصح
وفيه دلالة على ان المباحات تصير بالنيات الصادقات طاعات
انتهى وقد ورد من نام عن ورده كتب الله له اجر صلاته
وكان نومه صدقة من الله يصدق به عليه اخرجه النسائى وغيره
واخرج البزار ما من يوم وليلة ولا ساعة الا لله فيها صدقة
يمن بها على من يشاء من عباده وما منّ الله على عبده مثل ان يلهمه
ذكره وقيل ظاهر الحديث يقتضي ان الوطئ صدقة وان
لم ينو به شيئا كما ان الزنا اثم وان لم ينو شيئا والى هذا
اشار النبي صلى الله عليه وسلم بقياس العكس الذى ذكره حيث
قال ارايتم لو وضعها في حرام الخ قلت النية معتبرة
في الزنا ايضا الا ترى انه لو جامع امراة لقيها على فراش زوجته
ولم يتبين له انها غيرها لا يكون اثما بخلاف ما اذا دخل في حانوت
فاحشة على قصد الزنى بها فوجد امراته هناك ولم يعرفها
وجامعها يكون اثما هذا وقد اخرج ابن حبان في صحيحه

بدل الزنى

ليس من نفس ابن ادم الا عليها صدقة في كل يوم طلعت فيه الشمس
قيل يا رسول الله ومن اين لنا صدقة نتصدق بها قال
ان ابواب الخير لكثيرة التسبيح والتكبير والتحميد والتهليل
والامر بالمعروف والنهي عن المنكر وتميط الاذى عن الطريق
ولتسمع الاصم وتهدي الاعمى وتدل المستدل على حاجته
وتسعى بشدة ساقيك مع اللهفان المستغيث وتحمل بشدة
ذراعيك مع الضعيف فهذا كله صدقة واخرجه احمد بنحوه
وزاد ولك في جماعك زوجتك اجر قلت كيف لي اجر في شهوتي
فقال صلى الله عليه وسلم ارايت لو كان لك ولد فادرك ورجوت خيره
فمات اكنت تحتسب به قلت نعم قال فانت خلقته قلت
بل الله خلقه قال فانت هديته قلت بل الله هداه قال فانت
كنت ترزقه قلت بل الله كان يرزقه قال كذلك فضعه في حلاله
وجنبه حرامه فان شاء الله احياه وان شاء اماته ولك اجر
فان قلت اذا فعل الاغنياء ما ذكر من التسبيح والتحميد والتهليل
وامثالها يبقى شكوى الفقراء على حالها اجيب بان مقصود
الفقراء تحصيل ثواب الصدقة لا نفي زيادتهم المطلقة ونوقش
بان الظاهر ان مقصدهم انما كان طلب المساواة لانه ورد في
بعض طرق الحديث عند مسلم قال ابو صالح فرجع فقراء المهاجرين
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا سمع اخواننا اهل الاموال
بما فعلنا ففعلوا مثله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء رواه مسلم ولفظ الصحيحين
ان فقراء المهاجرين اتوا النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا ذهب
اهل الدثور بالدرجات العلى والنعيم المقيم فقال وما ذاك
قالوا يصلون كما نصلي ويصومون كما نصوم ويتصدقون
ولا نتصدق ويعتقون ولا نعتق فقال صلى الله عليه وسلم

الا اعلمكم شيئا تدركون به من سبقكم وتسبقون به من بعدكم ولا
يكون احد افضل منكم الا من صنع مثل ما صنعتم قالوا بلى يا رسول
الله قال تسبحون وتكبرون وتحمدون دبر كل صلاة ثلاثا وثلاثين
قال ابو صالح فرجع فقراء المهاجرين الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقالوا سمع اخواننا اهل الاموال بما فعلنا ففعلوا مثله
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك فضل الله يؤتيه من
يشاء فعلم بهذا افضلية غني شارك الفقير في العبادات البدنية
وزاد عليه بالقربات المالية وهذا لا شك فيه كما قاله ابن دقيق العيد
وانما الذي يتردد النظر فيه اذا تساويا في اداء الواجب وزاد
الفقير بنوافل الاذكار والغني بنوافل الصدقة وانفرد كل واحد
بمصلحة ما هو فيه واذا كانت المصالح متقابلة ففي ذلك نظر
يرجع الى تفسير الافضل ما هو فان فسرناه بزيادة الثواب
فالقياس يقتضي ان المصالح المتعدية افضل من القاصرة وان
كان الافضل بمعنى الاشرف بالنسبة الى صفات النفس فالذي
يحصل للنفس من التطهير للاخلاق والرياضة لسوء الطباع
بسبب الفقر اشرف فيترجح الفقر ولهذا المعنى ذهب الجمهور
من الصوفية الى ترجيح الفقراء الصابر لان مدار الطريق على تهذيب
النفس ورياضتها وذلك مع الفقر اكثر منه مع الغنى فكان افضل
بمعنى اشرف انتهى كلام ابن دقيق العيد وهو في غاية التحقيق و
نهاية التدقيق ويؤيده ان الظواهر من الاحاديث تقتضي تفضيل
الذكر على الصدقة بالمال كحديث احمد والترمذي الا انبئكم بخير
اعمالكم وازكاها عند مليككم وارفعها في درجاتكم وخير لكم من
انفاق الذهب والورق وخير لكم من ان تلقوا عدوكم فتضربوا
اعناقهم ويضربوا اعناقكم قالوا بلى يا رسول الله قال
ذكر الله عز وجل وكحديثهما ايضا سئل اى العباد افضل عند الله

الفقير ح

يوم القيمة قال الذاكرون الله كثيرا قلت يا رسول الله
ومن الغازي في سبيل الله قال لو ضرب بسيفه الكفار و
المشركين حتى ينكسر ويختضب دما لكان الذاكر لله افضل منه
درجة وحديث الطبراني لو ان رجلا في حجره دراهم يقسمها واخر يذكر
الله لكان الذاكر لله افضل ولهذا ذهب جماعة من الصحابة والتابعين
الى ان الذكر افضل من الصدقة واجمع الصوفية على ان الفقير الصابر
افضل من الغنى الشاكر وانما خالف ابن عطاء فدعا عليه الجنيد
فابتلى بالبلاء بل قال بعضهم الفقير الشاكي افضل من الغنى
الشاكر ولعل مراده الشاكي الى الله حيث ما وصل الى مقام الصبر
وحال الرضا ويؤيده حديث اللهم اجعل رزق آل محمد قوتا
وفي رواية كفافا ويقويه ان الله تعالى جعل اكثر الانبياء والاصفياء
في صورة الفقراء وهيئة الضعفاء حتى قال صلى الله عليه وسلم
يدخل سليمان عليه السلام الجنة بعد الانبياء بخمسمائة عام
وقال في حق عبد الرحمن بن عوف انه يدخل الجنة بعد فقراء
المهاجرين بخمسمائة عام وفي رواية رايته يدخل الجنة حبوا
واما دعوى ابن حجر ان نبينا صلى الله عليه وسلم في اخر عمره صار
غنيا فلا وجه لها اذ ثبت انه عليه السلام توفي ودرعه مرهونة
عند يهودي ولقد قال الامام حجة الاسلام ان الكافر الفقير
عذابه في النار اخف من الكافر الغني فاذا كان الفقر ينفع الكفار
الكفار فكيف لا يكون نافعا للابرار ويؤيده انه عليه السلام قال
اجوعكم في الدنيا اشبعكم في الاخرة وانه صلى الله عليه وسلم
لما عرض عليه الدنيا وخير بين ان يكون نبيا ملكا وبين ان يكون
نبيا عبدا اختار ان يكون نبيا عبدا وقال اجوع يوما فاصبر
واشبع يوما فاشكر وفي اداب المريدين اجمعوا على ان الفقير
الصابر افضل من الغنى الشاكر ثم قال فان قيل قال

صلى الله

سائغ

قال النبي صلى الله عليه وسلم [illegible]

صلى الله عليه وسلم اليد العليا خير من السفلى والعليا هي المنفقة
كما في رواية فالجواب ان الغني حينئذ افضل من ذلك الفقير
بسبب انه باعطائه القدر اليسير من المال مال الى جانب الفقر
فحصل له في الجملة نوع من الكمال وان الفقير بسبب اخذه من
غير اضطراره مال الى جانب المال فوقع له نقصان في الحال و
وقد ذكر بعض ارباب التحقيق واصحاب التدقيق جوابا عن
هذا الاشكال الا انه يتوقف على تمهيد مقدمة على جواب السوال
وهي ان الفقر اسم للبراءة من رؤية الملك بان لا يرى الملك
والتصرف في ماله ونفسه بل في الوجود الا للحق ولهم مراتب بعضها
فوق بعض من قبض اليد عن الدنيا ضبطا وطلبا والاعراض
عنها لسانا وجنانا ثم الرجوع الى سابقة الازل وهو عدم
الذاتي فيعلم ان وجوده واستعداده وحالاته وكمالاته
ومقاماته من فضل الله وفيضه الاقدس فيتجرد عن الكل
راجعا الى الله فقيرا ثم تحقق اضطراره بان يعلم ان الوجود
الحقيقي لله وان ما يجري عليه حكم سابقة الازل فلا فعل له
ولا وصف ولا وجود فهو مضطر تحت حضرة الجمع وهذا هو فقر
الصوفية الذي هو فقد الانانية في الفناء في احدية الذات
واما الغني فهو اما للملك التام وهو اما غنى القلب بالمؤثر
الحقيقي عن جميع الوسائط وسكنته لحكم الله تعالى او غني
النفس المطمئنة عن حظوظها وتعلقاتها باستقامتها على طلب
الحق او الغنى بمعنى الحق بالفناء في ذاته والبقاء ببقائه فاذا
تقرر ذلك فيقال الفقر الذي تكلموا في شرفه وتفضيله على
الغنى هو فقر الزهاد المشار اليه اولا والاغنياء الذين فضلهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم هم الذين اختارهم الله في سابق علمه
وخصهم من مواهب فضله بسائر مراتب الفقر والغنى فلم يكن

في تمام المراد

فضلهم الا بها لا بسبب انفاقهم واعمالهم المشتركة كما ظنه الفقراء
وتمنوا ان يسابقوهم او يساووهم بها فنبههم اولا باحوالهم
حتى ينقطع عنهم تلك الامنية فلما لم يتنبهوا اعلمهم بخصوصيات
المواهب والعطاء بقوله ذلك فضل الله يوتيه من يشاء ليعلم انهم
اصفياء الفقراء واخفياء الاغنياء في سرادقات العزة وحجب الاعتلاء
كما اشار الى ذلك بعض الاولياء لله تحت قباب العز طائفة
اخفاهم في رداء الفقر اجلالا هم السلاطين في اطمار مسكنة
استعبدوا من ملوك الارض اقيالا غبر ملابسهم شم معاطسهم
جروا على فلك الخضراء اذيالا وحاصل الكل ان مقام جمع الجمع
على مرتبة وهو الرضا والتسليم بما جرى به قلم القضاء كما يشير
اليه قوله ان ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر انه كان
بعباده خبيرا بصيرا وفي الحديث القدسي ما معناه ان من
عبادي من لا يصلحه الا الفقر ولو اغنيته لفسد حاله وان من
عبادي لا يصلحه الا الغنى ولو افقرته لفسد حاله وقد
يختلف حال شخص واحد باعتبارين فتارة يناسبه الفقر
واخرى يناسبه الغنى ولذا قال الفاروق هما مطيتان
لا ابالي ايهما اركب وهذا بالنسبة الى اختيار الرب لعبده ذكر
واما اذا خير فاختار ما اختاره مختار الانبياء بان يكون
جامعا بين احوال الاصفياء فتارة يجوع ويصبر على البلاء
وتارة يشبع ويشكر على النعماء فيكون مظهرا لكمال في
مرائي الجلال والجمال ومجمل القضية ان كل ما يبعد العبد
عن قرب الرب فهو شوم وكلما يقربه الى مقام انسه وحضرة
قدسه فهو مبارك لان الفقر كاد ان يكون كفرا كما في حديث
وفي الاية كلا ان الانسان ليطغى ان راه استغنى ولقد
تعوذ صلى الله عليه وسلم منهما بقوله اعوذ بك من شر الفقر

ومن

ومن شر الغنى ثم رايت بعض الفضلاء ذكر وجها وجيها
في تفضيل الفقراء على ما يفهم من هذا الحديث وهو ان الاغنياء
وان شاركوا الفقراء في التسبيح ونحوه فقد امتاز الفقراء عنهم
بمزية جليلة وهي الحسرة التي يجدها الفقراء عند عدم ما ينفقونه
كما ينفقه الاغنياء وقامت تلك الحسرة مقام انفاق الصدقة
فان نية المومن خير من عمله ولان تسبيح الاغنياء مسبب
عن سوال الفقراء وكل من يتعلم عنهم الى يوم القيمة فانه في
المعنى كان من صدقته عليهم فشتان ما بين الصدقتين
هذه صدقة الاذكار وهي قوة الارواح وتلك صدقة الطعام
والشراب وهي قوت الاشباح واما ما قرره الشيخ ابو طالب
المكي فقال انكم فضلتم الاغنياء او ساويتموهم وان لم يكن
لكم قربات اموال وذلك فضل الله فهو بعيد كما لا يخفى على
ذوي الانتباه وقيل الكفاف افضل من الفقر والغنى فانهما
محنتان يمتحن الله بهما من يشاء من عباده واختاره شيخ مشايخنا
الجلال السيوطي رحمه الله ويويده حديث خير الرزق الكفاف رواه
احمد في الزهد وفي رواية خير الرزق ما كان يوما بيوم كفافا
وفي رواية خير الرزق ما يكفي ووقفت طائفة عن التفضيل
بينهما ثم الذي يخطر بالبال والله اعلم بالحال ان كلام الصوفية
ليس في فضائل الاعمال بل في مراتب الاحوال بان الصبر على شدة الفقر
وقلة المال اقوى من الشكر على النعمة وسعة المال وهذا امر
واضح لا ينبغي ان يكون فيه خلاف المقال فان العبد الذي يخدم
سيده على الكد والمحنة لا شك انه اكمل من الذي يخدمه في حال البسط
والمنحة فان الثاني يحتمل انقلاب حاله اذا وجد المحن والاول بطريق
الاولى يزيد في الطاعة عند ظهور المنن

الحسرة
الحسرة ؟

السادس والعشرون

عن ابي هريرة تقدم ذكره ووجه منع صرفه واعاده ابن حجر

هناذ هو لاله عما مضى رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم كل سلامى بضم السين وتخفيف اللام وفتح الميم وجمع
سلاميات بفتح الميم وهى المفاصل والاعضاء وهى ثلاثمائة وستون
ثبت ذلك في صحيح مسلم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال المم
وهو مبتدا موصوف بقوله من الناس ولفظ من للتبعيض
وخبره قوله عليه صدقة والعائد الضمير المجرور وقال ابن مالك
حتى الراجع الى كل مضاف الى نكرة ان يجى على وفق المضاف اليه
كقوله تعالى كل نفس ذائقة الموت وقد يجى على وفق كل كما في
الحديث انتهى ولا يبعد ان يقال تذكيره باعتبار معنى السلامى
من العضو او المفصل كما ذكروا في قوله تعالى ان رحمت الله قريب
اى انعامه وفي قوله لعل الساعة قريب اى البعث والمعنى
على كل واحد بعدد كل مفصل او عضو صدقة يليق به شكر الله
تعالى بان جعل في عظامه مفاصل يقدر بها على القبض
والبسط لسببها او دفعها للبلاء عنها بسلامتها وبقائها
كل يوم بالنصب ظرفا لقوله صدقة لانه بمعنى تصدق او
مرفوع على الاستيناف لكن الرواية على الاول كما صرح
به الكازروني وعلى تقدير ثبوت رفعه قوله تطلع فيه الشمس
صفة كاشفة لليوم لئلا يتوهم ان المراد به مطلق الوقت لا للتاكيد
كما قيل وقوله يعدل مع خبره خبره والعائد من الاخبار
محذوف اى يعدل فيه بين الاثنين اى يصلح بين المتخاصمين
او المتحاكمين او المتهاجرين صلحا جايزا بان لا يحل حراما ولا
يحرم حلالا كما فى الحديث وهو مبتدا على تاويل المصدر او
بان المقدر وارتفاع الفعل بعد حذفه كما في قوله تعالى ومن
اياته يريكم البرق وفي قولهم تسمع بالمعيدى خير من ان تراه
وخبره قوله صدقة وقد ثبت بالايات والاحاديث النبويات

ان الا

ان الاصلاح بين الناس من افضل القربات واكمل العبادات
قال تعالى لا خير في كثير من نجويهم الا من امر بصدقة او معروف
او اصلاح بين الناس وقال عز وجل انما المومنون اخوة
فاصلحوا بين اخويكم وفي الحديث الا اخبركم بافضل من درجة
الصلوة والصيام والصدقة قالوا بلى قال اصلاح ذات
البين حتى جاز الكذب فيه مبالغة في وقوع الالفة بين المتنازعين
فان الصدق يفضي الى محذور اشد منه في امر الدين وهو دوام العداوة
بين المتخاصمين ويعين الرجل اى من جنس الرجل المراد به
النكرة اى ويساعد رجلا في دابته فيحمله اى فيركب الرجل
عليها اعمه على دابته والضمير راجع الى الرجل او المعين والاول
ابلغ وقد ورد من حمل اخاه على شسع فكانما حمل على دابة في
سبيل الله رواه الخطيب عن انس او يرفع له عليها متاعه
صدقة اى للمعين على الرجل وفي الحديث اشارة الى استحباب مراعاة
حقوق الاصدقاء المعروفين بل العوام المجهولين وهي الاعانة بالنفس
والمال وكما ان الشر والحال وقد ورد انه صلى الله عليه وسلم قال
انما المومنون في تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم كمثل الجسد
اذا اشتكى عضو تداعى له ساير الجسد بالحمى والسهر
والكلمة الطيبة وهي باقيات الصالحات صدقة على ما
سبق فيه الكلام من التسبيح والتهليل والتحميد ونحوها في مقام
النظام ومنه قوله تعالى اليه يصعد الكلم الطيب والمراد بها
الكلام الطيب في رد السائل قال تعالى قول معروف و
مغفرة خير من صدقة يتبعها اذى او المراد بها حسن الكلام
مع الانام لانه مما يفرح به قلب المومن ويدخل فيه السرور وهو من
اعظم الاجور وقد ورد انه اذا التقى المسلمان نزل عليهما
مائة رحمة تسعون لاكثرهما بشرا وعشرة لاقلهما رواه في المعار

حش

اليعين

والعمل الصالح يرفعه

مرفوعا وقيل المراد بها كلمة التوحيد لقوله تعالى ومثل كلمة
طيبة فانها تطيب بها القلوب علما ومعرفة ومشاهدة وهي
افضل الذكر لانها اجمع للقلوب مع الله وانفع لنفي ما سواه
واشد تزكية للنفس وتصفية للباطن وتنقية للخاطر من
حديث النفس وهواجسها واطرد للشياطين ووساوسها
ثم اعلم ان الذكر عبارة عن وجدان الرب وحضوره بالقلب
وله لب هو المقصود وقشور ثلاثة فالاعلى ذكر اللسان فقط
ثم ذكر القلب تكلفا بحيث يحتاج الى مراقبته حتى يحضر
ثم ذكره طبعا بان يتمكن من القلب بحيث لا يحتاج الى
تكلف في صرفه عنه الى غيره ثم استيلاء المذكور واتحاد الذكر
والذاكر بانه يغني عن نفسه وذكره ولا يلتفت الى فنائه ايضا
ذاهبا الى ربه اولا ثم ذاهبا فيه بالاستغراق به آخرا اذ لو التفت
الى شئ من ذلك لكان معرضا عن الله غير منفك عن الشرك
الخفي هنالك واولا يكون كالبرق الخاطف فان دامت عرج به
الى العالم الاعلى وطالع الوجود الحقيقي الاصفى وانطبع فيه نقش
الملكوت وتجلى له قدس اللاهوت واول ما يتمثل له جواهر
الملائكة وارواح الانبياء والاولياء في صور جميلة تفيض اليه
بواسطتها بعض الحقائق الى ان يعلو درجته عن المثال فيكافح
بصريح الحق في كل الاحوال هذا زبدة كلام الامام حجة الاسلام
في الاربعين و بكل خطوة بفتح الخاء المرة الواحدة و
بضمها اسم لما بين القدمين وقيل هما لغتان
تمشيها
اي يمشي الرجل بها الى الصلوة اي ونحوها في سائر الطاعات
صدقة فعن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه قال
كان بنو سلمة في ناحية من المدينة فارادوا ان ينتقلوا الى قرب
المسجد فانزل الله تعالى انا نحن نحيي الموتى ونكتب ما قدموا وآثارهم

قدعا

قدعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لهم دياركم تكتب آثاركم
ثم قرا عليهم الاية فتركوا رواه البيهقي وعن عمر بن عبد العزيز
لو كان الله مغفلا شيئا لاغفل هذه الاثار التي يعفيها الرياح
ويميط الاذى بضم اوله اي ازالة ما يؤذي المارة من نحو شوك
او نجاسة او حجارة عن الطريق صدقة واخرت هذه ايماء
الى انها ادون مما قبلها كما يدل عليه حديث الايمان بضع وسبعون شعبة
اعلاها شهادة ان لا اله الا الله وادناها اماطة الاذى عن الطريق
واستحب بعض العلماء انه اذا اراد ازالة الاذى ان يقول لا اله الا الله
ليكون جامعا بين اعلى شعب الايمان وادناها ويدخل تحت عموم
اماطة الظالم عن طريق الحق وشرع المطلق وهو مفهوم بالاولى
كما في قوله تعالى ولا تقل لهما اف فاندفع به قول ابن حجر انه تكلف بعيد
هذا وقد قال بعض العارفين المراد بالاذى النفس فانها
منبع الشر والفساد ومعدن الظلم والاذى للعباد في البلاد و
محل الافات والعاهات ولذا قيل التوحيد اسقاط الاضافات
وقال العارف العاشق اصل التوحيد كشوف سبعين بابا
من عيون صفات الحق كما اشير اليه في حديث الايمان بضع و
سبعون شعبة وافضلها كشف عين الذات وادنى المقام
منها افراد القدم عن الحدوث وهو اماطة قذى الكونين
عن عين عيان القديم واما ما روي عن الحسن وابن سيرين
ان فعل المعروف يوجر عليه وان لم تكن فيه نية بل روى
حميد بن زنجويه عن الحسن ان من اعطى آخر شيئا حياء منه
له فيه اجر وابو نعيم في الحلية عن ابن سيرين ان من تبع
جنازة حياء من اهلها له اجر لصلته الحي فلا ينافي ما صح
في حديث ابن حبان من انه عليه السلام ذكر فيه خصالا كالتصدق
وقول المعروف واعانة الضعيف وترك الاذى ثم قال

والذي نفسي بيده ما من عبد يعمل بخصلة منها يريد بها ما
عند الله الا اخذت بيده يوم القيمة حتى يدخل الجنه وهو
مستمد من قوله تعالى لا خير في كثير من نجويهم الا من امر بصدقة
او معروف او اصلاح بين الناس ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضات
الله فسوف نؤتيه اجرا عظيما فان ما ذكر في الكتاب والسنة
محمول على كمال الاجر والثواب كما في نفس الاية اشارة الى ذلك
حيث استثنى ما ذكر من نفي الخير فاثبت له الخيرية ثم رتب الاجر
العظيم على تصحيح النية ولولا اعتبار هذا العموم لارتفع
اكثر الخيرات والمبرات لان اكثر الخلق عاجزون في مثل هذه الافعال
عن تصحيح النيات وايضا النية انما هي شرط لصحة العبادات
المستقلة والثواب منوط بها ايضا في الامور المباحة واما
المعروفات كصلة الرحم واحسان اليتيم واغاثة الملهوف
واعانة الضعيف واطعام الضيف والمسكين وامثالها
فتصحيح النية من كمالها لا لثبوت اصلها ولذا يجزي الله
الكافر في الدنيا على امثال هذه الافعال من مكارم الاخلاق
فقوله الحسن متحقق مقبول لا مردود كما توهمه ابن حجر
فتامل وتدبر فان حاصل الحديث يرجع الى التعظيم لامر الله
والشفقة على خلق الله وقد قال بعض الاكابر بجمع
الخيرات هو الصدق مع الحق والخلق مع الخلق رواه
البخاري ومسلم وفي رواية له يصبح على كل سلامى من
احدكم صدقة فكل تسبيحة صدقة وكل تحميدة صدقة وكل
تهليلة صدقة وامر بالمعروف صدقة ونهي عن المنكر صدقة
ويجزي عن ذلك ركعتان يركعهما من الضحى والمعنى يكفي
مجموع هذه الصدقات كلها عن هذه الاعضاء جميعها
ركعتان في وقت الضحى لانها اقل مقدار من صلوة نافلة

وهي

وهي تعمل بالاعضاء كاملة فاذا صلى في طاعته فقد قام كل عضو
منه بوظيفة وادى شكر نعمته وقد قال سهل بن عبد الله
التستري في الانسان ثلاثمائة وستون عرق فلمائة وثمانون ساكنة
ومائة وثمانون متحركة فلو تحرك ساكن او سكن متحرك لمنعه
النوم ويؤيد هذا القول احاديث كثيرة منها حديث البزار
انه صلى الله عليه وسلم قال للانسان ثلاثمائة وستون عظما وستة
وثلاثون سلامى عليه في كل يوم صدقة قالوا فمن لم يجد ذلك يا
رسول الله قال يامر بالمعروف وينهى عن المنكر قالوا
فمن لم يستطع قال يرفع عظما عن الطريق قالوا فمن لم يستطع
قال فليدع الناس من شره ومنها حديث مسلم خلق ابن
ادم على ستين وثلاثمائة مفصل فمن كبر الله وحمد الله وهلل الله
وسبح الله وعزل حجرا عن طريق المسلمين او عزل شوكة او عزل
عظما او امر بمعروف ونهى عن منكر عدد تلك الستين و
الثلاثمائة السلامى وامسى في يومه فقد زحزح نفسه
عن النار ومنها حديث احمد وابي داود في الانسان
ثلاثمائة وستون مفصلا فعليه ان يتصدق عن كل مفصل منه
بصدقة قالوا ومن يطيق ذلك يا نبي الله قال النخاعة في المسجد
يدفنها والشيء ينحيه عن الطريق فان لم يجد فركعتان
الضحى يجزئه ومنها حديث البزار وابن حبان في صحيحه
على كل ميسم من ابن ادم صدقة كل يوم فقال رجل من يطيق
هذا قال امر بمعروف صدقة الحديث هذا وقد قال
تعالى ثم لتسالن يومئذ عن النعيم قال ابو الدرداء
هو صحة الجسد وقال وهب مكتوب في حكمة ال داود
العافية الملك الخفي اي فهي النعيم المسئول عنه وقال
ابن مسعود النعيم الامن والصحة ويؤيده حديث نعمتان

مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ واخرج
الترمذي وابن حبان ان اول ما يسأل العبد عنه يوم القيمة
فيقول له الم نصحح لك جسمك ونرويك من الماء البارد
وقال ابن عباس النعيم صحة الابدان والاسماع والابصار
وكانه اشار الى قوله تعالى ان السمع والبصر والفواد كل
اولئك كان عنه مسئولا ثم الحديث المذكور ما اورد لحصر
الخيرات بل نبه بالمذكورات على امثالها من المبرات من الاحسان
الى كل شئ تجبر في كل كبد رطبه اجر **السابع والعشرون**
هو وما بعده في الحقيقة حديثان الا انهما لما توارد ا
على معنى واحد كانا كالحديث الواحد وصار الثاني للاول
بمنزلة الشاهد عن النواس بفتح النون وتشديد الواو
ابن سمعان بكسر السين وفتحها كذا قاله المص فيهما
رضي الله عنه كذا في النسخ لكن لابيه ايضا صحبة فكان
ينبغي ان يقال عنهما وقد تزوج صلى الله عليه وسلم
اخت النواس وهي مشهورة روى له سبعة عشر حديثا وكان
انصاريا من اصحاب الصفة وسكن الشام وقال اقمت مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم بالمدينة سنة ما يمنعني من الهجرة اى العود الى
الوطن الا المسالة اى السوال التي كانت ترد عليه صلى الله عليه وسلم
من بعض صحابه واجوبتها لما مر ان المهاجرين والانصار لما اكثروا
السوال ونهوا عنه كانوا يحبون ان ياتي اهل البادية ويسالوا
حتى يسمعوا فيتعلموا فكانت اقامته تلك السنة مع عزم
العود الى وطنه لاجل ان يتفقه في الدين تلك المدة عملا بقوله
سبحانه وما كان المومنون لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة
منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا
اليهم لعلهم يحذرون قيل وفيما ذكره دلالة على ان الهجرة

لم تكن

لم تكن واجبة على غير اهل مكة ونوقش بان من كان له عشيرة تحميه
لم تلزمه الهجرة ولو من مكة فلعله كان ممن له تحميه من قومه
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اى حين سال عن البر والاثم
البر اى اعظم خصاله حسن الخلق بضمتين وبسكن اللام
وقد سبق انه طلاقة المحيا وبذل الندى وكف الاذى وقال
الترمذي البر هنا الصلة والتصدق والطاعة ويجمعها حسن
الخلق وقال الطيبي فسر البر في حديث اخر بما يقربك
الى الله وقاله بعض المحققين ان حسن الخلق عبارة عن
حسن العشرة والصحبة مع الخلق بان يعرف انهم اسراء
الاقدار وان كل ما لهم من الخلق والخلق والرزق واجل
والعمل بمقدار فيحسن اليهم حسب الاقتدار فيامنون منه
ويحبونه بالاختيار ومع الخالق بان يشتغل بجميع الفرائض
والنوافل وياتي بانواع الفضائل عالما بان كل ما اتى منه
ناقص يحتاج الى العذر وكل ما صدر من الحق كامل يوجب
الشكر ثم يتخلق باخلاق الله بدوام الاعراض عما سواه
والحاصل ان البر بكسر الباء اسم جامع لانواع الخير وهو ما
اقتضاه الشرع وجوبا وندبا ولذا قابله بقوله والاثم
وهو ما نهي عنه للتحريم او للكراهة ما حاك في نفسك بالحاء
المهملة والكاف اى تردد قاله المص من الحيك وهو التاثير
اى اثر فيها بان اقلقها وهذا باعتبار المومن المتقي الملهم
بالحق والصواب فلعله عليه السلام علم ذلك من السائل
حال الجواب وفي رواية الاثم حزاز القلوب بتشديد الزاى
الاولى وهو بمعناه وفي [illegible] جواز بتشديد الواو وحاصله
انه حل في قلبك من حزازة وريب وخوف من انه ذنب وقد يصحف
وكرهت ان يطلع عليه الناس اى اشرفهم الذي

فضبطه السيد الشريف العلامة بعد الالف
بالجيم وهمزة بعد الالف من
على انه صيغة الماضي من
المجئ غفلة عن الرواية
والدراية

يستحي منهم لو صدر منه ذلك الفعل عندهم والظاهر من سياق
الحديث ان للاثم علامتين علامة داخلية واخرى خارجية
كما ياتي التصريح به في رواية وذلك ان النفس لها شعور
من اصل الفطرة بما تحمد عاقبته وما لا تحمد عاقبته ولكن غلبت
عليها الشهوة حتى اوجبت لها الاقدام على ما فيه المضرة
كاللص بغلبة الشهوة على السرقة وهو خائف من الوالي
قطع الرقبة ولانها بطبعها تحب اطلاع الناس على خيرها و
برها وشكره اطلاعهم على اثمها وشرها ومن ثم اهلك الرياء
اكثر المشايخ والعلماء فبكراهتها اطلاع الناس على فعلها
نعلم انه اثم بالنسبة اليها فيترك ما خطر ببالها وقال
بعض العارفين الاثم هو حبس النفس وهي تحيك الصدر
بسبب الاضطراب والتضييق لانها ثقيلة على الارواح والبر
لطف ممزوج بنور الذكر فتطمئن به القلوب وينشرح منه
الغيوب وليس في الحديث دلالة على ان مجرد خطور المعصية والهم
بها اثم لوجود العلامتين حتى يحتاج الى ان يخص بخبر ان الله
تجاوز لامتي عما وسوسة نفسها ما لم يعلم به او يتكلم لان
ذلك فيما لا يعلم كونه اثما ام لا وهذا فيما هو المعلوم من الاثام
مع ان التردد مناف للهم والعزم والا فالعزم على سبيل الجزم
من جملة عمل القلوب فيحصل به الاثم على ما عليه جمهور اهل العلم
رواه مسلم وعن وابصة بكسر الباء الموحدة وهو
بالصاد المهملة ذكره المص ابن معبد بفتح الميم والموحدة
رضي الله عنه قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم في عشرة
رهط من قومه بني اسد بن خزيمة عام تسع فاسلموا ورجع
الى بلاده ثم نزل الكوفة ثم تحول الى الجزيرة وسكن الرقة و
دمشق ومات بالرقة ودفن عند منارة جامعها وكان قارئا

كثير البكاء لا يملك دمعته قال اتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال جئت تسال عن البر اي والاثم لما سياتي من الرواية في
الجمع بينهما وكما يشير الجواب اليهما ولعله من باب الاكتفاء
ببعض الاشياء فقلت نعم وهذا من دلائل النبوة لانه اخبره عما
في ضميره قبل ان يتكلم به وجاء في بعض الروايات انه وابصة تحدثني
ما جئت فيه جاء يتخطى الناس حتى جلس الى النبي صلى الله عليه
وسلم فقال يا وابصة تحدثني ما جئت فيه او احدثك قال بل
انت حدثني يا رسول الله فهو احب الي قال جئت تسال
عن البر والاثم قال نعم فقال استفت قلبك وفي رواية
احمد قال اتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وانا لا اريد ان
ادع شيئا من البر والاثم الا سالت عنه فقال لي ادن
يا وابصة فدنوت حتى مست ركبتي ركبتيه فقال
تعال يا وابصة اخبرك بما جئت تسال عنه او تسالني قلت
يا رسول الله اخبرني قال جئت تسال عن البر والاثم قلت
نعم قال فجمع اصابعه الثلاث فجعل ينكت بها في صدره
ويقول يا وابصة استفت نفسك الحديث اي اطلب الفتوى
من قلبك لانه يبلغ في سلوك طريق الكمال وطلب الوصول بعين
الوصال الى مقام القلب وبيان ذلك ان سير الانسان الى الحق
انما هو بالباطن وان كان مع استعانة الظاهر لصعود الهيات
البدنية الى حيز النفس والقلب في هبوط الهيات النفسانية
والقلبية الى الظاهر للعلاقة بينهما ثم النفس قبل التوجه
الى الحق امارة بالسوء ثم تصير لوامة ثم تصير مطمئنة و
الحاصل انه عليه السلام ذكر له ضابطة جامعة مميزة بين
البر والاثم بقوله البر ما اطمانت اليه النفس اي
مالت اليه وسكنت من اضطرابها الديني والنسخ المعتمدة مجتمعة

وقف

على لفظ اليه ووقع في اصل ابن حجر بلفظ عليه فقال اى سكنت عليه وفي رواية اليه انتهى ولا يخفى ان السكون لا يتعدى بعلى نعم جاء في رواية وسكنت اليه النفس وكان بعض من لا دراية له بالرواية راى تكرار اليه مع قوله واطمان اليه القلب فغاير بينهما من عنده والمعنى اذا التبس عليك شيء ولم تدر انه من اي القبيلين فتامل فيه ان كنت من المجتهدين واسال المجتهدين ان كنت من المقلدين فان وجدت ما سكن اليه القلب فخذ والا فدعه قاله البيضاوى ولعل عطف اطمئنان القلب على اطمئنان النفس للتاكيد فان النفس اذا ترددت في امر تتبع ذلك خفقانا في القلب للعلاقة بينهما فان المتعلق الاول لها وربما سرى الى سائر القوى فيحس بها الحلال والحرام فاذا زال ذلك عن النفس وحدث بها طمانينة انعكس المرام والنفس لغة وانصالها معا حقيقة الشيء واصطلاحا لطيفة في الجسد تولدت من ازدواج الروح بالبدن واتصالهما معا فاذا اقامت في ظلمتها لا يغشاها نور العلم والمعرفة مائلة الى الشهوة وسائر الاخلاق الرذيلة لا لفها الى العالم الحسي سميت امارة واذا تنفس صبح الهداية وانزعجت من دواعي طبيعتها متطلعة الى منار الطمانينة منجذبة مرة الى العالم العلوي واخرى الى العالم السفلي سميت لوامة لانها تلوم نفسها لعلمها بمحل الطمانينة واذا طلعت شمس العناية من اوج الرعاية صارت ملهمة واذا بلغت شمس العناية وسط سماء الهداية اشرقت الارض بنورها وامتلا القلب من السكينة اليقينية وخلع على النفس خلع الطمانينة صارت مطمئنة محدثة محدثة

وقف

مكلمة

وقف

جاذبة

مكلمة مكلمه مستغرقة جاذبة ارجعي الى ربك راضية مرضية والاثم ما حاك في النفس اى اثر فيها ولم يستقر عندها وقد تصحف السيد الشريف العلامة فضبط بالجيم وهمزة بعد الالف على انه صيغة الماضي من المجيء غفلة عن الرواية والدراية وتردد في الصدور ولم ينشرح للامر وان افتاك الناس عطف على مقدر اى الا ان لم يفتك الناس وانه افتاك الناس يعني علماؤهم لما في رواية وان افتاك المفتون والمعنى التزم العمل بما في قلبك وان قالوا لك انه حق ولا تاخذ بقولهم فانه قد يوقعك في الغلط او في اكل الشبهة كان ترى من له مال حلال وحرام فلا تاخذ منه شيئا وان افتاك المفتي مخافة ان تاكل الحرام لان الفتوى غير التقوى فعن عائشة قالت كان لابي بكر غلام ياكل من خراجه فجاءه يوما بشيء فاكله ابو بكر فقال له الغلام اتدرى ما هذا فقال ابو بكر وما هو قال كنت تكهنت لانسان في الجاهلية وما احسن الكهانة الا اني خدعته فلقيني فاعطاني لذلك فهذا الذي اكلت منه فادخل ابو بكر يده في فيه فقاء كل شيء اكله من بطنه رواه البخاري وذكر الغزالي هذا الخبر في الاحياء ان الصديق قال بعد استفراغه اللهم اني اعتذر اليك مما حملت العروق وخالط الامعاء وفي رواية ان النبي صلى الله عليه وسلم اخبر بذلك فقال اوما علمتم ان الصديق لا يدخل في جوفه الا طيبا ثم قال الغزالي ولا شك ان الصديق لما اخبر ان اللبن من غير وجهه لم يكن يخفى عليه مع كونه اعلم الناس ان ما تناوله الانسان من غير علم بانه لا اثم عليه فيه ولا يجب في فتوى الفقه استفراغه ولكن انما فعل ذلك بعلو رتبته وكمال صديقيته ولسر وقر في صدره عرف ذلك السر ان فتوى العامة حديث اخر وان طريق الاخرة لا يعرفه الا الصديقون ولذلك استفرغه وادخل اصبعه في حلقه ليخرجه حتى كادت روحه تخرج معه لانه راه موثرا في قلبه اثرا يمنعه

وقف

روحه

عن منزلة وكمال مرتبته انتهى وفي رواية انفق في خلافته ثمانية الاف
درهم فلما حضره الموت قال كنت قلت لعمر اني اخاف ان لا يسعني
ان اكل من هذا المال فغلبني فاذا مت فخذوا من مالي ثمانية الاف درهم
فضعوها في بيت المال وهذا في غاية من التقوى ولهذا نزل في حقه
وسيجنبها الاتقى الذي يؤتي ماله يتزكى وما لاحد عنده من نعمة تجزى
الا ابتغاء وجه ربه الاعلى ولسوف يرضى وقد قال تعالى ان اكرمكم عند
الله اتقاكم وافتوك تاكيد والمعنى بهذا الامر ارباب البصيرة من اهل
النظر المستقيم واصحاب الفراسات من ذوي النفوس المرتاضة
فان نفوسهم ملهمة للصواب في اكثر الاحوال وقيل حمله على
عموم الايمان والتقوى ولا يبعدان يقال المعنى وان افتاك جمع بعد
جمع وفيه ايماء الى المعجزة قال الشيخ مشايخنا السيد جمال الدين
وافتوك في روايتنا بالفاء والتاء المثناة من فوق ولعله اتى
به للتاكيد لكن اورد هذه الكلمة صاحب النهاية في باب القاف
والنون فقال واقنوك اي ارضوك ثم قال حكى ابو موسى
ان الزمخشري قال ذلك وان المحفوظ بالفاء والتاء من الفتيا
حديث حسن كذا في الاصول المعتمدة وقال ابن حجر حديث
صحيح وفي نسخة حسن وسياتي تحقيقه متحسنا رويناه بفتحتين اي
بسندنا المتصل حال كونه في مسندي الامامين اي الجليلين حديثا
وفقها وزهدا وصلاحا احمد بن حنبل وهو ابو عبد الله الشيباني
احد الائمة الاربعة من المجتهدين والفقهاء المتبوعين في
امر الدين وروى عنه البخاري ومسلم وابو داود وجماعة
ولد ببغداد ومات بها يوم الجمعة في ربيع الاول سنة احدى
واربعين ومائتين عن سبع وسبعين سنة ومسنده عشرون
مجلدا وفيه اربعون الف حديث جمعه من سبعمائة الف
وخمسين الف حديث وقال جعلته حجة بيني وبين الله تعالى

المشيرة الى اختلاف الائمة صح

وقال

وقال ما اختلف المسلمون فيه من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم
فارجعوا اليه فان وجدتموه والا فليس بحجة وهذا يدل على كمال
اطلاعه بالسنة الا انه رضي الله عنه لم يلتزم الصحة في مسنده
وانما اخرج فيه ما لم يجمع الناس على تركه واما قول بعضهم ان كل
ما فيه صحيح فغير صحيح الا ان يراد به انه ثابت نعم قال جماعة
ان كل ما فيه اما صحيح واما حسن والاغلب الصحة لكن الاظهر انه قد
يوجد فيه ضعيف الا انه يكون مختلفا فيه ثم مصنفوا الاحاديث منهم
من رتبه على مسانيد الصحابة كاحمد والدارمي وابن ابي شيبة
والبزار وابي يعلى ومنهم من رتبها على ابواب الاحكام كالصحيحين
والسنن وفي كل فائدة وحكمة عائدة والدارمي بكسر الراء وهو
ابو محمد عبد الله بن عبد الرحمن التميمي السمرقندي الحافظ من بني دارم روى
عنه مسلم وابو داود والترمذي وابو زرعة كان امام اهل زمنه في العلم
والورع ولد سنة احدى وثمانين ومائة ومات يوم التروية سنة
خمس وخمسين ومائتين والغالب على مسنده الصحة ولما بلغ البخاري
نعيه بكى وانشد ان تبق تفجع في الاحبة كلهم وفناء
نفسك لا ابا لك افجع وذكر الترمذي انه سمع البخاري يحدث عنه
بحديث من شيع جنازة وذكر ابن عدي ان النسائي حدث عنه
باسناد حسن كذا في النسخ المصححة وقال ابن حجر باسناد
جيد وفي نسخة حسن انتهى وعلى كل تقدير يناقض ما قدمه
عن المصنف بانه حديث صحيح وتكلف في الجمع بينهما بل تعسف في
شرحه بما لا طائل تحته على ان حديث احمد له طريقان احدهما فيه
علتان ضعف وانقطاع وثانيهما فيها مجهول فلعله بانضمامه
الى رواية الدارمي حكم المصنف عليه بانه حسن او لكثرة طرقه فان احمد
اخرجه من طريق اخرى عن ابي امامة قال قال رجل يا رسول الله
ما الاثم قال اذا حاك في صدرك شيء فدعه وسندها جيد

(عن نجيح)

على شرط مسلم ومن طريق اخرى ثعلبة الخشني قال قلت
يارسول الله اخبرني ما يحل لي وما يحرم علي قال البر ما سكنت
اليه النفس الحديث وسندها جيد الضيا ويقويه الضيا
ما اخرجه الطبراني عن واثلة قلت للنبي صلى الله عليه وسلم افتني
عن امر لا اسال عنه احدا بعدك قال استفت نفسك قلت
كيف لي بذلك قال تدع ما يريبك الى ما لا يريبك وان
افتاك المفتون قلت كيف قال تضع يدك على قلبك
فان الفؤاد يسكن للحلال ما لا يسكن للحرام اواراد المص بقوله
حسن اولا معناه اللغوي وثانيا معناه الاصطلاحي وهذا
اولى بالاعتبار لئلا يلزم التكرار وكرره للتاكيد في حسنه حيث
قيل بضعفه ثم اعلم ان من اراد الاحتجاج بحديث من السنن
كابي داود والترمذي والنسائي وابن ماجة والموطا و
غيرهما مما لم يلتزموا الصحيح والحسن بل ادخلوا فيها
الضعيف ايضا امتنع عليه ان يحتج بحديث هولاء حتى
ينظر في اسناده وحال رواته ان كان له قابلية لذلك او يجد
اماما صححه او حسنه فيقلده هنالك نعم اذا راينا مجتهدا
استدل بحديث على مدعاه فنحكم بانه صحيح او حسن عنده كما
اقتضاه **الثامن والعشرون** عن ابي نجيح
بفتح نون فكسر جيم فتحتية فمهملة العرباض بكسر العين
المهملة وبالباء الموحدة والضاد المعجمة ابن سارية
بالسين المهملة والياء المثناة تحت ذكرهما المص وزنهما
جارية سلمي من اصحاب الصفة وهو احد البكائين المشتاقين
الى الله يقول في دعائه كبرت سني ووهني عظمي فاقبضني اليك
وكان يقول انه رابع الاسلام وكان من الزاهدين العابدين روي
انه قال لولا ان يقال فعل ابو نجيح لالحقت مالي في سبيله

لحقت

١٢٣

ما بين البيان ٢ سبعة وخمسين
ومائتين ٢ صدر بلا لون جديد م

ثم لحقت واديا من اودية لبنان فعبدت الله حتى اموت ويروى
ان معاوية اعطى المقداد حمارا من المغنم فقال العرباض ما كان لك
ان تاخذه وما كان له ان يعطيكه كاني اربكة في النار تحمله على عنقك
فرده المقداد رضي الله عنه قال وعظنا رسول الله صلى الله عليه وسلم
اي بعد صلاة الصبح كما في رواية وفي اخرى ذات يوم موعظة
اي ما يوعظ به من الكلام الدال على التخويف طريق النصيحة والتنوين
للتفخيم اي عظيمة كما يدل عليه رواية بليغة اي بلغت الينا وبالغت
في تاثيرها فينا كما يشير اليه قوله وجلت منها القلوب بكسر الجيم
اي خافت من اجلها القلوب وحذرت من الذنوب فالف الوجل
خوف مع الحذر وذرفت قال المص بفتح الدال المعجمة والراء
المهملة اي سالت منها العيون يعني جرت بسببها الدموع
من العيون لتاثير الموعظة في النفوس واستيلاء سلطان الخشية
في القلوب واخر هذا عما قبله لانه غالبا ينشا عنه فهو اصله
وفيه استحباب موعظة العالم اصحابه لينفعهم في دينهم ودنياهم من
العلوم ولا يقتصر لهم على معرفة الاحكام والحدود والرسوم بل يذكرهم
ويخوفهم ويشوقهم ويسوقهم الى ذكر العقبى ومحبة المولى والاعراض
عن الدنيا والمعنى ان تلك الموعظة اثرت فيهم واخذت منهم بمجامعهم
بحسب ظاهرهم وباطنهم وفي بعض روايات الترمذي ذرفت
منها العيون ووجلت منها القلوب نظرا الى اثر الظاهر قبل
الموثر الباطن بخلاف الرواية الاولى فانها لتقديم السبب على المسبب
او الاصل على الفرع والله اعلم فقلنا يا رسول الله كانها اي تلك
الموعظة موعظة مودع بكسر الدال المشددة اي شخص يودع اصحابه
واحبابه فلا يبقى درشيا الا ذكره في بابه فاوصنا اي ارشدنا
بما فيه صلاح حالنا وفلاح مالنا وفيه ان للابرار الاكثار من خصال
الخير لا سيما في اخر العمر وانه يجوز الاستدلال بالاقوال على الاحوال

وانه يجب الاسترشاد من اكابر الدين واغتنام فرصة الاستفاضة
من عظماء اليقين قال اوصيكم بتقوى الله هذا من جوامع
الكلم فان التقوى امتثال المامورات واجتناب المحذورات
وهي زاد المعاد الذي امرنا باخذها جميع العباد حيث قال
تعالى ولقد وصينا الذين اوتوا الكتاب من قبلكم واياكم ان اتقوا
الله ولما كان الظاهر من التقوى انها فيما بينهم وبين الله
عطف عليها بقوله والسمع والطاعة اي فيما بينهم وبين
من يلي امرهم يعني واوصيكم بقبول قول الامير وطاعته اذا امر
بالمباح عادلا كان او جائرا والا فلا طاعة لمخلوق في معصية
الخالق كما ورد الا انه لا يجوز محاربته فانه كما قال الحسن
ما يصلح الله به اكثر مما يفسده وان تامر بتشديد الميم
اى صار اميرا عليكم عبد وفي رواية عبد حبشي اى ادنى
الخلق فلا تستنكفوا عن طاعته لئلا يؤدى الى ظهور الفساد
وتهيج الفتن بين العباد فان الصبر على ولاية من لا يجوز له
الولاية اهون من اثارة الفتنة التي لا دواء لها ولا خلاص
منها وقد ذكر عليه السلام في بعض ما روى عنه انه قال
بعد جور الولاة وظلمهم فقال اسمعوا واطيعوا ما اقاموا فيكم
كتاب الله وهذا وارد على سبيل المبالغة في الامر بطاعته والنهي
عن مخالفته وعلى طريق الفرض والتقدير اذ الائمة من قريش
او ان استعمله الامام الاعظم ولعله في الحديث اشعارا بما يقع
في اخر الزمان من كون الخلافة بالتسلط والشوكة من غير
اعتبار شروط الائمة كما في زماننا هذا فانه لا يوجد امام
بين اهل الاسلام موصوف بما قرر في حقه من الاحكام
ويؤيده قوله وانه اي الشان وفي المصابيح والمشكوة
بلفظ فانه من يعش منكم وهو مجزوم بمن الشرطية واصله

يكون ح

يعيش

يعيش كما في نسخة فمن موصولة فسيرى اختلافا كثيرا اى
في الولاية والخلافة بسبب طلب الجاه والمال والسين للتاكيد
الاستقبال وفي اصلنا المقروء على مشايخنا فانه بالفاء ايضا قال
السيد جمال الدين الفاء في قوله فانه من يعش للسببية جعلت
ما بعدها سببا لما قبلها يعني من قبل وصيتي والتزم تقوى الله
وقبل طاعة من ولي عليه ولم يهيج الفتن امن بعدي من الاختلاف
الكثير يعني الذي وقع بين الصحابة والتابعين وهلم جرا الى
هذا الحين فعليكم اسم فعل اى الزموا او تمسكوا بسنتي
وهي ما وضعه صلى الله عليه وسلم وجوبا او ندبا من احكام الدين وسنة
الخلفاء الراشدين اى الهادين المهديين بفتح الميم وتشديد
التحتية الاولى اى المهتدين الذين هداهم الله الى طريق الصواب
والحكم اتباع مفاتيح اولي الالباب وجمع بينهما لان الشخص اذا لم
يكن مهتديا في نفسه لم يصلح ان يكون هاديا لغيره وهم
الصديق والفاروق وذو النورين والمرتضى رضي الله عنهم
اجمعين وذلك لانهم لما كانوا افضل الصحابة وواظبوا على انتظار
الرحمة من السحابة وخصهم الله بالمراتب العلية والمناقب السنية
ووطنوا انفسهم على مشاق الاسفار ومجاهدة القتال مع الكفار
انعم الله عليهم بمنصب الخلافة العظمى والتصدى الى رياسة الكبرى
لاشاعة احكام الدين واعلاء اعلام الشرع المتين رفعا لدرجاتهم
وازديادا لمثوباتهم فلو لم يقع الخلافة على الترتيب المذكور لما
فازوا كلهم بالمنصب المشكور ولا يخفى ان هذا من معجزاته الدالة
على ثبوت نبوته لانه استبد بذكر هذا الغيب وقال الخلافة
بعدي ثلاثون سنة ثم يكون ملكا عضوضا ووقع كما قال عليه السلام
قال التوربشتي واما ذكر سنتهم في مقابلة سنته لانه علم
انهم لا يخطئون فيما يستخرجون من كتابه وسنته او ان بعضها

يكون ح

ما اشتهر الا في زمانهم وليس المراد انتفاء الخلافة عن غيرهم حتى ينافي
قوله صلى الله عليه وسلم في امتي اثنا عشر خليفة بل المراد تصويب
رايهم وتخيير امرهم وتفضيلهم على غيرهم وقيل الخلفاء تعم
يشملهم ومن سار سيرهم واقتفى اثرهم في استخراج الاحكام
واذاعة الحق بين الانام وقال بعض العلماء يقدم ما اجمع
عليه الاربعة ثم ما اتفق عليه الشيخان لقوله عليه السلام
اقتدوا باللذين من بعدي ابي بكر وعمر رضي الله عنهما وله
معنيان احدهما التقليد لمن عجز عن النظر وثانيهما الترجيح لما
ذهبوا اليه عند اختلاف الصحابة في الامر وقيل هذا في
حق المقلد في تلك الازمنة القريبة من زمان الصحابة واما
في زماننا فلا يجوز تقليد غير الايمة الاربعة ابو حنيفة ومالك
والشافعي واحمد رضي الله عنهم اجمعين لان هولاء عرفت
قواعد مذاهبهم واستقرت احكامها في كتبهم لانهم اتباعهم
حرروها فرعا فرعا فتعز ان يوجد حكم الا وهو منصوص لهم
اجمالا او تفصيلا بخلاف غيرهم فان مذاهبهم لم تحرر فلا يعرف
لها قواعد يتخرج عليها احكامها فلم يجز تقليدهم فيما حفظ
عنهم منها لانه قد يكون مشروطا بشروط اخرى وكلوها الى فهمها
من قواعدهم فيها عضوا بفتح فتشديد امر من عض يعض
اذا اخذ شيئا بالعض ومنه قوله تعالى ويوم يعض الظالم
على يديه هذا ومن غريب ما وقع في زماننا ان بعض المتحدثين
او المحدثين المعروف بالبهنسي ظنا منه انه اعلم المحدثين بل زعم
انه المجتهد المطلق في الدين روى الحديث بضم العين فاوردنا
عليه الادلة والقواعد العربية في قضية ماخذ الامرية مع اتفاق
العربية ائمة اللغة على الفتح فاجاب بانه انما عدلنا عن الفتح
الى الضم ليرتفع شبهة المشابهة بالصيغة الماضوية قد دفعناه

بورود

ما في الامرية مع اتفاق ائمة اللغة على الفتح [illegible]

بورود مدّاً مدّاً مدّوا بالصيغة الامر والماضي المجهول لعلّ اشتراك
الضمة بناء على اعتبار القرينة الحالية او المقالية مع تحقق
عدم خلو هذا المدعى عن مناقب الرواية ومراتب الدراية فما ابسر
الدعوى وما اعسر المعنى بل يدخل بناء على هذا المبنى في قوله عليه السلام
من كذب علىّ متعمدا فليتبوا مقعده من النار عليها اى على السنة
بالنواجذ جمع ناجذه بالذال المعجمة وهي اربعة من اواخر الاضراس
وقد لا توجد لبعض الناس ويسمى ضرس الحلم لانه ينبت بعد البلوغ
وكمال العقل وقال المص هو بالذال المعجمة وهو الانياب
وقيل الاضراس انتهى والقصد المبالغة في شدة التمسك
بها والجد في لزومها كفعل من امسك شيئا بيديه ثم يستعين
باسنانه عليه استظهارا للمحافظة لديه ويحتمل ان يكون كناية عن
الصبر على ما يصيبه من المشقة في المحافظة على السنة
كما روى الترمذي عن النبي صلى الله عليه وسلم ياتي على الناس
زمان الصبر فيهم على دينه كالقابض على الجمرة واياكم و
محدثات الامور عطف على قوله فعليكم للتاكيد والتاييد
قال الفاكهاني وكلاهما منصوب بفعل مضمر والتقدير
اياكم باعدوا واتقوا محدثات الامور والاظهر ان يقال بعدوا
انفسكم عن المحدثات وبعدوها عن انفسكم كما قرر في قولهم
اياك والاسد ح والمعنى اتقوا ولا تقربوها فضلا عن ان تحدثوها
فان كل بدعة ضلالة قال المص البدعة ما عمل على غير مثال سبق انتهى
وهو معرفها بحسب اللغة واما في الشريعة فما احدث على خلاف
الكتاب والسنة واجماع الامة وقيل احداث ما لم يكن في عهد
النبوة وقيل البدعة زيادة في الدين قربة كانت او معصية فالمراد
كل بدعة سيئة محرمة او مكروهة ضلالة لان المص قال في شرح مسلم
هذا عام مخصوص لان البدع خمسة انواع واجبة كعلم النحو واصول الفقه

بالحلم

الصابر

والاسد ح

بدل مندوبة

والكلام ومحرمة كمذاهب المرجئة والمجسمة ومندوبة كاحداث المدارس
والكلام في دقائق التصوف ومكروهة كزخرفة المساجد و
وتزويق المصاحف ومباحة كالمصافحة عقيب الصبح والعصر
انتهى ولا يخفى ان البدع الواجبة وهي الاشتغال بالعلم العربية الموقوف
عليها فهم الكتاب والسنة كالصرف والنحو واللغة واصول الحديث
والفقه والرد على المبتدعة انما هي على الكفاية لحفظ الشريعة واما
تزيين المساجد والمصاحف فاختلف في كراهته عندنا والمصافحة
بعد الصلوة مطلقا يكره عندنا وقد صرح ابن عبد السلام بان
المصافحة عقب العصر والصبح مكروهة لكن قيدها المص بما اذا صافح
من هو معه قبلها اما من ليس معه قبلها فمصافحته مندوبة لانها
عند اللقاء سنة اجماعا وكونه خصصها ببعض الاحوال وفرط
في اكثرها لا يخرج ذلك البعض عن كونها مشروعة فيه انتهى ولعل
وجه اطلاق عبد السلام ان الغالب تكون مصافحتهم بعد
ملاقاتهم اولا انهم يعدون هذه المصافحة من سنن الفراغ من
الصلوة ولا ينظرون الى مصافحة الملاقاة ولهذا يصافحون
بعدها ويكتفون بها عن التسليم معها قال ابن حجر ومن
المباحة التوسع في لذائذ المآكل والمشارب والملابس وتوسيع
الاكمام ثم قال وقد يختلف العلماء في ذلك فيجعله بعضهم
مكروها وبعضهم سنة انتهى وقد نسب ذلك الى المص ايضا
لكن لا يخفى ان القول بالسنية بعيد عن الطريقة السنية بل تطويل
الذيول والاكمام فان كان للخيلاء والافتخار فحرام والا فمكروه بلا كلام
لمخالفته الاحاديث الواردة في هذا المقام ولو اجري الحديث على عمومه
لم يبعد اذ المعنى كل ما لا يرجع الى اصل ديني ولا يساعده
دليل شرعي فهو ضلالة فيطابق حديث من احدث في امرنا ما
ليس منه فهو رد وقد روى البيهقي عن الشافعي انه قال

المحدثات

التكلم

ديني

١٣٦

المحدثات من الامور ضربان احدهما ما يخالف كتابا او سنة او اثرا
او اجماعا فهذه البدعة الضلالة والثاني ما احدث من الخير لا خلاف
فيه فهذه محدثة غير مذمومة وقد قال عمر رضي الله عنه في قيام
شهر رمضان نعمت البدعة هذه انتهى والاضبط ان يقال كل بدعة
تزاحم سنة فهي سيئة وكل ما تساعدها فهي حسنة كالنية اللسانية
في العبادات فانه بدعة الا انها مستحسنة لانها تحضر النية
القلبية ويقويها وكجماعة التراويح فانها توافق صلاته عليه السلام
اولا ثم تركها مخافة ان يفرض على امته ولم يقوموا بجمعها فهي بدعة
بالنسبة الى ما تركه عليه السلام وسنة باعتبار اصلها وكونها من سنة
احد الخلفاء الراشدين ولذا قال علماؤنا انها سنة موكدة ومن شعائر
الدين وبهذا يظهر وجه تسمية المبتدعة لان قواعدهم كلها مزاحمة
للسنة ابتدعوها وقد قيل لاهل الحق انهم اهل السنة فانهم اتبعوها
ثم اعلم ان اصول البدع كما نقل في المواقف سبعة المعتزلة القائلة
بان العباد خالقوا اعمالهم وبنفي روية الله سبحانه وبوجوب
الثواب والعقاب عليه عز وجل وهم عشرون فرقة والشيعة
المفرطة في محبة علي رضي الله عنه وهم اثنان وعشرون فرقة
والخوارج المفرطة في بغضه المكفرة له ومن اذنب كبيرة وهم
عشرون فرقة والمرجئة القائلة بانه لا يضر مع الايمان
معصية كما لا ينفع مع الكفر طاعة وهي خمس فرق والنجارية
الموافقة لاهل السنة في خلق الافعال وللمعتزلة في نفي الصفات
وحدوث الكلام وهم ثلاث فرق والجبرية القائلة بسلب الاختيار
عن العباد فرقة واحدة والمشبهة الذين يشبهون الحق
بالخلق في الجسم والحلول فرقة ايضا فتلك اثنتان وسبعون
فرق كلهم في النار والفرقة الناجية هم اهل السنة البيضاء
المحمدية والطريقة السمحاء الاحمدية ولها ظاهر سمي بالشريعة

مذمومة

بحقها

شرعة للعامة وباطن وسمي بالطريقة منهاجا للخاصة وخلاصة
خصت باسم الحقيقة معراجا لاخص الخاصة فالاول نصيب
الابدان من الخدمة والثاني نصيب القلوب من العلم والمعرفة و
الحكمة والثالث نصيب الارواح من المكاشفة والمشاهدة قال
القشيري الشريعة امر بالتزام العبودية والحقيقة مشاهدة الربوبية
فكل شريعة غير مؤيد للشريعة فغير مقبول وكل حقيقة غير مقيدة
بالشريعة فغير محصول فالشريعة قيام بما امر والحقيقة لما قضى
وقدر واخفى واظهر والشريعة حقيقة من حيث انها وجبت
بامره والحقيقة ايضا شريعة من حيث ان المعارف به سبحانه وجبت
بامره رواه ابو داود وهو الامام ابو سليمان بن الاشعث السجستاني
كان من فرسان الحديث قيل الين لابي داود الحديث كما الين
لداود عليه السلام الحديد ولد سنة اثنتين ومائتين وتوفي
بالبصرة سنة خمس وسبعين ومائتين والترمذي سبق ذكره
وقال اي الترمذي حديث اي هذا حديث حسن صحيح ومرجح
جمعهما وجمعهما هو الموجود في الاصول المعتمدة وفي شرح ابن حجر
حديث حسن وفي نسخة حسن صحيح هكذا هو كتاب الاربعين
انتهى ورواه احمد وابن ماجه وابو نعيم وقال حديث جيد
من طريق الشاميين هذا ولفظ ابي داود قال صلى بنا
ذات يوم ثم اقبل علينا فوعظنا موعظة بليغة ذرفت منها
العيون ووجلت منها القلوب فقال قائل يا رسول الله
كان هذا موعظة مودع فماذا تعهد الينا قال اوصيكم
بتقوى الله والسمع والطاعة وان عبدا حبشيا فانه من
يعش منكم بعدي فسيرى اختلافا كثيرا فعليكم بسنتي
وسنة الخلفاء المهديين الراشدين تمسكوا بها وعضوا
عليها بالنواجذ واياكم ومحدثات الامور فان كل محدثة

بدعة وكل بدعة ضلالة ولفظ الترمذي نحو هذا لكن بعد صلوة الغدوة
وفيه وان حبشيا وفيه واياكم ومحدثات الامور فانها ضلالة فمن
ادرك ذلك منكم فعليه بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين
عضوا عليها بالنواجذ وفي بعض الطرق ان هذه موعظة مودع
فما تعهد الينا قال تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها فلا
يزيغ عنها الا هالك ومن يعش منكم فسيرى اختلافا كثيرا فعليكم
بما عرفتم من سنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا
عليها بالنواجذ وفي بعضها فان كل محدثة بدعة وكل بدعة
ضلالة وكل ضلالة في النار اي صاحبها من فاعل ومتبع لها
وزاد ابن ماجه اخر الحديث فانما المؤمن كالجمل الانف حيثما
قيد انقاد وقيل هذه الزيادة مدرجة وبهذا تبين ان
المص رحمه الله ما اتى بلفظ ابي داود ولا بلفظ الترمذي كما لا
ولا جمع بينهما اجمالا فلعله اطلع على رواية لاحدهما وفق ما ذكره
عنهما

التاسع والعشرون

عن معاذ
اي ابن جبل كما في نسخة رضي الله عنه قال قلت صدر الحديث
قال بينما نحن نخرج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة
تبوك وقد اصابنا الحر وتفرق القوم فاذا رسول الله صلى
الله عليه وسلم اقربهم مني فدنوت منه وقلت يا رسول الله
اخبرني بعمل اي قليل او جليل او معتبرة الشرع جميل فلا يرد
ما ذكره المظهر من انه اذا جعل يدخلني جواب الامر يبقى بعمل
نكرة غير موصوفة وهي لا تفيد يدخلني الجنة بالرفع على
انه صفة عمل فان العمل اذا لم يكن بهذه الحيثية كان لا عمل في
الحقيقة وقيل بالجزم على انه جواب الامر اي اخبرني بعمل ان
تخبرني به يدخلني الجنة يعني ان الخبر وسيلة للعمل والعمل
ذريعة للادخال وعلى كل تقدير اسناد الادخال الى العمل اسناد الى السبب

اما مخصصة او
مادحة او كاشفة

او شبه العمل لكونه سببا للمطلوب بالفاعل الحقيقي ولا يبعد ان يكون
التقدير يدخلني الله به الجنة قال السيد جلال الدين الرواية الصحيحة
المشهورة فيه يدخلني بالرفع على انه صفة لقوله بعمل ولا يحسن الجزم
على جواب الامر اذ ليس الاخبار سببا لادخال الجنة وقد وجه الجزم بانه ح
على تقدير صحة الرواية بانه جزاء لشرط محذوف تقديره اخبرني بعمل
ان عملته يدخلني الجنة والجملة الشرطية باسرها صفة لعمل
او جواب للامر وتقريره ان اخباره صلى الله عليه وسلم لما كان وسيلة
الى عمله وعمله ذريعة الى دخول الجنة كان الاخبار سببا في الجملة
فعلى هذا يكون الترتيب من باب اقامة السبب الذي هو الاخبار
مقام المسبب الذي هو العمل لان العمل هو السبب ظاهرا لا الاخبار
لان الاخبار انما يكون سببا للمخاطب اذا كان المخاطب مؤمنا معتقدا موافقا
كقوله تعالى قل لعبادي الذين امنوا يقيموا الصلوة قال ابن
الحاجب يقيموا جواب قل اي قل لعبادي يقيموا وما اعترض
عليه من ان الاقامة ليست لازمة للقول ليس بشيء لان الجواب
لا يقتضي الملازمة العقلية وانما يقتضي الغلبة وذلك حاصل
فان امر الشارع صلى الله عليه وسلم للمؤمنين باقامة الصلوة
يقتضي اقامة الصلاة منهم غالبا ويباعدني من النار اي و
يبعدني منها واخرج على صيغة المغالبة للمبالغة في البعد ثم
القصد دخول الجنة من غير سابقة عقوبة فالواو لمطلق
الجمعية ولعل تقديم الدخول للاهتمام بحصول الوصول
وللايماء الى غلبة الرجاء بناء على الحديث القدسي والكلام
الالهي سبقت رحمتي غضبي هذا وفي كلام اهل التحقيق
ان الجنة جنة الوصول الى معرفة ذات الله وصفاته وافعاله و
مصنوعاته من الملائكة الكروبية والروحانية وطبقات الارواح
العلوية وعالم السموات وما فيها من الانوار الملكوتية والاسرار الجبروتية

الكروبيون هم ملائكة العذاب والروحانيون هم ملائكة الرحمة والمقربون الى الله ملائكة العرش ومنهم الروحانيون وامام الملائكة في البيت المعمور اسرافيل والملائكة المقربون جبريل وميكائيل وعزرائيل ح

بحيث

١٣٨

بحيث يصير روح السالك كالمرآة المحاذية لعالم القدس وخطرة الانس
واشجارها الملكات الحميدة والاخلاق السعيدة وثمراتها المكاشفات
والمشاهدات والاشارات وغيرها من المواهب اللدنية والمراتب
العذبة ومن رضي بالجنة الحسية فهو ابله ومن اعرض عن الحق
واشتغل بالخلق وانتقل من روح المحبة والقربة الى سيئات القهر
والبعد والطرد والحط عن الجهة العلوية الى عالم النار المعنوية
يعذب بنار روحانية ناشئة من استيلاء صفات القهر الالهية
فيكون اشد وادوم ايلاما من النار الجسمانية لان حرارتها تابعة
لنار روحانية ملكوتية هي شرر من نار غضب الله بعد تنزلها في
مراتب كثيرة كتنزلها في مرتبة النفس بصورة الغضب وهي غير متناهية
وهذا معنى ما يقال ان نار جهنم غسلت بالماء سبعين مرة ثم انزلت
الى الدنيا لتمكن الانتفاع بها قال لقد سالت وفي نسخة لقد سالتني
عن عظيم اي شيء عظيم وامر جسيم او عن عمل عظيم لانه يطابق السابق
واللاحق او عن عمل عسير لقوله وانه ليسير اي هين على من
يسره الله تعالى عليه اي سهله لديه بالتوفيق له على التسبب
الاوامر واجتناب الزواجر تعبد الله استيناف و[illegible]
لذلك الامر الخطر او العسير الذي مع التوفيق يسير وهو
خبر معناه امر وعدل عن صيغته تنبيها على ان [illegible]
كانه متسارع الى امتثال الامر وهو مخبر عنه اظهارا [illegible]
والشعار للرهبة او التقدير هو ان تعبد الله [illegible]
ان ورجح الفعل الى رفع بناء على اصله كما قرر في محله قوله
والمراد بالعبادة التوحيد لقوله ولا تشرك به شيئا للتاكيد
او الاعم منه ليعم امتثال كل المامور واجتناب كل محذور
والضمير في به اما ان يعود الى الله او الى العبادة والثاني
اعلى لانه اذا لم يشرك في العبادة فلان [illegible] بالله اولى

وفي بعض النسخ لا نشرك بالله شيئا فالجملة حالية ثم شيئا
يحتمل المصدرية والمفعولية اى شيئا من الشرك جليا او خفيا
او شيئا من الاشياء لقوله تعالى فمن كان يرجوا لقاء ربه فليعمل
عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه احدا والعبادة هي الغاية
القصوى من ابداع الخلق وارسال رسل الحق كما يشير اليه قوله
تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون ولما كانت العبادة
متوقفة على المعرفة او منتجة لها قال ابن عباس اى ليعرفوت
وفي الحديث القدسي كنت كنزا مخفيا فاحببت ان اعرف فخلقت
الخلق لان اعرف وايضا اذا فسر العبادة بالمعرفة استقام
الحصر في الاية فكلما ازداد معرفة ازداد عبودية ولا ينفك العبد
عن العبادة ما دام حيا لقوله تعالى واعبد ربك حتى ياتيك اليقين
اى الموت باتفاق المفسرين بل في برزخ عليهم عبودية اخري
حين سأله الملكان عن ربه ودينه ونبيه وفي القيمة يوم
يكشف عن ساق ويدعون الى السجود واذا دخل الجنة كانت
عبوديه التسبيح والتحميد مقرونا بانفاسه على وجه التابيد
قال تعالى دعويهم فيها سبحانك اللهم وتحيتهم فيها سلام
واخر دعويهم ان الحمد لله رب العالمين وقالوا الحمد لله الذي
هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله وقالوا الحمد لله الذي
اذهب عنا الحزن ان ربنا لغفور شكور الذي احلنا دار المقامة من
فضله لا يمسنا فيها نصب ولا يمسنا فيها لغوب والحاصل
انها ليست بدار تكليف بل دار تشريف وفي كلام الصوفية
ان العبادة حفظ الحدود والوفاء بالعهود وقطع العلائق ودفع
العوائق والفناء عن مطالعة الخلق الى مشاهدة الحق ولها
ثلاث مراتب لانه اما ان يعبده رهبة من العقاب ورغبة في
الثواب وهو المسمى بالعبادة وهذه لمن له علم اليقين او يعبده

ترقى

تشرفا بعبادته وتلذذا بطاعته وتسمى بالعبودية وهذا لمن له
عين اليقين او يعبده لكونه الها وكونه عبدا والالوهية توجب
العبودية وتسمى بالعبوده وهذا لمن له حق اليقين والشرك روية
ضر او نفع او اعطاء او منع ممن سواه واثبات وجود غير الله
ذاتا وصفة وفعلا بل الغفلة عن الله بخطور ما عداه كما قال
العارف ابن الفارض ؎ ولو خطرت لي في سواك ارادة
على خاطري سهوا حكمت بردتي ونقيم الصلوة اى المكتوبة
من باب عطف الخاص على العام ان عمم العبادة تنبيها على انافتها
وشرافة ما بعدها من قوله وتؤتي الزكوة وتصوم رمضان
وتحج البيت فعلم ان دخول الجنة بطريق الاولية متوقف
على تلك الاعمال الجلية وامثالها من الاحوال الرضية وهذا
الحكم يعم كل مومن وان خص معاذ بالخطاب لان العبرة بعموم
الالفاظ لا بخصوص الاسباب ثم قال اى بعد ذكر الفرائض
المذكورة وامثالها تنبيها على تادية النوافل الاتية لاكمالها
الا ادلك همزة الانكار دخلت على فعل منفي ليفيد تحقيق الاثبات
اى لا ينبغي لي مع اني مرشد مكمل لغيري ان لا ادلك على ابواب
الخير اى الطرق الموصلة اليه وفيه ان التشويق الى ما
سنذكر قبل ذكره ليكون اوقع في النفس حال حصوره الخير
بدار فيها كل ما تتمناه النفس وتهواه والمراد انواعه
من جنس عبادة مولاه فان الصوم والصدقة والتهجد شديد
على النفس غاية الشدة فمن اعتادها يسهل عليه صنف
من العبادة لان الاعمال اما بدنية او مالية فالصدقة طاعة
مالية والصوم وصلوة الليل عبادة بدنية نهارية وليلية
ولا يبعد ان يكون الاستفهام للاستعلام وانما لم يتوقف صلى الله
عليه وسلم حتى يقول معاذ بلى كما في السوالين الاتيين تنبيها

نسخة ح

كل ح

على انه لا ينبغي ان ينتظر تصدقه اهتماما واعتبارا بمضمون تحقيقه وفي
رواية ابن ماجه الا ادلك على ابواب الجنة الصوم يعني وهي الصوم
والصدقة والصلاة في الليل واراد به صوم النفل لتقديم الفرض
الان ووصف بوصف يعم وغيره او يعرض بالاولى فاللام تدل على
المضاف اليه او للعهد الخارجي جنة بضم الجيم اي سترة من سورة
الشهوة في الدنيا ووقاية من النار في العقبى كالترس فمن كان
الصوم جنته يسد طرق الشياطين في قلبه عن جنته وبعد
ازالة ظلمتهم يرى بنور الغيب خزائن لطائف حكم الصفات
فيستنير بانوارها عن جميع المخالفات والافات والصدقة
اي النافلة تطفي الخطيئة اي تمحو اثرها وتذهب امرها اذا كانت
صغيرة متعلقة بحق الله تعالى واما اذا كانت من حقوق العباد
فيدفع تلك الحسنة الى خصمه عوضا عن المظلمة واستعير الاطفاء
لمحو الخطيئة بقرينة قوله كما يطفئ الماء ما مصدرية اي اطفاء
مثل اطفاء الماء النار لتنافي اثارهما بايجاد الله فيهما اذ الاشياء
لا تعمل بطبعها فلا الماء يروي ولا الخبز يشبع ولا النار تحرق
ولا الماء يغرق والحديث مستفاد من قوله تعالى ان الحسنات
يذهبن السيئات الان من القواعد المقررة ان الامور المكفرة انما
هي للصغيرة من حقوق الله واما الكبيرة فلا بد لها من التوبة بشروطها
واما الحقوق المتعلقة بالعباد فلا بد من ارضائهم بعد التوبة
وصلوة الرجل اي الكامل في الرجولية ومن في معناه من الاناث
اذا كانت في مقام العبودية قال تعالى وكانت من القانتين
في جوف الليل كذا في اصلنا المقروء على المشايخ المعتبرة وفي
بعض النسخ من جوف الليل وادعى الكازروني انه الرواية فيكون
من ابتدائية او تبعيضية او مرادفة ظرفية كما في قوله تعالى
اروني ماذا خلقوا من الارض واطلاق الجوف مجاز والمراد وسط

اواخر

اواخره او اثناؤها فيشمل اوله فيعم صلوة الاوابين والمتهجدين
ويحصل فضل قيامه بصلوة ركعتين لخبر من قام من الليل قدر حلب شاة
كتب من قوام الليل وافضل اجزائه ما ورد عنه صلى الله عليه وسلم افضل
الصلوة صلوة اخي داود كان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه
وهو الذي واظب عليه النبي صلى الله عليه وسلم والمعنى ان صلوة الرجل
في الليل من ابواب الخير اذ تدخل الجنة وتباعد النار او كذلك يطفئ
الخطيئة قاله البيضاوي وهو الاظهر وقال الطيبي
الاولى ان نقدر الخبر شعار الصالحين كما في جامع الاصول وفيه
انه لا قرينة لهذا القدر بخلاف ما سبق فتدبر فقيل الاولى ان يقال
حذف الخبر منه اشعارا بان لها فضلا كثيرا واجرا عزيزا لا يكتنه كنهه
ولا يمكن التعبير عنه اي صلوة الرجل في جوف الليل لا يعلم نفس ما اخفي
لها ولهذا استشهد بالاية في حقها كما قال الراوي ثم تلا اي قرا
النبي صلى الله عليه وسلم تتجافى جنوبهم قال الراوي حتى بلغ يعملون
اختصارا اي تتنحى وتتباعد وفي اسناد الفعل الى الجنوب نكتة لطيفة
لا يخفى اذ الاصل يقومون عن النوم ويبعدون جنوبهم عن المضاجع
اي المفارش يدعون ربهم ان يعبدونه او يطلبونه خوفا من سخطه
وطمعا في رحمته ومما رزقناهم ينفقون في سبيل مرضاته فلا تعلم
نفس لا ملك مقرب ولا نبي مرسل ما اخفي لهم من قرة اعين مما
تقر به اعينهم سرورا من الثواب وقرا حمزة اخفي بصيغة المتكلم
وفي الحديث القدسي كما في الصحيحين اعددت لعبادي الصالحين
ما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر واقرؤا ان
شئتم فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين ثم قيل هذا كناية
عن الصلوة بين المغرب والعشاء وقيل عن صلوة العشاء والصبح
بجماعة والجمهور على ان المراد بها صلوة التهجد وهو الصلوة بعد
القيام من النوم كما يشير اليه قوله تتجافى جنوبهم عن المضاجع

ولانه وقت اخفاء العمل المرتب عليه اخفاء الاجر كما قال تعالى
جزاء بما كانوا يعملون اى خذوا جزاء وفاقا وقد جاء في الخبر
ان الله يباهى الملائكة بقوام الليل في الظلام يقول انظروا الى عبادي
قد قاموا في ظلم الليل حيث لا يراهم احد غيري اشهدكم اني قد
اكرمتهم دار كرامتي هذا وقدم الصلوة على الزكوة والصوم
اولا وعكس ثانيا لان الاول سوق لبيان امر الدين فقدم الاهم
فالاهم والثاني لتكميله فالترقي اولى وفيه ايماء الى ان ذكر التدلي
موجب لهذا الترقي ثم اعلم ان ترك قيام الليل مكروه ففي الصحيح عن ابن
مسعود قال ذكر عند رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل نام حتى
اصبح فقال ذاك رجل بال الشيطان في اذنيه او قال في اذنه
ثم قال الا اخبرك برأس الامر اى الذى سألت عنه او باصل امر الدين
واساسه المحكم المبين وعموده اى عماده المتين المعين على
تحصيل مقام اليقين وذروة سنامه بكسر الذال وضمها اى اعلاه
قال المص وهو موافق لما في القاموس وشروح الشاطبية وكان
قياس امثاله من نحو جذوة واسوة وقدوة انه يجوز فتحها ايضا
والسنام بفتح اوله ما ارتفع من ظهر الجمل قرب عنقه
قلت بلى يا رسول الله قال رأس الامر الاسلام وهو الاقرار بكلمتي
الشهادة الذي عليه مدار الاحكام وهو من باب تشبيه المقلوب
مبالغة في تحقيق المرام اذ المقصود تشبيه الاسلام برأس الامر
ليشعر بانه من سائر الاعمال بمنزلة الرأس من اعضاء الجسد
في احتياجها اليه وعدم بقائها دونه اولان الطرف الاعلى اولانه
رئيس الاعضاء وفيه ايماء الى ان الايمان بمنزلة الروح والجنان
وعموده اي ما يقوم به الدين ويرتفع به اساس اليقين كعمود
الخيمة وهو الخشب الذي عليه مدار اعتمادها الصلوة وروى
البيهقي عن عمر مرفوعا الصلوة عماد الدين وزاد الفقيه ابو الليث

الترمذي

الترمذي فمن اقامها فقد اقام الدين ومن هدمها فقد هدم الدين
ولانها ام العبادات وناهية السيئات وذروة سنامه الجهاد
لانه به رفعة العباد وسلامة البلاد من ملامة الفساد والحاصل
ان العبد ما لم يقر بكلمتي الشهادة لم يكن له شئ اصلا من اثار
السعادة واذا اقر بهما حصل له اصل الدين الا انه ليس له كمال
وقوة في اليقين كالبيت الذي ليس له العمود المتين فاذا صلى
وداوم على صلاته قوى دينه في حد ذاته ولكن ليس له رفعة وكمال
في صفاته فاذا جاهد حصل له الرفعة في حالاته والعزة في مقاماته
وقد روى ابو داود ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال اذا تبايعتم بالعينة واخذتم اذناب البقر ورضيتم
بالزرع وتركتم الجهاد سلط الله عليكم ذلا لا ينزعه حتى ترجعوا
الى دينكم وهذا من فروض الكفاية والصلوة من فروض الاعيان
والاسلام اظهار الايمان فما احسن هذا الترتيب في معرض البيان
ثم الجهاد انواع منها الجهاد مع الكفار ليكون الدين كله
لله الواحد القهار ومنها جهاد النفس بحملها على اتباع
الاحكام والمواظبة على شرائع الاسلام والاندراج الاول في
الثاني بحكم الاغلب الاكثر ورد في الخبر رجعنا من الجهاد الاصغر
الى الجهاد الاكبر ولان النفس اعدى عدوك التي بين جنبيك
وقد قال تعالى يا ايها الذين امنوا قاتلوا الذين يلونكم من
الكفار وليجدوا فيكم غلظة ولان العدو الخارجي يتصور قتله
وهذا العدو الداخلي لا يمكن دفعه ولا رفعه ولان الجهاد مع الكفار
يكون في بعض الاوقات ومعها دائما في كل الحالات ومن جميع الجهات
ومنها جهاد القلب بتصفيته عن الاوزار وقطع تعلقه
عن الاغيار ومنها جهاد الروح وهو بافناء الوجود واستغراقه
في بحر وجود الواحد القهار ثم اعلم ان متن الاربعين على ما في النسخ

[illegible]

المعتبرة والشروح المشتهرة وفق ما قررته في ضمن ما حررته
وقد سقط من اصل الفاكهاني ومن تبعه مع احتمال
انه من سهو الكتّاب او من صاحب الكتاب واعتمد عليه ابن حجر
واعترض على المص بانه غفلة منه في كلامه وكان انتقل نظره من
سنامه الى سنامه او قلد فيه الحافظ ابن الصلاح فانه لما ذكر
الاحاديث التي قيل انها اصول الاسلام ذكر هذا الحديث
في جملتها بالاسقاط المذكور لكن له عذر لابن ماجه ذكره كذلك
فلا اعتراض عليه هنالك لانه لم يلتزم رواية شخص بخصوصها
بخلاف المص فانه انما ساق لفظ الترمذي كما سيذكره ويقع
في بعض نسخ المتن ذكر ذلك الاسقاط فيحتمل ان المص
تنبه له بعد فالحقه ويحتمل انه من جعل بعض تلامذته او
غيرهم انتهى وما جوّز ان الغلط منه او ممن نقله عنه مع انه
انسب والى المقام الادب اقرب واى مانع من ان يكون للترمذي
روايتان احدهما موافقة لرواية ابن ماجه مع ان قوله اسقط منه
ما لا يتم الكلام بدونه ومع ذلك لم يتنبه له اكثر الشراح ممنوع
لما قدمناه من رواية المتون والشروح ولما اقرّ بنفسه ان رواية
ابن ماجه هكذا فدل على انه يتم المرام بدون ذلك الكلام وهو
انه عليه السلام اراد براس الامر وعموده وسنامه كلها الجهاد
ولهذا قال بعض الشراح الجهاد بالقتال لا يقاومه شئ
من الاعمال ولعله اراد بها الفروض الكفاية والا فقد ورد انه
يوزن مداد العلماء ودم الشهداء يوم القيمة فيرجح مداد
العلماء على دماء الشهداء ومن المعلوم ان اعلى ما في الشهيد دمه
وادنى ما في العالم مداده ولهذا قال الشافعي طلب العلم
افضل من صلوة النافلة مع ان الصلوة افضل العبادات
عنده وروى مرفوعا ما جميع اعمال البر في الجهاد الا كنفثة

في بحر وما جميع اعمال البر والجهاد في طلب العلم الا كنفثة في بحر و
قال ابن هبيرة في كتابه اجماع الائمة الاربعة اختلفوا
في افضل الاعمال بعد الفرايض فقال الشافعي الصلوة افضل
الاعمال البدنية وقال احمد لا اعلم بعد الفرايض افضل من
الجهاد واما مالك وابو حنيفة فمذهبهما انه لا شئ بعد
فروض الاعيان من اعمال البر افضل من العلم ثم الجهاد
ثم قال اى النبي صلى الله عليه وسلم عليه السلام بعد تكميل جوامع الارشاد
وتمهيد قواعد الاعتقاد فذلكم في ضمن كلام جامع تتميما للمراد
الا اخبرك بملاك ذلك وهو ما به احكام الشئ وقوامه الذي
يملك به ويعتمد عليه في امره واهل اللغة يكسرون الميم ويفتحونها
لكن الرواية بكسرها والاشارة الى ما ذكر واكده بقوله كله لئلا
يظن خلاف الشمول والمعنى بما يقوم به تلك العبادات باسرها
وقال المص ملاك الشئ بكسر الميم اى مقصوده وخالفه ابن حجر
وقال بفتح الميم وكسرها اعتمادا على اللغة والدراية لا استنادا
بما ثبت في الرواية قلت بلى يا رسول الله فاخذ اى النبي عليه السلام
بلسانه لقلة مقاصده وكثرة مفاسده ولذا ورد من صمت نجا
والباء لتضمين معنى التعلق او زائدة لتاكيد التعديه والمعنى
امسك لسان نفسه وقيل لسان معاذ وقال وفي نسخة فقال
وفي اخرى ثم قال وفي بعضها بدون العاطف لكن الرواية
على الاول كف عليك هذا بضم الكاف وتشديد الفاء
المفتوحة على انه امر ويجوز ضمها وكسرها بحسب اللغة ووضع
على موضع عن فانها تاتى بمعنى المجاوزة كقول القائل اذا
رضيت على بنو قشير اى امنع عنك افة هذا اللسان او
ضمن كف معنى احبس اى احبس عليك لسانك والزم شانك
ففي الحكم لسانك اسدك ان اطلقته فرسك وان امسكته حرسك

وكان الصديق رضي الله عنه يمسك لسانه ويقول هذا الذي
اوردني الموارد ويقول يا ليتني كنت اخرس الا عن ذكر الله
وقيل المعنى امتع لسانك عن الشر فلا تتكلم الا بالخير
فان من كثر كلامه كثر سقطه ومن كثر سقطه كثرت ذنوبه
ومن غلب لفظه كثر غلطه اولا تتكلم بما يحدث في نفسك ويخطر
ببالك من الوساوس النفسانية والهواجس الشيطانية
فانك غير ماخوذ به ما لم يظهره لما روي ان الله تجاوز عن امتي
ما وسوست به صدورها ما لم تعلم او تتكلم او لا تتفوه بما
ستره الله عليك فان التوبة عنه ارجى قبولا والعفو عنه اقرب
وقوعا وفي عدم الاكتفاء بالقول واخذ اللسان باليد والاشارة
اليه بهذا دون اسمه تنبيه على ان امر اللسان صعب الشان
ففي صحف ابرهيم عليه السلام ينبغي للعاقل ان يكون مقبلا
على شانه حافظا للسانه عارفا باهل زمانه وافات اللسان
كثيرة فمن اراد الاستيفاء فعليه بكتاب الاحياء قلت يا
نبي الله وانا لمواخذون بالهمز ويبدل اي معاقبون
او معاتبون بما نتكلم به اي بجميع ما نتكلم به اذ
يبعد ان يكون الراوي لم يعلم تحقق المواخذة بالكذب
والغيبة والبهتان والنميمة وسائر العصيان المتعلقة
باللسان والاستفهام المقدر للاستيناف والتعجب
والاستغراب فقال ثكلتك امك بكسر الكاف الاولى
وفي نسخة زيادة يا معاذ واصل الثكل فقدان المراة ولدها
كانه دعا عليه بالموت بسوء ظنه في قوله والموت يعم كل
احد لا الفناء فاذن الدعاء به كلا دعاء او اراد انك اذا
كنت هكذا فالموت خير لك لئلا تزداد سوءا في عملك
طول اجلك والاظهر ان ظاهره الدعاء بالموت

اى اتعزم على قولك وانا م

لكنه

يكب

لكنه غير مراد بل هذا مما جرت به عادة العرب في موضع التعجب او
للتحريض على التيقظ في مقام الادب او الاستعظام لشيء من
المرام بحسب مقتضى المقام او المعنى فقدتك لانك لفقدك
ادراك المواخذة بذلك مع ظهورها هنالك وهل يكب الناس
بفتح الياء وضم الكاف على ما قاله المص والاستفهام للانكار اي
ما يلقي اكثرهم في النار والواو لمجرد الربط بين الجملتين او للعطف
على مقدر اي هل تظن غير ما قلت وهل يكب الناس فيها على
وجوههم فيه تجريد اذ الكب لا يكون الا عليه او وقع لارادة
المجاز او المراد الكب على تمامه لا على بعضه كما يستفاد من قوله
او على مناخرهم شك من الراوي وهو جمع المنخر بفتح الميم
وكسر الخاء وفتحها ثقبة الانف والمراد هنا نفس الانف
مجازا ولعلهما خصا بالذكر لانهما اول الاعضاء سقوطا
الا حصائد السنتهم جمع حصيدة فعيلة بمعنى مفعولة
من حصد اذا قطع الزرع وهذا من قبيل اضافة اسم المفعول
الى فاعله اي محصودات الالسنة والاستثناء مفرغ فان في
الاستفهام معنى النفي والتقدير لا يكب الناس في النار شيء من
الاشياء الا حصائد السنتهم وهي ما يلتفظ من الكلام القبيح
وهو الكفر والكذب والشتم واللعن والقذف والغيبة
والنميمة والبهتان ونحوها وهذا الحكم بطريق الحصر
وارد على الاغلب الاكثر لانك اذا استقريت لم تجد احدا حفظ
لسانه عما يوجب دخول النار الا النادر من الابرار شبه
اللسان وما يقطع به من القول بحصد المنجل وما يقطع به
من النبات وهو من بلاغة النبوة التي لا مدخل لاحد من
البلغا حيث شبه اطلاق المتكلم لسانه بما يقتضي الطبع
شانه سواء زانه او شانه من غير تمييز بين قبيح القول وحسنه

بفعل الحاصد الذى لا يميز فى الحصاد بين شوك وزرع بل يتناول
الكل بمنجله ولذا قال صلى الله عليه وسلم كفى بالمرء اثما ان
يحدث بكل ما سمع ثم نسبة الكب الى الحصائد مجازية سببية
ولعمرك ان هذه الخاتمة فاتحة السعادة الكبرى فاكرم منها
نسيم الكرامة العظمى لانك اذا نظرت الى الشريعة فكف اللسان
نعم العون على حفظ الجنان ففى الحديث المرفوع المتفق
عليه ان العبد يتكلم بالكلمة من رضوان الله ما لا يلقى
لها بالا يرفع الله بها درجات وان العبد ليتكلم بالكلمة
من سخط الله ما لا يلقى لها بالا يهوى بها فى النار ابعد ما
بين المشرق والمغرب وفى شعب الايمان مرفوعا مقام الرجل
بالصمت اى ساعة افضل من عبادة ستين سنة واذا نظرت
الى الطريقة فهو الركن المشار اليه والقطب المدار عليه
لانه اذا سكت اللسان نطق القلب وحصل له المسامرة مع
الرب ويمطر عليه سحائب الرحمة بقطرات النور ويتلى من الجنود
والحبور واذا نظرت الى الحقيقة فهو انتهاء مراتب
السالكين وغاية مناقب العارفين ولذا ورد من عرف الله
كل لسانه اى عن ذكر غير الله وهو فى مقام المراقبة وكل
لسانه عن الدعوى وهو فى مقام الهيبة وكل لسانه عن نشر
حاله وبيان مقامه وهو منزلة صولة المحبة وعن وصف الله
وثنائه وهو مقام الحيرة فى المعرفة كما قال صلى الله عليه
وسلم فى اقصى الدنو والقربة لما راى الحق بالحق وفنى عن
الصفات الذات ووجد معنى من معالى البقاء لا احصى ثناء
عليك لان ثناءه يصدر عن الحدوثية وثناء الخليقة لا يليق
بكمال الالوهية ثم قطع لسان الثناء بمقراض التنزيه
للاحد بحجز فى جلال الابد واضاف ثناءه تعالى اليه لانه

لا

١٣٢

لانه لا يعرف الله الا هو سبحانه فقال انت كما اثنيت على نفسك
وقد انشد الشافعى فى معنى الحديث ۞ احفظ لسانك ايها الانسان ۞
لا يلدغنك انه ثعبان ۞ كم فى المقابر من قتيل لسانه ۞ كانت
تهاب لقاءه الشجعان رواه الترمذى اى فى جامعه
وقال حديث حسن صحيح بحذف المبتدا وهو هذا وقد رواه البيهقى
فى شعب الايمان باختلاف يسير وفيه الا ادلك على راس الامر و
عموده وذروة سنامه اما راس الامر فالاسلام من اسلم سلم
واما عموده فالصلوة واما ذروة سنامه فالجهاد فى سبيل الله

الثلاثون

عن ابى ثعلبة الخشنى بضم
الخاء وفتح الشين المعجمة وبالنون منسوب الى خشينة
قبيلة معروفة جرثوم بن ناشر بضم الجيم والثاء المثلثة
واسكان الراء بينهما وفى اسمه وفى اسم ابيه اختلاف كثير
ذكرهما المص قيل يبلغ الخلاف اربعين قولا وخشينة بطن
من قضاعة رضى الله عنه كان ممن حضر بيعة الرضوان
تحت الشجرة وضرب له صلى الله عليه وسلم بسهمه يوم خيبر وارسله
الى قومه فاسلموا نزل الشام ومات سنة خمس وسبعين ومرويانه
اربعون حديثا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله
وفى نسخة صحيحة زيد تعالى اى تعظم شانه وترفع برهانه
فرض فرايض اوجب احكاما مقدرة مقطوعة كالايمان و
الاسلام واركانه الاربعة فلا تضيعوها بتشديد التحتية
المكسورة ويجوز تخفيفها مع كسر ما قبلها اى لا تتركوها ولا
تقصروا فى ادائها والفرض لغة القطع والتقدير واصطلاحا
هو ما يمدح فاعله شرعا ويذم تاركه قصدا مطلقا ويرادفه
الواجب وهذا عند الشافعى واما عند ابى حنيفة فالفرض ما
ثبت بدليل قطعى والواجب بدليل ظنى قال ابن حجر قد

ولا تهاونوا فيها نوافلها ولا تعتدوا بها ولا تنقصوا عنها ولا تؤخروها عن اوقاتها صح

يستنبط منه الدلالة لمذهبنا ان الفرض والواجب مترادفان لان
النهي عن التضييع لا يختص بالفرض عنده وهو ما ثبت بدليل
ظني فتفريع فلا تضيعوها على ما قبله ظاهر في شموله
للقسمين قلت وهو كذلك عندنا فان الواجب فرض عملا لا
اعتقادا لان الاعتقاد يحتاج الى دليل قطعي يصلح للاعتماد
هذا وعند العارفين هو معرفة الحق التي هي المقصود من وجود
الخلق كما اشار اليه سبحانه بقوله وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون
قال ابن عباس اي ليعرفون والمعرفة غالبا لا تحصل الا بالمجاهدة
وهي تزكية النفس عن ظلمة اخلاقها من الشمائل وتخليتها عن
اوصاف الرذائل وتحليتها بانوار الفضائل كالتوبة والتقوى
والزهد في الدنيا ودوام الطاعة والاستقامة وسائر اخلاق
الكرام والارتقاء من حال الى حال والتصاعد من مقام الى كمال
حتى تتجلى شمس صفات انوار الجلال ويتجلى طوالع اسرار الجمال
ويستولي سلطان الحقيقة على ممالك الخليقة ويطوى بايدي سطوات
الجود سرادقات الوجود فما بقي الارض ولا السماء ولا الظلمة ولا
الضياء وتلاشى العبد في كعبة العبدية وتودي بفناء الفناء
من عالم البقاء رجعت القبلة الحسية وما بقي الا الله فاينما تولوا
فثم وجه الله وحد بفتح الحاء وتشديد الدال اي بين وعين
حدودا اي احكاما اوامر ونواهي وزواجر ولا ينافي شمولها
لما قبلها وما بعدها فان الحكم على الوجه الاعم هو الاتم فيكون
تعميما بعد التخصيص وتخصيصا بعد التعميم مبالغة مع
قصد التتميم فلا تعتدوها لا تتجاوزوها بل قفوا عندها
فان قيل كيف جلد عمر في الخمر ثمانين وانما جلد رسول الله صلى
الله عليه وسلم وابو بكر رضي الله عنه فيه اربعين قلنا قد قال علي
كرم الله وجهه ان ذلك كله سنة ولعل وجهه قوله عليه السلام

اقتدوا باللذين من بعدي ابي بكر وعمر ولان الناس اكثروا من الشرب زمن
عمر فزاد في جلدهم تنكيلا وزجرا فيكون سياسة سنة وقد امرنا
بالاقتداء به رضي الله عنه وهذا لا ينافي قول علي رضي الله عنه لا يموت
احد في حد وفي نفسي منه شيء الا شارب الخمر فانه لو مات وديته وذلك
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يسنه فانه محمول على ما اذا مات
بسبب زيادة الضرب على الاربعين فانه مورث للشبهة من حيث ان
مرتبة هذه السنة الرضية دون تلك السنة السنية فهي بمنزلة
القطعي والاخرى في مرتبة الظني هذا ما ظهر لي في هذا المقام والله
اعلم بحقيقة المرام فاندفع قول الشارح فيه اشكال قوي لان هذا
ان كان سنة فكيف قال علي اذا مات وديته لانه عليه السلام لم يسنه
وان لم يكن سنة فكيف قال وكل سنة انتهى وقد عرفت مجمل الفرق بين
سنة وسنة فان من السنن ما يكون بدعة ونعم سنة كما قال عمر رضي الله عنه
في صلوة التراويح نعمت البدعة فلا تكون في مرتبة السنة الثابتة
عن صاحب النبوة وقال في النهاية هي الحدود محارمه التي قرنها
بالذنوب والاثام لانها تفصل بين الحلال والحرام فمنه ما لا يقرب
منه كالفواحش قال تعالى تلك حدود الله فلا تقربوها ومنه
ما لا يتعدى كالمواريث وتزويج الاربع قال تعالى تلك حدود الله
فلا تعتدوها وخلاصة الكلام في مقام المرام ان حدود الله منع
من مخالفتها بعد ان قدرها بمقادير مخصوصة وصفات
مضبوطة كتعيين الركعات والاوقات وما وجب اخراجها في
الزكوات واثباتها في الحج بعرفات وسائر المقات وحدود العقوبات
ولما كان العامل بها متصرفا في حيز الحق واذا تعداه وقع في
حيز الباطل فالمنهي هو التعدي قال فلا تعتدوها اي فلا
تتجاوزوا عنها بتركها او لا تجاوزوا ما حد لكم بمخالفة الاموز
وموافقة المحظور الا ان الاحوط انه لا يقرب الحد الذي هو الحاجز

بين الحق والباطل لئلا يقع فيه ولذا قال تعالى فلا تقربوها وسياق
الحديث يقتضي تخصيصها بحد الزنى والشرب والسرقة وامثالها
من الاحكام لئلا يقع نوع تكرار في الكلام ومنه ما ورد حد يعمل
في الارض خير من اربعين صباحا وخبر الطبراني والبزار التي اخذ
بحجزكم اتقوا النار اتقوا الحدود وهذا وفي كلام بعض الصوفية الكرام
ان العبد يتقلب في جميع الاوقات على الحدود اذ لكل عمل حد ولكل وقت حد
ولكل حال ومقام حد فمن تخطاها ولو بشئ قليل فقد ضل سواء
السبيل وحرم اشياء كالميتة والدم ولحم الخنزير ونحوها
فلا تنتهكوها اى لا تتناولوها ولا تقربوها وفي الصحاح انتهاك
الحرمة تناولها بما لا يحل وهي عند الطائفة العليا متابعة الشيطان
والهوى والاقبال على الدنيا والاعراض عن العقبى والغفلة عن
المولى اذ يجب ان ينقلع المحب عن كل مطلوب وينقطع عما سوى
الحق من كل محبوب ولذا قال من بالحق محجوب شعر
بحق الهوى يا اهل ودى تفهموا لسان وجود في الوجود عجيب
حرام على قلب تعرض للهوى يكون لغير الله فيه نصيب
وسكت عن اشياء اى لم يحكم فيها بوجوب او حل او حرمة ونحوها
رحمة لكم مفعول له غير نسيان اى حال كون المسكوت عنها
غير نسيان لاحكامها لا يضل ربي ولا ينسى فلا تبحثوا عنها
اى لا تفحصوا عن احوالها ولا تفتشوا عن احكامها بل احكموا
بالبراءة الاصلية والحل في المنافع والحرمة في المضار في الامور الدينية
والدنيوية ثم النهي يحتمل اختصاصه بزمانه عليه السلام لقوله
تعالى لا تسالوا عن اشياء ان تبد لكم تسؤكم وان تسالوا عنها
حين ينزل القرآن تبد لكم الآية وذلك لان السؤال قد يكون سببا
لنزول شدة الحال بايجاب او تحريم في المال ولذا قال صلى الله
عليه وسلم لمن سال ايجب الحج في العمر مرة او في كل سنة لو قلت نعم
لو جبت

مطلب

لوجبت ولما استطعتم ولحديث ان اعظم المسلمين في المسلمين
جرما من سال عن شئ لم يحرم فحرم لاجل مسالته فقد دل على ان
ثمة اشياء باقية على اصل الاباحة وقد يعرض لها التحريم بالوساطة
وقال بعضهم دل على ان ثمة اشياء لم يذكر احكامها ولا الاحكام
لها ولذا توقف بعض العلماء في حكم بعض الاشياء ويحتمل بقاؤه
على عمومه لان كثرة البحث والسؤال عما لم يذكر في الواجبات
ولا في المحرمات قد توهم اعتقاد ايجابه او تحريمه وقد صح هلك
المتنطعون قالها ثلاثا والمتنطع الباحث عما لا يعنيه وقد سبق
ان من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه ومن ثم قال ابن
مسعود اياكم والتنطع اياكم والتعمق وعليكم بالعتيق يعني
ما كان عليه الصحابة رضي الله عنهم وفيه دليل على انه لا حكم
قبل ورود الشرع قيل وهو الاصح وقيل الاصل الحظر وينسب الى
ابي حنيفة والشافعي واكثر المتكلمين وقيل الاباحة وهو الاظهر
لقوله تعالى هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا وقد خص منه
ما فيه المضرة شرعا وقد حكى بعضهم الاجماع على ذلك
ثم اعلم ان الله تعالى تجلى لعامة عباده بافعاله وآلائه
المنبثة في ارضه وسمائه ولخواص اصفيائه بصفاته العظمى
ولاعظم انبيائه بذاته وحقائق صفاته الحسنى وخصه بذلك
دون غيره من نوع ذاته رحمة لهم غير نسيان لحالهم اذ ما قام
عظيم عند عظمته الا كل وزل وفي جنب عزته ذل وقل والا انقام
كبير دون كبريائه الا هام وخام كما في الحديث القدسي والكلام
الانسي لن يراني حي الا مات ولا يابس الا تدهده ولا رطب الا
تفرق وانما يراني اهل الجنة الذين لا تموت اعينهم ولا تبلى
ابدانهم فلذا قال فلا تبحثوا عنها اى لا تتفكروا فيها
فان الباب الى وصول معرفة كنه الذات مردود والطريق الى

ثمة

ثمن له

اى نقص وجبن
مستأخر

حصول معرفة كنه الصفات مسدود قال تعالى ولا يحيطون
به علما ليس كمثله شئ وهو السميع البصير ففيه الجمع بين
التشبيه والتنزيه وقال بعض العارفين ما خطر ببالك
فالله ما وراء ذلك وفي الحديث تفكروا في آلاء الله ولا تفكروا
في ذات الله شعر العجز عن درك الادراك ادراك
والبحث عن سر ذات الرب اشراك حديث حسن
وصححه ابن الصلاح وحسنه ايضا الحافظ ابو بكر بن السمعان
في اماليه رواه الدارقطني وغيره كالبزار واسناده صالح
والحاكم وصححه ولفظهما عن ابي الدرداء ما احل الله في كتابه
فهو حلال وما حرم فهو حرام وما سكت عنه فهو عفو فاقبلوا
من الله عافيته فان الله لم يكن ينسى شيئا ثم تلا هذه الاية
وما كان ربك نسيا ومن زعم وقفه على ابي ثعلبة فقد ابعد
ولذا قال الدارقطني الاشبه بالصواب المرفوع وهو الاشهر
وكابي نعيم ولفظه عن ابي الدرداء يرفعه ما احل الله في كتابه
فهو حلال وما حرم فهو حرام وما سكت عنه عافية فاقبلوا
من الله عافيته وفي رواية انه قال اتركوني ما تركتكم فاذا
حدثتكم فخذوا عني فانما هلك الذين من قبلكم كثرة مسائلهم
واختلافهم على انبيائهم وان الله سبحانه لما ارسل رسوله وانزل عليه
كتابه وامر بتبليغه الى الامة قال صلى الله عليه وسلم ان الله تبارك
وتعالى امركم باشياء فامتثلوها ونهاكم عن اشياء فاجتنبوها
وسكت لكم عن اشياء رحمة منه فلا تسالوا عنها وذلك كله للرفق
بالخلق ولذا قال قوم لا يجوز سؤال العلماء في نازلة الا بعد
وقوعها وتمسك الظاهرية بهذا الحديث للاقتصار على النصوص
الظاهرة ورد القياس بانواعها الا الجلي لان القياس وهو
الحاق المسكوت عنه بالمنطوق بحكمه في حكم البحث

عن

عنه وقد نهينا عن البحث عما سكت عنه فيكون مردودا عملا بقوله
عليه السلام كل عمل ليس عليه امرنا فهو رد ورد عليهم بان هذا
الاستدلال ظني ودليله العمل بالقياس قطعي لكن قال
الامام حجة الاسلام السكوت عما تكلم فيه السلف جفاء
والكلام فيما سكتوا عنه عناء

الحادي والثلاثون

عن ابي العباس سهل بن سعد الساعدي اي الانصاري كما في
نسخة كان اسمه حزنا فسماه النبي صلى الله عليه وسلم سهلا وهو آخر
صحابي مات بالمدينة سنة احدى وتسعين وهو ابن مائة سنة
وقد احصن سبعين امراة روى له مائة حديث وثمانية وثمانون
حديثا رضي الله عنه كان الاولى ان يقال رضي الله عنهما كما
في نسخة لان اباه صحابي ايضا قال جاء رجل الى النبي صلى الله
عليه وسلم فقال يا رسول الله دلني على عمل اي ارشدني الى عمل
جامع للفضائل ومانع عن الرذائل اذا عملته احبني الله
بارادة الرحمة والمثوبة واحبني الناس بارادة المنفعة
والشفقة والجملة الشرطية صفة عمل والرواية في احبني
بفتح التحتية ويجوز اسكانها فقال ازهد في الدنيا
اعرض عنها ولا تبال باقبالها وادبارها ولا تتصرف فيها
الا بما يعينك ويبعثك على التعظيم لامر الله والشفقة على
خلق الله ومن اشعار الامام الشافعي

أيا نفس يكفيك طول الحياة ... اذا ما قنعت ورب الفلق
رغيف بقوديج يابس ... وماء روي ولبس خلق
وخفش تكنك جدرانه ... فماذا العناء وما ذا القلق

والدنيا عبارة عن الاعيان الثابتة وهي الارض وما عليها
من المواليد الثلاثة وهي الجمادات والنباتات والحيوانات
مما للانسان فيها حظ ولذة مالية او جاهية وله في صلاحها

حزنا وهو الشئ الصعب منه

شغل لحظه اولحظ غيره فيندرج فيه الحرف والصناعات
والزهد عبارة عن عزوف النفس عن الدنيا مع القدرة عليها
لاجل الاخرة خوفا من النار او طمعا في الجنة او ترفعا عن
الالتفات الى ماسوى الحق ولا يكون ذلك الا بعد شرح الصدر
بنور اليقين ولا يتصور ذلك ممن ليس له مال ولا جاه وثمرته
القناعة من الدنيا بقدر الضرورة من زاد طريق العقبى وهو
مطعم يدفع الجوع وملبس يستر العورة ومسكن يصونه عن
الحر والبرد واثاث يحتاج على ما ذكره الامام حجة الاسلام
وفي المنازل ما حاصله من المرام ان الزهد اسقاط الرغبة في
الشئ عنه بالكلفة وهو على ثلاث مراتب الزهد في الشبهة
بالحذر عن معتبة الحق عليه ثم الزهد فيما زاد على بلاغ المعاد
من القوت باغتنام التفرغ الى عمارة الوقت بالاشتغال بالمراقبة
ثم الزهد في الزهد باحتقار ما زهدت فيه بالنسبة الى عظمة
الرب واستواء الزهد وعدمه عنده والذهاب عند اكتساب
اجر بتركها ناظرا بعين الحقيقة الى وحدانية الفاعل الحق
فيشاهد بصرف الله في العطاء والمنع والاخذ والترك
انتهى وعن الامام احمد بن حنبل انه قال الزهد على
ثلاثة اوجه ترك الحرام وهو زهد العوام وترك فضول
الحلال وهو زهد الخواص وترك كل ما هو شاغل عن الله وهو
زهد العارفين وتوضيحه ان الزهد هو الاعراض عن الشئ
لاستصغاره وارتفاع الهمة عنه لاحتقاره ماخوذ من قولهم
شئ زهيد اى قليل وفي خبر انك لزهيد وفي اخر افضل الناس
مؤمن مزهد اى قليل المال وهو باعتبار الحكم انواع احدها
الزهد في الحرام وهو الزهد الواجب على عامة الانام والثاني
الزهد في الشبهة والاشبه وجوبه لانه وسيلة الى اتقاء الوقوع

في الحرام

في الحرام وقد قال عليه السلام من وقع في الشبهات
وقع في الحرام واجتناب الحرام واجب ووسيلة الواجب واجبة
فالزهد في الشبهات ايضا واجب الثالث الزهد فيما عدا
الضرورة من المباحات وهو المراد من هذا الحديث ظاهرا وهو
زهد الخواص العارفين بالله تعالى الرابع الزهد فيما سوى الله
عز وجل من دنيا وعقبى فلا قصد لصاحب هذا الزهد الا القرب
من المولى وهو زهد المقربين هذا وقد قال تعالى قل متاع الدنيا
قليل والاخرة لمن اتقى فلا تغرنكم الحيوة الدنيا وقد روي عن
بعض السلف انه لو كانت الدنيا لؤلؤة يفنى والاخرة خزفة
تبقى لكان ينبغي للعاقل ان يؤثر ما يبقى على ما يفنى فكيف والامر
بالعكس لان الخسيس هو الفاني والنفيس هو الباقي فما لنا لا
نعقل ما يراد بنا وفي حديث رواه الترمذي وابن ماجه مرفوعا
الزهادة في الدنيا ليست بتحريم الحلال ولا باضاعة المال ولكن
الزهادة في الدنيا ان لا تكون بما في يديك اوثق مما في يد الله
وان تكون في ثواب المصيبة اذا انت اصبت بها ارغب فيها لو
انها بقيت لك ورواه احمد موقوفا على ابي مسلم الخولاني بزيادة
وان تكون مادحك وذامك في الحق سواء وقال الفضيل
اصل الزهد الرضى عن الله يعني وهو موجب للرضاء بالقضاء
والاعراض عن دار الفناء والاقبال على دار البقاء واللقاء وعن
علي كرم الله وجهه من زهد في الدنيا هانت عليه المصائب وقيل
ان دنيا كل انسان بحسب حاله حتى ان كلام الفقيه بين طلبته وكلام
الشيخ بين تلامذته دنيا بالنسبة اليهما الا اذا قصد به وجه الله
تعالى ولذا قيل اخر ما يخرج من رأس الصديقين محبة الجاه في
الجاه الاخروي وقيل الزهد في الرياسة اشد منه في الذهب
والفضة وقال سفيان الثوري الزهد في الدنيا قصر الامل

وذامك ح

هانت ح

ليس يأكل الغليظ ولا يلبس العبا ومن دعائه اللهم زهدنا في الدنيا
ووسع علينا منها ولا تزوها عنا فترغبنا فيها وفي حديث
مرسل عن الضحاك رواه ابن ابي الدنيا قيل يا رسول الله من ازهد
الناس فقال من لم ينس القبر والبلى وترك زينة الدنيا وآثر
ما يبقى على ما يفنى ولم يعد غدا من ايامه وعد نفسه من الموتى
وقال ابو عثمان الزهد في الدنيا ان تتركها ولا تبالي بمن اخذها
وقال الجنيد سمعت السري يقول ان الله سلب الدنيا عن اوليائه
وحماها عن اصفيائه واخرجها من قلوب احبائه لانه لم يرضها
الا لاعدائه يعني لقوله تعالى ولولا ان يكون الناس امة واحدة الاية
وقيل الزهد مستفاد من قوله تعالى لكيلا تاسوا على ما فاتكم ولا
تفرحوا بما اتاكم فالزاهد لا يفرح من الدنيا بموجود ولا يتاسف
عليها في مفقود والتحقيق ان المحب للدنيا الذي ذمه الله تعالى انما
هو الذي يلهيه الاعراض الفانية عن الاغراض الباقية ويشغله
حياته العاجلة عن السعي للدار الاجلة بخلاف من كانت الدنيا
معينة له على سلوك طريق العقبى وسبيل محبة المولى وقد جمع
ابو سليمان الداراني انواع الزهد كلها في كلمة فقال هو ترك
ما شغلك عن الله ثم اعلم ان الذم الوارد في الكتاب
والسنة للدنيا ليس راجعا الى زمانها وهو الليل والنهار فان الله
تعالى جعلهما خلفة لمن اراد ان يذكر او اراد شكورا ولا لمكانها
وهو الارض لان الله تعالى جعلها لنا مهادا ولا لما اودع الله
فيها لان كله من نعمه سبحانه قال تعالى هو الذي خلق لكم
ما في الارض جميعا وانما هو راجع الى الاشتغال بما فيها عما خلقنا
لاجله من عبادته تعالى كما قال وما خلقت الجن والانس
الا ليعبدون وصح عن ابن عمر لا يصيب احد من الدنيا شيئا الا
نقص من درجاته عند الله تعالى وان كان عليه كريما ويريده

حديث

اصفيائه

حديث رب كاسية في الدنيا عارية في العقبى وروى الترمذي
ان الله اذا احب عبدا حماه الدنيا كما يظل احدكم يحمي سقيمه الماء
ورواه الحاكم ولفظه ان الله ليحمي عبده الدنيا وهو يحبه كما تحمون
مريضكم الطعام والشراب تخافون عليه وروى مسلم الدنيا
الدنيا سجن المومن وجنة الكافر اي بالنسبة الى ما اعد الله
لهما من النعيم المقيم والعذاب الاليم ومقتضى التشبيه ان المومن
يكرهها والكافر يحبها فمن احبها فليس بمومن كامل لعدم زهده
فيها بل نقل المحاسبي انهم كانوا يزيدون عن الحيوة فيها وهذا
لا يصح الا لموفق قد لاح له من عالم الاخرة لائح فاشتاق الى لقاء
مولاه وغلب شيطانه وهواه وفرغت نفسه عن الدنيا وتقمص
بلباس التقوى فمثل هذا تكون الدنيا له سجنا ومقامه فيها هما
وحزنا لكن المومن صابر على حكم الله وراض بما قدره وقضاه
الى منتهى اجله في هذا الباب وقد قال تعالى لكل اجل كتاب واختلف
هل طلب الموت افضل اشتياقا الى اللقاء ودار البقاء او طلب الحيوة
لزيادة الطاعة والعبادة والدعاء والثناء والافضل التسليم
في مقام الرضا كما ورد في الدعاء اللهم احيني ما كانت الحيوة
خيرا لي وتوفني اذا كانت الوفاة خيرا لي واجعل الحيوة زيادة لي
في كل خير واجعل الموت راحة لي من كل شر وقد قال تعالى
ليبلونهم ايهم احسن عملا قال بعض السلف اي من هو ازهد
في الدنيا وارغب في العقبى وقال بعضهم اكثرهم ذكرا للموت والبلى
وعن ابن مسعود قال دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم وهو
مضطجع وقد اثر الحصير في ظهره فقلت لو نمت يا رسول الله
على ما هو الين من هذا فقال ما لي وللدنيا انما مثلي ومثل الدنيا
كراكب قال في ظل شجرة ثم راح وتركها وعن عمر انه دخل يوما
على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على حصير قد اثر في جنبه فبكى عمر

فقال ما يبكيك يا عمر قال ذكرت كسرى وقيصر عدوى الله في الخز والعز
وانت رسول الله وخيرته من خلقه على هذا فقال افي شك انت يا عمر
اما ترضى ان يكون لهم الدنيا ولنا الاخرة وفي خبر احمد والنسائي
حبب الي من دنياكم النساء والطيب والطعام فاصاب من النساء
والطيب ولم يصب من الطعام وروى الحاكم وصححه انه صلى الله عليه وسلم
قال نعمت الدنيا لمن تزود منها لاخرته حتى يرضى ربه وبئست
الدنيا لمن صدت به عن اخرته وقصرت به عن رضى ربه وفي حديث حارثة
عزفت نفسي عن الدنيا فاستوى عندي حجرها ومدرها وقال الفضيل
لو ان الدنيا بحذافيرها عرضت علي حلالا لا احاسب بها لتقذرتها
كما يتقذر الجيفة وقد ورد مرفوعا ان الله لم يخلق خلقا ابغض
اليه من الدنيا انه منذ خلقها لم ينظر اليها وروى البزار
عن ابي الدرداء قال مر النبي صلى عليه السلام بدمنة قوم
فيها سخلة ميتة قال ما لاهلها فيها حاجة قالوا يا نبي الله
لو كان لاهلها فيها حاجة ما نبذوها قال فوالله للدنيا
اهون على الله من هذه السخلة على اهلها وقد ورد
ان الدنيا مزبلة فلا يدفن احدكم قلبه في المزبلة وعن ابي
هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له ذات يوم
يا ابا هريرة الا اريك الدنيا جميعها قال بلى يا رسول الله قال فاخذ
بيدي واتى واديا من اودية المدينة فاذا مزبلة فيها رؤوس
الناس وعظام الدواب وعذرات وخروق فقال لهم ترون هذه
الرؤوس كانت تحرص حرصكم وتامل امالكم ثم قد عادت عظاما
يلوح ثم هي كائنة رمادا ورفاتا وهذه عظام دوابهم التي
كانوا ينجعون عليها الافاق وهذه الخروق رياشهم ولباسهم
وهذه العذرات الوان اطعمتهم تقذفوها في البطون فعادت
يتحاماها الناس فمن كان باكيا فليبك على هذه فما برحنا حتى

اشتد

اشتد بكاؤنا وقد روى ان ابا بكر كان يكثر في خطبته ما للمرء
والتكبر يدخل احدكم الخلاء كرتين ويغسل الخراء مرتين اما
يرى ما يخرج من انفه وحلقه وما يجتمع في امعائه اما يعرف
المرء قدره قال حتى كان يقذر الينا انفسنا وقد روى
في حديث معناه ان المرء اذا قعد في خلوة بعث اليه ملك يعكس
رقبته حتى يرى ما يخرج من مقعدته ليكون له نظر عبرته الى عاقبة
لذته وقد قال بعض السلف انظروا الى الناس في اعيادهم
هل ترون فيها الا خرقة تبلى وجسدا ياكله التراب في دار البلى
والحاصل ان كمال الزهد هو ان يتنفر نفس السالك عن الدنيا
وما فيها من اللذات والشهوات كما تعاف النفس السالمة عن الافات
مشاهدة القاذورات ومقابلة النجاسات وجاء في الحديث الحسن
الدنيا ملعونة ملعون ما فيها الا ذكر الله وما والاه وعالم او
متعلم وفي رواية الا ما ابتغي به وجه الله وفي خبر الحاكم
ما الدنيا في الاخرة الا كما اذا ادخل احدكم اصبعه في اليم
فما خرج منه فهو الدنيا يحبك الله مجزوم على جواب الامر
او مرفوع على الاستيناف كذا ذكره شارح والظاهر الاول
وكذا الرواية على ما صرح به الكازروني وفيه اشارة الى ان
الزهد من المقامات العليه والحالات البهية لانه جعل سببا
لمحبته تعالى ومفهومه ان محبة الدنيا سبب لبغضه سبحانه
فانه يحب من الطاعه ومحبة الدنيا ومحبة المولى لا يجتمعان لقوله
عليه السلام كما رواه احمد وابن حبان من احب اخرته اضر
بدنياه ومن احب دنياه اضر باخرته فاثروا ما يبقى على ما
يفنى وشبهتها ايضا بالضرتين وبالكفتين ولان حب الدنيا
راس كل خطيئة وبغضها راس كل عبادة ولان القلب بيت الرب
وهو اغنى الشركاء لان له العظمة والكبرياء والمراد بذم الدنيا

محبتها المانعة من سلوك طريق المولى ولهذا قال عليه السلام
نعم المال الصالح للرجل الصالح يصل به رحما ويصنع به
محمودا ولذا شبه العارف الرومي مال الدنيا بماء البحر ولعل
ماخذه قوله سبحانه انما مثل الحيوة الدنيا كماء والسالك
كالسفينة فان دخل الماء فيها اردىها وان كان ما حولها ارسيها
او اجريها وجاء في اثر اذا كان يوم القيمة جمع الله الذهب
والفضة كالجبلين العظيمين ثم يقول هذا مالنا عاد الينا
سعد به قوم وشقي به اخرون وازهد فيما عند الناس من
المال والجاه يحبك الناس لان من نازع انسانا في محبوبه كرهه
وقلاه ومن لم يعارضه فيه احبه وارتضاه ومن كلام الشافعي
ومن يامن الدنيا فاني امنتها ، وسيق الي عذبها وعذابها
فما هي الا جيفة مستحيلة ، عليها كلاب همهن اجتذابها
فان تجتنبها كنت سلما لاهلها ، وان تجتذبها نازعتك كلابها
وقال بعضهم تركت الدنيا لقلة غنائها وكثرة عنائها
وسرعة فنائها وخسة شركائها واخرج الطبراني وغيره
خبر ازهد فيما في ايدي الناس تكن غنيا بغني بما في خزائن الكرم
وقال الحسن لا يزال الرجل كريما على الناس ما لم يعط مما في
ايديهم واذا اعطى فحينئذ يستخفون به ويكرهون حديثه
ويبغضونه وكان عمر رضي الله عنه يقول في خطبته ان
الطمع فقر وان الياس غني وسال ابن سلام كعبا بحضرة
عمر رضي الله عنهم ما يذهب بالعلم من قلوب العلماء بعد
ان حفظوه وعقلوه فقال يذهبه الطمع وشره
النفس وتطلب الحاجات الى الناس وقال اعرابي لاهل
البصرة من سيدكم قالوا الحسن قال بم سادكم قالوا احتاج
الناس الى علمه واستغنى هو عن دنياهم فقال ما احسن هذا

وقال ابو

وقال ابو تراب النخشبي اني لا ينيل الرجل حتى يعف عما في ايدي
الناس ويتجافى ورعا ان يكون منهم والمعنى لا يتعلق بحبهم ولا
ببغضهم كما قال قائلهم ، وما الزهد الا في انقطاع الخلائق
وما الحق الا في وجود الحقائق ، وما الحب الا حب من كان قلبه
عن الخلق مشغول برب الخلائق ، ثم المحبة الالهية في ارادة
المثوبة فهي صفة ذاتية او نفس الاثابة فهي صفة فعلية وقد
تكون محبة العبد له سبحانه لما ابداهم واولاهم من نعمه واحسانه
واليه الاشارة في قوله عليه السلام احبوا الله لما يغذوكم به من
نعمة واليه الايماء في قوله تعالى فليعبدوا رب هذا البيت الذي
اطعمهم من جوع وامنهم من خوف ، ثم الاحسان في الحقيقة
الا الله لانه خالق المحسنين واحسانهم فهو الحقيق بالمحبة
دون من سواه وقد ورد وجبلت القلوب على حب من احسن اليه
ومن محبته محبة من احبه من نبي وملك وولي ونحوه فقد ورد
في الدعاء اسالك حبك وحب من يحبك وحب من يقربني الى
حبك ومن محبته محبة طاعته واجتناب معصيته ولقد احسن
من قال من ارباب الحال شعر ، تعصي الاله وانت تظهر حبه
هذا محال في القياس بديع ، لو كان حبك صادقا لاطعته
ان المحب لمن يحب مطيع ، ولذا قال سهل التستري المحبة
معانقة الطاعة ومباينة المخالفة وقال ابو علي الروذباري
المحبة الموافقة وقال سمنون المحب ذهب المحبون لله بشرف
الدنيا والاخرة لانه عليه السلام قال المرء مع من احب فهم
مع الله تعالى ابدا وقال بعض العارفين مساكين اهل الدنيا
خرجوا منها وما نالوا اطيب ما فيها قيل وما اطيب ما فيها قال
محبة الله والانس به والشوق الى لقائه والتنعم بذكره و
طاعته وشكره وقال اخر يمر لي اوقات اقول فيها ان كان

اهل الجنة فی مثلها انهم لفي عيش طيب وقال سمنون
المحب وكان فوادي خاليا قبل حبكم وكان يذكر الخلق يلهو
ويمدح فلما دعا قلبی هواک اجابه فلست اراه عن فنا ئک
يبرح بليت ببعد منک ان كنت كاذبا وان كنت فی الدنيا بغيرک افرح
وان كان شيء في البلاد باسرها اذا غبت عن عيني لعيني يملح فان
شئت واصلني وان شئت لا تصل فلست ارى قلبي لغيرک يصلح ولم
ايضا وليس لي فی سواک حظ فكيف ما شئت فاختبرني وقال الاستاد
ابو القاسم القشيري في رسالته ما حاصله ان المحبة منه تعالى
للعبد ارادته لانعام مخصوص عليه كما ان رحمته ارادته مطلق الا
نعام فالمحبة اخص من الرحمة وهي اخص من الارادة فارادته
تعالى وان كانت صفة واحدة الا انها يتفاوت بحسب تفاوت
متعلقاتها فعند تعلقها بالعقوبة تسمى غضبا وبعموم النعم
رحمة وبخصوصها محبة ومن العبد له تعالى حالة يجدها في قلبه
تضعف عنه العبارة وتلطف عنه الاشارة وقد يحمله تلک الحالة
على تعظيمه وايثار رضاه وقلة الصبر عنه مع الاستيناس بدوام ذكره
له بقلبه وليست ميلا ولا اختلاطا كيف وحقيقة الصمدية
مقدسة عن اللحوق والاحاطة والمحب بوصف الاستهلاک
فی المحبوب اولى منه بوصف الاختلاط ليس لها وصف ولا حد
اوضح ولا اقرب للفهم من لفظ المحبة انتهى ولما نقل القرطبي هذا
وذكر معه عن بعض ارباب القلوب في محبة العبد لله جل جلاله
حيث فسرها بانها الميل الدائم بالقلب الهائم قال فهولاء
قد صرحوا بان محبة العبد لله ميل وتوقان وحال يجدها في نفسه
من نوع ما يجده في محبوباته المعتادة له وهو صحيح لان النفوس
مجبولة على الميل الى الحسن الجمال والكمال فبقدر ما ينكشف
من ذلک تكون الميل والتعلق هنالک حتى ربما يفضي الى الاستيلاء

ذلک

ذلک المعنى عليه بحيث لا يصبر عنه ولا يشتغل بغيره وذلک الحسن
اما حسي كالصورة الجميلة الانسانية المشتهاه لنيل اللذة
الجسمانية وهذا قطعي الاستحالة في الذات الصمدانية واما
معنوي كمن اتصف بالعلم والحلم والكرم وحسن الخلق فهذا
يميل اليه النفوس الفاضلة والقلوب الكاملة ميلا عظيما فترتاح
لذكره وتهتز لسماع احواله وتشتوق لمشاهدته وتلتذ بمطالعة
ملاحظته لذة روحانية لا جسمانية كما تجد عند ذكر الانبياء
والاولياء والعلماء والشهداء والاسخياء من الميل والرقة الآتية
وان لم تعرف صورتهم الحسية وهذا كلام لا يرده منصف ولا
ينكره الا متعسف ويتضاعف ذلک الميل لوصول برد احسان
من المتصف بذلک الجمال المعنوي الى ان يستغرق فيه بجملة
باله ويذهل عن جميع اشغاله واحواله واذا كان هذا في حق من
جماله وكماله مشوب بنقصه وزواله فمن لا يعرض لكماله
زوال مع انعامه الذي لا يحصى اولى بذلک الميل واحق بذلک
الحب وليس ذلک الا الله تعالى وحده ثم من خصه بالكمال
المطلق والجمال المحقق على سائر من خلق وهو محمد صلى الله
عليه وسلم فمن تحقق بذلک كان الله ورسوله احب اليه
مما سواهما فتاهب للقائهما واتصف بما يرضيهما واجتنب
ما يسخطهما فاقبل عليهما واعرض عما سواهما الا باذنهما
انتهى وقد قيل من سمي باسم الزهد فقد سمي بالف
اسم ممدوح هذا مع ما للزاهد من راحة القلب والقالب
في الدنيا والاخرة فالزهاد هم الملوک على الحقيقة كما قال قائلهم
ارى الزهاد في روح وراحة قلوبهم عن الدنيا مزاحة
اذا ابصرتهم ابصرت قوما ملوک الارض سيمتهم سماحة
وهم العقلاء لايثارهم البقاء على الفناء وكم بين من شغله الله

منزلة منهم
صح

وبين من يشغله هواه تشاغل قوم بدنياهم وقوم تخلوا بمولاهم فالزمهم
باب مرضاته وعن سائر الناس اغناهم حديث حسن رواه ابن
ماجه وهو ابو عبد الله محمد بن يزيد القزويني صاحب السنن وماجه امه
ولد سنة تسع ومائتين ومات سنة ثلاث وسبعين ومائتين
وغيره كالعقيلي وابن عدي وابن ابي حاتم والخطيب باسانيد حسن
اى لغيرها لا لذاتها لان في سندها من طعن فيه جماعة من المحدثين
كاحمد وابن معين وابو زرعة وابي حاتم وابن عدي الا ان ابن حبان
ذكره في الثقات فالحسن لتعدد طرقه في الروايات ففي الجامع
الصغير رواه ابن ماجه والطبراني في الكبير والحاكم في مستدركه
والبيهقي في شعبه كلهم عن سهل بن سعد هذا وفي رواية
مرسلة ان رجلا قال يا رسول الله دلني على عمل يحبني الله عليه
ويحبني الناس عليه فقال اما العمل الذي يحبك الله عليه
فالزهد في الدنيا واما العمل الذي يحبك الناس عليه فانظر الى
هذا الحطام فاطرحه اليهم واخرجه ابن ابي الدنيا ايضا ونقل
غير واحد من الشراح عن الاربعين الودعانية زاد بعض محققيهم
قوله الموضوعة خبر ارغب فيما عند الله يحبك الله وازهد فيما في
ايدي الناس يحبك الله ان الراغب في الدنيا تتعب قلبه وبدنه
في الدنيا والاخرة ليجيئن اقوام يوم القيمة بحسنات كامثال
الجبال فيؤمر بهم الى النار فقيل يا نبي الله اهم مصلون
قال كانوا يصلون ويصومون وياخذون وهنا من الليل
لكنهم كانوا اذا لاح لهم شيء من الدنيا وثبوا عليه انتهى
ولا يخفى انه صحيح المعنى وان كان ضعيف المبنى ونقل بعضهم
خبر ايها الناس اتقوا الله حق تقاته واسعوا في مرضاته
وايقنوا من الدنيا بالفناء ومن الاخرة بالبقاء واعملوا
لما بعد الموت فكانكم بالدنيا ولم تكن وبالاخرة ولم تزل

ان من في الدنيا ضيف وما فيه عارية وان الضيف مرتحل والعارية
مردودة والدنيا عرض حاضر ياكل منها البر والفاجر والدنيا
مبغضة لاولياء الله تعالى محببة لاهلها فمن شاركهم في محبوبهم
ابغضوه وروى احمد والترمذي وابن ماجه من كانت الاخرة همه
جمع الله شمله وجعل غناه في قلبه واتته الدنيا وهي راغمة
ومن كانت الدنيا همه شتت الله شمله وجعل فقره بين عينيه
ولم ياته من الدنيا الا ما قدر له وفي الدعاء الوارد اللهم لا تجعل
الدنيا اكبر همنا ولا مبلغ علمنا وروى الترمذي لو كانت الدنيا
تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافرا منها شربة ماء
واختلف العلماء في ان طلبها لفعل الخير افضل او تركها من
اصلها اكمل والثاني اشهر واظهر لقول عيسى عليه السلام يا
طالب الدنيا لتبر تركك للدنيا ابر ويؤيده قوله تعالى في ذم من يريد
الدنيا لتحصيل البر في العقبى منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد
الاخرة قال ابن مسعود ما كنت اظن ان احدا من الصحابة
يحب الدنيا حتى نزلت هذه الاية ولما قرئت هذه الاية عند الشبلي
قال آه اين من يريد الله وقد اجيب عنه بلطف العبارة وبيان
الاشارة في الجمل ابن حاشية الجلالين ثم اعلم ان مدار الزهد
على عزوف النفس عن الدنيا وشهواتها ولهواتها وهذا امر
متعلق بالقلب ولا يطلع عليه غير الرب ولذا قال ابو سليمان
لا تشهد لاحد بالزهد لانه في القلب وقيل لبعض السلف
من معه مال اهل هو زاهد فقال نعم ان لم تفرح بزيادته ولم
يحزن بنقصه والاظهر ان الزهد يتصور ممن ليس له مال
ولا جاه لان الزهد حال وارد من فيض الرب حال في القلب
يمنعه عن طلب دنياه ومتابعة هواه سواء وجد في حال الفقد
او عرض بعد الوجد نعم من علامة الزهد سبق القدرة على وجود

الدنيا ولذا لما قيل لابن المبارك يا زاهد قال الزاهد عمر بن عبد
العزيز اذ جاءته الدنيا راغمة فتركها اما انا ففيما ذا زهدت
انتهى ولا يخفى ان هذا يحتمل ان يكون منه تواضعًا وانصافًا في
المقال او يراد به كتمان السر واخفاء الحال او يشير الى ان الوجود
شرط الكمال كما حصل لابرهيم بن ادهم ترك الجاه والمال ثم الوجود
اما حقيقي واما فرضي وتقديري بحيث انه لو عرض عليه الجاه
والمال ما مال عن الحال بالانتقال الى مقام النقص والزوال
واما ما نقله ابن حجر عن كثير من السلف من ان عمر بن عبد العزيز
كان ازهد من اويس فلعله محمول على ما قررناه والا فعمر بن عبد
العزيز اختار الجاه الذي هو وسيلة الى المال ولذا هجره بعد
توليته كثير من العلماء والصلحاء من ارباب الكمال واويس
قد بالغ في قلة المال وخمول الحال حيث اختار رعي الجمال
في طريق الحج وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه كل سنة
يتفحص عنه ولم يات الخبر منه الى ان دل عليه انه في نواحي عرفات
فركب هو وعلي رضي الله عنهما فراياه يصلي والجمال ترعى ثم
اجتمعا معه وتعرفا به وطلبا منه الدعاء بالمغفرة وعرض
عليه عمر النفقة والكسوة فاباهما ثم اختفى عن الناس خوفا
من الشهرة والاستيناس بهم في قرنه لا شك انه من ازهد الزاهدين
ولذا ورد في حقه انه خير التابعين هذا وقد قيل عيسى عليه
السلام كان ازهد الانبياء وانه يجوز ان يكون خصلة في المفضول
لا يوجد مثلها في الفاضل وفيه بحث لان نبينا صلى الله
عليه وسلم عرضت عليه الدنيا بحذافيرها فلم يلتفت اليها وما
زاغ بصره وما طغى لديها ففي كتاب الشفا وغيره ان جبرئيل عليه
السلام قال له ان الله يقول لك اتحب ان اجعل لك هذه الجبال
ذهبا وتكون معك حيث ما كنت في طرف ساعة ثم قال

يا جبرئيل

يا جبرئيل ما لي وللدنيا الدنيا دار من لا دار له ومال من لا مال له وقد يجمعها
من لا عقل له فقال له جبرئيل ثبتك الله بالقول الثابت وفي
رواية اخرى اريد ان اجوع يومًا فاصبر واشبع يومًا فاشكر وذلك
لانه كان مظهر الكمال الجامع بين مطالعة الجلال والجمال
معتدلا في الاحوال متوسطا من الخوف والرجاء كما يقتضيه مقام
الرضا بالقضاء وعيسى عليه السلام كان الغالب عليه الخوف ولذا كان
يمتنع عن كثير من متمتعات الحلال وايضا كان مبعوثا الى جمع
محصور من ارباب الجاه والمال فاظهر كمال الزهد فيهم ليقتدوا
به ولذا ظهرت الرهبانية فيهم لكنهم ابتدعوها وما رعوها
حق رعايتها واما نبينا صلى الله عليه وسلم فكان مبعوثا لعامة
الخلق وهو الرحمة للعالمين وقد امره الحق له ان يقول للخلق
قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله فاختار طريقا جامعا
ومسلكا واسعًا يسع الخلق كلهم ان يتبعوه صغيرهم وكبيرهم
وضعيفهم وقويهم وغنيهم وفقيرهم وملوكهم وصعلوكهم
فتارة كان ياكل خبز الشعير اليابس والتمر الردي واخرى ياكل
الرطب الجني والعيش الطري وتارة يلبس الثوب الفاخر واخرى
يلبس الكسا الخلق الظاهر وتارة يرقد على السرير وفراش
الثياب وتارة يضطجع على الحصير او التراب وتارة يلبس القلنسوة
مع العمامة واخرى يكتفي بالقلنسوة وتارة يجعل لها عذبة و
اخرى بغير علامة وتارة يركب الخيل والابل واخرى يركب الحمار وربما
يردف وتارة يمشي منفردا واخرى مع جماعة وتارة يصوم حتى يظن
انه لا يفطر واخرى يفطر حتى يظن انه لا يصوم وكذا في صلوة الليل
تارة يصلي حتى يظن انه لا يرقد واخرى ينام حتى يظن ان لا يصلي
ومع هذا ما احيا الليل كله وربما رقد عن صلوة التهجد فاداها
في النهار وما ذلك كله الا تسهيلا للملة وتهوينا للمبالغة في جميع الامة

نفع

وتارة يعطي عطاء الملوك استغناء الحق واخرى يقترض من يهودي
اظهارا للافتقار وتواضعا مع الخلق كل ذلك ليكون شريعته
سهلة وطريقته سمحة لا فيها عوج ولا حرج ولذا قال
عليه السلام ليذكرن الله اقواما في الدنيا على الفرش الممهدة
يدخلهم الدرجات العلى وفيه دليل على ان الملوك والامراء
ومن يجري مجراهم من الاغنياء لا يمنعهم حشمتهم وتنعمهم عن
ذكر الله تعالى وهم في ذلك ماجورون مثابون يدخلهم الله
برحمته الجنات العلى نعم نبههم على ان الزهد في الدنيا انفع
لهم في مراتب العقبى حيث قال ازهدوا في الدنيا يشبعكم
في الاخرى ونحو ذلك مما فيه بيان الطريق الاولى والاحرى مع ان
شرط صحة التنعم استعمال المباحات دون المحرمات والشبهات كما قال
تعالى قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده والطيبات من الرزق
اي المستلذات من الحلال فهذا كله يدل على ان فقير الصابر افضل   وان كان من الاكابر صح
من الغني الشاكر ومن خالفه فهو المكابر والله سبحانه اعلم بالظواهر
والسرائر وانما اطنبنا الكلام في هذا المقام لان الزهد في الدنيا
امر مهم من انواع المرام ويحتاج اليه الخاص والعام في تفاصيله
من الاحكام ولنختم بالدعاء الوارد عن سيد الانام وهو اللهم
فكما رزقتني ما احب فاجعله قوة لي فيما تحب وما زويت عني
مما احب فاجعله فراغا فيما تحب رواه الترمذي **الثاني و**
الثلاثون عن ابي سعيد سعد بن مالك بن سنان بكسر
اوله الخدري بضم المعجمة وسكون الدال المهملة نسبة الى بني
خدرة قبيلة من الانصار رضي الله عنه ينبغي ان يقال عنهما
كما في نسخة صحيحة لان اباه صحابي ايضا من شهداء احد وابو سعيد
هذا من نجباء الانصار وكبرائهم ومن حفاظ الصحابة
وعلمائهم روى له الف ومائة وسبعون حديثا وقد

روى

روى عنه جماعة من الصحابة والتابعين توفي بالمدينة سنة اربع
وسبعين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا ضرر بفتحتين   في بعض النسخ
ولا ضرار بالبناء على الفتح فيهما رواية ويجوز خمسة اوجه درايةً   زيد في بعض النسخ في الاسلام صح
قال المص لا ضرر بفتح الضاد المعجمة والاضرار بكسر الضاد
المعجمة انتهى فهما مصدران من ضره وضاره بمعنى وهو خلاف
النفع على ما في الصحاح وقال صاحب النهاية الضر والضر ضد
النفع اي لا يضر الرجل اخاه فينقص شيئا من حقه والضرار
فعال منه اي لا يجازيه على اضراره بادخال الضرر عليه فالضرر
فعل الواحد والضرار فعل الاثنين او الضرر ابتداء الفعل
والضرار الجزاء عليه وقيل الضرر ما تضر به صاحبك وتنتفع
به والضرار ان تضره من غير ان تنتفع به يعني فالمغالبة للمبالغة
وقيل هما بمعنى والتكرير للتاكيد انتهى كلام النهاية وقيل
الضرار ان يضر من لم يضره والضرار ان يضر من يضره اي ليس لمن يبتدئ
ان نبتدي احدا بضرر وذلك يشمل ضرر نفسه وضرر غيره وقيل
الضرر الحاق مفسدة بالغير مطلقا والضرار الحاق مفسدة
به على جهة المقابلة اي يقصد كل منهما ضرر صاحبه ويروى
في هذا الحديث ولا اضرار بزيادة همزة في اوله وهو مصدر
اضر به اضرارا او الحق به ضررا بمعنى الضرر قال ابن   فهو صح
الصلاح وهذه الرواية على السنة كثيرة من الفقهاء والمحدثين
ولا صحة لها لكن انتصر لها بعضهم بانها جاءت في بعض
روايات ابن ماجة والدار قطني وفي بعض نسخ الموطأ
وقيل المعنى لا لحوق ضرر شرعا الا بموجب خاص اما
التقييد بالشرع فلان الضرر بحكم القدر الالهي لا ينتفي
واما استثناء لحوق الضرر بموجب خاص فلان الحدود
والعقوبات ضرر لاحق باهلها وهو مشروع بالاجماع انتهى

وخبر لا محذوف اى في ديننا وشريعتنا والاظهر ان هذا نفى معناه
نهي كقوله تعالى لا ريب والمعنى لا تضروا انفسكم ولا غيركم
ولا تضاروا الناس بما فعلوا معكم الا باذن الشرع لكم من غير
تعد عن الحد منكم كما قال تعالى فان عاقبتم فعاقبوا بمثل
ما عوقبتم به فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى
عليكم وجزاء سيئة سيئة مثلها وظاهر الحديث تحريم سائر
انواع الضرر الا الدليل لان النكرة في سياق النفي تعم واعلم
انتفى الضرر فيما عدا ما استثنى لقوله تعالى يريد الله بكم اليسر
ولا يريد بكم العسر يريد الله ان يخفف عنكم وما جعل عليكم في الدين
من حرج وقوله عليه السلام بعثت بالحنيفية السمحاء
السهلة ونحو ذلك من النصوص المصرحة بانه وضع هذه الملة
على تحصيل النفع والمصلحة وصح ان دماءكم واموالكم واعراضكم
حرام عليكم بعضكم على بعض وصح ايضا حرام الله من
المؤمن دمه وماله وعرضه وان لا يظن به الا خيرا وكل ما
جاء في تحريم الظلم من الكتاب والسنة دليل على تحريم المضرة
وقد جاء فيهما النهي عن المضارة في صور خاصة منها
في الوصية فقد اخرج الترمذي وغيره ان العبد ليعمل
لطاعة الله ستين سنة ثم يحضره الوصية فيضار في الوصية
فيدخل النار ثم تلا من بعد وصية يوصى بها او دين غير
مضار الى قوله ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده
يدخله نارا خالدا فيها ومنها في الرجعة قال تعالى ولا
تمسكوهن ضرارا لتعتدوا ومنها في العدة قوله تعالى ولا
تضاروهن لتضيقوا عليهن ومنها في الرضاع قال تعالى لا تضار
والدة بولدها ولا مولود له بولده واما قوله عليه السلام في
الخبر الصحيح لا يمنع احدكم جاره ان يضع خشبة في جداره

فالظاهر

فالظاهر انه من باب مكارم الاخلاق بمعنى لا ينبغي ان يمنع
لا انه يجوز له كرها ان يضع كما اباحه جماعة منهم الشافعي
في القديم ورجع عنه في الجديد حيث قال ليس ذلك لحديث
لا ضرر ولا ضرار مع حديث لا يحل مال امرئ مسلم الا عن
طيب نفس وقد ابعد ابن حجر في تجويز رجع الضمير للجار
في جداره يعني جدار نفسه فان مثل هذه الاحتمال لا يخطر
ببال اهل الكمال والحاصل ان مذهب ابي حنيفة والكوفيين
عدم الوجوب وقال احمد وابو ثور واصحاب الحديث بالايجاب
لظاهر الحديث والله اعلم بالصواب وما الصائل ونحوه
فمخصوص من عموم هذا الحديث ولانه اراد دفع ضرره لا قصد
ضرره وزبدة المرام في هذا المقام انه ينبغي لسالك طريق الحقائق
ان يعاشر الخلائق ويسلك في مصاحبتهم احسن الطرائق
واذا اعتدى عليه احد لا يكافيه وان اساء اليه مسيء فلا
يقابله ولا يساويه بل يتشبث باذيال الكظم والاغماض
ويعتصم بحبل الله في العفو والاعراض حتى يستعبد القلوب
باحسانه ويستميل النفوس الى امتنانه ويكتسب المحبة في الله
المحمودة في الشرائع التي هي من افضل القرب والذرائع
الباعثة للاجتماع في الجوامع لاستنزال الرحمة الالهية و
البركات الشوامع ولذا نقل في عوارف المعارف ان ارتفاع
الاصوات في بيوت العبادات بحسن النيات وصفاء الطويات
يحل ما عقدته الافلاك الدائرات حديث حسن رواه ابن ماجه
اى عن ابن عباس وعن عبادة كذا في الجامع الصغير من اطلاق
المص ايهام انه رواه عن ابي سعيد ولعله وجد رواية عنه ايضا
قيل وفي اسناديهما ضعف وانقطاع والدارقطني اى من طريق
ضعيفة عن ابن عباس واخرى كذلك عن عائشة واخرى عن ابي هريرة

لكن مع شك فيهما وغيرهما كالحاكم في المستدرك وقال صحيح
على شرط مسلم والبيهقي من حديث ابي سعيد والطبراني مرسلا
وابن عبد البر من طريق كثير بن عبد الله وكثير هذا صحح حديثه الترمذي
ويقول البخاري في بعض احاديثه هو اصح حديث في الباب
وحسّن حديث الخرابي وقال خير من مراسيل ابن المسيب وكذا
حسنه ابن ابي عاصم مسندا هو ما اتصل اسناده سواء كان
مرفوعا او موقوفا ورواه مالك اي ابن انس الاصبحي صاحب
المذهب ولد سنة ثلاث وتسعين وحمل به في البطن ثلاث
سنين ومات بالمدينة سنة تسع وسبعين ومائة وله اربع وثمانون
او وتسعون سنة في الموطا بضم ففتح فتشديد مهملة مفتوحة
فهمزة او الف كتاب مشهور عن عمرو بن يحيى عن ابيه عن النبي
صلى الله عليه وسلم مرسلا وهو ان يقول تابعي قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم كذا او فعل كذا وهو اصطلاح المحدثين او عدل
غير صحابي وهو اختيار الاصوليين فقيل يحتج به مطلقا
وهو مذهبنا وعليه الجمهور كما ذكره الامام ابن الهمام وقيل
يرد مطلقا وقال الشافعي يقبل ان اسنده غيره او ارسله
اخر وعلم ان شيوخهما مختلفة او ان يعضده قول صحابي
او يعلم انه لا يرسله الا بروايته عن عدل وقيل ان كان
الراوي من ائمة نقل الحديث قبل والا فلا وهذا هو المختار
على ما ذكره بعضهم فاسقط اي مالك او يحيى ابا سعيد
قال ابن عبد البر لم يختلف عن مالك في ارساله ولا يسند
من وجه صحيح بعني عنه مطلقا والحاصل وله طرق
ان للحديث او لحديث مالك اسانيد كثيرة ضعيفة يقوي
بفتح الياء والواو وفي نسخة يتقوى بعضها ببعض
وفي اخرى يقوى بعضها بعضا من التقوية قال ابن الصلاح

اسنده

اسنده الدارقطني من وجوه متصلا وقال حديث حسن
وقال مرة اسنده من وجوه ومجموعها يقويه ويحسنه وقد
نقله جماهير اهل العلم واحتجوا به فقد قال ابو داود
الفقه يدور على خمسة احاديث وعد هذا منها فهو عنده
غير ضعيف انتهى وممن استدل به احمد قال قال النبي
صلى الله عليه وسلم لا ضرر ولا اضرار بل اسنده السيوطي في جامعه
الصغير الى مسند احمد عن ابن عباس مرفوعا والحاصل
ان طرق هذا الحديث كثيرة وقد قيل في بعضها انه صحيح
فلا اقل من ان يكون حسنا لغيره فيجوز الاحتجاج به حيث
انضم بعضها الى بعضها فان الكثرة يفيد القوة حتى قال
الشافعي على ما نقله ابن حجر في قلتين نجسين اذا ضمت
احديهما الى الاخرى صارتا طاهرتين وهو فرع غريب
من اصل عجيب هذا وفي بعض طرق المسندة من طريق عمرو بن
يحيى بعض الفوائد الزائدة ولفظه لا ضرر ولا ضرار من
ضار ضار الله به ومن شاق شاق الله عليه وفي رواية من
ضار ضره الله ومن شاق شق الله عليه وفي رواية انه
صلى الله عليه وسلم لعن من ضار مسلما او ماكره وفي اخرى
عن ابي بكر رضي الله عنه ملعون من ضار مؤمنا او مكر به قال
ابن عبد البر وسندها وان ضعف لكنه يخاف عقوبة
ما جاء فيه فانه موافق للقواعد انتهى والمراد بالقواعد
القواعد الشرعية او الضوابط الفقهية واما تضعيف
ابن حزم لحديث الكتاب وقوله فيه انه واه فمحمول على سنده
وفق ما عنده مع قطع النظر عن سائر طرقه والا لزم مخالفته
لائمة الحديث

الثالث والثلاثون

عن ابن عباس رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لو يعطى الناس

بصيغة المجهول والمفعول الثانى محذوف بقرينة الجزاء
اى اموال الناس ودماءهم بدعويهم اى بمجرد ادعائهم
من غير تصديق المدعى عليه اوبينة المدعى لادعى رجال
اى ناس كما في رواية واورد بصيغة الجمع لفظا ومعنى اعلاما
باقدام غير واحد منهم على الخصومة والتنكير لقصد الاشاعة
اموال قوم ودماءهم فيقضى الى الهرج والمرج ويقتضي
فى الدين نوعا عظيما من الحرج واخرت الدماء في هذه الرواية
للترقي الى الكمال ولان خصومة الاموال اكثر وقوعا مابين الرجال
ولان الغرض غالبا من خصومة الدماء حصول المال لاسيما
اذاكان المدعون فقراء في الاحوال ثم لفظه لوللدلالة على ان
انتفاء الثاني في الخارج بسبب انتفاء الاول وقد يستعمل
للدلالة على ان الجزاء لازم الوجود في جميع الازمنة اذاكان الشرط
مما يستبعد استلزامه للجزاء ويكون بفتضه انسب بالاستلزام
نحو حديث نعم العبد صهيب لولم يخف الله لم يعصه وهذا عند
اهل العربية واما عند المنطقيه فلو للدلالة على ان العلم
بانتفاء الثاني علة العلم بانتفاء الاول من غير التفات
الى ان علة انتفائه في الخارج ماهى نحو لوكان فيهما الهة
الا الله لفسدتا والقوم وان خص بالرجال لغة كما يدل عليه
قوله سبحانه لايسخر قوم من قوم عسى ان يكونوا خيرا منهم ولا
نساء من نساء الا ان المراد به هنا الجماعة من الرجال والنساء
كما قال تعالى كذبت قوم نوح المرسلين امابالاطلاق الشرعي
واما بالتقليب العرفي او اقتصر في الحديث عليهم لانهم
قوامون على النساء وتابعون لهن ايضا في دعويهم لكن
البينة الرواية بتخفيف لكن لكن يجوز تشديدها وهي
فيعله من البيان وهي ماثبت به الدعوى باعتبار افادة

للبيان

للبيان ويسمى حجة باعتبار انه يغلب به على الخصم فان قيل
لكن معناها الاستدراك وهى انما يكون بين نفى واثبات نحو
ماقام زيد لكن عمرو قام وزيد قام لكن عمرو لم يقم وليست لكن
ههنا كذلك اذ بعدها اثبات ولا نفى هنالك اجيب بانها كذلك
في المعنى اذ معنى قوله لو يعطى الناس بدعويهم لا يعطى الناس
بدعويهم المجردة لكن بالبينة وهى على المدعى وهو المكلف
الملتزم للاحكام الذى يذكر امرا يخالف الظاهر والمدعى عليه
عكسه ولذا جعل البينة على المدعى لانها اقوى من اليمين
التي جعلت على المنكر ليجبر ضعف جنبة المدعي بقوة
حجته وضعف حجة المنكر بقوة جنبته وهذا معنى قوله
واليمين على من انكر اى ان لم يكن للمدعى بينة وتفصيل عدد
البينة في كل قضية محله كتب الفقهية ادعى الشافعية جواز
بالشاهد الواحد واليمين وانكره الحنفية وقد قال ابن المنذر
اجمع اهل العلم على ان البينة على المدعي واليمين على المدعى عليه
هذا وقد قال بعض العلماء ان المراد بفصل الخطاب
في قوله تعالى واتيناه الحكمة وفصل الخطاب هو البينة
على المدعى واليمين على من انكر وقال المص في شرح مسلم هذا
الحديث قاعدة شريفة من قواعد الدين ودلالة على مذهب
الشافعي حيث قال اليمين متوجه على المدعى عليه سواء كان
بينه وبين المدعي عليه معرفة ومداينة ام لا خلافا لمالك واصحابه
والفقهاء السبعة انتهى وكان حقه ان يقول على مذهب الجمهور
فان الشافعي اخذ بقول من قبل في هذه القاعدة لانه اخترع

هذه الفائدة ثم حجة المالكية وفقهاء المدينة النبوية ان درء المفسدة ورعاية المصلحة التي هي
من القواعد الدينية تقتضي ان يشترط المخالطة فيما بينهما لئلا
يتبذل السفهاء اكابر الفقهاء مرارا في اليوم الواحد من دعوى الاشياء
ونبع غيره

اما ليحلفوهم على قصد اهانتهم وابتذال حرمتهم لعداوة كامنة
فيما بينهم او ليبذلوا لهم شيئا ليتخلصوا به منهم قالوا وبه قضى
علي بن ابي طالب كرم الله وجهه فهم الفقهاء السبعة وسعيد بن المسيب
وعروة بن الزبير والقاسم بن محمد وعبد الله بن عبد الله بن عتبة بن
مسعود وخارجة بن زيد وسليمان بن يسار وابو بكر بن عبد الرحمن ابن
الحارث بن هشام ثم اعلم انه وقع اجماع العلماء على استحلاف
المدعى عليه في الاموال واختلفوا في غير ذلك فمذهب الشافعي واحمد
وابو ثور الى وجوبها على كل مدعى عليه في حد او طلاق او نكاح او عتق
اخذا بظاهر عموم هذا الحديث فان نكل حلف المدعي وثبتت دعواه
وقال ابو حنيفة واصحابه يحلف على الطلاق والنكاح والعتق
وان نكل لزمه ذلك وقال الثوري والشعبي وابو حنيفة لا يستحلف
في الحدود والسرقة وبه قال مالك كذا ذكره بعض الشراح وقال
بعض العارفين وفي الحديث اشارة الى ان كل دعوى لا بد ان يكون لها
معنى وكل حال ومقام لا يقبل الا باتباع الشرع الاسنى فمن اراد
ان يسلك بقدم العقل القاصر والفهم الفاتر بساط مراد فات
العرفان او يرتقي من حضيض النقصان الى ذروة الايقان بدون
اتباع الرسول فهو مريد شيطان مريد مخذول حديث حسن
وكلام احمد وابي عبيد ظاهر في انه صحيح عندهما وكان المص تنزل
وقال ان اقل مراتبه حسن لاحتمال انه صحيح لغيره عندهما وحسن
باعتبار سند رواه البيهقي الظاهر سنده في شعبه وهو الامام
ابو بكر احمد بن الحسين صاحب التصانيف الجليلة ولد سنة اربع وثلاثين
وثلاثمائة ومات بنيسابور سنة ثمان وخمسين واربعمائة وغيره
اى وغير البيهقي هكذا اى بهذا اللفظ المذكور على النهج المسطور
وبعضه اى بعض هذا الحديث الصادق باكثره في صحيحين
البخاري ومسلم وكذا في مسند احمد وسنن ابن ماجه بلفظ وغيره

في الصحيحين ح

لو يعطى

١٣٩

لو يعطى الناس بدعويهم لادعى ناس دماء رجال واموالهم
ولكن اليمين على المدعى عليه وفي رواية للشيخين قال ابن ابي مليكة كتب
ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم قضى ان اليمين على المدعى عليه
وقول الاصيلي لا يصح مرفوعا مردود بتصريحهما بالرفع فيه من
ابن جريج وقد رفعه ايضا ابو داود والترمذي قال المص
واذا صح رفعه بشهادة البخاري ومسلم وغيرهما لم يضره
من وقفه ولا يكون ذلك تعارضا ولا اضطرابا فان الراوي قد
يعرض له ما يوجب السكوت عن الرفع من نحو نسيان او اكتفاء بعلم
السامع في معرض البيان مع ان زيادة الثقة مقبولة فالمرفوع
مقدم على الموقوف على ان مثل هذا الموقوف في حكم المرفوع وكان
الاظهر ان يذكر المص رواية الشيخين في الاصل اولا ثم يقول وزيادة
البيهقي وغيره بسند حسن او لفظهم على المدعي واخرجه الاسمعيلي
في صحيحه بلفظ لو يعطى الناس بدعويهم لادعى رجال دماء قوم
واموالهم ولكن البينة على الطالب واليمين على المطلوب

الرابع والثلاثون عن ابي سعيد الخدري

رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
من راى منكم منكرا يحتمل انه من روية العين ثم يقاس عليه ما لم
يره لان المقصود دفع مفسدة المنكر ولا فرق بين من ابصره او
علمه ولم يره ويحتمل انه من روية القلب اى من علم منكرا فهو
اعم مما ابصره او علمه وهو اشبه في النظر وان كان لفظ راى
ظاهرا في البصرية والمنكر ما انكره الشرع وكرهه ولم يرض به
والمراد به الحرام والمكروه وفي معناهما ترك الفرض والسنة المؤكدة
والخطاب للامة عامة دون صحابه خاصة لقوله كنتم خير امة
اخرجت للناس تامرون بالمعروف وتنهون عن المنكر ومن تبعيضية
اشارة الى فرضية الكفاية كما قال تعالى ولتكن منكم امة يدعون

الى الخير ويامرون بالمعروف وينهون عن المنكر فليغيره امر
ايجاب كما اطبق عليه الكتاب والسنة واجماع الامة ولا يعتد بخلاف
الرافضة ووجوبه بالشرع لا بالعقل خلافا للمعتزلة بيده
فيه دليل على ما ذهب اليه الشافعي وابو يوسف ومحمد من جواز كسر الات الملاهي
واراقة الخمور خلافا لابي حنيفة رحمه الله فان لم يستطع اى التغيير ولعله نظر الى تضييع المالح
بيده فبلسانه اى فليغيره بلسانه بان يمنعه بقوله فان لم يستطع اى
اى التغيير بلسانه ايضا فبقلبه اى فليكرهه قال المص معناه فليكرهه
بقلبه يعني لم يرض به وينكر على مرتكبه انه غير الحقيق ان كفاه فليقتصر
على انكار قلبه قال ابو حنيفة الامر بالمعروف والنهي عن المنكر باليد
موكول الى الامراء والولاة لقدرتهم وليس لغيرهم الا باللسان وفي خزانة
المفتيين ان الامر بالمعروف والنهي عن باليد على الامراء وباللسان المنكرح
على العلماء وبالقلب على العوام ويشير الى ذلك ما في نفس الحديث من قيد
الاستطاعة ويدل عليه قوله تعالى لا يكلف الله نفسا الا وسعها فمن
وجب عليه وفعله ولم يمتثل المخاطب فلا عتب عليه بعد ذلك لعدم تقصيره
هنالك حيث ادى ما عليه وما عليه ان لا يقبل منه كما يشير اليه قوله
تعالى وما على الرسول الا البلاغ لكن انما يجب بشرط ان يكون الشخص
عالما بما يامر وينهى وان يبتدئ بالرفق واللين ثم بالاشد فالاشد
على سبيل التدريج لقوله تعالى ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة
ولقوله عليه السلام الدين النصيحة فالنصيحة مقدم على الفضيحة
فقد قال الشافعي من وعظ اخاه سرا نصحه وزانه ومن وعظه
علانية فقد فضحه وشانه ولانه ربما ينفع الملائم في اللطف موضع
لا ينفعه فيه الغلظ والعنف قال تعالى فقولا له قولا لينا لعله
يتذكر او يخشى ولا يشترط في الامر والناهي ان يكون كامل الحال
متمثلا بما يامر به مجتنبا عما نهى عنه لان الواجب عليه شيئان فاذا
قام باحدهما دون الاخر جاز والاكمل ان يكون عاملا ليكون تاثيره
كاملا

كاملا وعليه يحمل ما ورد عظ نفسك فان اتعظت فعظ الناس ولذا
قيل وغير تقي يامر الناس بالتقى طبيب يداوي الناس وهو مريض
وقيل ايضا لا تنه عن خلق وتاتي مثله عار عليك اذا فعلت عظيم
واما قوله تعالى اتامرون الناس بالبر وتنسون انفسكم فالانكار منصب
على النسيان لا على الامر بالبر من الايمان والاحسان وفي رواية وهو
اضعف الايمان وليس وراء ذلك من الايمان حبة خردل وانما يكون اضعفه
لانه لم يبق وراء هذه المرتبة مرتبة اخرى له كما قال القرطبي وذلك
اى انكار قلبه وكراهته بانفراده اضعف الايمان اى اضعف زمانه او
مكانه او خصاله وقال المص اى اقله ثمرة يعني وادناه نتيجة فمن
ثم تغير المراتب مع القدرة كان من العاصين ومن تركها بلا قدرة
او يرى المفسدة اكثر من المصلحة ويكون منكرا بقلبه فهو من المومنين
حيث ما اثار فتنة نائمة بين المسلمين ولهذا قيل هذا زمان السكوت ملازمة صح
والبيوت والقناعة بالقوت الى ان يموت فان قيل اذا رضي
بالمنكر بقلبه ولم يكرهه بل يكفر بذلك ام لا قلت ان رضي
معتقدا جوازه فهذا يتضمن تكذيب الشرع في تحريمه وهو كفر
وان رضي به لغلبة الشهوة والهوى ومقتضى الطبع مع اعتقاد
تحريمه فهو فسق لا كفر هذا وقد قال المص في شرح مسلم الامر
هنا للوجوب فاذا كان المنكر حراما فانه حسد وجب الزجر عنه
اذ لو كان مكروها لم يجب بل يندب وكذا الامر بالمعروف تبع لما يومر به
فان وجب فواجب وان ندب فمندوب ولم يتعرض له في الحديث
لان النهي عن المنكر شامل له اذ النهي عن الشيء امر بضده وضد
المنهي اما فرض او واجب او سنة والكل معروف ثم اعلم ان الامر
بالمعروف والنهي عن المنكر فرض كفاية ان علم به اكثر من واحد
والا فهو فرض عين على من راه فقد ورد انه صلى الله عليه وسلم
قال لتامرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر او ليعمكم

اللّه بعذاب من عنده ومنه قوله تعالى واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة وفي حديث اخر ان الله لا يعذب العامة بعمل الخاصة ولكن اذا عمل المنكر جهارا استحقوا العقوبة كلهم ثم اعلم ان كلامه لا يوثر هنالك سقط عنه الوجوب عند اكثر العلماء بل ادعى بعضهم الاجماع على ذلك ويشير اليه قوله تعالى فذكر ان نفعت الذكرى ويدل عليه قوله تعالى يا ايها الذين امنوا عليكم انفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم وقد سئل عنها صلى الله عليه وسلم فقال ائتمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر حتى اذا رايت شحا مطاعا وهوى متبعا ودنيا مؤثرة واعجاب كل ذي راي برايه ورايت الامر الا بد لك به فعليك بنفسك واياك وامر العام فان من ورائكم اياما الصبر فيهن مثل القبض على الجمر للعامل يوميذ كاجر خمسين واما ما ورد من انه يوتى بالرجل يوم القيمة فيقول الله تعالى ما منعك اذا رايت كذا وكذا ان تنكره فيقول خشيت الناس فيقول الله اما كنت احق ان تخشى فالمراد بالخشية فيه مجرد رعايتهم مع القدرة على ازالة معصيتهم اذ لو وجب الانكار مطلقا ولو قتل المنكر كما قال بعض العلماء لم يبق لقوله عليه السلام فان لم يستطع وكذا قوله عليه السلام ما من قوم يعمل منهم بالمعاصي ثم قدروا على ان يغيروا فما غيروا الا يوشك ان يعمهم الله بعقاب زاد ابو داود قبل ان تموتوا فاذا جاء التلفظ بالكفر عند الخوف حالة الاكراه كما في قوله سبحانه من كفر بالله من بعد ايمانه الا من اكره وقلبه مطمئن بالايمان الاية فبالاولى ان يجوز ترك الانكار عن المعصية عند الخشية لان قبح الفعل اكثر من تركه نعم لو فعل ما يجره الى قتله فهو ماجور بفعله كما يستفاد من قوله تعالى ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله ومن قوله سبحانه روي ان عمر رضي الله عنه سمع انسانا يقرا هذه الاية فقال انا لله وانا اليه راجعون

قام

قام رجل يامر بالمعروف وينهى عن المنكر ومن قوله سبحانه ويقتلون الذين يامرون بالقسط من الناس ولقوله وامر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما اصابك ثم لا انكار في المختلف فيه بناء على ان كل مجتهد مصيب او المصيب واحد الا ان المخطي غير متعين لنا مع ان الاثم موضوع عنه وعمن تبعه كما قال بعض علمائنا ألقى الله سالما وذلك لعموم قوله تعالى فاسئلوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون لكن الاولى ان يخرج عن عهدة الخلاف بان يامر وينهى بالرفق دون الاعتساف من باب النصيحة لا على وجه الفضيحة وعلى الامام ان ينصب محتسبا مجتهدا للامر بالمعروف والنهي عن المنكر وليس له على الاصح ان يحمل الناس على مذهبه سواء كان مجتهدا او مقلدا فلم يزل الخلاف بين الصحابة والتابعين وينهى عن تصدر تدريس او افتاء او وعظ بلا اهلية وينهى من كان واقفا مع امراة بشارع غير مطروق بالذهاب ويقول له ان كانت اجنبية فاتق الله في المعصية وان كانت محرمك فصنها عن موقف التهمة ويحرم البحث والتفحص قال تعالى ولا تجسسوا رواه مسلم وكذا الامام احمد في مسنده والاربعة في سننهم الا ان مسلما رواه بسنده عن طارق بن شهاب قال اول من بدا بالخطبة يوم العيد مروان فقام اليه رجل فقال الصلوة قبل الخطبة فقال قد ترك ما هنالك فقال ابو سعيد الخدري اما هذا فقد قضى ما عليه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من راى منكم منكرا فليغيره بيده الحديث فان قلت ظاهر الحديث بايراد الفاء التعقيبية يفيد ان ابتداء الاحتساب يكون باليد عند القادر في هذا الباب ثم باللسان على وجه النصيحة لا احباب ثم بالقلب عند العجز عنهما وهو ينافي ظاهر قوله تعالى ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة فانهما يقتضيان التدريج في القضية بان يامر وينهى

اولا باللسان ثم عند عدم النفع به يعالج الدفع بالاركان وقد ورد
ايضا من امر بمعروف فليكن امره في ذلك بمعروف قلت المراد
في الحديث بيان مراتب قوة ارباب الاحتساب فاعلاهم من يقدر
باليد وسائر الاركان واوسطهم من لم يستطع الا باللسان وادناهم
من لم يقدر الا بانكار الجنان كما يدل عليه قوله وذلك اضعف الايمان
اي اضعف اهله واما باعتبار ترتيب الانكار فلا اشكال انه اولا ينكر
بقلبه وهذا فرض عين كما قرر في محله فمن قال انه للعوام مراده
العامة او اكتفاؤه انما هو في حق العوام ثم ينكر بلسانه ان
كان قادرا عليه سواء يكون من العلماء او في معناهم من الاوليا
ثم عند عدم نفعه بلسانه ينكر بيده ويزيله سواء يكون من الامراء
او في معناهم من الاقوياء اذا لم يترتب عليه المفسدة بين الاعداء
والاحباء وهذا ما ظهر لي من هذا المقام ولم ار من تعرض له
من الشراح الكرام والله سبحانه اعلم بحقيقة المرام ويؤيده
ما روي ان رجلا من اصحاب النبي عليه السلام وقع في الشام وابتلي
بشرب المدام فبلغ الخبر الى امير المؤمنين عمر فكتب اليه بسم الله
الرحمن الرحيم حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم غافر
الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذي الطول لا اله الا هو اليه
المصير فتاب الرجل منها ونزع بالفعل عنها وذكر ابن ابي
الدنيا عن ابن عباس برفعه قال يأتي على الناس زمان يذوب
فيه قلب المؤمن كما يذوب الملح في الماء قيل مم يا رسول الله
قال مما يرى من المنكر لا يستطيع تغييره تنبيه
قال محمد بن واسع بلغني ان ناسا من اهل الجنة اطلعوا
على ناس من اهل النار قالوا لهم قد كنتم تامروننا باشياء
عملناها فدخلنا الجنة بها قالوا كنا نامركم بها ونخالفكم
الى غيرها وفي الصحيح انه عليه السلام راى في النار قوما

يدورون

يدورون كما يدور الرحى فقال يا جبريل من هؤلاء فقال كانوا يامرون
بالمعروف ولا يفعلونه وينهون عن المنكر ويفعلونه وفي الصحيح
ايضا يلقى العالم في النار فتندلق اقتابه فيقال له لم ذلك فيقول
كنت آمر بالمعروف ولا افعله وانهى عن المنكر وافعله ثم
اعلم ان اعجب من زماننا هذا ان الذين يظن بهم العلم والدين ممن
يتعين عليهم الامر بالمعروف والنهي عن المنكر هم بانفسهم
متلبسون بمناكر شتى اصلا وفرعا يجب انكارها عليهم عرفا وشرعا
لكن كما قيل شعر بالملح يصلح ما يخشى تغيره فكيف بالملح ان حلت
به الغير ولقد احسن من قال دون الحال شعر هذا الزمان
الذي كنا نحذره في قول كعب وفي قول ابن مسعود ان دام
هذا ولم يحدث له غير لم يبك ميت ولم يفرح بمولود
وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال هل تدرون
فيم سخط الله تعالى على بني اسرائيل قالوا الله ورسوله اعلم
قال ان الرجل منهم كان يرى الرجل منهم على معصية فينهاه
بعض النهي ثم يلقاه فيضاحكه ويواكله ويشاربه كانه لم يره
على معصية حتى كثر ذلك منهم فلما علم الله ذلك منهم ضرب
بقلوبهم على بعض ثم لعنهم على لسان داود وعيسى ابن مريم
ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون والذي نفسي بيده لتامرن بالمعروف
ولتنهون عن المنكر ولتاخذن على يد الظالم او ليضربن الله
بقلوب بعضكم على بعض ثم يلعنكم كما لعن من قبلكم
انتهى وقد قال تعالى كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما
كانوا يفعلون وقال تعالى لولا ينهاهم الربانيون والاحبار
عن قولهم الاثم واكلهم السحت لبئس ما كانوا يصنعون هذا
وقال ابن مسعود بحسب المرء اذا راى منكرا لا يستطيع
تغييره ان يعلم الله من قلبه انه له كاره قال القرطبي ويروى

عن بعض الصحابة انه قال ان الرجل اذا راى منكرا لا يستطيع
النكير عليه فليقل ثلاث مرات اللهم هذا منكر فاذا ادى
ذلك فقد فعل ما عليه يعني من اظهار الانكار فان الاكتفاء
بمجرد انكار القلب ليس من كتمان علماء الابرار فان ما لا يدرك كله لا يترك
كله فحيث عجز عن انكار المنكر بالنسبة الى صاحب الشر فينبغي
له ان يذكر عند غيره ليشيع الانكار واقل فائدته ان يعلم الناس
المنكر وصاحب المنكر فان الناس لو اجتمعوا على السكوت في كل
قضية لما حصل التمييز بين المعروف والمنكر في الامور الدينية
بالنسبة الى السفهاء بل وظنوا ان ما فعله العلماء ليس من المنكر
مع انه انكر من كل منكر فتدبر ولهذا ورد ويل للجاهل مرة وويل
للعالم سبع مرات وصح ان من اشد الناس عذابا يوم القيمة عالم
للعالم سبع
لا ينفعه الله بعلمه وقد قيل فساد العالم فساد العالم
وسببه ان السفهاء اذا راوا عالما حريصا على جمع المال ولو من
الحلال اقتدوا بهم ووقعوا في ارتكاب الشبهة بحسب الكمال
واذا راوه يرتكب الشبهات وقعوا في المحرمات واذا راوه انه لا يجتنب
المحرمات وقعوا في الكفر بناء على ظنهم لولا انه جائز هذا عنده
لما فعله ولم يعلم هذا المسكين انه يقول بلسان الحال الحلال ما حل بنا
والحرام ما حرمنا والحاصل ان هذا الزمان قد كثر فيه العصيان
وظهر من اهله الطغيان بحيث امتنع فيه اظهار الانكار
باللسان وهذا معجزة عظيمة للنبي آخر الزمان فقد روى
ابن ماجة عن انس بن مالك رضي الله عنه قال قيل يا رسول الله
متى يترك الامر بالمعروف والنهي عن المنكر قال اذا ظهر
فيكم ما ظهر في الامم قبلكم قلنا يا رسول الله وما ظهر في الامم
قبلنا قال الملك في صغاركم والفاحشة في كباركم والعلم
في رذالكم يعني في فجاركم وقيل كل بلدة فيها اربعة فاهلها

معصومون

معصومون من البلاء امام عادل لا يظلم وعالم على سبيل الهدى
ومشايخ يامرون بالمعروف وينهون عن المنكر ونساء مستورات
لا يتبرجن تبرج الجاهلية الاولى انتهى وقد ظهر الفساد في البر
والبحر فيما بين العباد حتى في خير البلاد والله رؤوف بالعباد وقال
رجل لابن عباس اني اريد ان آمر بالمعروف وانهى عن المنكر قال
او بلغت ذلك قال ارجو قال فان لم تخش ان يفتضح بثلاثة احرف
في كتاب الله عز وجل فافعل قال وما هي قال قوله تعالى اتامرون
الناس بالبر وتنسون انفسكم احكمت هذه الاية قال لا قال
فالحرف الثاني قال قوله تعالى لم تقولون ما لا تفعلون كبر مقتا
عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون احكمت هذه الاية قال لا
قال فالحرف الثالث قال قول العبد الصالح شعيب عليه السلام
وما اريد ان اخالفكم الى ما انهاكم عنه احكمت هذه الاية قال لا
قال فابدا بنفسك انتهى والايات الثلاث مختلفة المبنى
متحدة المعنى وقد قيل ان ظاهر قوله تعالى انفسكم يرجح ترك
الامر بالمعروف والنهي عن المنكر لان المعنى الزموا انفسكم ولكن
محمول على ما ياتي من آخر الزمان كما سبق في الحديث من البيان
مع ان التحقيق في معنى الاية انكم اذا فعلتم ما كلفتم به فلا يضركم
تقصير غيركم ومن ثم قال ابن مسعود ان من اكبر الذنب عند الله
ان يقال للعبد اتق الله فيقول عليك بنفسك ويؤيده قوله تعالى واذا
قيل له اتق الله اخذته العزة بالاثم فحسبه جهنم ومحمول على
العاجز عنهما بسبب عدم العلم بهما او عدم الانتهاء عنهما
حيث يجب عليه اولا ان يعالج نفسه في القيام بحقهما او بالنسبة
الى المستغرق في لجة الوجود المطلق بدوام شهود الحق وغيبته
عن احوال الخلق او المتحير في بحر التوحيد الذاهل عن مشاهدة
الكثرة او الواقع في فضاء القضاء في عالم التقدير الذي لا يتصور

فيه التبديل والتغيير كما قال قائلهم لا تنكر الباطل في طوره
فانه بعض ظهوراته او في عالم الفناء فلا يتصور منهم الانكار كما
قال بعضهم ليس في الدار غيره ديار على ان هذا كله مقام ناقص بالنسبة
الى مقام جمع الجمع الذى هو حال الانبياء وخلاصة الاولياء و
الاصفياء حيث لا يمنعهم شهود الوحدة عن وجود الكثرة ولا
ظهور الكثرة عن نور الوحدة فيعطون كل ذى حق حقه فيامرون
بالمعروف الذي عرفه الله وينهون عن المنكر الذى انكره الله
وان كان الكل جار على حسب ما قدره وقضاه ثم من اهم شروط
الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ان يكون صاحبه مخلصا في فعله
طالبا اظهار دين الله واعلاء كلمته واطاعة امره في برّيته
دون الرياء والسمعة والحمية لنفسه وطبيعته فانما ينصر
ويزول به المنكر اذا كان صادقا في مقام الاخلاص موافقا
قال تعالى ان تنصروا الله ينصركم ويثبت اقدامكم واما
ما روى عن ابي هريرة مرفوعا مروا بالمعروف وان لم تعملوا
به وانهوا عن المنكر وان لم تنتهوا عنه فقد سبق بعض بيانه
وان شرط العمل لرفعة شانه وسبب تاثيره في ميدانه ويمكن
ان يقال المعنى وان لم تعملوا بكله ولم تنتهوا عن جميعه فان من
يكون خاليا عن ترك معروف وفعل منكر فهو عزيز الوجود فلو
شرط ذلك لتعطل هذا الحكم بالكلية هنالك ومن ثم قال
عبد الله بن المبارك اذا وصف لى رجل له علم الاولين والاخرين
لا اتاسف على فوت لقائه واذا سمعت رجلا له ادب النفس
اتمنى لقاءه وهذا كما قال قائلهم ولتمنى على الزمان محالا
اى ترى مقلتاى طلعة حر فان الحر من لا يسترقه دنياه ولا
يستعبده هواه ومما يويد كلام ابن المبارك قوله تعالى ان اكرمكم
عند الله اتقيكم حيث لم يقل اعلمكم واغناكم وقوله سبحانه

يبلوكم

ليبلوكم ايكم احسن عملا لا ازيد علما وازين املا ومن ثم جاء فى
تفسيره ازهد فى الدنيا وارغب فى العقبى وقد رايت فى الغنية للقطب
الربانى عبد القادر الجيلانى تفصيلا حسنا فاحببت ان اذكره
هنا وهو ان ما يومر به وينهى عنه على قسمين احدهما ظاهر
من المعروف كوجوب صلوات الخمس وصوم رمضان والزكوة والحج
ونحوها ومن المنكر كتحريم الزنا وشرب الخمر والسرقة وامثالها
فهذا القسم يجب انكاره على العامة كما يجب على الخاصة والقسم الثاني
ما لا يعرفه الا الخواص مثل اعتقاد ما يجوز على البارى عز وجل
وما لا يجوز فهذا يختص بالعلماء انكاره على السفهاء انتهى ولا
يبعد ان يكون معنى قوله فى الحديث فبقلبه اى فليغيره بهمة
قلبه وتضرعه لربه فان همة الرجال تهد الجبال وقد روى
ان بعض الاولياء سمع صوت جماعة من اهل اللهو والغناء فقال
اللهم كما فرّحتهم فى الدنيا ففرّحهم فى الاخرى فتاب الله
عليهم ورجعوا على ما لديهم واحسن الله اليهم

الخامس والثلاثون

عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تحاسدوا بفتح التاء والسين
واصله لا تتحاسدوا فحذف احدى التائين تخفيفا وكذا قوله
ولا تناجشوا ولا تباغضوا ولا تدابروا والمعنى لا يحسد
بعضكم بعضا والحسد تمنى زوال النعمة عن الغير مطلقا
وقد يستعمل بمعنى الغبطة وهى تمنى حصول مثل ما لاخيه من
النعمة من غير ان تزول عنه او يحول وعليه يحمل حديث لا حسد
الا فى اثنين وهى قد يكون واجبة اذا كانت على نعمة دينية
واجبة كالايمان ومندوبة كتشهير العلم بالتصنيف والتدريس
والشهادة في سبيله والموت في بلد رسوله وامثاله ومباحة
فى الامور المباحة واما الحسد فمذموم شرعا وعقلا ففى

الكتاب ام يحسدون الناس على ما اتيهم الله من فضله وفي الحديث
اياكم والحسد فان الحسد ياكل الحسنات كما تاكل النار الحطب رواه
ابو داود والحاكم وغيرهما وهو اول ذنب عصي الله به فان ابليس بحسده
لادم اخرج من الجنة ولتكبره عليه ما يسجد له ثم ما يعرض منه في الخاطر
من غير ان يكون له قرار معفو عنه ولذا ورد اذا حسدت فلا تبغ
اي لا تحققه بالبغي وهو عقد القلب عليه ودوام التوجه اليه
ومنه قوله تعالى ومن شر حاسد اذا حسد اي اذا تقرر لديه
هذا ومن قواعد الدين على مذهب اهل السنة خلافا للمعتزلة ان
السيئة لا تمحو الحسنة الا ان كانت كفرا فتلك لا تبقي خيرا بل
ان الحسنة تمحو السيئة كما قال تعالى ان الحسنات يذهبن السيئات
ولعل الحكمة في ذلك غلبة فضله على عدله كما يشير اليه حديث
القدسي سبقت رحمتي غضبي فقوله عليه السلام ان الحسد تاكل
الحسنات يحتاج الى تاويل والاظهر ان يقال الحسد يحمل الحاسد
على افعال واقوال بالنسبة الى المحسودة من السيئات فيعطي
له من حسنات يعملها الحاسد من الطاعات والعبادات وعن ابن مسعود
رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ثلاث هن اصل
كل خطيئة فاتقوهن واحذروهن اياكم والكبر فان ابليس حمله
الكبر على ان لا يسجد لادم واياكم والحرص فان ادم حمله الحرص على ان
اكل من الشجرة واياكم والحسد فانما قتل ابني ادم احدهما الاخر
الا الحسد وقال بعضهم الحاسد هو الجاحد لانه لا يرضى
بقسمة الواحد وعن معاوية كل انسان اقدر على ان ارضيه
الا الحاسد فانه لا يرضيه الا زوال النعمة ولذا قيل شعر
كل العداوة قد يرجى ازالتها الا عداوة من عاداك من حسد
وعن عمر بن عبد العزيز ما رايت ظالما اشبه بمظلوم من الحاسد
غم دائم ونفس متتابع قيل وله اربع مراتب احدها

ان

ان يحب زوال النعمة عن صاحبها وان لم تحصل له وهي اخبث
او زوالها عنه اليه وهي اخف او لا يشتهي زوالها بل يشتهي لنفسه
مثلها فان عجز عنه احب زوالها كيلا يظهر التفاوت بينهما
او لا يحب زوالها وهذا هو المعفو عنه ان كان في امر الدنيا
ومندوب اليه ان كان في امر العقبى وما قبله مذموم من وجه
غير مذموم من وجه آخر فتدبر ومنشاؤه العداوة والبغضاء
كما في السفهاء والتعزز كما في الاغنياء وحب الرياسة كما في
الامراء والمشايخ والعلماء وعلاجه ان يعلم ان الكل بالقدر
والقضاء ويجب على العبد القناعة بالقسمة في مقام الرضاء
وان يتذكر مضارة من سخط الله تعالى والهم اللازم والغم الدائم
وانه لا يضر المحسود بل ينفعه حال الوجود ولا يضره في مقام الشهود
قال تعالى قل موتوا بغيظكم ان الله عليم بذات الصدور وان
ياتي بالاحوال المتضادة لمقتضيات الحسد والعداوة بان
يمدح المحسود ويتواضع له حتى يصير المحسود محبوبا ومحبا له
قال تعالى ادفع بالتي هي احسن فاذا الذي بينك وبينه عداوة
كانه ولي حميم وما يلقيها الا الذين صبروا وما يلقيها الا ذو حظ
عظيم وانشد اذا ما شئت ان تحيا حيوة حلوة المحيا
فلا تحسد ولا تبخل ولا تحرص على الدنيا من كلام ابي الطيب شعر
واظلم اهل الارض من كان حاسدا لمن بات في نعمائه يتقلب
ومن كلام اهل الحكمة ان الحسود لا يسود وانشد بعضهم شعر
دع الحسود وما يلقاه من كمده كفاك منه لهيب النار في كبده
التناجش تفاعل من النجش وهو اثارة الصيد والمراد
هنا اثارة بعضهم بعضا بالفتنة او رفع ثمن المعروض على البيع
وهو غير راغب فيه ليخدع غيره ففي الحديث من غشنا فليس منا
والمكر والخداع في النار وقيل من النجش بمعنى التنفر اي لا ينفر

بعضكم بعضا بان يسمعه كلاما يكون سببا للنفرة او يعمل شيئا يحصل له
التنفر منه بسوء عشرته وهذا اعم وفي المعنى اتم وقوله ولا تباغضوا
اى لا يبغض بعضكم بعضا والمعنى اى لا تشتغلوا باسباب العداوة اذ العداوة
والمحبة مما لا اختيار فيه قال تعالى انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم
العداوة والبغضاء في الخمر والميسر وفي الحديث تهادوا وتحابوا وروى
تصافحوا فانه يذهب الشحناء وروى الترمذي تهادوا فان الهدية
لتسل السخيمة وقيل المعنى لا توقعوا العداوة والبغضاء بين المسلمين
فيكون نهيا عن النميمة وامثالها مما يوقع الفتنة ثم البغض قد يكون
واجبا كما قال تعالى لا تتخذوا عدوى وعدوكم اولياء وقد يكون
ندبا ومنه قوله عليه السلام من احب لله وابغض لله واعطى لله و
منع لله فقد استكمل ايمانه وفي خبر مسلم والذي نفسي بيده لا
تدخلوا الجنة حتى تومنوا ولا تومنوا حتى تحابوا وقوله ولا تدابروا
اى لا تتكلموا في ادبار اخوانكم بالغيبة اى لا تقاطعوا لانه اذا فعلوا
ذلك اعرض كل عن صاحبه وولى دبره والاول اولى لان التقاطع
مندرج من التباغض ومفهوم منه بطريق الاولى وقيل المعنى
لا تولوا ادباركم اشتغالا بل ابسطوا وجوهكم استقبالا ثم لا يجوز
الهجران في الكلام اكثر من ثلاثة ايام الا لعذر من جهة الاسلام
قال الخطابي هذا اذا كان يعتاب او جفاء وما اشبه ذلك من باب
الاخلاق واما اذا كان لمعصية فيجوز ثم التباغض لا يستلزم
التدابر لان المتباغضين قد يترافقان ولا يتفارقان والتدابر
لا يستلزم التباغض لان المتدابرين لمصلحة قد يتحابان
ولا يبع بعضكم على بيع بعض بان يدعوا المشتري قبل لزوم البيع
الى الفسخ ويبيع منه مثله بارخص من ثمنه او اجود منه بثمنه
وذلك حرام لما فيه من الايذاء الموجب للعداوة والبغضاء ومثله
الشرى على الشرى بان يقول للبائع في زمن الخيار افسخه وانا اشتريه

منكر

منك باغلى وكذا يحرم السوم على سوم غيره كما في رواية مسلم والخطبة
على خطبة اخيه كما في الصحيحين وكونوا عباد الله اي عبيده
اخوانا خبر اخر كان او عباد الله منصوب على الاختصاص والمدح
او على انه منادى حذف حرف ندائه والمعنى انتم مستوون في كونكم عباد الله
وملتكم واحدة في سبيل الله والتحاسد والتباغض والتدابر منافية
لحالكم فالواجب ان تعاملوا معاملة الاخوة والمعاشرة بالتلطف
والمودة والمعاونة على البر والنصيحة ويفهم من الحديث ان الكافر
ليس عبد الله بمعنى انه لا يقوم بما يجب على العبد من امتثال امر المولى
ولو روى بتنوين عبادا ويكون لام لله للاختصاص في مقام الاخلاص
لكان له وجه وجيه في المعنى كما قرى بهما في قوله تعالى كونوا انصار الله
المسلم اخو المسلم اى كاخيه لانه يجمعهما دين واحد في المرتبة
الدينية كما يجمعهما اب واحد في الاخوة النسبية بل الاخوة الدينية
اعظم من الاخوة الحقيقية لان ثمرة هذه دنيوية فانية ونتيجة
تلك اخروية باقية كما يشير اليه قوله تعالى يوم يفر المرء من اخيه وقوله تعالى
يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين وهذا الحديث مستفاد من
قوله تعالى انما المومنون اخوة وكلاهما من باب التشبيه البليغ
وفي الصحيحين جاء ما هو ابلغ في هذا المعنى حيث قال صلى الله
عليه وسلم مثل المومنين في توادهم وتعاطفهم وتراحمهم مثل
الجسد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر
وروى ابو داود المومن مراة المومن المومن اخو المومن يكف عنه
ضيعته ويحوطه من ورائه وروى الترمذي ان احدكم مراة
اخيه فان راى به اذى فليمطه عنه والجملة استيناف وفيها
استعطاف كما يقال انما هو اخوك واستاذك وابوك وكذا قوله
لا يظلمه استيناف الا انه لبيان وجه الشبه لان من حق
الاخ ان لا يدخل عليه ضررا في نفسه او دينه او ماله فاللفاء

ذكر من قطع الارحام وهو ينافي اخوة الاسلام بل الظلم على الكافر
حرام فيل الظالم ينحط اولا عن رتبة النبوة والامامة والولاية لا ينال
عهدي الظالمين وثانيا عن مزيد السلطنة بيت الظالم
خراب ولو بعد حين وثالثا عن نظر الخلق جُبِلَت القلوب على حب
من احسن اليها وبغض من اساء اليها ورابعا عن نظر رب العالمين
الا لعنة الله على الظالمين وخامسا عن حظ نفسه ولكن كانوا
انفسهم يظلمون ولا يخذله بفتح الياء واسكان الخاء وضم
الذال المعجمة قاله المص اى لا يترك نصرته واعانته الممكنة له
اذا استعان به في دفع ظلم ونحوه اذا لم يكن لعذر شرعي في تركه
قال تعالى وتعاونوا على البر والتقوى وفي الحديث انصر اخاك
ظالما اى بان يكفه عن ظلمه كما في رواية البخاري او مظلوما اى
بان تدفع عنه من يظلمه وروى ابو داود ما من امرئ مسلم يخذل
امرءًا مسلما في موضع ينتهك فيه حرمته وينتقص فيه من عرضه
الا خذله الله في موضع يحب نصرته وروى احمد من اُذِلّ عنده
مومن فلم ينصره وهو يقدر على ان ينصره اذله الله على رؤس
الخلائق وروى البزار من نصر اخاه بالغيب نصره الله في
الدنيا والاخرة ولا يكذبه بفتح الياء واسكان الكاف ذكره
المص وقال السيد جمال الدين هذه اللفظة ليست في مسلم
ولا في كثير من النسخ في اصل النووي قيل عدم وجودها في
مسلم مسلم واما في اصل النووي لا لتعرضه في باب الاشارات
بتصحيح هذه اللفظة فبناء على هذا قول رواه مسلم مشكل
ودفع بعضهم انه في كثير من نسخ الاشارات لم يذكر هذه اللفظة
فيزول الاشكال بالكلية والله اعلم بحقيقة القضية فالصواب
ترك هذه الكلمة من المتن كما في اصل الفاكهاني ولعلها وقعت
في غير رواية مسلم لكن ايرادها في ذيل رواية غير مسلم ومن العجائب

ابن

ابن حجر ذهل عن تحقيق هذا الخبر وتبع غيره في ايراده اثناء الاثر
والمعنى لا يخبره بامر على خلاف الواقع لغير مصلحة اذن فيها الشارع
من غير ضرورة ملجئة اليه فان الكذب من اشد الاشياء ضررا والصدق
اشدها نفعا قال تعالى يا ايها الذين امنوا اتقوا الله وكونوا مع
الصادقين وفي الصحيح ان الصدق يهدي الى البر والبر يهدي
الى الجنة وان الكذب يهدي الى الفجور والفجور يهدي الى النار ولا يزال
الرجل يصدق حتى يكتب عند الله صديقا ولا يزال الرجل يكذب حتى
يكتب عند الله كذابا ولا خلاف ان الكذب حرام واجازه بعض العلماء
في الحرب والاصلاح بين الناس وعلى الزوجة وفي دفع الصائل على
المسلم بغير حق واجب ولا يحقره بفتح الياء وسكون الحاء المهملة
وكسر القاف اى لا يستحقر شانه بذكر العيب الذي شانه ولا
يتسخر به اذا راه فقير الحال كثير البال فعن ابن مسعود رضي الله
عنه انه قال البلاء موكل بالمنطق لو سخرت من كلب خشيت
ان اُجْعَلَ كلبا وروى بضم اوله وسكون الخاء المعجمة وكسر الفاء
اى لا يغدر عهده ولا ينقض امانه قال القاضي عياض والصواب
المعروف هو الاول وهو الموجود في غير كتاب مسلم ويؤيده رواية
ولا يحتقره ثم الاحتقار ناشٍ من التجبر والاستكبار ففي
خبر مسلم الكبر بطر الحق وازدراء الناس وفي رواية لاحمد
سفه الحق وازدراء الناس اى جهله بالحق واحتقاره
بالخلق مع انه مامور بتعظيم امر الله والشفقة على خلق الله
وفي رواية لا يعد الناس فلا يراهم شيئا وهذا ما ينافي قوله
صلى الله عليه وسلم لا يكمل ايمان احدكم حتى يكون الناس عنده
كالاباعر فان المراد به انه لا يرى منهم ضرا ولا نفعا ولا عطاء
ولا منعا بل يستغرق في بحر شهود الوحدة فانيا عن الخلق
باقيا بالحق ثم مفهوم الكلام انه يحقر من لم يكن في دين الاسلام

لقوله تعالى ومن يهن الله فما له من مكرم فاما يتميز العاقل من
الجاهل والعدل من الفاسق فليس ذلك احتقارا لعين المسلم وذاته
وانما ذلك لما عرض له من سوء صفاته فمتى فارق الجاهل جهله
والفاسق فسقه تعين الانتقال الى الاحتفال به والرفع
لعذره التقوى ها هنا استيناف بين ان المسلمين فى مرتبة
واحدة وان كان اكرمهم عند الله اتقاهم الا ان التقوى امر
باطنى لا يعلمه الا المولى فالمدار على ما به الاشتراك الظاهرى
فربما راى ذا عاهة فى بدنه او لثغة فى لسانه او سوادا فى بشره
او اعمى او اعور او اعرج او قصيرا او طويلا وامثال ذلك فلا ينظر
اليه بعين المنقصة فلعله اخلص ضميرا واتقى باطنا وانقى
سرا ممن هو على ضد صفته فيظلم نفسه بتحقير من وقره
الله ورزقه انسه والمعنى محل التقوى هو القلب الذى فى الصدر
فهو غاية من الستر والتحقيق ان مادة التقوى فى القلب لان
حقيقة التقوى اجتناب المحظورات وامتثال المامورات ومادتها
خوف الله ومراقبته فى الحالات الحاملة له على مداومة الطاعات فمن
كان فى قلبه التقوى من جانب الحق فلا يوجد منه الظلم والتحقير
للخلق او المراد ان التقوى اذا كان محله القلب ولا يطلع عليه
غير الرب فلا يجوز لاحد ان يحكم بعدم تقوى مسلم حتى يحقره
وهذا كما قال تعالى ومن يعظم شعائر الله فانها من تقوى
القلوب وكما ورد ان الله لا ينظر الى اجسامكم ولا الى صوركم
ولكن ينظر الى قلوبكم وفى رواية ان الله لا ينظر الى صوركم و
اموالكم ولكن ينظر الى قلوبكم واعمالكم وفى اخرى لا ينظر
الى صوركم واعمالكم ولكن ينظر الى قلوبكم واحوالكم وقد
ورد ان القلب بيت الرب وفى الصحيحين الا اخبركم باهل
الجنة كل ضعيف متضعف لو اقسم على الله لابره الا اخبركم

باهل

باهل النار كل عتل متكبر وفيهما ايضا تحاجت الجنة والنار فقالت النار
انا اوثرت بالمتكبرين والمتجبرين زيد فى رواية احمد والملوك والاشراف
وقالت الجنة لا يدخلنى الا ضعفاء الناس وسقطهم وفى رواية احمد
الفقراء والضعفاء المساكين فقال للجنة انت رحمتى ارحم بك من
اشاء من عبادى ومفهومه انه قال للنار انت نقمتى انتقم بك
واعذب بسببك من اشاء من عبادى وفى صحيح البخارى مر رجل
على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لرجل جالس عنده
ما رايك فى هذا قال رجل من اشراف الناس وانه حرى ان خطب
ان ينكح وان شفع ان يشفع فسكت صلى الله عليه وسلم
ثم مر رجل آخر فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ما رايك
فى هذا الرجل قال يا رسول الله هذا رجل من فقراء المسلمين
هذا حرى ان خطب ان لا ينكح وان شفع ان لا يشفع وان قال
اى لا يسمع لقوله فقال صلى الله عليه وسلم هذا خير من ملء
الارض من مثل هذا كذا هذا دليل صريح عن نقل صحيح على ان
الفقير الصابر افضل من الغنى الشاكر حيث عمم الحكم ولم
يفرق بين المتقى وغيره ويشير الى صدره قائله ابو هريرة
وفاعله ضمير النبى صلى الله عليه وسلم والعدول مما تقتضيه
الظاهر وهو الماضى الى المضارع لاستحضار تلك الحال فى نظر ارباب
الكمال ثلاث مرار بكسر الميم اى مرات للاهتمام بشانه
والاعتناء ببيانه والاقرب انه ظرف متعلق بقوله يشير حتى
يكون الاشارة الى صدره ثلاثا ويحتمل ان يكون متعلقا بقوله
التقوى لما ثبت فى شمائله عليه السلام انه اذا تكلم بكلم ثلاثا
والانسب ان يكون متعلقا بهما حتى يكون كل من القول والفعل
ثلاثا وفيه غاية المبالغة وعلى كل تقدير قالوا وفى قوله ويشير للحال
هذا لو قال بعض ارباب الكمال معناه ان حقيقة التقوى

في صدري وفروعها في قلوب غيري لانه محل عين الجمع ومرآة كشوف
الغيب كما قال انا اعلمكم بالله واخوفكم منه بيّن ان من زاد
معرفة الله زاد خشيته وتقواه ومن المعلوم انه ليس في الكونين
اعرف منه وقد ورد لكل شئ معدن ومعدن التقوى قلوب
العارفين لان العارف غائب في عظمة الله وقدرته تشائق الى
لقائه ورؤيته هائم في ساحة محبته تجري عيون التقوى
من بحار معرفته من روحه الى قلبه ومن قلبه الى صورته
وسرّه معدن التوحيد ومنبع التفريد لان الحق سبحانه تجلى فيه
بنعت القدم بعد ما اوجده من فضاء العدم وروحه معدن المعرفة
لان الحق تعالى تجلى بوصف البقاء فيها وقلبه معدن التقوى
والخشية لانه عز وجل تجلى فيه بوصف الكبرياء والعظمة فالتوحيد
من عين القدم والمعرفة عين البقاء والتقوى من عين الكبرياء
بحسب امرئ من الشر قال المص هو باسكان السين المهملة
اى يكفيه من الشر انتهى والباء زائدة والمراد بالشر الجنس اى
كافيه من خلال الشرور ورذائل الاخلاق في الصدور وهو مبتدا
خبره ان يحقر اخاه المسلم بالنصب صفة الاخاه وكرر لتاكيد
حرمة الاسلام عند الله ولمكانه هنا منشا سوال وهو ان
يقال حكم التحقير ماذا احرام ام حلال فقال كل المسلم على المسلم
حرام دمه وماله وعرضه اى حسبه ونسبه فكل المسلم مبتدا
وفيه ردّ على ما زعم ان كل لا يضاف الا الى نكرة خبره حرام وما
بعده بدل كل وجعل الثلاثة كله وحقيقته لشدة اضطره
اليها اما الدم فلان به حياته واما المال فمادة الدم وهو مادة
حياته وعدة حركاته وسكناته والعرض به قيام صورته ونظام
هيئته واقتصر عليها لان ما سواها متفرع عليها وراجع اليها
والتقدير اراقة دمه واخذ ماله وهتك عرضه ولكون حرمتها
حي

هي الاصل والغالب لم يحتج الى تقييدها بما اذا لم يعرض ما يبيحها
شرعا كالقتل قودا واخذ مال المرتد فيئا وتوبيخ المسلم تعزيرا وقوله
في رواية الا بحقها المزيد الايضاح والبيان في شانها وهذا خذ لكه
الحديث والمقصد الاهم منه وما سبق كالتمهيد له فيجب على كل مسلم
ان لا يقع في عرض اخيه بالغيبة والطعن والقذف والشتم
والغمز واللمز والتجسس عن عوراته وافشاء اسراره فقد
روى احمد لا تؤذوا عباد الله ولا تعيّروهم فانه من طلب عورة اخيه
المسلم طلب الله عز وجل حتى يفضحه في بيته واخذ بعض الصحابة
حبل آخر ففزع فقال صلى الله عليه وسلم لا يحل لمسلم ان يروع
مسلما رواه ابو داود وروى احمد وابو داود والترمذي لا ياخذ
احدكم عصا اخيه لاعبا جادا اى لا ياخذ متاعه يغيظه لا نه
حينئذ وان كان لاعبا في مذهب السرقة هو جاد في ادخال الاذى
والروع عليه وفي الصحيحين وغيرهما لا يتناجى اثنان دون الثالث
فانه يحزنه وفي رواية فان ذلك يؤذي المومن وانه تعالى يكره اذى
المومن وهذا مستفاد من قوله تعالى انما النجوى من الشيطان
ليحزن الذين آمنوا وليس بضارهم شيئا الا باذن الله وعلى الله
فليتوكل المؤمنون ثم يرى التفضل لكل احد على نفسه
اما الصغير فلانه لم يعص الله وهو قد عصى واما الكبير فلانه
اسبق ايمانا واكثر طاعة واحسانا والعالم لعلمه وفضله
والجاهل لانه عصى الله بجهله فحجة الله عليه اوكد والكافر
فلان العاقبة غير معلومة ثم المراد بالعرض ما يجب او
يستحب شرعا رعايته وحمايته لا العصبية العرفية والحمية
الجاهلية التي اعتادها اكثر العامة فيصرفون المال لطلب الجاه
والمنزلة في قلوب الخلق اذ هو من الهوى المتبع المهلك لكثير
من الناس فما اهلك الناس الا الناس ولو انصف العلماء

لعلموا ان اكثر ما هم فيه من العلوم والعبادات فضلا عن الرسوم والعادات
ما يحملهم عليها الا مراعاة الخلق لا مراعاة الحق قال يحيى بن معاذ
الرياسة ميادين ابليس ينزل فيها هو وجنوده بانواع من تلبيس
رواه مسلم ورواه الترمذي بلفظ المسلم اخو المسلم لا يخونه
ولا يكذبه ولا يخذله كل المسلم على المسلم حرام عرضه وماله و
دمه التقوى ههنا بحسب امرئ من الشر ان يحتقر اخاه
المسلم وفي الصحيحين لا تحاسدوا ولا تناجشوا ولا تباغضوا
ولا تدابروا وكونوا عباد الله اخوانا وله طرق اخرى

السادس والثلاثون

عن ابي هريرة رضي الله
عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من نفّس بتشديد الفاء
اي فرّج وازال ولو في الجملة عن مومن وفي نسخة عن مسلم اي معتقد
ولو ذميا بحاله او بجاهه او اشارته او عانته او سفارته او وساطته
او دعائه وشفاعته كربة بضم اوله اي خصلة يحزن بها والكربة
ما ياخذ النفس من الغم في اصل اللغة من كرب الدنيا بضم ففتح جمع
كربة اي بعض كربها او كربة مبتداة من كربها والمعنى هما واحدا
من همومها اي هم كان صغيرا او كبيرا من عرضه وعرضه وعدده
وعدده نفس الله عنه كربة اي عظيمة من كرب يوم القيمة
التي لا تحصى لان الخلق كلهم عيال الله وتنفيس الكرب انعام
لهم واحسان وما جزاء الاحسان الا الاحسان وليس هذا منافيا
لما ثبت من تضاعف الحسنات على ان كربة من كرب القيمة
ولو كانت صغيرة تساوي عشرا او اكثر من كرب الدنيا
ولو كانت كثيرة وفي رواية للطبراني من نفّس عن مؤمن نفّس الله
عنه كربة يوم القيمة ومن ستر على مؤمن ستر الله عورته ومن
فرّج عن مؤمن كربة فرج الله عنه كربته فهذا يدل على ما
قال بعضهم من ان التفريج اعظم من التنفيس لانه ازالتها

باكليه

بالكلية فجزاء التنفيس التنفيس وجزاء التفريج التفريج فعلم من
ذلك فضل قضاء حوائج المسلمين ونفعهم في كل حالة بما تيسر
من علم او مال او جاه او اشارة او دلالة او اغاثة او اعانة او دعوة
او شفاعة وقد جاء في الاثر الخلق عيال الله واحبهم الى الله
ارفقهم لعياله ومن المعلوم ان المراد بكربة الدنيا ما هي جائزة غير
محرمة فان ما كانت محرمة لا يجوز تفريجها ولا تنفيسها ثم قيل لفظ
من يفيد العموم لكنه خص بالمسلم لان الكافر لا ينفس عنه في
الاخرة وفيه بحث اذ لا يبعد ان يخفف عنه كربة في العقبى جزاء لما
فعله بالمومن من الاحسان في الدنيا كما روي من تخفيف عذاب ابي
طالب مطلقا حيث كان يحمي سيد الانبياء عن ضرر الاعداء وتخفيف
عذاب ابي لهب ليلة الاثنين حيث اعتق جارية بشرته بولادة
سند الاصفياء وهذا لا ينافي قوله تعالى لا يخفف عنهم من عذابها
لان معناه لا يرفع عنهم او ما قرر من عقوبتهم في بدايتهم
لا ينقص في نهايتهم ومن يسّر على معسر وهو من ركبه
الدين وتعسر عليه قضاؤه بالانظار او بالابراء كلا او بعضا
كذا قاله الشراح والاظهر ان يراد بالمعسر المقتر وهو مطلق
الفقير فالمعنى سهل عليه امره بالهبة والصدقة والقرض
والاعارة ونحوها بل السائل المحتاج الى تعليم العلم والعمل
او الارشاد الى طريق السداد يسر الله عليه اي اموره ومطالبه
في الدنيا والاخرة والاحاديث في فضل التيسير على المعسر المقرون
كثيرة منها خبر مسلم من سره ان ينجيه الله من كرب يوم
القيمة فلينفس عن معسر او يضع عنه وخبره ايضا
من انظر معسرا او وضع عنه اظله الله في ظله يوم لا ظل الا
ظله وخبر احمد من اراد ان يستجاب دعوته وتنكشف
كربته فليفرج عن معسر ولا يخفى ان المعسر صاحب الكربة

هو المريد المحتاج الى قطع العقبات الظلمانية والمنازل النورانية
كما اشتهر عن الكتاني ان بين العبد والحق الف مقام من نور
وظلمه ويتلقاه الوساوس وتستقبله الهواجس فعلى تحجه
ان ينفس كربة الوساوس عنه بامره بترك المبالاة بها والتامل
في الحجج العقلية اذ استاهلها وباستدامة الذكر والابتهال الى الله
في رفعها ويسهل عليه سواء الطريق ويذيقه حلاوة التحقيق
حتى يسطع في قلبه انوار الوصول ويطلع في سره آثار شموس
الحصول ومن ستر مسلما اى بدنه باللباس او عيوبه
عن الناس باخفائه وذب غيره عن افشائه اذا كان من
حقوق الله تعالى كالزنا وشرب الخمر وشبههما دون حقوق
الناس كالقتل والسرقة ونحوهما فان الستر هنا حرام
والاخبار به واجب على الانام وليس هذا من الغيبة المحرمة
بل من النصيحة الواجبة للحكمة وهذا اذا كان ممن ليس
معروفا بالفساد بان يكون من ذوي الهيآت لقوله عليه
السلام اقيلوا ذوى الهيآت عثراتهم الا الحدود كما
رواه احمد والبخاري في تاريخه وابو داود عن عائشة مرفوعا
واما المعروف به فيستحب ان ترفع قصته الى الوالى قال المص
في شرح مسلم ولو راه في معصية ينكرها بحسب القدرة وان
عجز يرفعها الى الحاكم اذا لم يترتب عليه مفسدة ستره الله
تعالى في الدنيا والاخره بالمعنيين المذكورين وفي رواية
للطبراني من ستر على مومن عورته ستر الله عورته واخرج
ابن ماجه من ستر عورة اخيه المسلم ستر الله عورته يوم القيمة
ومن كشف عورة اخيه المسلم كشف الله عورته حتى يفضحه
بها في بيته وروى احمد وابو داود والترمذى يا معشر من آمن
بلسانه ولم يدخل الايمان في قلبه لا تغتابوا المسلمين ولا تتبعوا

عوراتهم

عوراتهم فان من تتبع عوراتهم يتتبع الله عورته ومن تتبع الله عورته
يفضحه في بيته هذا وفي الحديث اشارة لمن وقف على شيء
من مقامات العرفان وكرامات ذوى الاتيان ان يحفظ ستره ويكتم
عن غيره امره فان صدور الاحرار قبور الاسرار اذ كشف الاسرار
على الاغيار يسد باب العناية ويوجب الحرمان والغواية
من اطلعوه على سر فباح به لم يامنوه على الاسرار ما عاشا
والله في عون العبد اى اعانته وهذا ابلغ من ان يقال والله يعينه
في كذا اذ المعنى ان الله يوقع العون في العبد ويجعله مكانا له
والمراد من عونه تعالى اياه تيسير قضاء الحاجة مثل ما اعان
العبد لارباب الفاقة او غير مثله اما بواسطة خلقه واما
بغير واسطة بل من محض فضله ما كان العبد اى مدة دوام
كونه وفي نسخة ما دام العبد في عون اخيه بقلبه او بدنه او ماله
او جاهه عونا واجبا او مندوبا او مباحا دون ما هو حرام او
مكروه فانه لا يتعاون فيه قال تعالى وتعاونوا على البر والتقوى
ولا تعاونوا على الاثم والعدوان وروى احمد من كان في حاجة اخيه
كان الله في حاجته وفي رواية الطبراني افضل الاعمال ادخال
السرور على المومن كسوت عورته او اشبعت جوعته او قضيت
له حاجته وورد من سعى في حاجة اخيه المسلم قضيت له
او لم تقض غفر له ما تقدم من ذنبه وما تاخر وكتب له براءتان
براءة من النار وبراءة من النفاق وامر الحسن ثابتا البناني
بالمشي في حاجة فقال انا معتكف فقال له يا اعمش اما تعلم
ان مشيك في حاجة اخيك المسلم خير لك من حجة بعد حجة ولعل
مراده انا مريد للاعتكاف لقوله تعالى لا تبطلوا اعمالكم
او كانت الحاجة ضرورية والاعتكاف سنة او فريضة غير
فورية ويمكن تداركه بالقضاء كما اذا وقع استغاثة احد الابوين

للولد المصلي فانه يقطعها ثم يقضيها وقد روى احمد ان
خباب بن الارت خرج في سرية فكان النبي صلى الله عليه وسلم
يحلب عنزا لعياله فتملا الجفنة حتى تفيض زيادة عن
حلابها فلما قدم وحلبها عاد الى ما كان وكان ابو بكر رضي الله
عنه يحلب للحي اغنامهم فلما استخلف قيل الان لا يحلبها فقال
بلى وانا ارجو ان لا يغيرني ما دخلت فيه عن شيء كنت افعله
وذلك لان العرب كانوا يستقبحون حلب النساء ويستنكفون
عن مثل هذه الاشياء وكان عمر رضي الله عنه يتعاهد الارامل
فيستقي لهم الماء بالليل وراه طلحة داخلا بيت امراة
ليلا فدخل بها نهارا فاذا هي عجوز عمياء مقعدة فقال ما يصنع
هذا الرجل عندك قالت له منذ كذا وكذا يتعاهدني بما يقوم لي
من البر وما يصلح شاني ويخرج الاذى عني ويقم لي بيتي
فقال طلحة ثكلتك امك يا طلحة اعثرات عمر تتبع
ولما فرغ من الحث على الشفقة على خلق الله اتبعه
بما ينبئ عن التعظيم لامر الله لان العلم وسيلة العمل
فقال ومن سلك طريقا تنكيره للشيوع اي من تسبب
باي سبب كان من مفارقة الاوطان والمسافرة الى البلدان
والانفاق في تحصيل هذا الشان والمجاهدة في مكان وزمان
يلتمس فيه اي يطلب في ذلك السلوك او المسلك علما
شرعيا اذا نوى به وجه الله تعالى قال المص رحمه الله
عادة العلماء تقييد هذه المسالة بهذا الشرط مع انه شرط
في كل عبادة لكونه قد يتساهل فيه بعض الجاهلين
ويغفل عنه بعض المبتدئين الغافلين انتهى وكانهم ارادوا
ان تطرق الرياء للعلم اكثر من تطرقه لسائر العبادات
فاحتيج للتنبيه فيه على الاخلاص للاعتناء بشانه

من

من بين الطاعات ثم العلم الشرعي هو علم القران والحديث والفقه
واصوله وما يتعلق به وما يتوقف عليه حصوله كعلم اللغة
والصرف والنحو والمعاني قدر الحاجة لا الخارج عن العلم الشرعي
كالفلسفة من منطق والهي وطبيعي ورياضي الا اذا فرغ عن
العلوم الشرعية واراد بتعلمها رد المذاهب الردية ودفع شبههم
الدنية وشبهات في ذلك من تصحيح النية وتخليص الطوية وهذا
قول عامة مشايخ الشريعة كالحليمي في شعب الايمان وغيره وقد الف
شيخ مشايخنا جلال الدين السيوطي رسالة في حرمة المنطق
فعليك بها سهل الله له به اي يسر له بسبب ذلك السلوك
او الالتماس او العلم او الطريق وهو الاظهر لقوله طريقا الى
الجنة ليكون جزاء وفاقا كالتنفيس بالتنفيس والتيسير
بالتيسير والستر بالستر والعون بالعون وقد اخرج الترمذي
ايما مؤمن اطعم مؤمنا على جوع اطعمه الله يوم القيمة من
ثمار الجنة وايما مؤمن سقى مؤمنا على ظما سقاه الله يوم
القيمة من رحيق المختوم وايما مؤمن كسا مؤمنا على عري
كساه الله من خضر حلل اهل الجنة ويحمل هذا كله حديث
انما يرحم الله من عباده الرحماء ارحموا من في الارض يرحمكم من
في السماء ثم من جملة طريق العلم تقديم العمل بالعلم لقوله
تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا ولقوله عليه
السلام من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم هذا والعلم
نور في قلب المؤمن مقتبس من مصباح الكلمات المحمدية
والافعال والاحوال الاحمدية يهتدي به الى الله وصفاته
وافعاله واحكامه فان حصل بواسطة البشر فهو كسبي
والا فهو العلم اللدني المنقسم الى الوحي والالهام والفراسة
فالوحي لغة اشارة بسرعة واصطلاحا كلام الهي يصل الى

انه

القلب النبوي فما انزل مبناه ومعناه معًا والحال انه لا يكون
الا بواسطة جبرئيل فهو الكلام الالهي وما نزل معناه على
الشارع فعبّر عنه بكلامه فهو الحديث النبوي وهذا قد يكون
بغير واسطة في محل الشهود كما قال فاوحى الى عبده ما اوحى
وقد يكون بواسطة نزول الملك اى تنزله من الصورة الملكية
الى الهيئة البشرية وتحقيقه ان المتكلم الحقيقي هو الحق فكلم
اولا محمدا بواسطة جبرئيل عليه السلام وثانيا اصحابه بواسطة
محمد صلى الله عليه وسلم وثالثا التابعين بواسطة الصحابة وهلم جرا
رضي الله عنهم اجمعين وقد يكون بنفثه في قلبه بان يلقى
معناه من غير ان يتمثل بصورة ومنه قوله عليه السلام
ان روح القدس نفث في روعي والالهام لغة الابلاغ
وهو علم حق يقذفه الله من الغيب في قلوب عباده قال تعالى
قل ان ربي يقذف بالحق والفراسة علم ينكشف من الغيب
بسبب تفرس اثار الصور ومنه قوله تعالى ان في ذلك
لايات للمتوسمين اى المتفرسين وفي الحديث اتقوا فراسة
المؤمن فانه ينظر بنور الله فالفرق بين الالهام والفراسة
انها كشف الامور الغيبية بواسطة تفرس الاثار الصورية والالهام
كشفها بلا واسطة والفرق بين الالهام والوحي انه تابع للوحي
من غير عكس ثم علم اليقين ما كان من طريق النظر والاستدلال
وعين اليقين ما كان بطريق الكشف والنوال وحق اليقين
ما كان بتحقيق الانفصال عن لوث الصلصال لورود رائد الوصال
وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله بكسر الباء وضمها جمع بيت
اى مسجد او مدرسة او رباط او زاوية ولهذا لم يقل من المساجد
وفي رواية المصابيح في مسجد من مساجد الله والاضافة للتعظيم
بسبب ما يوجد فيه من ذكر الكريم ولذا استثنى منها الاماكن

المستقذره

١٦٣

المستقذرة كالحمام والمزبلة ولعل الحديث مستفاض من قوله
تعالى في بيوت اذن الله ان ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له
فيها بالغدو والاصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله
واقام الصلوة وايتاء الزكوة يخافون يوما تتقلب فيه القلوب
والابصار الاية يتلون كتاب الله اى حال كونهم يقرؤنه وليس
المراد بتلاوته اجراء مبانيه من غير تصور معانيه ومتابعة
ما فيه ومخالفة ما ينافيه بل لا بد ان يقدر العبد انه يقرا على الله
واقفا بين يديه وهو ناظر اليه بل يشهد بقلبه كان ربه يخاطبه
بل يستغرق بمشاهدة المتكلم غير ملتفت الى غيره سامعا منه
ليكون داخلا في قوله تعالى الذين اتيناهم الكتاب يتلونه حق
تلاوته وقد سئل الامام الصادق عن حالة لحقته في الصلوة
حتى خر مغشيا عليه فلما سري عنه قال ما زلت اردد
الاية على قلبي حتى سمعتها من المتكلم بها فلم يثبت جسمي لمعاينة
قدرته ثم يتفكر فيما يتعلق بذات الله وصفاته وافعاله
ومصنوعاته ويقتبس معرفة الجلال والعظمة وفيما
يتعلق باهلاك الاعداء ويقتبس معرفة العزة والقهر
والاستغناء وفيما يتعلق بحال الانبياء ويقتبس معرفة
اللطف والفضل والبهاء وفي الايات الدالة على التكاليف
والارشاد ويقتبس معرفة الحكم فيعمل بمقتضاها في امر
المعاش وزاد المعاد ويتدارسونه بينهم شامل لجميع ما
يناط بالقران من التعليم والتعلم وتدارس بعضهم على بعض
والاستكشاف والتفسير والتحقيق في مبناه ومعناه
الا نزلت عليهم السكينة فعيلة من السكون للمبالغة اى
ما يسكن اليه القلب من الطمانينة والوقار والثبات والاصطبار
والذوق والشوق الى الرب وصفاء القلب ونزول الانوار بنزول

اللطف صح

لتمكين الرغب في القلب الانسيه وذهاب اثار الظلمات النفسيه
فلا ينزعجون عن المطالب الاخرويه بسبب حدوث العوارض الدنيويه
وقيل جماعة من الملائكة وقال المص في شرح مسلم المختار انها شئ من
مخلوقاته تعالى فيه طمانينة ورحمة انتهى وفي الحديث مرسل ان صلى الله
عليه وسلم كان في مجلس فرفع بصره الى السماء ثم طاطا بصره ثم رفعه
فقال ان هولاء القوم كانوا يذكرون الله يعني اهل المجلس امامه
فنزلت عليهم السكينة يحملها الملائكة كالقبة فلما دنت منهم
تكلم منهم رجل بباطل فرفعت عنهم وهو تفسير لقوله تعالى فيه سكينة
من ربكم وبقية مما ترك آل موسى وآل هارون تحمله الملائكة وغشيتهم
الرحمة اى غطتهم وحفتهم الملائكة احدقتهم واحاطت
بهم الى السماء الدنيا كما في الصحيحين وفي رواية لاحمد علا بعضهم
على بعض حتى يبلغوا العرش فيسمعوا منهم الايات ويحفظوهم من الآفات
ويصافحوهم ويبالغوا فى ثنائهم ويؤمنوا على دعائهم قال ابن
حجر تبعا للفاكهاني واختيار القاضي ان السكينة هنا الرحمة مردود
لعطفها عليها المقتضي للمغايرة فى قوله وغشيتهم الرحمة وهو
مدفوع بان المغايرة حاصله فيما بين الفعلين المتعاطفين فان
النزول مغاير للغشيان باعتبار الوصول والحصول كما قال
بنفسه اى شملتهم من كل جهة لاستيعابها نعم يلزم انه وقع الظاهر
موقع المضمر وهو كثير في القرآن والخبر فتدبر ثم الرحمة اراد بها نفع
العبد فهي صفة ذات او انعامه واحسانه فهي صفة فعل وذكرهم
الله اى اثنى عليهم لقوله تعالى فاذكروني اذكركم فيمن عنده
اى من الملاء الاعلى والطبقة الاولى من الكروبين والروحانيين
وارواح الانبياء والمرسلين والشهداء والصالحين مباهاة
بهم من بين المومنين واظهار الحالهم من بين المحسنين والمراد
عندية المكانة والقربة لا المكان والمساحة تشبيها في كرامتهم عليه

بمن يكون عند الملوك من المقربين لديه وفي الحديث القدسي والكلام
الانسى من ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي ومن ذكرني في ملأ ذكرته
في ملأ خير منهم وفي صحيح مسلم ان لاهل ذكر الله اربعا نزل عليهم السكينة
وتغشاهم الرحمة وتحف بهم الملائكة ويذكرهم فيما عنده هذا
وفي الجامع يدل الحديث على فضيلة الاجتماع على تلاوة القرآن بطريق
المدارسة لا على سبيل المخالطة كما يفعله الجهلة من الازهرية
مع زيادة الانغام الموسيقية فانه منكر عند العلماء الدينية
وكذا على اجتماع حلقة الذكر لكن بشرط عدم رفع الصوت بحيث
يشوش على نحو المصلين من النائمين وغيرهم فانه مكروه في
في الدين وفي الصحيحين ان الله ملائكة يطوفون في الطرق
يلتمسون اهل الذكر فاذا وجدوا قوما يذكرون الله تعالى تنادوا
هلموا الى حاجتكم قال فيحفونهم باجنحتهم الى السماء الدنيا
الحديث بطوله فيقول تعالى لملائكته اشهدكم انى قد غفرت
لهم فيقول ملك من الملائكة فيهم فلان ليس منهم انما جاء لحاجة
فيقول هم الجلساء لا يشقى بهم جليسهم وفي صحيح مسلم
انه صلى الله عليه وسلم خرج على حلقة من اصحابه فقال ما اجلسكم
قالوا نذكر الله عز وجل ونحمده لما هدانا ومن علينا به فقال
آلله ما اجلسكم الا هذا قالوا الله ما اجلسنا الا ذلك قال
اما انى لم استحلفكم تهمة لكم وانى اتانى جبريل فاخبرني ان الله
يباهي بكم الملائكة وروى الحاكم عن سلمان انه كان في عصابة
يذكرون الله فمر بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
ما كنتم تقولون فانى رايت الرحمة تنزل عليكم فاردت ان
اشارككم فيها وروى البزار بلفظ ان لله سيارة من الملائكة
يطلبون حلق الذكر فاذا اتوا عليهم حفوا بهم الحديث
وفيه فيقولون ربنا اتينا على عباد من عبادك يعظمون آلاءك

ويتلون كتابك ويصلون على نبيك ويسئلونك لاخرتهم ودنياهم
فيقول تبارك وتعالى غشوهم برحمتي وكان صلى الله عليه وسلم
احيانا يامر من يقرا القران في المسجد يسمع قراته وكان عمر
يامر من يقرؤه عليه وعلى اصحابه يسمعون هذا وبلسان
الاشارة بيوت الله عبارة عما يذكر فيه الحق من النفس
والقلب والروح والسر والخفى فذكر بيت النفس الطاعة
والعبادة وذكر بيت القلب التوحيد والمعرفة وذكر بيت الروح
الشوق والمحبة وذكر بيت السر الشهود والمراقبة وذكر
بيت الخفى بذل الوجود وترك الموجود وقوله الا نزلت الخ
مشيرا الى ثمرات التلاوة من الانس بالله والحضور مع الله
والغيبة عما سواه وتمثل الانبياء والملائكة والارواح المقدسة
في صور لطيفة والصعود من حضيض بعد البشرية الى ذروة
الملكوت الاعلى والدخول تحت الفناء والفرح بتحقق البقاء
والتبرى عن الناسوت والتقرب من اللاهوت وهذا مقام يضيق
عن بيانه نطق النطاق ولا يسع اعلانه في ظروف الحروف
وان قميصا خيط من نسج تسعة وعشرين حرفا من معانيه قاصر
قال ابو سعيد الخراز اذا اراد الله تعالى ان يوالى عبدا من عبيده
فتح عليه باب ذكره فاذا استلذ بالذكر فتح عليه باب القرب ثم رفعه
الى مجلس الانس ثم اجلسه على كرسي التوحيد ثم رفع عنه الحجب
الظلمانية والنورانية وادخل دار الفردانية وكشف له جمال
الجلال والعظمة الصمدانية فبقى بلا هو فحينئذ صار العبد
زمنا فقيرا من دعاوى نفسه فصار عنها فانيا وفي حفظه
سبحانه باقيا ومن بطأ به عمله بتشديد الطاء والباء
للتعدية كما في قوله لم يسرع به نسبه من الاسراع والمعنى
من جعله بطيئا واخره عمله السيئ في مقام العبادة

عن

165

عن بلوغ درجة السعادة لم يقدم نسبه اليها لان الاسراع
الى السعادة قرب الرب انما هو بالعمل الصالح وحسن الادب
لا بالنسب ولا بالحسب اذ امثال ذلك انما يعتبر في الدنيا واما في
العقبى واكرمهما اهل التقوى قال تعالى فلا انساب بينهم يومئذ
ولا يتساءلون ولذا قال عليه السلام لرجل تعلم انساب الناس
علم لا ينفع وجهل لا يضر وقال عمر رضى الله عنه تعلمون
من انسابكم ما تصلون به ارحامكم في الحديث من قوله صلى الله عليه وسلم
يا صفية عمة محمد يا فاطمة ابنة محمد ايتوني يوم القيمة باعمالكم لا
بانسابكم فاني لا اغنى عنكم من الله شيئا ونقل عن ابي يزيد قدس
سره ان مريدا له تبع خطاه من خلفه فاقبل عليه قائلا والله
لو سلخت جلد ابي يزيد ولبسته لم تنل مثقال خردل من مقاماته
ما لم تعمل معاملاته وانشد ما بال نفسك ان تدنسها
وثوب جسمك مغسول من الدنس ترجوا النجاة ولم تسلك مسالكها
ان السفينة لا تجرى على اليبس رواه مسلم بهذا اللفظ
اى بهذا الاسلوب من اوله الى اخره وقال ابن مسعود يامر الله
بالصراط فيضرب على جهنم فيمر الناس على قدر اعمالهم
زمرا زمرا اوائلهم كلمح البرق ثم كمر الريح ثم كمر الطير
حتى يمر الرجل مشيا وحتى يمر اخرهم يتلبط على بطنه فيقول
يا رب لم بطات بي فيقول اني لم ابطئ بك انما بطا بك عملك

السابع والثلاثون

عن ابن عباس
رضى الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما
يروى اى حال كون ذلك المروى داخلا فيما يرويه عن ربه
تبارك وتعالى اى تكاثر خيره واحسانه وتعظم شانه
وبرهانه وظاهره انه من الاخبار القدسية وان الله تكلم
بجميع ما فيه من الاسرار الانسية وليس كذلك بل المراد بما يرويه

يحكيه عن فضل ربه او حكمه كما يدل عليه ما بعده كذا قيل والاظهر
انه حديث قدسي وكلام النبي الا انه صلى الله عليه وسلم تارة روى عنه
عز وجل بالمبنى كما في بعض طرق هذا الحديث في الصحيحين ما هو
صريح في هذا المعنى وهو يقول الله عز وجل اذا اراد عبدي ان يعمل
سيئة فلا يكتبوها عليه حتى يعملها فان عملها فاكتبوها بمثلها
وان تركها من اجلي فاكتبوها له حسنة وان اراد ان يعمل حسنة فلم
يعملها فاكتبوها له بعشر امثالها واذا تحدث بان يعملها سيئة فانا
اغفرها ما لم يعملها فاذا عملها فانا اكتبها له بمثلها وتارة روى عنه
سبحانه بالمعنى يعني في هذا المعنى قال ان الله كتب اى قدر في سابق
علمه او امر الحفظة بكتبها في اللوح المحفوظ من عنده والمعنى
اثبت الحسنات اى ما يتعلق به الثواب والسيئات اى ما
يستحق فاعله العقاب ثم بين ذلك اى ما ذكر هنالك والمعنى
بين مقدارهما وعين مبلغهما للسفرة الكرام بان بعضها
وهو الحسنات يجازي بعشر او سبعين او سبعمائة الى غير ذلك بطريق
الفضل وبعضها وهو السيئات لا يجزى الا بمثلها على سبيل العدل
او بينه فيما انزله من كتابه او بين النبي عليه السلام ذلك الابهام
بما بعده من الكلام فيكون قوله ثم بين ذلك من كلام الراوي وقوله
فمن هم بحسنة الى اخره من كلام النبي عليه السلام والفاء
تفصيلية لان ما قبلها قضية اجمالية لا يفهم منها ان الكتابة
على الكيفية اي فمن قصدها وارادها وعزم عليها او ترجح
عنده فعلها فلم يعملها لمانع عنها وباعث على تركها
كتبها الله عنده حسنة بالنصب على انها مفعول ثان
باعتبار تضمن معنى التصيير او حال موطئة موصوفة
بقوله كاملة وذلك لان الهم بالحسنة قصد الخير فيكون خيرا
ولذا ورد نية المؤمن خير من عمله واما ارادة الشر ان كانت

سيئة

سيئة لكنه يدفع بكف النفس عنها وهو حسنة وتقييدها بكاملة
لدفع توهم ان مجرد الهم بها يوجب نقصان ثوابها وفيه دلالة على ان
مراتب المثوبة مختلفة ولو كانت شاملة هذا وفي رواية لمسلم اذا
تحدث عبدي بان يعمل حسنة فانا اكتبها له حسنة اى اذا خطر
ببالها وعلم الله في حاله انه ارادها ان يكون من جملة اعماله وروى
الخبر الاخر من هم بحسنة فلم يعملها فعلم الله انه ابصرها قلبه
وحرص عليها كتبت حسنة وان هم بها اى اهتم بها واعتنى
بشانها فعملها كتبها الله عنده عشر حسنات اى متصاعدة
الى سبعمائة ضعف اى مثل الى اضعاف كثيرة تفضلا
منه لاهل الايمان واحسانا لارباب الايقان وهذه المراتب
بحسب تفاوت العمل في المناقب اخلاصا في بابه ومراعاة لشرائط
وادابه والاحكام الثلاثة مستفادة من ايات الثلاثة وهي
قوله تعالى من جاء بالحسنة فله عشر امثالها وقوله مثل الذين
ينفقون اموالهم في سبيل الله كمثل حبة انبتت سبع سنابل
في كل سنبلة مائة حبة وقوله من ذا الذي يقرض الله قرضا
حسنا فيضاعفه له اضعافا كثيرة قال السدي ان هذا
التضعيف لا يعلم احدكم هو وما هو وانما ابهم الله تعالى
لان ذكر المبهم في باب الترغيب اقوى من ذكر المحدود ثم
خص حسنات الحرم كل واحدة بمائة الف حسنة وهو مندرج
تحت قوله والله يضاعف لمن يشاء وكذا فضل الصوم فانه
سبحانه قال الا الصيام فانه لي وانا اجزى به فيدل على
ان تقدير مضاعفة ثوابه لا يعلم احد الا هو لانه من افضل
انواع الصبر وانما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب
وقد قال العلماء ان التضعيف بعشرة لا بد منه بفضل الله
ورحمته ووعده الذي لا يخلفه والتضعيف بسبعمائة فما كثر

انما يحصل لبعض الناس على حسب مشيئته واخرج ابو حيان
في صحيحه لما نزل مثل الذين ينفقون اموالهم الاية قال
صلى الله عليه وسلم رب زد امتي فنزل من ذا الذي يقرض الله
قرضا حسنا الاية فقال رب زد امتي فنزل انما يوفى الصابرون
اجرهم بغير حساب وروى احمد ان الله ليضاعف الحسنة
الفي الف حسنة ثم تلا ابو هريرة راويه وان يك حسنة
يضاعفها ويؤت من لدنه اجرا عظيما ومن هنا قال عمر رضي الله
عنه لو وجدت لي حسنة لكفت لان الله سبحانه يقول وان يك
حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه اجرا عظيما فمن يقدر قدره
وروى ابو داود ان الصلوة والصيام والذكر يضاعف
على النفقة في سبيل الله سبعمائة ضعف مع ما ورد في حديث
ابن ابي حاتم من ارسل نفقة في سبيل الله واقام في بيته فله
بكل درهم سبعمائة درهم ومن غزا بنفسه في سبيل الله فله
بكل درهم سبعة الاف درهم وروى الترمذي من دخل
السوق فقال لا اله الا الله وحده لا شريك له الى اخره كتب الله
له الف الف حسنة ومحا عنه الف الف سيئة ورفع له الف
الف درجة وان هم بسيئة فلم يعملها اى من خوف الله
او لاجل رضاه وكما ثبت في الحديث العباس الذي رواه
مسلم فان تركها فاكتبوها له حسنة انما تركها من جراى
اى من اجلي كتبها الله عنده حسنة كاملة لانه انما تركها
بعد ان هم بها مراقبة لله وحذرا من عقوبته في دنياه او
اخراه مع القدرة عليها وابتغاء الميل اليها الا ان هم بها فلم
يعمل للعجز عنها او عدم غرض فيها قال العلماء يحمل هذا
على من لم يوطن نفسه عليها وان ذلك تنكرها بلا
استقرار فيها فيكتب له حسنة بالاعراض عنها وكراهة

خطوره

خطورها فيها ولا يبعد ذلك من فضل الله سبحانه مع انه قد تقرر
ان في جانب الحسنة لابد من العزم عليها قالوا واما من عزم بقلبه
على السيئة ووطن نفسه عليها اثم في عزمه واصراره فان
نفس العزم والاصرار معصية فيكتب معصية واحدة واذا
عملها كتبت معصية ثانية وان تركها خشية كانت حسنة
كذا قالوا ولكن يشكل بقوله وان هم بها فعملها كتبها الله
سيئة واحدة لان ظاهره انه لم يكتب عليه الا معصية واحدة
اللهم الا ان تغاير بين الهمين وعلى كل تقدير يدل الحديث على
انه لا مضاعفة في السيئة كما هو صريح في الاية حيث
قال تعالى فلا يجزى الا مثلها بصيغة الحصر للمبالغة
ووقع في اصل ابن حجر كتبت سيئة واحدة وهو مخالف للاصول
المعتمدة واما ما ورد عن ابن عباس من ان السيئة في الحرم تتضاعف
محمول على المضاعفة في الكيفية لا في الكمية جمعا بينه وبين الايات
القرانية والاحاديث النبوية وهذا معنى قول قتادة في قوله تعالى
فلا تظلموا فيهن انفسكم فان الظلم في الاشهر الحرم اعظم
خطيئة ووزرا وكذا ما في حديثين ضعيفين ان السيئة تضاعف
في رمضان قال مجاهد تضاعف السيئة بمكة كما تضاعف
الحسنة وقال ابن جريج بلغني ان الخطيئة بها بمائة خطيئة
في غيرها يعني ان الخطيئة الواحدة فيها بحسب الكيفية تعادل
مائة خطيئة في غيرها باعتبار الكمية وعلى هذا يحمل ما حكي انه
قيل لاحمد أفي شيء في الحديث ان السيئة يكتب باكثر من واحدة قال
لا ما سمعنا الا بمكة لتعظيم البلد وكذا النقل عن اسحق وقد
يكون مضاعفة السيئة في الكيفية باعتبار عظم فاعلها وعلمه
يحمل قوله تعالى يا نساء النبي من يات منكن بفاحشة مبينة يضاعف
لها العذاب ضعفين وذلك لان من عصى السلطان على بساطه

اعظم جرمًا من عصاه على بعلم ومنه حديث ويل للجاهل مرة
وويل للعالم سبع مرات وقد صح اشد الناس عذابًا يوم القيمة عالم
لم ينفعه الله بعلمه ثم المحققون على ان العزم مواخذ به
وخالف بعضهم ونسب الى الشافعي وابن عباس من الهم
المرفوع تمسكا بقول اللغويين من ان الهم بالشئ العزم عليه
وهو مستمسك ضعيف في غاية من السقوط لان اللغوى لا ينزل
الى هذه الدقائق التي نظر اليها ارباب الحقائق ومما يويد الجمهور
حديث اذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في
النار قيل ما بال المقتول قال كان حريصا على قتل صاحبه فيفيد
انه لو اراد دفعه عن نفسه لا يكون شريكا له في اثمه وكذا يفيد
الاجماع على المواخذة باعمال القلوب كالحسد والحقد وحب
الدنيا وامثالها وعليه حمل ابن عباس قوله تعالى وان تبدوا ما في
انفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله نعم العزم على الكبيرة
وان كانت السيئة فهو دون الكبيرة المعزوم عليها ولا ينافي
ما تقرر ما روى عن الحسن في الحسد وعن سفيان في سوء الظن
بالمسلم انه اذا لم يصحبه قول او فعل فهو معفو لان ذلك محمول
على ما يجده الشخص من نفسه باعتبار جبلته مع كراهته و
دفعه عن نفسه بقدر كلفته وذكر السبكي انه يواخذ بالهم
بالمعصية في حرم مكة دون غيرها وروى عن ابن مسعود موقوفا
مرة ومرفوعا اخرى قيل والموقوف اصح ونقله بعض اصحاب
احمد عنه ولعل ماخذهم قوله تعالى ومن يرد فيه بالحاد
بظلم نذقه من عذاب اليم وقال بعض الصوفية انما كان العشرة
اقل درجات الثواب لان الحسنة تصدر بظهور القلب والسيئة
بظهور النفس فاقل درجات ثوابها ان يصل صاحبها الى مقام
القلب الذى يتلو مقام النفس في الارتقاء الى مرتبة العشرات

للاحاد في الاعداد ومن عمل سيئة فلا يكتب الا واحدة لانه لا مقام ادون
من مقام النفس فينحط اليه فبالضرورة جزاوه في مقام النفس بالتنزيل
وهو حصول هيئتها فيها ومن هنا يعلم ان الثواب من باب الفضل فانه
بتنور استعداده ويزداد قبوله لفيض الحق فيتقوى على اضعاف ما فعل
ويكتسب بها انوارا متضاعفة الى غير النهاية بازدياد القبول عند فعل
كل حسنة وزيادة الفيض عند زيادة القبول وزيادة القدرة عليها
عند زيادة الفيض الى ما لا يعلمه الا الله كما قال والله يضاعف لمن
يشاء وان العقاب من باب العدل المقتضى للمساواة ومن فعل
بالنفس اذا لم يعف عنه يجازي بالنفس والسيئة والحسنة المذكورتان
من قبيل الاعمال لا الاشخاص والاقرب سيئة من شخص تعادل
حسنة من غيره كما قال بعض العارفين حسنات الابرار سيئات
المقربين اذ سيئاتهم بوجود القلب ورب سيئة توجب حجاب
الابد كالشرك هذا وقال الطحاوى والنظر في هذا الحديث
دليل على ان الحفظة يكتبون اعمال القلوب خلافا لمن قال انها لا يكتب
الا الاعمال الظاهرة انتهى وفيه نظر اذ ليس في الحديث تصريح
بان الحفظة يكتبونها رواه البخارى ومسلم في صحيحيهما
اى جامعيهما بهذه الحروف اى بهذه الالفاظ المنقولة عنهما
بعينهما الا انه رواية بالمعنى لما فيها وفي رواية لمسلم بعد واحدة
او محاها الله ولا يهلك على الله الا هالك وتوضيحه ما قال
ابن مسعود ويل لمن غلبت آحاده عشراته وجاء مرفوعا
هلك من غلب واحده عشرا فانظر هي من النظر بمعنى اعمال
الفكر ومزيد التدبر اى فتامل واعتبر يا اخي اى في الدين
وهو نداء تعطف وشفقة وتلطف وفقني الله اى اقدرني الله
على الطاعة بخلق قدرتها فيّ واياك وبدا بنفسه
لقوله تعالى حكاية عن انبيائه وتعليما لاصفيائه

ان النفس مطية للقلب في بعض الاحوال التي تختلف في الحالين فاذا كانت مطية للقلب كانت حظوظها اللذات الحيوانية مثلا من المأكول والمشروب فاذا صارت مطية للروح لنفوذ حظوظها فصارت الحظوظ حينئذ الجاه والرياسة والتقدم على الاقران والتفوق على الاضراب ولعل هذا التفاوت لتفاوت ما بين التلذذ والروح في اللطافة والكثافة

رب اغفرلي ولوالدي وللمومنين والمومنات ولقوله عليه السلام ابدا بنفسك
ثم ادرج ابن حجر فيها من هو بمنزلتها من احبائه واصدقائه فالنون
للجمع لا العظمة نفسه بناء على ما وقع في اصله وهو خلاف ما عليه
المتون المقرره والاصول المعتبرة وعلى كل تقدير فيه رد على ما احدثه
بعض ظرفاء زماننا فانه اذا قيل لهم تقبل الله منكم يقولون ويدا
بكم الى لعظم لطف الله بكسر العين وفتح الظاء على ما في الاصول
المعتمده وفي اصل ابن حجر الى عظيم لطف الله قال في الكشف اللطف
هو اجراء القضاء على وفق الارادة او ايصال نفع فيه نوع من
الدقة وقال الغزالي اللطيف من يعلم دقائق المصالح وغوامضها
وما لطف منها ثم يسلك في ايصالها الى المصلح سبيل الرفق
بها وتامل هذه الالفاظ اى النبوية الصادرة من المشكوة
المصطفوية ومنبع الحكمة الاحدية ومادة الحياة الابدية
فقوله وفي نسخة وقوله اي ومن جملة ما ينبغي تامله اى
في الحسنة عنده فانه اشارة الى الاعتناء بها اى الى مزيد
الاهتمام فيها والاعتبار في شانها فان اجراء العندية على
المعنى اللغوية محال على الله سبحانه لتقدسه عن المكان فالمراد عنديه
الرتبة وقربية المنزلة كقوله تعالى ان المتقين في جنات ونهر
في مقعد صدق عند مليك مقتدر وقوله اى ومن جملته قوله
كاملة للتوكيد اى فانه صفة موكدة للتابيد وشدة
الاعتناء بها وقال في السيئة التي هم بها ثم تركها كتبها الله
عنده حسنة كاملة فاكدها بكاملة اى اعتنا بتركها وان عملها
اى قال وان عملها كتبها الله سيئة واحدة فاكد تقليلها دفعا
لتوهم الزيادة عليها بواحدة بالنصب على الحكاية وهو الاولى
في الحديث والاية وبالجر على اعمل الا ان العمل بتعيين
في قوله ولم يوكدها بكاملة اذ ليس هناك حتى وفي هذا كله

اشارة

اشارة الى ان مقام الفضل اوسع من مقام العدل كما دل عليه
قوله صلى الله عليه وسلم ان الله كتب كتابا فهو عنده فوق العرش
ان رحمتي سبقت غضبي ولا يهلك على الله الا هالك والحاصل ان
لفظ الحديث ومبناه طابق معناه في افادة فضل الله بتضعيف
الحسنات وتكميلها والاعتناء بها وافراد السيئات وتقليلها لمسامحته
تعالى عباده في المعاملة تضعيفا في الخير وتخفيفا في الشر لطفا
لهم وتفضلا بهم ولله در من قال من ذوى الاحوال
يا خالق الخلق يا من لا شريك له • طوبى لمن عاش بين الناس يهواكا
انى لاعجب ممن قد راى طرفا • من فرط لطفك انى كيف ينساكا
والله ما فرحت روحي ولا انست • في الدهر ما بقيت الا بذكراكا
وكيف تانس روح العارفين وانه • دام السرور لهم الا بلقياكا
فلله اى دون ما سواه الحمد اى جميع انواعه اذ لا يستحق الحمد
ما سواه لان الحمد تعريف المحمود بنعت الكمال فمن صفات
الجلال والجمال فالحمد ثابت له حمد او لم يحمد لانه محمود في ازل
الازال والمنة اى جنس النعمة لقوله تعالى وما بكم من نعمة
فمن الله او المعنى له الحمد في الاولى والاخرى والمنة العظمى في
شهادة الكلمة العليا ومتابعة طريقة المصطفى سبحانه
مفعول مطلق اى انزهه عن نقصان في شانه وفي نسخة
زيادة وتعالى اى تعظم سلطانه وظهر برهانه لا نحصي ثناء
عليه اي لا تقدر معاشر الانام ولا نطيق على القيام بحق ثنائه
وذكر جميل ذاته وصفاته وافعاله واسمائه او لا نحصر جميع ثنائه
اذ الحول البشرى قاصر عن استقصائه كما قال تعالى وان
تعدوا نعمت الله لا تحصوها لا نطيقوها فكيف القيام بشكرها
والخروج عن عهدة ذكرها وفيه تلميح الى قوله عليه السلام
لا احصي ثناء عليك انت كما اثنيت على نفسك ايماء الى العجز البشرية

سواء صح

عن القيام بحق العبودية وعن معرفة النعوت الربوبية وقد
ورد فيمن قال ربنا لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك وتعظيم سلطانك
ان الله يقول للملايكة دعوا الى هذه الكتابة فانكم تعجزون
عن احصاء ما يقابلها من المثوبة وبالله اى بتيسيره لا بغيره
التوفيق اى توفيق التحقيق والاستقامة على سواء الطريق
وختم به لعرض فقره فى جميع اعماله واحتياجه فى كل احواله
الى الاسعاد الربانى والامداد السبحانى

الثامن والثلثون

عن ابى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم ان الله تعالى قال من عادى لى وليا من المعاداة
ضد الموالاة والولى ضد العدو وهو فعيل اما بمعنى مفعول
وهو من يتولى الله امره وحفظه على التوالى فلا يكله الى نفسه
لحظة قال تعالى وهو يتولى الصالحين واما بمعنى فاعل وهو
من يتولى عبادة الله وطاعته ويتوالى عليه من غير تخلل معصية
وكلا الوصفين شرط فى الولاية كما ذكره القشيرى فالوصف
الاول غالب على المجذوب المراد والثانى على السالك المريد الله
يجتبى اليه من يشاء ويهدى اليه من ينيب والاظهر ان المراد
بالولى هنا المومن المتقى قال تعالى ان اولياؤه الا المتقون
وقال الا ان اولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون
الذين امنوا وكانوا يتقون وتحقيقه ان يقال هو من يتولى
الله بذاته امره فلا تصرف له اصلا اذ لا وجود له ولا ذات ولا
فعل ولا وصف فهو الفانى بيد المغنى يفعل به ما يشاء حتى
يمحو رسمه واسمه وعينه واثره ويحييه بحياته ويبقيه
ببقائه والتركيب يدل على القرب ومكانه قريب منه لاستدامة
عبادته واستقامة طاعته او لاستغراقه فى بحر معرفته ومشاهدة
طلعة عظمته والاظهر ان المراد بالولى الكامل من جمع بين قرب الفرائض

والنوافل

والنوافل وانه ادنى ما يطلق عليه من تقرب اليه بالفرائض من
امتثال الاوامر واجتناب الزواجر وقوله لى حال من قوله
وليا قدم عليه لتنكيره وجعله ظرف لغو لغو ولو قال به ابن
حجر فتدبر وايراد صيغة المفاعلة للمبالغة ولا يبعد ان يكون للمغالبة
والمعنى من اذى وفى من اهان واحدا من اوليائى فقد اذنته روايةٍ
بالحرب بهمزة ممدودة اى اعلمته بانه محارب لى ذكره المص
ويويده ما وقع فى بعض الروايات فقد بارزنى بالحرب او بالمحاربة
وقال بعضهم اى اعلمته بانى محارب له اى مقاتل له معاملة
المحارب وهو ابلغ وفى رواية يدل لهذا فقد استحل محاربتى وفى
اخرى فقد استحل محاربتى وفى اخرى فقد اذى الله ومن اذى
الله يوشك ان ياخذه ففى الحديث تسلية للاصفياء عن
معاداة الاعداء وتحذير للاعداء عن ايذاء الاولياء وتركهم حرمتهم
وتنبيه على تعظيم شانهم وحفظ قلوبهم ودفع كربتهم لما فى
مفهومه حيث جاء فى معاداة الولى عظيم الوعيد تكون فى موالاته
جسيم القرب والتاييد كما قيل وكم لله اشراف البرايا
لهم قدر عظيم بالكرامة فمن والاهم حقا وصدقا كرامته
الشفاعة فى القيمة ثم اعلم ان جميع المعاصى محاربة الله عز وجل
ولذا قال الحسن يا ابن ادم هل لك بمحاربة الله من طاقة فان من
عصى الله فقد حاربه الا ان كلما كان الذنب اقبح كان محاربة
الله اشد واصرح ولذا سمى اكل الربوا وقطاع الطريق محاربين
لله ورسوله لعظيم ظلمهم لعباده وسعيهم بالفساد
فى بلاده هذا اول من عادى وليا من اوليائه ابليس فانه عادى
اول نبى من انبيائه واستمرت هذه العداوة بين الذرية وما
تقرب الى عبدى بشى احب الى مما افترضت عليه
التقرب طلب القربة واخذ المثوبة والباء فى بشى سببية

[illegible]

وَاَحَبُّ صِفَةُ شئ افعل وهو بمعنى المفعول فهو منصوب وفي نسخة مرفوع على تقدير هو احب وما الثانية موصوفة او موصولة والعائد محذوف اي مما افترضته عليه والفرض اعم من ان يكون فرض عين او كفاية ودخل فيه الواجب على مصطلحنا لانه فرض عملا لا اعتقادا ولهذا ثواب الحنفية في نحو الوتر وركعتي الطواف اكثر من الشافعية لاختلاف معتقدهم في القضية والمعنى ما تطلب عبدي القربة من رحمتي والمثوبة من عنايتي بوسيلة عمل احب الي من الذي فرضته عليه اي وسائل القرب كثيرة ومراتبها مختلفة واحبها الي اداء الفرائض ومراعاة سائر تكاليف الاحوال اذ هي الامانة المعروضة على السموات والارض والجبال وفي رواية بدل هذا ابن ادم انك لن تدرك ما عندي الا باداء ما افترضت عليك قال العلماء وذلك لان الذي فرضه الله على عبده هو اختياره تعالى له والذي يتنفل به العبد اختياره لنفسه فينبغي للعبد كمال الاهتمام بامر الفرائض والقيام بتحسينها لا كما يفعل العامة من تضييع الفرائض بالتقصير في شرائطها وتكميل اركانها والاتيان بسننها وادابها ثم تكثير النوافل والاذكار والاوراد والتلاوة وكثرة الطواف وقد حكى ان بعض الاكابر من الملوك وقف على جمع من الصوفية فقال من انتم فقالوا نحن قوم من احبنا يضر بدنياه ومن يبغضنا يضر بعقباه فقال انا ما اقدر على محبتكم ولا على عداوتكم وذهب وتركهم وما يزال عبدي يتقرب وفي رواية يتحبب الي بالنوافل اي الزوائد على الفرائض فتشمل السنن المؤكدة وفي اخرى يتنفل اي ويترقى من مقام الى اخر حتى احبه اي حتى امتلا قلبه من معرفتي فاشرقت عليه انوار ولايتي

بسبب

وروى اذا ثواب الفرض يعدل ثواب النفل

وانشا لها ج

بسبب الجمع بين فرائضي ونوافل طاعتي والشان كل الشان في محبته سبحانه للعبد دون محبة العبد له تعالى وان كانت الثانية نتيجة للاولى كما يشير اليه قوله تعالى يحبهم ويحبونه وفي الصحيحين عن ابي هريرة مرفوعا اذا احب الله عبدا دعا جبرئيل فقال يا جبرئيل اني احب فلانا فاحبه قال فيحبه جبرئيل ثم تنادي في السماء فيقول ان الله يحب فلانا فاحبوه فيحبه اهل السماء ثم يوضع له القبول في الارض الحديث فاغل بها مرتبة واعظم بها منقبة ولعل الحديث مستفاد من قوله تعالى ان الذين امنوا وعملوا الصلحت سيجعل لهم الرحمن ودا ماخوذ من قوله سبحانه قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله فالمحبة على قدر المتابعة في الفرض والسنة هذا ومن افضل النوافل تلاوة القران لما روى الترمذي ما تقرب العباد الى الله عز وجل بمثل ما خرج منه اي ظهر منه يعني القران ولذا قال عثمان لو طهرت قلوبكم ما شبعتم من كلام ربكم وقال بعض العارفين لمريد اتحفظ القران قال لا فقال واغوثاه بالله مريد لا يحفظ القران فبم يتنعم فبم يترنم بم يناجي ربه ثم سائر الاذكار فقد اخرج البزار عن معاذ قلت يا رسول الله اخبرني بافضل الاعمال واقربها الى الله عز وجل قال ان تموت ولسانك رطب بذكر الله وكفى فضلا بشرفه قوله فاذكروني اذكركم ومن جملتها الحب في الله والبغض في الله فقد اخرج احمد لا يجد العبد صريح الايمان حتى يحب لله ويبغض لله فاذا احب لله وابغض لله فقد استحق الولاية وفي رواية من احب لله وابغض لله واعطى لله ومنع لله فقد استكمل الايمان وروى ابو داود ان لله لاناسا ما هم بانبياء ولا شهداء يغبطهم الانبياء والشهداء يوم القيمة بمكانهم من الله عز وجل قالوا يا رسول الله من هم قال هم قوم كانوا يتحابون بروح الله على غير

ارحام بينهم ولا اموال يتعاطونها فوالله ان وجوههم لنور وانهم لعلى منابر من نور لا يخافون اذا خاف الناس ولا يحزنون اذا حزن الناس ثم تلا هذه الاية الا ان اولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ولقد اغرب ابن حجر حيث عدّ التوكل والرضا من التطوعات الباطنه وغفل عن كلام الاكابر من الائمة انهما من الفرائض العينيه المتعينه على كل احد من سالكي الطرق الاخرويه وفي الاحياء ذكرها على وجه الاستيفاء فاذا احببته اى حبا كاملا وقربته قربا كاملا كنت اى صرت حينئذ بمعنى ظهرت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به ويده التي يبطش بها بفتح الياء وكسر الطاء هو الرواية وموافق للاية وهى قوله تعالى يوم نبطش البطشة الكبرى ويجوز ضم الطاء وكذا ضم اوله وكسر ثالثه في اللغة فقول ابن حجر بفتح اوله وكسر ثالثه وضمه ليس في محله باعتبار لمّه ورجله التي يمشي بها وفي رواية وفواده الذى يعقل به ولسانه الذى يتكلم به اى حافظ حواسه وجوارحه فلا يسمع ولا يبصر ولا ياخذ ولا يمشي الا فيما ارضى واحب وينقلع عن الشهوات ويستغرق في الطاعات وقريب منه قول الخطابى معناه توفيقه في الاعمال التي يباشرها بهذه الاعضاء يعني ييسر عليه فيها معاملة سبيل ما يحبه ويعصمه عن مواقعة ما يكرهه من اصغاء الى اللهو بسمعه ونظر الى ما نهى عنه ببصره وبطش ما لا يحل بيده وسعي في باطل برجله وقال التوربشتي اجعل سلطان حبي غالبا عليه حتى يسلب عنه الاهتمام بشي غير ما يقربه الي فيصير متخليا عن اللذات منخلعا عن الشهوات مع ما يقلب واين ما توجه لقي الله عز اى فيه وسمع منه وياخذ حب الله بمجامع قلبه فلا يسمع ولا يرى

ذلك صح

ولا يفعل الا ما يحبه ويكون له في ذلك عونا ويدا ووكيلا يحمي جوارحه وحواسه وقيل المراد كنت اسرع الى قضاء حوائجه من سمعه في الاستماع وبصره في النظر ويده في اللمس ورجله في المشي وقيل كنت مسموعه ومبصره اى يكون مسموعه اسمي وذكري وكلامي فلا يلتذ ولا يستانس الا به ومبصره عجائب ملكوتي وصنائع جبروتي يستدل بها على وجوب وجود ذاتي وقدس صفاتي لا ينظر فيها الا لله وكذلك في اليد والرجل اى لا يمدّ الا الى ما احبه الله ولا يخطو الا حيث يرضاه وفي كلام القاضي انه يتقرب ويترقى من مقام الى اخر حتى يحبه الله فيجعله مستغرقا بملاحظة جناب قدسه ومطالعة مقام انسه بحيث ما لاحظ الاوراى الله تعالى فيه وما التفت التفات حاس ومحسوس الا لاحظ ربه وشاهد قربه وهو اخر درجات السالكين واول مراتب الواصلين هذا مجمل الكلام وان اردت تحقيق المرام في هذا المقام الذى زلت فيه الاقدام والاقلام وكلت دون الوصول الى الحق الافهام فاستمع لما يتلى عليك من تدقيقات المحققة الاعلام الواصلين الى اعلى مدارج الانس السائرين في ارقى معارج القدس التائهين في بيداء عظمة الملك والملكوت المتلاشين في ديماء الديمومية والعزة والجبروت الذين ورد في شانهم الحديث ونطق بعزتهم القديم والحديث فنقول المحبة ارادة ما تراه او تظنه خيرا مما سواه وهي اما محبة اللذة كمحبة الطعام او محبة المنفعة كمحبة ما ينتفع به من المرام او محبة الفضيلة كمحبة العلماء الاعلام ذكره الراغب ولا يخفى انها ابلغ من الارادة لانها اذا تاكدت في القلب وانعقدت فيه فهي المحبة وهي منقسمة الى الطبيعية وهي ميل النفس الى لذاتها وشهواتها والشرعية الماخوذة

شيئا صح

من الكتاب والسنة والروحانية وهي ميل القلب الى مطالعة الامور
الملكوتية العلوية فاذا استولت عليه وغلبت لديه تصير عشقا
فهو المحبة المفرطة ولا يجوز اطلاقه على الله عند جمهور الامة
وقالت الصوفية محبة العبد هي الميل الدائم بالقلب الهائم
او ايثار المحبوب على جميع المصحوب او محو المحب بصفاته وايثار
المحبوب بذاته او معانقة الطاعة ومباينة المخالفة وقال
الجنيد هي دخول صفات المحبوب على البدل من صفات المحب
كما في الحديث قال السهروردي وذلك لان المحبة اذا صفت
وكملت لا تزال تجذب بوصفها الى محبوبها فاذا انتهت الى
غاية جهدها وقفت والرابطة متاصلة متاكدة وكمال
وصف المحبة ازال الموانع من المحب وبكمال وصف المحبة
تجذب صفات المحبوب تعطفا على المحب المخلص من موانع قادحة
في صدق المحبة ونظرا في قصوره بعد استيفاء جهده
فيعود بعوائد اكتساب الصفا من المحبوب فيقول عند ذلك
انا من اهوى ومن اهوى انا ، نحن روحان حللنا بدنا ،
فاذا ابصرتني ابصرته ،، واذا ابصرته ابصرتنا ،
انتهى وفي هذا المقام انشد بعض المشايخ الكرام
رق الزجاج ورقت الخمر ، فتشاكلت وتشابه الامر ،
فكانما خمر ولا قدح ،، فكانما قدح ولا خمر ،
وذكر الرازي في حقائق التفسير ان المحبة المحب
ثلاث مراتب محبة العوام التابعين للاعمال المحمدية وهي مطالعة
المنة من روية احسان المحسن بالنعم وجعل ومحبة الخواص التابعين
لاخلاقه يحبونه اجلالا واعظاما ولكونه اهلا له ومحبة
اخص الخواص التابعين لاحواله وهي ناشية من الجذبة
الالهية في كنت كنزا مخفيا وحقيقتها ان يفنى المحب

بسطوتها

بسطوتها ويبقى فيه بلا هو لانها نار لا تبقى ولا تذر وللمحبة
المحبوب ثلاث درجات ايضا محبة العوام باختصاصهم بالرحمة
والمغفرة والمثوبة ومحبة الخواص بتجلي صفات الجلال وستر
ظلمة صفاتهم بانوار صفات الكمال ومحبة اخص الخواص
باختصاصهم بالجذبات وستر ظلمة وجودهم بانوار الوجود الحقيقي
الذاتي فيتجلى اولا بنار الجلال فتحرق عن قلبهم جميع ما كان
فيه من الآمال ثم يتجلى بنور الجمال ويمحوهم عنهم ويثيبهم به
ويسلب عنهم السمع والبصر والنطق وابدله بسمع وبصر
يليق به فهم بين روضة المحو وغدير الاثبات احياء غير اموات
كما يشير اليه قوله تعالى وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى وهذا
في مقام المحب والمحبوب والمحبة واحد كما ان الرائي في المرآة يشاهد
ذاته بذاته وصفاته بصفاته فيكون الرائي والمرئي والروية
واحدا اي كما يشير اليه قوله عليه السلام المؤمن مرآة المؤمن
على ان المراد بالمؤمن في الموضعين هو الله انتهى كلامه فيكون
مجرى الحديث مقتضاه والله اعلم بحقيقة معناه ان من
استغلت به الدرجة المحبوبية ومكنته الرتبة المطلوبية
كنت مستوليا بنور وجهي على قلبه مفيضا بنوره سري على
صدره فسمعه من نوري يسمع به وبصره من نوري يبصر به
ويده من نوري يبطش بها ورجله من نوري يمشي بها فيكون
قائما بنوري لانه مصدر اعماله وهو القلب الذي هو بيت الرب
صار عرشا لنور الله من غاية الظهور ولا يصدر من النور
الا النور ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور فهذا
العبد هو الذي قام بنور الحق ذاتا وصفة وفنى لشهوده
وبقي لوجوده لاستعداده بكمال الهداية لسبق العناية
عزيزا بالمحبة يوما قالت له الدنيا آتينا طائعينا ، هذا

وفي رواية فبي يسمع وبي يبصر وبي يبطش وبي يمشي اي
انا الذي اقدرته على هذه الافعال وخلقتها فيه في جميع الاحوال
كما هو معتقد اهل السنة والجماعة خلافا للمعتزلة من اهل
البدعة واما زعم الاتحادية والحلولية ببقاء هذا الكلام
على ظاهر المرام وانه سبحانه عين عبده واجزائه او حال في
قلبه واعضائه خروج عن الاسلام باجماع علماء الاعلام
وعمدة ما تقرر وزبدة ما تحرر ان من اجتهد بالتقرب الى الله
بعمل الفرائض والنوافل ابتغاء لرضاه قربه مولاه ورقاه
من درجة الايمان الى مرتبة الاحسان حتى يعبد الله كانه يراه
ويسمع ويبصر وياخذ ويسمع في مهواه وهذا هو الذي يقال
في حقه لا يبقى الا الله لانه سبحانه افناه عما سواه فلا ينطق
الا بذكره ولا يتحرك الا بامره فان نطق نطق به وان سمع سمع به
وان نظر نظر به وان بطش بطش به ان صلاتي ونسكي
ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وفي الحديث
من اصبح وهمه غير الله فليس من الله اي لا حظ له في قربه
ومحبته ومقام رضاه وان سالني اعطيته كذا في النسخ
وفي اصل ابن حجر تبعا للفاكهاني ولئن سالني لاعطينه
ثم حذف المفعول ليعم المسؤول ولئن استعاذني ضبطوه
بالنون وبالياء وكلاهما صحيح ذكره المص والاظهر الباء
لقوله تعالى فاستعذ بالله على انها للاستعانة لا للالصاق
كما ذكره شارح فانه هنا غير جائز الاطلاق بخلاف الرأبه
فان الالصاق من دابه واما النون فللوقاية والياء منصوب
بنزع الخافض وارد اللام الموطئة للتاكيد وحذف من
المستعاذ منه ليعم في مقام التابيد والعوذ الالتجاء اي ان
التجا بي حتى وتعلق باعانتي واغاثتي لاعيذنه وفي رواية

زيادة

زيادة واذا استنصرني نصرته والله قادر على ان يعطيه من غير ان
يساله وان يعيذه قبل ان يستعيذه ولكنه سبحانه متقرب الى
اعطا السائلين واعاذة المستعيذين ولذا ورد من لم يسال الله
يغضب عليه اي لا بلسان القال ولا ببيان الحال للاشعار بانه مدع
للكمال المستغني عن جمال ذي الجلال والعبد غير مستغن عنه سبحانه
لا في الايجاد ولا في الامداد ومن لطائف الكلام قول بعض الشعراء
الكرام الله يغضب ان تركت سواله وبني آدم حين يسال يغضب
ثم في هذا الوعد المحقق المؤكد بقسم الحق اعلام بان من تقرب
الى الله لا يرده اذا دعاه لكن كثير من السلف كان مجاب الدعاء
ومع ذلك صبر على البلاء منهم سعد بن ابي وقاص رضي الله عنه
لما عمي قيل له لو دعوت الله فقال قضاء الله احب من بصري
وقيل لابرهيم التيمي وهو في سجن الحجاج اما تدعو الله فقال اكره
ان ادعوه ان يفرج عني ما فيه اجر لي وصبر سعيد بن جبير
على اذى الحجاج حتى قتله مع انه كان مجاب الدعوة هذا وفي
رواية كنت له سمعا وبصرا ويدا ومؤيدا دعاني فاجبته وسالني
فاعطيته ونصح لي فنصحت له وان من عبادي من لا يصلح ايمانه
الا الغنى ولو افقرته لافسده ذلك وذكر مثله في الفقر والصحة
والسقم ثم قال اني ادبر عبادي لعلمي بما في قلوبهم اني عليم
خبير وهذا مستفاد من قوله تعالى ان ربك يبسط الرزق لمن
يشاء ويقدر انه كان بعباده خبيرا بصيرا ثم اعلم ان الاستعاذة
انما هي لدفع المضار ومعظمها بالنسبة الى الابرار في الخواطر
فلا بد من معرفتها فان الخاطر ما يرد على القلب في صورة خطاب
او تعريف او طلب وانواعه اربعة خاطر الحق المسمى بالخاطر
الاول وهو علم يقذفه الرب من بطنان الغيب على اهل القرب
ويبقى مطمئنا لا ينفيه شيء ولا يقتضي المهلة ويعبر عنه

بالالهام وخاطر الملك وهو ما يرغب على الطاعات ويحذر عن السيئات
ويلوم عليها بعد الميل اليها وقد لا تطمئن ويطلب المهلة و
خاطر الشيطان وهو ما يدعو الى المناهي والملاهي فيندفع
بالاستعاذة والانتهاء وخاطر النفس وهو حركة في
الباطن تنبعث الى تحصيل ملاذها ومرامها من اشياء منكرة
تحقق ان الله منزه عنها وعن غيرها فيقابل بترك المبالاة
واستدامة الذكر وسائر الطاعات ويفرق بينهما بان الشيطان
اذا دعا الى زلة ولم تجب يوسوس باخرى اذ مراده الاغوار
كيف امكن في ضمن الاشياء بخلاف النفس فانها لا تزال
تلح حتى تظفر بمرادها الا ان يعيذه الله ولهذا هو اشد الخواطر
على المريدين وحقيقة الوسوسة ان الانسان بينما هو ذاهل
عن الشيء ذكره النفس والشيطان فيحدث له ميل يترتب عليه فعل
هذا هو المشهور بين الجمهور وقد ذكر نجم الكبرا خاطر القلب
وهو ما سلم من منازعة النفس وينطلق من قيد الشك وغيره
وخاطر العقل وهو ما يكون مع النفس والبدن لاثبات
الحجة على العبد ليستحق به العقاب ومع الملك والروح ليستوجب
به الثواب وخاطر الروح وهو ما ينبعث من همة الحق
همه بها الى الحضرة الالهية يستنزل بها الالهامات الربانية
وخاطر السر وهو ما ينشا من ميلانه الى معرفة الصفات
التي يستنزل المعارف من بحار الاسماء والذات وخاطر اليقين
وهو روح الايمان ومزيد العلم والاتقان وخاطر
الشيخ للمريد يرد عليه على قدر العلقة المعنوية وخاطر
النبي للاتباع على قدر الاتباع والخاطر من الموتى على قدر صفاء
الباطن وتالف الزوجين والخاطر من قلوب الاخوان
على قدر خلوص الصحبة انتهى ولا يخفى اندراجها تحت الخواطر

الاربعة

١٧٥

الاربعة بل رجوع تلك الخواطر باسرها الى اللمتين المذكورتين
في الحديث كما حققه الشيخ العارف صاحب العوارف
بل لا يبعد ان يقال الاصل في الخواطر جميعها الخاطر الحقاني
والالهام الرباني لقوله تعالى ونفس وما سويها فالهمها
فجورها وتقويها ومن ثم قيل التوحيد اسقاط الاضافات
يعني في سلسلة اسباب المسببات ولما كان هذا التحقيق من
غوامض العلوم وادراك عوائد فوائده من دقائق المفهوم
بسطنا الكلام في ذلك واوردناه ما هنالك والله الهادي الى
سواء المسالك رواه البخاري لكن بزيادة بعد لاعيذنه
وهي قوله وما ترددت عن شيء انا فاعله ترددي عن نفس
المؤمن يكره الموت وانا اكره مساءته قال ابن الصلاح و
ليس المراد بالتردد هنا حقيقته المعهودة في حقنا بل انه يفعل
به كفعل المتردد الكاره اي لمحبته له يكره مساءته بالموت
لانه اعظم الالام الدنيا الا على قليلين من اهل العقبى والمشتاقين
الى قرب المولى وان كان لا بد له منه في رواية وذلك لما سبق من
محتوم قضائه وقدره حيث قال كل نفس ذائقة الموت فسبحان
من قهر العباد بما اراد وهذا بالنسبة الى من يوجد عنده الكراهة
الطبيعية كما تقتضيه الحالة البشرية والا ففي الحديث من
احب لقاء الله احب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله
لقاءه كما رواه احمد والشيخان والترمذي والنسائي عن عائشة
وعن عبادة

الحديث التاسع والثلاثون

عن ابن عباس رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال ان الله تجاوز اي عفا وتفاعل بمعنى فعل ولعل
معنى التجاوز انه الله يجاوز يطالب المذنب بالذنب والمذنب
يطالب الرب بالعفو اي يتمسك عند الخوف من عذابه برحمته

فاذا غفر الرب فقد تجاوز عن مطالبه لي اى لاجلي وتعظيم امري
ورفعة قدري وحصول مرضيّ صدري عن امتي اى امة
الاجابه قال الكواشي في تفسيره كان بنوا اسرائيل اذا نسوا
شيئا مما امروا به او اخطاوا عجلت لهم العقوبة الخطاء
اى اثمه وقد ابعد ابن حجر حيث فسرا ولا قوله تجاوز بمعنى
ترك وثانيا حين قال هنا يحتمل عن حكمه او عن اثمه او عنهما
جميعا وهذا هو الاشبه اذ لا مرجح لاحدهما فابقى الحديث على شموله لهما
وتخصيصه بالثاني يحتاج لدليل انتهى ولا يخفى ان حكم الخطاء
اعم من اثم فعله وما يترتب عليه من تداركه فرفع الاثم مستفاد
من هذا الحديث كما ان تداركه ماخوذ من قوله تعالى ومن قتل
مؤمنا خطا اذ المراد بالخطا هنا ضد العمد وهو ان يقصد
بفعله شيئا فيصادف غير ما قصد لا ضد الصواب خلافا
لمن زعمه فى هذا الباب بناء على ان تعمد المعصية قد يسمى خطا
ثم الخطا بفتحتين مقصورا هو الاشهر ويجوز مده مع فتح
الخاء وكسرها وكسر الخاء وسكون الطاء وكذا ضم الخاء وسكون
الطاء بهذه الوجوه كلها قرئ قوله تعالى انه كان خطا كبيرا
ولعل الخطا بفتحتين هو المراد ههنا بدليل الاية الاولى واما
بقية الوجوه فمختصة بتعمد المعصية الا الخطاء بالفتح ممدودا
فانه يناسب ان يكون ضد الصواب والحاصل ان من اتى بشيء من
المعاصي او اخل ببعض الفرائض خطا لا يتعلق به ذم في الدنيا
ولا مؤاخذه في العقبى ولهذا لو قتل انسانا خطا بان لم يقصد
الفعل كان سقط على صبي فمات او قصد الفعل دون الشخص
كما اذا رمى الى الصيد فاصاب انسانا لم يقتص منه اما من
اراد ما يحسن فعله ولكن يقع منه خلاف مراده فهو ممن
اجتهد فاخطا فله اجر واما من اراد ما لا يحسن فعله

ويتفق

ويتفق منه خلافه فهو مخطئ ارادةً مصيبٌ فعلا فهو مذموم
بقصده غير محمود بفعله وفي رواية ان الله تجاوز عن امتي عن الخطا
قال ابن حجر وهي اظهر اذ لا يحتاج فيها الى تضمين تجاوز لغيره
بخلاف الاولى كما تقرر انتهى وفيه ان تجاوز لم يتعد بعن مرتين
فيحتاج هنا ان يقال الى ابدال الثاني عن الاول فيكون المعنى عن
خطا امتي [illegible] والتضمين كثير في كلام الفصحاء ومرام
البلغاء على انه حينئذ ايضا يحتاج الى تقدير مضاف من اي
تجاوز عن اثم خطا امتي بخلاف ما قررنا حيث قلنا تجاوز بمعنى
عفا فالخطا مفعول بلا واسطة وعن امتي بالواسطة والنسيان
ضد الذكر بالكسر او الذكر بالضم بمعنى التذكر والمراد هنا اى اثم
ما صدر عنهم من اقتراف ذنب او افتراق طاعة نسيانا ولهذا
لو اكل الصائم او شرب ناسيا فلا افطار ولا كفارة بخلاف
الصلوة فان لها هيئة مذكرة قيل اذا كان اثم الخطا والنسيان
متجاوزا عن هذه الامة المرحومة فما الحكم في الدعاء بقوله
ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا او اخطانا واجيب بان هذا
تلذذ واعتراف بالنعماء بما رفع عنهم من البلاء وبان النسيان
منه ما يعذر صاحبه و[illegible] لا يعذر كما اذا ترك التحفظ و ومنه ما ح
اعرض عن اسباب التذكر كمن راى نجاسة في ثوبه واخر
الازالة وصلى عُدّ مقصّرا ويجب القضاء وكذا اذا تغافل عن
تعاهد القران حتى نسي فذكر النسيان واراد ما هو المسبب عنهما الخطا صح
وقيل المعنى ان نسينا المامور به او اخطانا في المنهي وقد اجاب الله
دعائهم بدليل ما ورد عنه صلى الله عليه وسلم ان الله سبحانه قال بعد
كل دعاء فعلت او نعم والله اعلم وغايته ان يكون الحديث
متاخرا عن الكلام القديم وما استكرهوا عليه بصيغة
المفعول اي واثم ذنب صدر عنهم بالاكراه والاجبار فلا يكفر

من اكره على الردة فتلفظ بها جهرًا مطمئنا بالايمان قلبه والحديث
مخصوص بغير القتل والزنى واللواطة وشهادة الزور
والحكم بابطال اكراها ونحو ذلك وفروع هذا الاصل وشروطه
مذكورة في كتب المذهب من الامور المتفق عليها والمختلف
فيها ولعل معناه بلسان العارفين وارباب الاشارة هو ان الله
لايعاقب امتي اذا اخطأ طريق طلب الله او في العمل لما سواه
من خوف عقوبة اورجاء مثوبة او نسيت عهد الله الذى
عاهدهم ان يحبّوه ولايحبّوا غيره لانهم غرباء بَعُدَ اطالة
العهد بهم مسافرين عنه محتجبين بانواع البلاء عن قربهم
لكن سيعودون الى الفطرة الاصلية والمحبة الازلية لانه حين لم يكن
شيئا مذكورا بل لم يكن في الكتاب مسطورا قد نطق الحق بمحبتهم اولا
ورقم بها في اللوح ثانيا وانزل عليهم قوله يحبّهم ويحبّونه ثالثا
ولله درمن قال شعر نَقِّلْ فؤادك حيث شئتَ من الهوى ما الحب الا
للحبيب الاول ٭ كم منزل في الارض يألفه الفتى وحنينه ابدا لاول منزل
حديث حسن اى اسناده رواه ابن ماجه لكن عن ابي ذر كما صرح به
في الجامع الصغير ورواه الطبراني في الكبير والحاكم في مستدركه
عن ابن عباس والبيهقي وغيرهما كابن حبان في صحيحه
والدارقطني باسناد صحيح وقد قال الحاكم صحيح على شرطهما
وما بخره الاعلال بالارسال وانما اختار المصنف كونه حسنا
مع تصريح جمع بالصحيح لما حكى البيهقي عن محمد بن نصر المروزي
انه قال ليس لهذا الحديث اسناد يحتج به فالاحوط ان يقال
انه حسن لذاته صحيح لغيره

الاربعون

عن ابن عمر رضى الله عنهما قال اخذ رسول الله صلى الله
عليه وسلم بمنكبي بفتح الميم وكسر الكاف مجمع العضد والكتف
ويروى بالتثنية قيل وهي الرواية وبالافراد وذلك ليتوجه
توجها

توجها بليغا فيما يلقى عليه ويمكن في ذهنه ما يلقى اليه
وفيه ايماء الى ان الراوى له منزلة عظيمة لديه فقال
كن في الدنيا كانك غريب اى لاتركن اليها ولا تتخذها
وطنا ولا تحدّث نفسك بطول البقاء فيها ولا بالاعتناء
بها ولا تتعلق منها بما لا يتعلق به الغريب في غير وطنه
ولا تشتغل فيها بما لا يشتغل بالغريب الذى يريد الذهاب
الى اهله كذا قاله المص وذلك لان الدنيا دار مرور وجسر
عبور كما قال عيسى عليه السلام الدنيا قنطرة فاعبروها
ولا تعمروها فينبغي للمؤمن ان ينتظر الانتقال عنها
ساعة فساعة من الاحوال متهيئا لاسباب الارتحال
بتداركالاعمال ورد المظالم او طلب الاستحلال مشتاقا
الى الوطن الحقيقي حين كان في صلب ادم عليه السلام ثم
نقل منها الى دار الغربة والالام بالاقبال على مداومة طاعة
ذى الجلال والجمال على وجه الكمال فانه في سفره يبلغ
من لقمة وستره من خرقة صابرا على ما اودع فيها من الاكدار
فانها بئس القرار وانما العيش عيش الاخرة كما في الاخبار
ثم ترقى عن المقام الاول لطفا او التى بمعنى بل وقال
او عابر سبيل اى بل كانك عابر سبيل لانه قد يسكن الغريب
في غير وطنه ويستانس به وباهله در طائفة رفضوا الدنيا
وانعزلوا عن الناس وتجردوا عما هم عليه من الاثقال والالباس
بل صاروا حفاة عراة حاسرى الراس وفي الحقيقة هم العقلاء
والاكياس الخارج فضلهم عن الحد والعد والقياس
ان لله عبادا فطنا ٭ طلقوا الدنيا وخافوا الفتنا ٭
نظروا فيها فلما عرفوا ٭ انها ليست لحيّ وطنا ٭
جعلوها لجة واتخذوا ٭ صالح الاعمال فيها سفنا ٭

وعن ابن عباس في قوله تعالى وكان تحته كنز لهما الاية قال كان لوح من ذهب مكتوب عليه بسم الله الرحمن الرحيم لا اله الا الله محمد رسول الله عجبا لمن يؤمن بالقدر كيف يحزن وعجبا لمن يعلم الموت كيف يفرح حتى وعجبا لمن يرى الدنيا وتصاريف اهلها كيف يطمئن اليها

فلله صح

مقياس صح

هذا وزيد في بعض طرق الحديث وعد نفسك في اصحاب القبور وفي
رواية الترمذى وعد نفسك من اهل القبور اى وتنبه من نوم
الغفلة وسكر الغرور وتب الى الله واستعد لزاد يوم الحشر
والنشور وهذا معنى ما ورد موتوا قبل ان تموتوا وكان ابن
عمر يقول اذا امسيت اى دخلت في وقت المسا وهو
اول الليل فلا تنتظر الصباح واذا اصبحت اى دخلت
في وقت الصباح وهو اول وقت النهار فلا تنتظر المساء
وفي هذا حث على قصر الامل لانه سبب المبادرة الى العمل
والمنجى من افات الكسل فانه من طال امله ساء عمله فالواجب
ان يجعل نصب عينه اجله فان هذا سبب للزهد فى الدنيا
والاقبال على العقبى واذا قيل من جعل الموت نصب عينه لم يبال
بضيق الدنيا ولو بسعتها المضرة فى العقبى وقد ورد فى الصحيحين
وغيرهما ولا يزال قلب ابن ادم شابا فى اثنين حب الدنيا
وطول الامل وعن ابي زكريا التيمى قال بينما سليمان بن
عبد الملك فى المسجد الحرام اذ اتى بحجر منقور فطلب من يقرؤه ما
ذا فيه ابن ادم لو رايت قرب ما بقى من اجلك لزهدت في
طول املك ولرغبت فى الزيادة من صالح عملك ولقصرت
من حرصك وحيلك فاعمل ليوم القيمة يوم الحسرة والندم
ذكره ابن الجوزي في منهاجه وقد قال تعالى ذرهم
ياكلوا ويتمتعوا ويلههم الامل فسوف يعلمون وقال ابن
عمر رانى رسول الله صلى الله عليه وسلم وانا اصلح خصا
فقال ما هذا قال خص لنا نصلحه فقال ما ارى الامر
الا اقرب من ذلك ذكره الترمذى وقيل لبعضهم الا تغسل
قميصك قال الامر اعجل من ذلك وعن محمد بن ابي ثوبة قال
اقام معروف الصلوة ثم قال لى تقدم فقلت ان صليت بكم

هذه

وهذا الاقرب الى المحيط به هـ
الفتح المبين شرح الاربعين
لابن حجر هـ

هذه الصلوة لم اصل بكم غيرها فقال معروف انت تحدث نفسك ان
تصلى صلوة اخرى نعوذ بالله من طول الامل فانه يمنع خير العمل
وروى عن ابي سعيد الخدرى انه قال اشترى اسامة بن زيد وليدة
بمائة دينار فسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الا تعجبون
من اسامة المشتري الى شهر لطويل الامل والذي نفسي بيده ما
طرفت عيني الا ظننت ان شفرى لا ينطبق حتى يقبض روحي
ولا طعمت لقمة الا ظننت انى لا اسيغها حتى اغص بها من الموت
فوالذي نفسي بيده انما توعدون لات وما انتم بمعجزين وعن ابن
عباس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتيمم بالتراب
فاقول يا رسول الله ان الماء قريب منك فيقول ما تدرى لعلى لا
ابلغه ذكره الحارث ابن اسامة وروى مرفوعا نجا اول هذه الامة
باليقين والزهد ويهلك اخرها بالبخل والامل وهذا لان من
قصر امله زهد فى دنياه ومن طال امله رغب في هواه وترك
الطاعة وتكاسل عن التوبة وقسا قلبه نسيانه الاخرة
وعن على كرم الله وجهه ارتحلت الدنيا مدبرة وارتحلت الاخرة
مقبلة ولكل واحد منهما بنون فكونوا من ابناء الاخرة ولا
تكونوا من ابناء الدنيا فان اليوم عمل ولا حساب وغدا حساب
ولا عمل وكان الحسن يقول عجبا لقوم امروا باخذ الزاد ونودوا
فيهم بالرحيل الى المعاد وحبس اولهم فى انتظار اخرهم
وهم قعود يلعبون ما يخطر هذا في خاطرهم ووقع فى اصل ابن
حجر الى الصباح والى المساء بزيادة الى فى الموضعين وهو
مخالف للنسخ المعتبرة والشروح المشتهرة وقد ابعد
فى تقدير المعنى حيث قال اى اذا امسيت فلا تنتظر
باعمال الليل الى الصباح واذا اصبحت فلا تنتظر باعمال النهار
الى المساء انتهى ووجه استبعاده لا يخفى على الفضلاء النبلاء

وخذ من صحتك لمرضك والمعنى اغتنم ايام الصحة والعافية
لاقتناء الاعمال الصالحة الباقية قبل ان تمرض فتعجز عنها
وتندم على ما فاتك منها وكذا الكلام في قوله ومن حياتك لموتك
زاد الغزالي في اربعينه فانك يا عبد الله لا تدرى ما اسمك غدا اى
ما رسمك ووصفك عند الله هل انت من الابرار او من الفجار
والمعنى خذ من ايام حياتك ما تلقى نفعه من طاعتك بعد مماتك
واياك والتسويف المانع فان الوقت هو السيف القاطع وقد انشد علي
كرم الله وجهه في هذا المعنى قريبا منه ٭ اذا هبت رياحك
فاغتنمها ٭ فان لكل خافقة سكون ٭ ولا تغفل عن الاحسان فيها
فما تدرى السكون متى يكون ٭ اذا ظفرت يداك فلا تقصر
فان الدهر عادته يخون ٭ ثم الموت احد الاسباب الموصلة الى
النعيم السرمد كما ورد انكم خلقتم للابد ولكن تنقلون من دار
الى دار فهو وان كان في الظاهر فناء لكن في الحقيقة بقاء
وولادة ثانية ونتيجة باقية كالنوى المزروع لا تصير نخلا
الا بعد فساد جثتها ولذا امتن الله علينا بالموت فقال
الله الذي خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم وقال الذي خلق
الموت والحيوة وقدمه لكونه ذريعة الى الحيوة الحقيقية كما
قال وما هذه الحيوة الدنيا الا لهو ولعب وان الدار الاخرة
لهي الحيوان لو كانوا يعلمون وفي الحديث الموت تحفة المؤمن
ثم الروح لا يدخل تحت سكرات الموت بل ينفصل وينقطع علاقته
عنه اولا يقول تعالى ارجعي الى ربك راضية مرضية يعني واما
ساخط مسخوطة ثم يتعلق حين دفن كما تعلق به ارادته
سبحانه كما يشير اليه قوله فادخلي في عبادى ويتوجه عليه سوال
الملكين ويرد عليه عذاب القبر وثوابه ويبقى له العلاقة
بالتلذذ والتألم بحسب اختلاف اكتسابه ثم يرتقي روح المؤمن
الى

الى الدرجة العليا ويصل الى السعادة الكبرى واما التي تذوق الموت
فهي النفس الحيوانية الانسانية كما قال تعالى كل نفس ذائقة الموت
اذا خرج منه الروح تنهدم اركانها وتنعدم شانها لكن العارفون
الذين صفت اجسادهم وتجانست ارواحهم واشباحهم لا يتطرق
اليها البلا كما في الانبياء والشهداء والاولياء من اهل البلاء
بل تجذبها الى الحضرة اللاهوت وتطير معها في عالم الملكوت فافهم
هذه الاسرار التي نطقت بها الاخبار وشاهدها بالبصائر
الثاقبة الاخيار وقد ورد معنى هذه الوصية عنه صلى الله
عليه وسلم من عدة طرق منها خبر الحاكم انه صلى الله عليه وسلم
قال لرجل وهو يعظه اغتنم خمسا قبل خمس شبابك قبل هرمك
وصحتك قبل سقمك وغناك قبل فقرك وفراغك قبل شغلك
وحياتك قبل موتك وما احسن من قال من ذوى الاحوال وما
هذه الايام الا معارة فما اسطعت من معروفها فتزود فانك لا
تدرى باية بلدة تموت ولا ما يحدث الدهر في غد رواه البخاري
هذا الظاهره يشعر بان الحديث المرفوع والموقوف كلاهما
رواه البخاري وفي الجامع الصغير للسيوطي ما يثبت فيه فانه قال
كن في الدنيا كانك غريب او عابر سبيل رواه البخاري عن ابن عمر
وزاد احمد والترمذي وابن ماجه وعد نفسك من اهل القبور
فالمتبادر منه الموقوف عن ابن عمر ليس مذكورا في البخاري نعم
روى هذا الموقوف مرفوعا ايضا فرواه البيهقي عن ابن عمر
قال اخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بعض جسدي فقال كن
في الدنيا كانك غريب او عابر سبيل وعد نفسك من اصحاب القبور
وقال لي يا ابن عمر اذا اصبحت فلا تحدث نفسك بالمساء
واذا امسيت فلا تحدث نفسك بالصباح وخذ من صحتك
قبل سقمك ومن حياتك قبل موتك فانك لا تدرى يا عبد الله

ما اسمك غدا والحاصل ان هذا الحديث فذلكة الاحاديث
السابقة ونتيجة الاعمال الصالحة والاحوال الصادقة ولهذا
ختم به عدد الاربعين كما ختم به اسلام عمر حيث نزل يا ايها
النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين

الحادي والاربعون

عن ابي محمد عبد الله بن عمرو بالواو رضي الله عنهما بن العاص
بلا ياء هو الصحيح لانه اجوف لا ناقص كما حققه صاحب
القاموس حيث قال الاعياص من قريش اولاد بني امية
بن عبد شمس الاكبر وهم العاص وابو العاص والعيص و
العيص واما ما في بعض النسخ كما في اصل ابن حجر العاصي بالياء
فهو مبني على توهم انه اسم فاعل من العصيان وانه يجوز اثبات
الياء وحذفها كما هو مقرر في محلها نعم العاصي هو الكافر الكاهي
واما من ذكر قبله فهما صحابيان فينبغي ان يقال رضي الله عنهما
الا انه قيل ابن العاص كما اشرنا اليه لا بعده كما فعله ابن حجر
فانه يتوهم منه ان الاخير من صحابيان وعبد الله تابعي فتدبر
فانه اسلم قبل ابيه وكان اكبر منه باحدى او اثنتي او ثلاث عشرة
عابدا عالما زاهدا اكثر الناس اخذا للحديث قال ابو هريرة
ما كان احد اكثر مني حديثا الا عبد الله بن عمرو فانه كان يكتب
ولا اكتب سكن مكة ثم رحل الى الشام وعاد اليها وتوفي
بها وقيل بالطائف وقيل بالشام وقيل مصر سنة خمس وستين
وهو ابن اثنتين وسبعين سنة مروياته سبعمائة حديث وروايته
اكثر من ذلك لما تقدم وانما توعرت الطرق في الرواية عنه فكان ذلك
سببا لقلة ما صح عنه يقال انه حفظ عنه عليه السلام الف مثل وقد
عمي في اخر عمره وهو اجل العبادلة الاربعة وكان النبي عليه السلام
يفضله على ابيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يؤمن
احدكم اي ايمانا كاملا حتى يكون هواه بالقصر اي ميل قلبه

وطبع

وطبع نفسه تبعا اي تابعا لما جئت به شرعا جامعا مانعا
والمعنى لا يكمل ايمان احدكم حتى تكون موافقته للشريعة مثل
موافقته لمألوفاته من غير الكلفة ويجوز ان يحمل على نفي اصل
الايمان حتى يكون تابعا للشرع اعتقادا كالمخلصين لا خوفا
واكراها كالمنافقين ويوافق هذا الحديث خبر لا يؤمن احدكم
حتى اكون احب اليه من نفسه وولده واهله والناس اجمعين
رواه الشيخان ولما صدقت محبة الصحابة له صلى الله عليه وسلم
وكان هواهم تبعا لما جاء به قاتلوا معه اباءهم وابناءهم
وبذلوا في طريقه مهجهم وانفقوا اموالهم فطوبى لهم ثم طوبى لهم
فمن كان الهوى وهو الباطل المطاع والمحبوب الاطباع تابعا للطريق
الهدى من الملة البيضاء والسنة الزهراء حتى يصير همومه
المختلفة وخواطره المتفرقة التي تنبعث من هوى النفس وميل
الطبع هما واحدا يتعلق بامر ربه واتباع شرعه تعظيما لحقه
وشفقة على خلقه كما قال كانت لقلبي اهواء مفرقة
فاستجمعت اذ راتك العين اهوائي وصار يحسدني من كنت احسدهم
وصرت مولى الورى اذ صرت مولائي تركت للخلق دنياهم ودينهم
شغلا بحبك يا ديني ودنيائي فلا يميل الا بامر الشرع ولا
يهوى الى حكم الطبع فهو المؤمن الكامل الوحيد الذي يقبل منه
التوحيد ومن اعرض عنه متبعا لهواه مبتغيا لرضاه فهو
الكافر الخاسر في دنياه وعقباه ومن اتبع اصول الشريعة
دون فروعها فهو الفاسق ومن عكس فهو المنافق والهوى
مصدر هواه احبه وشرعا ميل النفس الى مشتهيات الطبع
دون مقتضيات الشرع فان قلت ما جاء به الرسول صلى الله
عليه وسلم نور وضياء يسمى بالشريعة والهوى ظلمة في النفس
منبعثة من الطبيعة فكيف يصير الهوى الظلماني تبعا للدين
النوراني مع ان علة الانضمام الكلية هي الجنسية فالجواب

ان النفس لطيفة في الجسد تولدت من ازدواج الروح والبدن
واتصالهما والروح لطيف روحاني والجسد كثيف ظلماني
والنفس متوسطة بينهما يقبل اللطافة الروحانية والكثافة
الجسمانية وهذا هو التسوية التي قال تعالى ونفس وما
سويها فاستقامة الروح الروحاني في الروح النفساني
بمثابة النور في الحدقة فصار بها النفس قابلة للخير والشر
والفجور والتقوى كما قال تعالى فالهمها فجورها وتقويها
فاذا غلب الامر بالتقوى صار مزكاة عن كدورات الدنيا
متوجه الى الدين قابلة لليقين مائلة الى العقبى شائقة الى المولى
واذا غلب الامر بالفجور صار تابعة للهوى سالكة مسالك
الردي كما قال تعالى قد افلح من زكيها وقد خاب من دسيها
وما احسن قول بعض ذوي العرفان نون الهوان من الهوى مسروقة
فصريع كل هوى صريع هوان قال الراغب مثل النفس
في البدن كمجاهد بعث الى ثغر يراعي احواله وعقله
خليفة مولاه لديه ضمه الله ليرشده ويشهد له وعليه وبدنه
بمنزلة مركوبه وهواه سائس خبيث ضم اليه ليفقد مركوبه
والقران بمنزلة كتاب اتاه من مولاه تبيانا لكل شيء ورحمة
والنبي رسول اتاه بالكتاب ليبين للناس ما نزل اليهم وا شكل
عليهم فان جاهد اعداءه وقهرهم واستعان بالعقل امرهم
حمد اثره اذا عاد الى حضرته وهو من المفلحين ومن ضيع ثغره
واهمل رعيته وصرف همته الى مركوبه واقام سائس المركب
مقام خليفة ربه فهو في الاخرة من الخاسرين ثم اعلم
انه روي عن ابن عباس قال الهوى اله يعبد في الارض ثم
تلا ارايت من اتخذ الهه هواه وقال تعالى واما من خاف
مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي المأوى

وفي

وفي الحديث المجاهد من جاهد نفسه والعاجز من اتبع نفسه
هواها وتمنى على الله تعالى وجاء مرفوعا ما تحت السماء
اله يعبد اعظم عند الله من هوى متبع اخرجه الخرائطي
وكذا روي عن اسماء بنت عميس مرفوعا بئس العبد عبد هوى
يضله بئس العبد عبد طمع يقوده فالهوى هو البلية العظمى فانها
منبع شهوات الدنيا حديث صحيح الاسناد رويناه بصيغة الفاعل
او المفعول في كتاب الحجة اي في اتباع المحجة في عقيدة اهل السنة
للحافظ ابي القاسم اسمعيل بن محمد بن الفضل الاصفهاني وقيل
هو ابو الفتح نصر بن ابرهيم المقدسي الشافعي الفقيه الزاهد
نزيل دمشق باسناد صحيح رواه محيي السنة في المصابيح
وشرح السنة وقد اخرجه ابو نعيم ايضا في كتابه الاربعين الذي
شرط في اولها ان يكون من صحاح الاخبار وجياد الاثار مما اجمع
الناقلون على عدالة ناقله ورواه الطبراني ايضا وكذا الحافظ
ابو بكر بن ابي عاصم الاصبهاني

الثاني والاربعون

عن انس رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول قال الله تعالى يا ابن ادم افعل مشتق من اديم الارض
وقيل اعجمي لا اشتقاق له ويؤيد الاول حديث مرفوع خلق ادم
من اديم الارض كلها فخرجت ذريته على نحو ذلك منهم الابيض
والاسود والاحمر والسهل والحزن والطيب والخبيث والمراد
هو وذريته كانه قال ايها الجنس ابو الانس ليدخل فيه دخولا
اوليا ثم في هذا النداء نكتة للعرفاء وهي ان اقوى المراتب
الاسم واضعفها الحرف فظن قوم انه لا يأتلف الاسم بالحرف
فكذا اقوى الموجودات هو الحق سبحانه وخلق الانسان ضعيفا
فقالت الملائكة ما للتراب ورب الارباب فقيل لهم قد يأتلف الاسم
مع الحرف في حال النداء فكذا البشر يصلح لحضرة رب الارباب

حال التضرع والنداء حيث قال ادعوني استجب لكم الك ما دعوتني
اى مادمت تسالني مغفرة ذنوبك وغيرها او تعبدني
بالطاعات والدعوات ونحوها فان الدعاء مخ العباده ورجوتني
اى ورجوت مغفرتي وطمعت في رحمتي او خفت من عقوبتي
وخشيت من عظمتي اذ الرجاء بمعنى الخوف ايضا جاء وما
زمانية ظرف قوله غفرت لك اى سترت عيوبك ومحوت ذنوبك
على ما كان منك اى مع ما وقع منك من الذنوب الكبيرة الصغيرة
والكبيرة ولا ابالي اى لا يعظم على كثرتها فان جرائم العباد
واثام اهل العناد في جنب عظم رحمة الرب كذرة صغيرة
بل اقل منها كالهباء فالحديث تحريض على الدعاء وتحسين الرجاء
اما الدعاء فحقيقته استدعاء العبد ربه واستمداده منه
والمعونة في حقه وله شرائط واداب تقدم الاشارة اليها
في اثناء الكتاب فان قيل ثبت القلم بما هو كائن فالدعاء
لا يزيد ولا ينقص في هذا الباب وايضا المطلوب ان كان
من مصالح العبد فالجواد المطلق لا يبخل به سواء سال او لم يسال
وان لم يكن منها لم يجز طلبه ولان الرضاء بالقضاء باب الله الاعظم
والاشتغال بالدعاء ينافي هذا المقام الافخم فالجواب
ان الدعاء من سنن المرسلين ومن شعار المسلمين وداب العرفاء
الصديقين والقران والحديث ناطق بصحته بل ماخوذ بوجوب
سوال الله ودعوته والسبب العقلي فيه ان كيفية علم الله
وقضائه غائبة عن عقول عباده والحكمة الالهية يقتضي
ان يكون العبد بين الخوف والرجاء اللذين بهما تتم العبودية
وبهذا الطريق صححنا القول بالتكاليف الشرعية مع الاعتراف
باحاطة علم الله وجريان قدرة في كل ما قضاه ثم قوله صلى الله
عليه وسلم فكل ميسر لما خلق له في جواب قولهم ففيم العمل مع انه

كتب

١٨٢

كتب مقعد كل احد من الجنة او النار يدل عليه او يشير اليه فانه
رغبهم بسابق القدر في الازل ثم رغبهم في القيام بالعمل ليعلم
ان الوسائط والروابط معتبرة في جميع امور هذا العالم والله
سبحانه اعلم واما الرجاء فهو ان ياتي بحسنة ترجو ثوابها
او سيئة ثم تبت عنها فترجو مغفرتها واما الرجل
الفاسق المتمادي المتواني القائل ارجو المغفرة فهذا من اكاذيب
الاماني قال شاه الكرماني علامة الرجاء حسن الطاعة ويؤيده
قوله تعالى ان الذين امنوا والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله
اولئك يرجون رحمت الله وقوله سبحانه ان رحمت الله قريب من المحسنين
وقيل الرجاء روية الجلال بعين الجمال او قرب القلب من لطف الرب
اوسرور الفواد بحسن الميعاد ۞ اذا كثرت منك الذنوب فداوها
برفع يد في الليل والليل مظلم ۞ ولا تقنطن من رحمة الله انما
قنوطك منها من خطاياك اعظم ۞ فرحمته للمحسنين كرامة
ورحمته للمسرفين تكرم ۞ واما الخوف فهو عبارة عن الم
القلب بسبب توقع مكروه في الغيب وسببه التفكر في تفاصيل انواع
العذاب المتوعد به على الفاجر وهو نصيب اهل الظاهر او معرفة
الجلال والكبرياء وهو وظيفة الانبياء والاولياء والاول يزول
والثاني لا يزول ومن كان خوفه في الدنيا اكثر امنه في العقبى اظهر
وبالعكس فتدبر ويروي انه ينادي يوم القيمة وعزتي وجلالي
لا اجمع على عبدي خوفين ولا امنين فمن امنني في الدنيا خوفته
يوم القيمة ومن خافني في الدنيا امنته يوم القيمة يا ابن ادم
لو بلغت ذنوبك اى وصلت من كثرة كميتها ومن عظمة كيفيتها
عنان السماء بفتح العين المهملة قيل هو السحاب وقيل ما عن لك
منها اى ظهر اذا رفعت راسك اليها ذكره المحاوقال التوربشتي
العنان السحاب واضافته الى السماء غير فصيحة واري الصواب

قال معاذ بن جبل اذا كان العالم راغبا في الدنيا كانت مجالسته تزيد للجاهل جهلا وللفاجر فجورا وتفسد قلب المؤمن هـ

اعنان السماء اى صفائحها واقطارها كانها جمع عنن فلعل
الهمزة سقطت من بعض الرواة او وردا العنان بمعنى العنن انتهى
ولا يخفى ان الاضافة يصح بادنى ملابسة فلا ينبغى تخطيه جميع
الرواة نعم لو ورد رواية عن بعضهم لربما حكم ان الصواب
معهم مع ما فيه من الفائدة المشعرة بان السماء منطبق آخذا
بآفاق السماء لا في افق واحد لانهم يطلقون على كل افق سماء
كما يطلقون على كل طبقة سماء فتفيد المبالغة في كثرة الذنوب
بحيث لو كانت اجساما لملأت ما بين السماء والارض كما
جاء في رواية لو اخطاتم حتى بلغت خطاياكم ما بين السماء و
الارض ثم استغفرتم الله نغفر لكم ثم استغفرتني اى تبت
توبة صحيحة بان ندمت على المعصية من حيث كونها معصية
وعزمت على ان لا تعود اليها وتداركت ما يمكن من قضاء الطاعة
التى فوتها ورد المظالم الى اهلها او استحلالهم فيها غفرت لك
وان تكرر المعصية والتوبة ففى الحديث ما اصر من استغفر
وان عاد فى اليوم سبعين مرة كما رواه ابو داود والترمذى واما
الاستغفار مع الاصرار على الذنوب الكبار فتوبة الكذابين والفجار
وقد اخرج ابن ابى الدنيا حديث المستغفر من الذنب
وهو مقيم عليه كالمستهزئ بربه ولذا قال اصحاب
ابى حنيفة ان من قال استغفر الله واتوب اليه وهو مصر بقلبه
على المعصية كاذب اثم لانه اخبر انه تائب وليس حاله كذلك
وقد قال طائفة من السلف انه يكره له ذلك والظاهر ان
هذا بالنسبة الى قوله اتوب اليه واما بالنسبة الى قوله
استغفر الله فلا اذ لا يلزم منه كذب فان الاستغفار من جملة
الادعية والاذكار مفيد ولو مع الاصرار بتخفيف الكبائر وتكفير
الصغائر هذا وفي كلام بعض العارفين ان التوبة هى

الرجوع

حم

الرجوع عن مخالفة الحق الى موافقته فلا بد من معرفة الذنب
حتى يرجع منه بندم القلب وكثرة الاستغفار وكف الجوارح
عن الاوزار ومن رام حقائق توبة الواصلين فعليه بكتاب
منازل السائرين يا ابن آدم انك لو اتيتني بقراب الارض
اى بمثلها كما قاله بعضهم وقال المص هو بضم القاف وكسرها لغتان
روى بهما والضم اشهر ومعناه ما تقارب ملأها ثم قوله
خطايا تميز عن الذات المقدرة فى الاضافة نحو ملأها عسلا
او حال على ان ما قبله مفعول به والباء للتعدية ثم لقيتني
اى حال كونك اى ميت بوصف الايمان والاحسان فثم للمهلة
لا للتراخي فى الاخبار كما اختاره بعض الشراح لا تشرك بي
شيئا بذلك وصفاتي وافعالي او شيئا بعبادتي من النفس
والشيطان والخلق اذ الشرك قسمان جلي وخفي والاول غير
مغفور والثاني يحبط العمل ويعاقب عليه وبالجملة حال
لاتيتك بقرابها مغفرة وهي ازالة العقاب وايصال الثواب
ونكرها ليفيد المغفرة العظيمة وعبر بقرابها للمشاكلة و
الا فمغفرته سبحانه غير متناهية وقد ورد اللهم مغفرتك
اوسع من ذنبي ورحمتك ارجى عندي من عملي واعلم
ان عباد الله الذاهبين اليه المقبلين عليه قسمان الواقفون
والسالكون والمراد بالواقف من وقف فى عالم الصورة
والمبنى ولم يفتح له باب فى الحقيقة والمعنى كالفرخ المحبوس
فى قشر البيضة الخليقة فيكون شربه من عالم المعاملات
البدنية ولا سبيل له الى عالم القلب ومعاملاته مع الرب
فهو محبوس فى سجن الابدان وعليه موكلان يكتبان من اعماله
الظاهرة لديهما او المنهية اليهما او المنكشفة عليهما فاذا
لقى الله العلي بريئا من الشرك الجلي يغفر الله له ما وقع

بلغ المقابلة

ويشكر له ساعيه واما السالك فلا يقف في محل ولا ينزل من
منزل بل يسافر من عالم المبنى الى عالم المعنى ومن مضيق الاشباح
الى متسع الارواح وهم صنفان سيار وطيار فالسيار
من يسير بقدمي الشرع والعقل على جادة الطريقة وخطاياه
ما يحجبه عن المولى من مراتب الدنيا والاخرى ورؤية غير الله
والتعلق بما سواه فان اكبر الكبائر اثبات وجود غير الله ذاتا
وصفة وفعلا حتى وجوده اصلا كما قيل وجودك ذنب لا
يقاس به ذنب وهو الشرك عندهم كما قال العارف ابن الفارض
ولو خطرت لي في سواك ارادة على خاطري سهوا حكمت بردتي
فاذا تخلص من ذلك العصيان تلقاه ربه بالغفران بان يستر
بشواهد هويته ذنوب وجود الاغيار ويرحمه برفع البينونة
والاستار والطيار عاشق مفقود القلب مغلوب العقل
مجذوب السر يطير بجناحي العشق وهمه الذوق والشوق
في فضاء الحقيقة وفي رجله خلخلة الشريعة وهو المتعين
لحمل اعباء الامانة التي لم يوجد في السماء والارض امين
يؤتمن لتحملها فلما عرضت عليه نظر اليها وعشقها وصار
فراش تلك الشمعة تدور حولها حتى حملها فنسب في البداية
الى الافساد وسفك الدماء ولقب في النهاية بالظلوم والجهول
فان قلت من ابى ولم يطع في حمل الامانة نسب الى المكانة
من الطاعة والامانة ومن اطاعه واتى نسب الى الظلم والجهل
والخيانة فما الحكمة في ذلك قلت ان الذلة والمسكنة
وقعت في جانب العاشق كما ان العزة والعظمة وقعت في
طرف المعشوق بل جمال عزة المعشوق لا يظهر الا في مرآة
ذلة العاشق وايضا كمال عزة الامانة يلزم كمال ذل
المؤتمن في اصلاح كتمان امر الامانة وقد يخص غيرة بجانب الثناء

عليه

عليه ليكون عزته في الظاهر وذلته في السر بذلك على حقيقة
هذه الدقيقة خطاب السجود لآدم وعتاب اني اعلم ما لا تعلمون
رواه الترمذي رحمه الله وقال اي هذا كما في نسخة حديث
حسن صحيح وفي نسخة حسن وفي اخرى حسن غريب لا نعرفه
الا من هذا الوجه والمعنى انه غريب اسنادا لا متنا ومطلق الغرابة
لا تنافي الحسن والصحة وقد اخرجه احمد وابو عوانة ايضا
في مسنده الصحيح من حديث ابي ذر والطبراني عن ابن عباس
ثم لما كان هذان الحديثان مما عليه مدار الاسلام ويتضمن
ما لا يحصى من الحكم والاحكام لان اولهما في الترهيب من اتباع
الهوى والترغيب في سلوك مسالك الهدى والثاني في التحريض على
الرجاء والمغفرة والدعاء الذي هو مخ العبادة اوردهما زيادة
على عدد الاربعين في اخر الكتاب نصيحة لكل تواب واواه واواب
ولطيف واشعارا بما قال بعض ارباب الحال من زاد زاد الله
في حسناته ولعله انتقل في هذا المحل الى مضمون حديث الحال
المرتحل فكان الحديثين بمنزلة الفاتحة وصدر سورة البقرة
والى قوله سبحانه فاذا فرغت فانصب والى ربك فارغب اي بزيادة
المطلب حتى يتقرب وختم بهذا الحديث العظيم الشان
اشعارا بانه يجب على العبد ان يعتقد في مولاه الفضل والاحسان
والمغفرة والرافة والامتنان وان يحسن ظنه اخر عهده
في الدنيا واول عهده في العقبى فانه بتحقيق رجاء الراجين
حقيق وولي الاسعاد والامداد والتوفيق فيا من عرف مكائد
الدهر فزهد فيه وشغلهم الموت فلا يضيعك بما فيه اعتصم
بحبل لا انصرام له وتمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها
واقبل على القرآن والحديث فما دونهما خبيث ونزل من القرآن
ما هو شفاء ثم رايت ان جماعة من السلف اجتمعوا على باب

منقولا

الفضيل بن عياض رحمه الله ليسمعوا منه الحديث فاطلع لهم
راسه من كوة وهو يبكي ولحيته ترجف فقال عليكم بالقران
عليكم بالصلوة عليكم بالطواف ويحكم ليس هذا زمان الحديث
انما هذا زمان تضرع وبكاء واستكانة ودعاء كدعاء الغريق
في البحر العميق انما هذا زمان احفظ لسانك واخف مكانك
وعالج قلبك وخذ ما تعرف ودع ما تنكر ولعله اراد الحديث
علو الاسناد كما قال غيره حدثنا باب من ابواب الدنيا لان غالب اهلها
ليس لهم تصحيح في نقلها بل لهم غرض فاسد من الاشتهار و
الاستظهار لا قصد العمل والاستبصار والاعتبار قال المص
فهذا اخر ما قصدته اي نويته واردته من بيان الاحاديث
التي جمعت قواعد الاسلام اي اساسه وما عليه مدار علماء
الاعلام وتضمنت ما لا يحصى من انواع العلوم في الاصول
اي اصول الدين من الالهيات والنبوات والفروع من الاحكام
الفقهية المتعلقة بالاعمال الظاهرية والاداب
اي تحسين الاحوال وتزيين الاخلاق الباطنية وسائر
وجوه الاحكام اي مما يحصل به كمال الاتقان والاحكام
وما ذلك الا لكون علوم العالمين وفهوم العالمين عاجزة
عن درك حقائق كلامه وقاصرة عن كنه دقائق مرامه
وانما يغترف كل احد من اتباعه من بحر فيضه على قدر ما يحسن
من اتباعه وهو مظهر الاسم الاعظم والكنز الانجم الذي
ظهر على وجه العالم ولذا قال بعض العارفين قد عرف
الخلق مقام الحق ولم يعرفوا الحقيقة المحمدية لتستره
بالاوصاف البشرية فلله الحمد والمنة على اتمام هذا الشرح
واسال المزيد من فضله بزيادة النصر والفتح انه ولي
ذلك والقادر على ما هنالك والمامول من افضال الافاضل

والدعا